

جامعة الكوفة-كلية الآداب
قسم اللغة العربية

ألفاظ الجموع التي لا مفرد لها من لفظها في القرآن الكريم دراسة لغوية

رسالة قدمها

إلى مجلس كلية الآداب / جامعة الكوفة
مجيب سعد أبو كطفية
وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية
وآدابها/ لغة.

بإشراف
الأستاذ الدكتور
عبد الكاظم محسن الياسري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفْسٌ

مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا

قُرْآنًا عَجَبًا﴾

(الجن: ١)

إقرار المشرف العلمي

أشهد أنّ إعداد هذه الرسالة قد جرى بإشرافي بمراحلها كافة وأرشحها للمناقشة.

الإمضاء
الأستاذ الدكتور
عبد الكاظم محسن الياسري
التاريخ / / ٢٠٠٨م

بناءً على ترشيح السيد المشرف العلمي وتقرير الخبير العلمي أشرح الرسالة
للمناقشة.

الإمضاء
الأستاذ الدكتور
حاكم حبيب الكريطي
رئيس قسم اللغة العربية
التاريخ / / ٢٠٠٨م

الإهداء

* ليس باستطاعتي أن ألها بومرقة الهدايا وأمنطقها بشرط ملون وأرسلها مع بطاقة

المعايدة...

وليس باستطاعتي أن أرفعها بين منكبي ثم أضعها في يده باسماء...

فليست الهدية كما الهدايا...

ولا المهدي إليه كما نحن...

لذا وجدت لزاماً علي أن أضع كل جملة من أجل هذا البحث مع كل حجر لهاوى - كما تهاوت

قلوبنا - من قبيلهما الشريفين... الإمامين العسكريين - عليهما السلام -.

أهديهما - إن كان من حقي، وأن كنت أهلاً - هذا الجهد المتواضع.

* لم أكن أخطئ لذلك، ولم أكن أنوي...

لكنها الأيام التي قضيتها مع هذه الورقيات التي أضحت كأنها طفلي فكنت لها أباً وأماً...

لاحت لي الليالي التي سهرتها عيون أمي...

والدروب الصماء التي شقتها لي أبي...

وأيام الوحدة والإنظار التي قضتها عقيلتي...

كل هذا... وأكس مما تخطئه الحصص...

جعل قلبي يكذب وحده أهدىكم هذا الجهد.

المحتويات

	الإهداء.
أ-ث	المقدمة.
٩-١	التمهيد : نظرة في الجمع واسم
	الجمع.
٤-٢	الجمع لغة واصطلاحاً.
٧-٥	اسم الجمع.
٩-٨	الفرق بين الجمع واسم الجمع.
٥٢-١٠	الفصل الأول: أفعال الجموع التي
	تمثل العاقل.
١١	توطئة:
١٦-١٢	أشده.
١٩-١٧	أعراب.
٢٣-١٩	أناس.
٢٦-٢٣	أنام.
٢٩-٢٦	أهل.
٣٣-٢٩	آل.
٣٧-٣٣	أولو، وأولات.
٤٠-٣٧	زبانية.
٤٣-٤١	معشر.
٤٦-٤٤	نساء.
٤٨-٤٦	نسوة.
٥١-٤٨	ناس.
	الفصل الثاني: أفعال الجموع التي
٨٢-٥٣	تمثل غير العاقل من الحيوان.
٥٤	توطئة.
٥٩-٥٥	أبابيل.
٦٢-٦٠	إيل.
٦٥-٦٣	أنعام.

٦٩-٦٦	خيل.
٧٢-٧٠	سلوى.
٧٥-٧٣	ضأن.
٧٦-٧٥	طير.
٧٩-٧٧	غنم.
٨٠-٧٩	نعم.
٩٧-٨٢	الفصل الثالث : ألفاظ الجموع التي تمثل غير العاقل من الجماد.
٨٣	توطئة:
٨٨-٨٤	أثاث.
٩١-٨٨	أساطير.
٩٣-٩١	متاع.
٩٦-٩٤	مقاليد.
١٢٣-٩٨	الفصل الرابع: ألفاظ الجموع التي تمثل العاقل وغير العاقل.
٩٩	توطئة:
١٠٦-١٠٠	أسماء الإشارة.
١٠٣-١٠٠	أولاء، وألى.
١٠٦-١٠٣	أولئك.
١٠٩-١٠٦	ألفاظ العقود.
١١١-١٠٩	بضع.
١١٧-١١١	خلق.
١١٩-١١٧	ركاب.
١٢٢-١١٩	ركب.
١٤٦-١٢٤	الفصل الخامس : ألفاظ الجموع التي تمثل المجموعات البشرية(من حيث الدلالة النفسية والعددية).
١٢٦-١٢٥	توطئة:
١٣٠-١٢٧	رهط.
١٣٦-١٣١	شرذمة.

١٣٩-١٣٦	عصبة.
١٤٥-١٣٩	نفر.
١٩٦-١٤٧	الفصل السادس : أَلْفَاظِ الْجُمُوعِ الَّتِي تَمَثِّلُ الْجُمُوعَاتِ الْبَشَرِيَّةِ (مِنْ حَيْثُ الدَّلَالَةُ الْفِكْرِيَّةُ وَالْعَقَائِدِيَّةُ).
١٤٨	توطئة.
١٥٤-١٤٩	ثلة.
١٥٩-١٥٤	جيلة وجيلا.
١٦٤-١٦٠	حزب.
١٦٧-١٦٤	زمرة.
١٧١-١٦٧	صرة.
١٧٦-١٧١	فئة.
١٧٨-١٧٧	فرقة.
١٨٠-١٧٨	فريق.
١٨٤-١٨٠	فوج.
١٨٨-١٨٤	قرن.
١٩٢-١٨٨	ملا.
١٩٥-١٩٢	وفد.
٢٣٣-١٩٨	الفصل السابع : أَلْفَاظِ الْجُمُوعِ الَّتِي تَمَثِّلُ الْقَبَائِلَ وَتَوْسِعُهَا الدَّلَالِي.
١٩٩	توطئة:
٢٠٣-٢٠٠	أمة.
٢٠٩-٢٠٣	سبأ.
٢١٦-٢٠٩	سبط.
٢٢١-٢١٦	عاد.
٢٢٦-٢٢٢	قريش.
٢٣٢-٢٢٦	قوم.
٢٣٨-٢٤٣	ملحق بالرسالة.

٢٤٢-٢٣٩ ٢٤٤-٢٤٣ ٢٦٣-٢٤٥	الخاتمة واهم النتائج. المقترحات. ثبت المصادر والمراجع. ملخص البحث باللغة الانكليزية.
-------------------------------	---

المقدمة

الحمدُ لله سبحانه بما له من المحامد، على ما أسبغ عليَّ من نعمه البوادي والعوائد،
والصلاة والسلام على نبيه إنسان عين الوجود، المشتقُّ من ساطع نوره كل موجود، روض
الفضل النضير وعلم المعارف، والمفرد فليس لمجموع فضله نظير، وعلى آله مظاهر الحكم
ومصادر الهمم، الذين مهَّدوا بلفيف جمعهم المقرون بالسداد سبيل الهدى ومعالم الرشاد.
أما بعد...

فلما كانت معجزة كلِّ نبيٍّ مشابهة لأرقى علوم العصر وفنونه، فقد اختصَّ الله عزَّ
وجلَّ نبيَّه الكريم محمداً (صلَّ الله عليه وآله) بالقرآن الكريم الذي بلغ الذروة في بلاغته
وفصاحته فكانتا وجَّهاً من وجوه إعجازه؛ ولأنه كذلك فقد عجز بلغاء العرب وفصحاؤهم عن
أن يأتوا بسورة واحدة من مثله ووقفوا أمام عظمته متحيرين مبهورين، معترفين بأن هذا
الكلام لا يمكن أن يصدر من بشر. وما يزال القرآن الكريم منهلاً عذباً ومورداً ينهل منه
اللاحقون مثلما نهل السابقون من العلماء الأعلام؛ ولا عجب فهو أرقى مراتب الفصاحة
والبلاغة التي ارتقت إليها اللغة العربية عبر القرون؛ وكان هذا سبباً في عدّه مصدراً لعلوم
العربية كلها من لغةٍ وصرفٍ و بلاغةٍ فضلاً عن كونه من جوامع الكلم المبين الذي عجز عن
الإتيان بمثله الإنس والجن أجمعين.

وكان لهذا أثرٌ بيِّن في انبثاق الدراسات اللغوية والأدبية والبلاغية والنحوية التي أضحت -
بحق - مثار إعجابٍ واعتزازٍ وأساساً رصيناً فتح السبيل بعد ذلك للباحثين من الدارسين.
وعلى هدى من ذلك رغب الباحث في أن يكون واحداً من أولئك الدارسين للعربية،
فاختار القرآن الكريم ميداناً لدراسته في بحثٍ قوامه طائفة من ألفاظه الشريفة، وهي ألفاظ
الجموع التي ليس لها مفرد من لفظها، فكان أن وسم البحث بـ
(ألفاظ الجموع التي ليس لها مفرد من لفظها في القرآن الكريم - دراسة لغوية -).

وقد شرع الباحث في استقراء ما احتواه القرآن الكريم من هذه الألفاظ في نظمه البديع،
وقد تمَّ استقصاؤها بحسب دلالتها على العاقل، وعلى غير العاقل من الحيوان والجماد،
وبحسب دلالتها على المجموعات البشرية، مستعيناً في ذلك بالمصادر اللغوية والنحوية
والصرفية وكتب التفسير، ينهل منها موارد هذا البحث ويتلمس مادته العلمية؛ للوقوف على
آراء العلماء والباحثين في هذا الضرب من الألفاظ فضلاً عن المراجع والمصنفات الحديثة
التي مثلت مورداً آخر من موارد هذا البحث.

وبعد إتمام إحصاء ألفاظ هذا البحث في القرآن الكريم ومحاولة الإحاطة بالموضوع وجوانبه، وما تهيأ له من مادة علمية، شرع الباحث برسم خطة للبحث تتناسب وطبيعته، وقد نهج فيها منهجاً وصفيّاً للاستعمال اللغوي القرآني وربما عمد إلى تحليل التراكيب اللغوية على وفق نظرية تصافر القرائن التي جاء بها الدكتور تمام حسان في كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها) بيد أن الباحث لا يحيد عن المنهج الذي سارَ عليه وهو دراسة هذه الألفاظ بحسب نظرية المجال الدلالي التي تقتضي جمع الألفاظ المنتمية إلى موضوع رئيس واحد وتقسيمها على حقول دلالية.

وهناك أسباب دعت الباحث إلى اختيار هذه النظرية؛ لعلَّ أولها ما تتيحه هذه النظرية من تسهيل دراسة الألفاظ دراسة تاريخية وصفية، وأنها تظهر التطور الدلالي والعلاقات المعنوية المتعددة ضمن الفصل الواحد؛ مثل علاقة التضاد، وعلاقة الكل بالجزء، وكذا التخصيص والتعميم، وتمكّن الدارس من تحديد الألفاظ الأساسية والألفاظ الهامشية، وتيسر للباحث إثبات الترادف وعدمه بين الألفاظ، والتأكد من حقيقة المشترك اللفظي الذي يُعدُّ مثار الاختلاف بين العلماء، فضلاً عن حداثة هذه النظرية ومنهجها وهو ما دفع مجموعة من الباحثين إلى الأخذ بها في أبحاثهم اللغوية.

وثمة منهج التزم به الباحث في أثناء البحث وحاول أن لا يحيد عنه وهو دراسة اللفظة من حيث الدلالة المعجمية بأن يذكر المعنى الأساس للفظ، والمعاني الهامشية التي تدلُّ عليها هذه اللفظة أو ما يشتق منها وإرجاع هذه المعاني إلى أصل واحد. ومن ثم دراسة التشكيل الصوتي - إن وجد - للفظ؛ أي: دراستها من حيث أصواتها التي تشكلت منها في ما إذا كانت (صامتة أو صائتة)، و(مجهورة أو مهموسة)، و(شديدة أو رخوة)، و(ذلقية أو مصمتة) وما يطرأ عليها من ظواهر صوتية لغرض معيّن كالإبدال، والإدغام، فضلاً عن دراسة نسيجها المقطعي وبيان مواضع النبر فيها وأحكام المدّ والوقف التي انطبقت عليها، وبيان أثر كل ذلك في تحديد دلالتها. والحديث عن البنية الصرفية لها من حيث مجيؤها (اسماً أو فعلاً أو مصدرًا)، و(مجردة أو مزيدة)، و(مفردة أو مثناة أو مجموعة)، وتسليط الضوء على الأوزان التي جاءت عليها اللفظة، وبيان أثر ذلك في توضيح معنى الألفاظ وبيان دلالتها في القرآن الكريم. وبيان تركيب العبارة القرآنية؛ أي: الوظيفة النحوية التي تؤديها اللفظة وهي منتظمة في تركيب النص القرآني، ومدى الترابط في المعنى الوظيفي بينها وبين غيرها من المفردات التي تسبقها أو تعقبها من خلال مجيئها مسنداً أو مسنداً إليه أو نعتاً أو حالاً أو تمييزاً... وحكمها من حيث التذكير والتأنيث، وبيان أثر ذلك في الكشف عن الأغراض التي تحققت مما

تؤديه أفاظ الجموع من وظيفة نحوية في تركيب العبارة القرآنية. ومن ثم الانتقال إلى الاستعمال القرآني مراعيًا في ذلك الدلالة السياقية وإيحاءها في النص القرآني. فجاء البحث متناسقًا - قدر الإمكان - مع هذه القضايا.

وقد انتظم البحث في سبعة فصول دلالية مصدرّة بتمهيدٍ ومنتهاية بخاتمةٍ، أما التمهيد؛ فقد ضمّ ثلاثة مستويات، تناولَ المستوى الأول منها تعريف الجمع في اللغة والاصطلاح، وإجمال القول في المصطلح النحوي للفظة (جمع) منذُ بواكيره الأولى عند النحويين إلى ما أُستقرَّ عليه لدى المحدثين منهم. وجاء المستوى الثاني لبيّن (اسم الجمع) من حيث حدّه وأصله وحكمه وما يمتاز به، وذكر أول من أطلق عليه هذا المصطلح. وهذا يستلزم أن نضع فروقاً رئيسة تبين الفرق بين الجمع واسم الجمع، وهو ما تكفل المستوى الثالث من التمهيد ببيانه.

وقد اختص الفصل الأول بدراسة أفاظ الجموع التي تمثل العاقل وترتيبها وفقاً لنظام الهجاء العربي، معتمداً في الترتيب الحرف الأول فالثاني فالثالث بحسب الجذور اللغوية، أما الألفاظ التي لا جذر لها في العربية فقد اعتمدت ترتيب حرفها الأول في الهجاء العربي، وذلك بقصد سهولة الوصول إلى المفردات التي احتواها البحث، وقد اتبعت هذا المنهج في جميع هذه الفصول. ومن ثم تناول البحث أفاظ الجموع التي تمثل غير العاقل، ولمّا كان غير العاقل يشمل الحيوان والجماد؛ لذا اختصّ الفصل الثاني بألفاظ الجموع التي تمثل غير العاقل من الحيوان في حين اختصّ الفصل الثالث ببيان ألفاظ الجموع التي تمثل غير العاقل من الجماد. وجاء الفصل الرابع ليشمل ألفاظ الجموع التي تمثل العاقل وغير العاقل. وانتقل البحث بعد هذا ليشمل ألفاظ المجموعات البشرية، فأستقلّ الفصل الخامس بالمجموعات البشرية من حيث الدلالة النفسية والدلالة على العدد، في حين اختصّ الفصل السادس بالمجموعات البشرية من حيث الدلالة الفكرية والعقائدية، وأما ألفاظ المجموعات البشرية من حيث الدلالة على القبائل وتوسّعها الدلالي فقد كانت من نصيب الفصل السابع الذي يمثل ختام الحقول الدلالية في هذا البحث.

وإتماماً للفائدة فقد ذكرت عدد المرّات التي وردت فيها اللفظة مع تحليل آية أو آيتين أو أكثر من الآيات التي وردت فيها هذه اللفظة على الطريقة التي ذكرتها أنفاً وإعطاء شاهداً أو شاهدين لها من كلام العرب نثره أو شعره إن وجد.

وقد حرصت على أن أصدر كل فصل بتوطئة أصور فيها ارتباط هذا الجانب أو ذاك في الحياة العربية. وأختمه بجدول يظهر الألفاظ الشائعة في ذلك الفصل مرتبة بحسب جذورها اللغوية على الحروف الهجائية، ويبين وزنها وحكمها وعدد مرات ورودها في الذكر الحكيم

فضلاً عن هذا إنني كنت أختتم دراستي لكل لفظة من الألفاظ بملخص تظهر أهم الظواهر اللغوية والدلالية التي لوحظت فيها. وقد وضعت ملحقاً في آخر الرسالة في بعض الألفاظ التي يرى الباحث أنها تدلُّ على الجمع وليس لها مفرد من لفظها ولم يشر إليها أحد من اللغويين، ويذكر أنها لها مفرد من لفظها أو لا مع إعطاء نبذة مختصرة عنها.

وبعد ذلك وضع الباحث خاتمة تمثل أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

هذه هي الخطوط العامة للمنهج الذي أختطه الباحث لدراسة ألفاظ الجموع التي ليس لها مفرد من لفظها، والذي لم يكن سهلاً إحصاءاً مادة الدراسة فيه أو الإحاطة الشمولية به؛ لأنَّ الموضوع - بحسب علم الباحث - لم تسبق دراسته في أي نوع من أنواع الدراسات أو البحوث، إذ إنَّ تحديد ألفاظ الجموع التي ليس لها مفرد من لفظها لم يكن يسيراً؛ لأنها لم تذكر مجتمعة في كتاب أو في معجم، وإنما وجدت إشارات عند بعض القدماء والمحدثين إلى بعض الألفاظ، وهذا ما تطلب من الباحث إعادة قراءة القرآن الكريم مرَّات عدَّة لتحديد الألفاظ وعرضها على مصادر ومراجع كثيرة ومتنوعة للتأكد من كونها ليس لها مفرد من لفظها؛ لذا تشعبت مصادر البحث ومراجعته وتنوعت، فمنها كتب تفسير القرآن، وشرح غريبه وإعرابه، وكتب اللغة، وما عنيته به من شروح لغوية أو معالجة موضوعات وقضايا وظواهر صوتية كانت أو صرفية أو نحوية أو دلالية، ومنها الكتب التي تناولت دراسة الجموع وأحكامها وأنواعها وأوزانها، فلم يكن البحث محددًا بنوع من المصادر أو المراجع؛ لأنه كان يحتاج إلى الاستئارة بكل ما يجد فيه ما يفيد ويبيِّن ما غمض عليه.

وكان من فيض لطف الله وحسن عنايته أن أسندت مهمة الإشراف على هذا البحث إلى عالم جليل من علماء العربية وهو الدكتور عبد الكاظم الياسري الذي تقف كلمات الشكر عاجزة عن أن توفيه حقَّه؛ لِمَا بذله من جهدٍ ووقتٍ، ولِمَا قدَّمه لي من فيض علمه من ملاحظاتٍ وتصويباتٍ واستدراكاتٍ أتت بخير هذه الرسالة... جزاه الله عني وعن لغة القرآن الكريم خير جزاء المحسنين.

ولا أدعي أنني قد أصبت كبد الطَّبي في عملي هذا بل إنَّ ما كتبتَه يمثل محاولات أولية حرصت أن تكون صحيحة في مضامينها سليمة في مؤداها، وإنَّ تعثر فيها خطاي وكبا بي القلم فوقعت في بعض الهنات والهفوات التي لا يسلم منها أي عمل فعذري أنني مازلت في بدابة الطريق أتلمس الصواب وأنشد الحقيقة.

التمهيد

نظرة في الجمع واسم الجمع

المستوى الأول:

الجمع لغة واصطلاحاً

المستوى الثاني:

اسم الجمع

المستوى الثالث

الفرق بين الجمع واسم الجمع

المستوى الأول: الجمع لغةً واصطلاحاً:

الجمع لغة: مصدر جَمَعَ المُتَفَرِّقَ، أي: ضَمَّ بعضه إلى بعض. والجمع اسم بمعنى الجماعة^(١). فالجمع ضَمُّ شيء إلى أكثر منه، والغرض منه الإيجاز والإختصار؛ إذ إنَّ التعبير باسم واحد أخفُّ من الإتيان بأسماء متعددة، ((فالتعبير بالقول: اشتريت كتباً؛ أخفُّ من التعبير بالقول: اشتريت كتاباً وكتاباً وكتاباً...))^(٢)، أي: أنَّ التعبير بصيغة (كتباً) أغنت عن عطف مفردات متماثلة في المعنى والحروف.

الجمع اصطلاحاً:

يمكن القول إنَّ من أقدم تعريفات الجمع اصطلاحاً تعريف الرماني (ت ٣٨٤هـ) إذ يقول فيه: ((الجمع: صيغة مبنية من الواحد للدلالة على العدد الزائد على الاثنين))^(٣). ((فقوله: (صيغة مبنية من الواحد) لإخراج ما دلَّ على أكثر من اثنين ولا يسمى جمعاً؛ كاسم الجنس واسم الجمع، وقوله: (للدلالة على العدد الزائد على الاثنين) لإخراج المثني؛ فإنه صيغة مبنية من الواحد لكنه ليس جمعاً))^(٤). وتابعه على هذا التعريف الأنباري (ت ٥٧٧هـ) وعقَّب عليه بقوله: ((والأصل فيه أيضاً العطف كالتثنية إلا أنهم لما عدلوا عن التكرار في التثنية طلباً للاختصار كان ذلك في الجمع أولى))^(٥).

وعلى هذا فإنَّ الرماني والأنباري اشترطا في الجمع أن يكون له مفردٌ من لفظه حتى يسمى جمعاً.

وقريب من هذا ما ذكره الجزولي (ت ٦٠٧هـ) في تعريف الجمع: إنه ((ضَمُّ واحد إلى أكثر منه بشرط اتفاق الألفاظ))^(٦).

وقد أوضح الشلوبين (ت ٦٤٥هـ): ((أنَّ قيد اتفاق الألفاظ لإخراج ما يفهم منه الجمع وليس جمعاً اصطلاحياً كالغنم والإبل والرهط والنفر... لأنه ليس له واحد من لفظه، ولا يكون الجمع

عندهم إلا ما له واحد من لفظه))^(٧).

فالجزولي والشلوبين يشترطان أن يكون للجمع واحد من لفظه أيضاً، وأنَّ الذي ليس له

(١) ينظر العين (الخليل) (جمع): ٢٤/١.

(٢) معجم الجموع في اللغة العربية (أدما طربية): ١.

(٣) الحدود في النحو (الرماني)، ضمن كتاب (رسائل في النحو واللغة): ٣٩.

(٤) مجلة تراثنا (مصطلح الجمع) (السيد علي حسين مطر)، العدد الرابع، سنة: ١٤٢٢ هـ - ١٣٣٠.

(٥) أسرار العربية (الأنباري): ٤٦.

(٦) شرح المقدمة الجزولية (أبو علي الشلوبين): ٣١٢/١.

(٧) شرح المقدمة الجزولية (أبو علي الشلوبين): ٣١٢/١.

واحد من لفظه لا يعدُّ في نظرهم جمعاً اصطلاحياً.

وأما ابن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ) فقد عرّف الجمع بأنه ((ما دلّ على آحادٍ مقصودةٍ بحروفٍ مفردةٍ بتغيير ما))^(١).

قال الرضي (ت ٦٨٨ هـ) في شرح هذا التعريف: ((قوله: (ما دلّ على آحادٍ يشمل المجموع وغيره من اسم الجنس واسم الجمع... وخرّج بقوله: (مقصودة) اسم الجنس؛ لأنّ آحاده لا تقصد لخفائها، وخرّج بقوله: (بحروف) اسم الجمع نحو: إبل وغنم؛ لأنها وإن دلت على آحادٍ لكن لم يقصد إلى تلك الآحاد بأن أخذت حروف مفردها وغيرت بتغيير ما بل آحادهما ألفاظ من غير لفظها كعبير وشاة))^(٢). وقال أيضاً: ((كل اسم دلّ على معنى الجمع وقد جاء على وزن خاص بأوزان الجموع أو غالب فيها فوزنه أوجب أن يكون من الجموع فيقدر له واحد وإن لم يستعمل))^(٣).

يفهم من هذا أنّ ابن الحاجب والرضي يشترطان في الاسم كي يكون جمعاً أن يدلّ على معنى الجمع وأن يكون على وزن خاص بالجموع أو غالب فيها، كلفظة (نساء) مثلاً فإنها على وزن (فَعَال) وهو وزن خاص بالجمع ومشهور فيه وهذا يعني أنّ (نساء) تعدّ جمعاً وإن لم يكن لها مفرد من لفظها، وهذا ما أكده صلاح بن علي المهدي (ت ٨٤٩ هـ) في قوله: ((وحاصل الكلام في الاسم الواقع على الآحاد أن تقول فيه إن كان وزنه مختصاً بالمفرد لم يكن جمعاً كـ(تمر) و(ركب) بل اسم جنس واسم جمع، وإن كان مختصاً بالجمع كان جمعاً سواء كان مفرده قياساً لفظياً كـ(درهم) و(دراهم) أو تقديراً كـ (عباديد) أو غير قياسي كـ (مذاكير))^(٤).

يستفاد من هذا أنّ ابن الحاجب والرضي وصلاح بن علي المهدي يشترطون في الاسم كي يكون جمعاً أن يأتي على وزن من أوزان الجموع القياسية، وأن يحدث فيه تغيير ما، فإن كان على وزن من أوزان الجموع القياسية وفيه دلالة على الجمع عدّ جمعاً وإن لم يكن له مفرد من لفظه، وهم بهذا يتفقون مع ما ذكره ابن مالك (ت ٦٧٢ هـ) في تعريفه مصطلح الجمع إذ قال فيه: ((كل اسم دلّ على أكثر من اثنين ولا واحد له من لفظه فهو جمع واحد مقدر إن كان اللفظ خاصاً بالجمع أو غالباً فيه وإلا فهو اسم جمع... ومثال الغالب فيه

(١) شرح الرضي على الكافية (رضي الدين الإسترابادي): ٣/٣٦٥.

(٢) المصدر نفسه: ٣/٣٦٥.

(٣) المصدر نفسه: ٣/٣٦٧.

(٤) النجم الثاقب شرح كافية ابن الحاجب (صلاح بن علي المهدي): ٢/٨١٥.

أعراب))^(١). إذ إنّ (أعراب) جاءت على وزن (أفعال)، ومجيؤها على وزن (أفعال) كان مسوغاً لعدّها جمعاً على الرغم من أنها ليس لها مفرد من لفظها.

وقد وافقه على هذا الرأي ابن الناظم (ت ٦٨٦هـ-)، والسيوطي (ت ٩١١هـ-)، والأشموني (ت ٩٢٩هـ-)^(٢)، ومن المحدثين: الحملاوي، والاستاذ عباس حسن، والدكتور هاشم طه شلاش وزميلاه^(٣).

إذ قال الحملاوي: ((إنّ الجمع سواء كان له واحد من لفظه كـ(رجال) أو لم يكن وهو على وزن خاص بالجموع كـ(أبابل) لجماعات الطير، وعباديد للفرق من الناس والخيل فإنّه جمع واحده مقدر))^(٤).

وقال الدكتور هاشم طه شلاش وزميلاه: ((في العربية جموع تكسير ليست أصلية، ولكنها تلحق بجموع التكسير الأصلية اعتباراً، وتجرى عليها أحكامها، وهذا النوع من جموع التكسير ما كان على صيغة من الصيغ الخاصة بالتكسير أو الغالبة فيه ولكنه ليس له مفرد ... من ذلك (أعراب) وهي جمع واحده مقدر وصيغتها (أفعال) وهي صيغة شائعة في الجمع))^(٥).

تأسيساً على ما تقدم يتبين أنّ الجمع في الاصطلاح هو اسم ناب عن ثلاثة فأكثر إمّا بزيادة في آخر واحده، نحو: مُتَعَلِّمٌ ومتعلّمون، ومتعلّمة ومتعلّمات، أو بتغيير في بناء واحده، نحو: صَقْرٌ وصقور، وغلّامٌ وغلّمان، ومعبدٌ ومعابد.

وقد انقسم فيه النحويون على قسمين:

- ١- القسم الأول يتمثل بما ذهب إليه الرماني، والأنباري، والجزولي والشلوبين من أنّ اللفظة إنّ لم يكن لها مفرد من لفظها لا تعدّ جمعاً سواء كانت على وزن خاص بالجمع أم لم تكن.
- ٢- القسم الثاني ويتمثل بما ذهب إليه ابن الحاجب، وابن مالك، والرضي، وابن الناظم، والأشموني، والسيوطي، والحملاوي، والاستاذ عباس حسن، والدكتور هاشم طه شلاش وزميلاه من أنّ اللفظة إذا دلت على الجمع وكانت على وزن من أوزان الجموع فهي جمع سواء كان لها

(١) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد (ابن مالك): ٢٦٧.

(٢) ينظر: شرح ألفية ابن مالك (ابن الناظم): ٢٣، و: همع الهوامع (السيوطي): ٣/٣٧٥، و: حاشية الصبان على شرح الأشموني: ١٥٤/٤.

(٣) ينظر: شذا العرف (الحملاوي): ١٤٧، و: النحو الوافي (عباس حسن): ٤/٦٢٦، و: المهذب في علم التصريف (د. هاشم طه شلاش وزميلاه): ٢٥٠.

(٤) شذا العرف: ١٤٧.

(٥) المهذب في علم التصريف: ٢٠٥.

المستوى الثاني: اسم الجمع:

بيّنت في المطلب الأول من التمهيد أن هناك ألفاظاً وردت في استعمال العرب تدلُّ على الجمع وليس لها مفرد من لفظها. وان هذه الألفاظ منها ما يكون على وزن خاص بجموع التكسير، ومنها ما لم يأتِ على وزن من أوزان جموع التكسير. وقد ذكرت أن ما يأتي منها على وزن من أوزان الجموع القياسية فإنه يعدُّ جمعاً وأما ما لم يأتِ على وزن من أوزان الجموع فإنه لا يعدُّ جمعاً بل اسم جمع.

ومما ينبغي لفت النظر إليه أنّ مصطلح (اسم الجمع) لم يرد في كتاب سيبويه؛ وإنما عبّر عنه سيبويه (ت ١٨٠هـ) بأنه الاسم الذي لم يكسّر عليه واحده للجمع إذ قال: ((هذا باب تحقير ما لم يكسّر عليه واحده للجمع، ولكنه شيء واحد يقع على الجميع فتحقيقه كتحقير الاسم الذي يقع على الواحد؛ لأنه بمنزلة إلا انه يعنى به الجميع، وذلك قولك في قوم: قَوْمٌ وكذلك في نفر والرهط والنسوة))^(١). وقال أيضاً: ((هذا باب ما هو اسم يقع على الجميع لم يكسّر عليه واحده))^(٢). فسبويه لم يصطلح عليه بمصطلح (اسم الجمع)، وإنما عبّر عنه بأنه اسم يقع على الجميع. وقد أطلق ابن السراج (ت ٣١٦هـ) عليه مصطلح (اسم الجميع) ووافقه على هذا الرأي الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)^(٣). وأنّ سيبويه لم يذكر له أي حكم من أحكام الجمع، بل ذكر له حكماً من أحكام المفرد وهو التصغير، وفي هذا دلالة على أنّ (اسم الجمع) لا تجري عليه أحكام الجمع بل أحكام المفرد، إذ إنّ المفرد يصغّر على لفظه وينسب إلى لفظه.

ويبدو أنّ أول من أطلق عليه مصطلح (اسم الجمع) هو المبرد (ت ٢٨٥هـ) إذ قال فيه: ((هذا باب أسماء الجموع التي ليس لها واحد من لفظها اعلم أنّ مجراها في التحقير مجرى الواحد؛ لأنها وضعت أسماء كل اسم منها لجماعة... وتلك الأسماء نفر، وقوم، ورهط، تقول: نفرير وقويم ورهيط))^(٤).

يتضح من هذا أنّ المبرد يوافق سيبويه في أنّ اسم الجمع تجري عليه أحكام المفرد من حيث التصغير والنسب والتنثية والجمع إذ إنّ (اسم الجمع) يثنى ويجمع ويصغّر على لفظه وينسب إلى لفظه، فتنثية (قوم): قومان، وجمعها: أقوام، والنسب إليها: قومي، وتصغيرها: قويم. على حين أنّ الجمع لا ينسب إلى لفظه ولا يصغّر على لفظه وإنما يُردّ إلى مفرده، وتجري

(١) كتاب سيبويه (سيبويه): ٤٩٤ / ٣.

(٢) المصدر نفسه: ٦٢٣ / ٣.

(٣) ينظر: الموجز في النحو (ابن السراج): ١٢٢، والمفصل في علم العربية (الزمخشري): ١٩٧.

(٤) المقترض (المبرد): ٢٩١ / ٢.

عليه عميلة التصغير أو النسب، ودليل المبرد على ذلك أنّ أسماء الجموع وضعت في الأصل أسماء وهذه الأسماء تدلُّ على الجماعة؛ فهي أسماء مفردة وإن كان المسمى بها جمعاً. فالمبرد في قوله هذا يشير إلى قضية الأصل والفرع، إذ إنّ الجمع فرع من المفرد وليس أصلاً، وما يؤكد هذا انه لا يصغَّر على لفظه بل يرد إلى واحده، والتصغير يردُّ الأشياء إلى أصولها في حين أنّ (اسم الجمع) يصغَّر على لفظه، وهذا ما أكده ابن السراج في قوله: ((وما كان اسماً للجميع، وليس من لفظ واحده فهو كالواحد ويصغَّر على لفظه، نحو: قوم تقول فيه: قويم، ورهط تقول فيه: رهيط))^(١).

فابن السراج يوافق سيبويه في تسمية (اسم الجمع) بـ (الاسم الذي يقع على الجميع)) كما ذكرت آنفاً، ويوافق المبرد في أنّ (اسم الجمع) يعدُّ أصلاً وليس فرعاً، وأنَّه يشبه المفرد من حيث الأحكام.

وإنّ أسماء الجموع دلت على الجمع بلفظها من دون أنّ يحدث فيها أي تغيير من زيادة أو نقص، ويؤكد هذا ما ذكره الشلوبين في قوله: ((وضعت أسماء الجموع نحو: الرهط والقوم والنفر والعصبة لأداء معناها من أول وهلة لا أنها كانت آحاداً ثم عطف عليها بالواو آحاد مثلها ثم عوض من الآحاد التي عطفت بالواو على الأول شيء أضيف إلى الأول المعطوف عليه كما فعل ذلك في التثنية وجمع السلامة))^(٢).

فالشلوبين يشير بوضوح إلى قضية الأصل والفرع أيضاً ويثبت أنّ أسماء الجموع وضعت من أول وهلة على هذه الصورة والدلالة على الجمع لا أنها كانت تدل على مفرد ثم عطف عليه مفرد آخر وعطف عليه آخر فعوض عن هذا التعاطف بصيغة أخرى كما فعل في التثنية، إذ تقول في تثنية (رجل ورجل): (رجلان)، فتعوض عن هذا التعاطف بصيغة (رجلان)، وكذا في الجمع إذ تقول في (رجل ورجل ورجل...): رجال فتعوض عن هذا التعاطف بتغيير الصيغة .

ومثل هذا ما ذكره ابن عصفور (ت ٦٦٩هـ) في تعريف (اسم الجمع) إذ قال فيه: ((اسم الجمع ما ليس له واحد من لفظه، نحو: قوم؛ لأن واحده رجل، ونحو: إبل فإن واحده ناقه أو جمل))^(٣).

وقال أيضاً ((إن أسماء الجموع من قبيل الأسماء المفردة، أعني انها يجوز تصغيرها على لفظها

(١) الموجز في النحو: ١٢٢.

(٢) شرح المقدمة الجزولية: ٣٨٣/١.

(٣) شرح جمل الزجاجي (ابن عصفور): ١٤٧/١.

كالمفرد وتجيء أوزانها على حسب أوزان الأسماء المفردة))^(١).

وقد عدَّ المستشرق الألماني براجشتراسر أسماء الجموع التي أطلق عليها مصطلح (أسماء الجملة) هي الأصل في جمع التكسير إذ قال: ((وأصل جمع التكسير أسماء الجملة وهي الأسماء التي تدلُّ على جنس متركب من الأفراد... منها القوم، والحي أي القبيلة، والأهل، والركب، والقطيع من الغنم وغيره، والغنم نفسها، والطير، إلى غير ذلك))^(٢).

ويرى براجشتراسر أنّ هذه الأسماء ((معناها بين معنى الجمع ومعنى المفرد، فهي تشبه الجمع في أنه يعبر بها عن غير واحد من الأفراد، وتشبه المفرد في أن (القوم) مثلاً، وإنّ احتوى على عدد كثير من الناس، فهو فرد يميز عن غيره، ولذلك يمكن جمعه على أقوام))^(٣). وترى الدكتورة باكزة ((أن الألفاظ التي تدل على الجمع من دون أن يضاف إليها شيء من زيادة أو نقص أو علامة ولم يغيّر بناء لفظها إلا في مراحل تالية لتوسع اللغة كقوم ورهط وسبط.... هذه الكلمات وجدت في اللغة على صورة المفرد ولكن معناها يدلّ على أكثر من واحد؛ مما يدل على أنّ صورتها الأولى في اللغة كانت بلفظ واحد دائماً في كل أحوال الأفراد والجمع إلا إنّ اللغة وهي تتطور وتتسع أجازت إخضاع هذه الألفاظ للأفراد والجمع على الأقيسة التي عرفتھا، فكان منها المفرد والثنى والمجموع))^(٤).

وبهذا نجد أنّ الدكتورة باكزة توافق براجشتراسر فيما ذهب إليه وهو أنّ أصل جموع التكسير أسماء الجموع ويتضح هذا من قولها: ((وتقودنا هذه الحقيقة إلى تلك المرحلة في تاريخ اللغة التي لم تكن صيغ الجمع وأوزانه قد وجدت أو استقرت بعد وان المعنى وحده كان هو الفارق بين اللفظ الواحد الذي يصح أن يكون مفرداً مرة وجمعاً أخرى))^(٥).

نخلص من هذا أن أسماء الجموع وضعت لأداء معناها من أول وهلة لا أنها كانت تدلُّ على أحادٍ ثم عطف عليها بالواو أحادٍ مثلها ثم عوض عن هذا التعاطف بتغيير الصيغة كما فعل ذلك في المثنى والجمع وإنما هي وضعت أسماء مفردة وإنّ كان المسمى بها جمعاً. وبهذا فاسم الجمع يعدُّ أصلاً لا فرعاً. وإن أول من أطلق عليه مصطلح اسم الجمع هو المبرد، وأن اسم الجمع يتفق مع الجمع في جانب ويخالفه في جوانب أخرى وهذا ما سيبيّنه المطلب الثالث

(١) شرح جمل الزجاجي (ابن عصفور): ٥٤٢/٢.

(٢) التطور النحوي للغة العربية (براجشتراسر): ١٠٦.

(٣) التطور النحوي: ١٠٦ - ١٠٧.

(٤) صيغ الجموع في اللغة العربية (الدكتورة باكزة): ٥.

(٥) المصدر نفسه: ٨.

المستوى الثالث: الفرق بين الجمع واسم الجمع:

تحرص اللغات على تمييز فكرة الأفراد وفكرة الجمع. ففي الكثرة الغالبة من اللغات مفرد وجمع ولكنها تتخذ طرائق شتى لتصوير هذا التفريق والتعبير عنه، ((فمن اللغات ما يميز الصيغة بين المفرد وغير المفرد في حين أنّ اللغات الجزرية تتخذ لهذه الفكرة ثلاثة صيغ واحدة للمفرد وأخرى للمثنى وثالثة للجمع))^(١).

ونجد أنّ العربية تتوسع في التفريق، فتفرّق بين الجموع فتجعل من الصيغ ما يفيد القلّة، ومنها ما يفيد الكثرة. ولا تكاد اللغات تخضع لنظام واحد في علاجها فكرة الأفراد والجمع، ((فمن لغات أفريقيا ما تتخذ صيغة للمفرد وأخرى للمثنى وثالثة للمثلث، وأخيراً صيغة رابعة للجمع الذي عند أصحاب هذه اللغة يزيد على ثلاثة))^(٢). ((كما أنّ ما قد يعدّ مفرداً في لغة من اللغات قد يستعمل استعمال الجمع في أخرى))^(٣).

وبما إنّ اسم الجمع جاء على صيغة المفرد وانطبقت عليه أحكام المفرد وإنه لم يتفق مع الجمع إلا في الدلالة على معنى الجمعية ويختلف معه في الأحكام إذن لا بدّ من التفريق بينهما ولاسيّما أنّ بعضهم يرى أنّ أصل جمع التكسير اسم الجمع^(٤).

وعلى هذا فإنّ الفرق بين الجمع واسم الجمع يكون على الوجه الآتي:

أولاً: إنّ الجمع يدلّ على معنى الجمع بالأداة والهيئة الطارئة على المفرد في حين أنّ اسم الجمع يدلّ على المعنى الجمعي بمادته كالقوم والرهط.

ثانياً: الجمع يكون على صيغة خاصة من صيغ معدودة معروفة، وهذه الصيغة تغاير صيغة المفرد إمّا ظاهرياً وإمّا تقديرياً، فالمغايرة الظاهرة إمّا بالحركات كـ (أسد وأسد)، وأمّا بالحروف كـ (رجل ورجال) و(كتاب وكتب)، والمغايرة المقدرّة كـ (هجان وفلك)^(٥). أمّا اسم الجمع فإنه وإن دلّ على آحاد لكن لم يقصد إلى تلك الآحاد بأن أخذت حروف مفردها وغيّرت بتغيير ما بل آحادها ألفاظ من غير لفظها مثل (إبل) فإنّ واحدها بغير أو شاة^(٦).

ثالثاً: جمع التكسير قد يكون ثلاثياً وقد يكون رباعياً، فسواء أكان ثلاثياً أم رباعياً فلا بدّ أنّ تتوافر فيه الشروط التي وضعها النحاة كي يكون جمعا^(١). ولا نجد ذلك في اسم الجمع.

(١) أسرار اللغة (الدكتور إبراهيم أنيس): ١٢٩.

(٢) أسرار اللغة: ١٣١.

(٣) المصدر نفسه: ١٣١.

(٤) ينظر: التطور النحوي للغة العربية: ١٠٦-١٠٧.

(٥) ينظر: شرح الرضي على الكافية (الرضي الاسترآبادي): ٣/٣٦٥.

(٦) ينظر: المصدر نفسه: ٣/٣٦٦، و: شرح التسهيل: ٧٤/١، و: شذا العرف: ١٣٣.

رابعاً: يشترط في جمع التكسير أن يكون له مفرد من لفظه ومعناه، وأن يكون مستعملاً في كلام العرب، فإن كان ليس له واحدٌ من لفظه وكان على وزن خاص بالجمع أو غالب فيه فهو جمعٌ واحده مقدر كـ (أعراب، وأبابل)^(٢).

أمّا اسم الجمع فلا يكون له واحدٌ من لفظه، وواحد من معناه كـ (فريق وعصبة وثلة) فإنّ واحدها: رجل أو إنسان^(٣).

خامساً: في الجمع تتغير صورة اللفظ تغيراً حتمياً بالزيادة أو بالنقص أو بالشكل. إلا إذا كانت اللفظة على وزن خاص بالجموع أو غالب فيها أو ليس لها مفرد من لفظها فلا يحدث فيها أي تغيير؛ فتدخل في عداد جمع التكسير ويفترض النحاة وجود مفرد مقدر لها^(٤).

أمّا اسم الجمع فقد تتغير فيه صورة المفرد كـ (راكب وركب، ووافد ووقد، وتاجر وتجر)، وقد يشترك مع المفرد في الوزن والصيغة^(٥).

سادساً: جمع التكسير يدلُّ على آحاده بالمطابقة، فإذا قلت: جاء الرجال، فكأنك قلت: جاء رجلٌ ورجلٌ ورجلٌ...؛ لأنه موضوع للآحاد بشرط انضمام بعضها إلى بعض^(٦).

أمّا اسم الجمع فهو موضوع ابتداء للجماعة فلا ينطبق على آحاده إلا بالتضمن^(٧).

سابعاً: الجمع سواء أكان سالماً أم مكسراً فإنه لا يُصغَّر على لفظه؛ لأن ذلك ينافي حكم التصغير بل يردُّ إلى مفرده ويصغَّر المفرد ويجمع جمع مذكر سالماً إذا كان مذكراً عاقلاً أو جمع مؤنث سالماً إذا كان مؤنثاً أو مذكراً غير عاقل^(٨).

في حين أن اسم الجمع يُصغَّر على لفظه، فنقول في تصغير قوم: قويم.

ثامناً: الجمع لا ينسب إليه إلا إذا رُدُّ إلى واحده؛ وذلك كقولك في النسب إلى (مساجد: مسجدي). باستثناء الجموع التي تجري مجرى الأعلام نحو: (أنصار: أنصاري) فلا يردُّ إلى واحده؛ لأن هذه الصفة غلبت عليه فصارت بمنزلة الأعلام. أما اسم الجمع فإنه ينسب إلى لفظه مثل: رهط: رهطيّ، وحزب: حزبيّ، وقريش: قريشيّ.

(١) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب (الرضي) ١٩٣/٢، و: شرح جمل الزجاجي (ابن عصفور): ٥١٣/٢.

(٢) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٦٥/٣، و: شرح جمل الزجاجي (ابن عصفور): ٥٤٢/٢.

(٣) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب (الرضي): ١٩٣/٢.

(٤) ينظر: شرح الرضي على الكافية (الرضي): ٣٦٦/٣، و: تسهيل الفوائد: ٢٦٧.

(٥) شرح المفصل في علم العربية: ١٩٧.

(٦) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٣٦٥/٣، و: الآراء الراقية في تيسير قواعد اللغة العربية وبيان أسرارها (محمد كاظم الملكي): ١٥٣.

(٧) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٣٦٥/٣، و: الآراء الراقية في تيسير القواعد: ١٥٣.

(٨) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب (الرضي): ٧٩/٢.

الفصل الأول

ألفاظ الجموع التي تمثل العاقل

- أشدّ.
- أعراب.
- أناس.
- أنام.
- أهل.
- آل.
- أولو.
- أولات.
- زبانية.
- معشر.
- نساء.
- نسوة.
- ناس.

توطئة :

هناك تناسبٌ بين ورود اللفظ في كلام العرب وورود معناه على أرض الواقع، وهذا ينطبق على الجموع. فهناك ظهورٌ لجمع معيّن أكثر من مفرده؛ لذا نرى اللفظ الذي يعبرُ أو يصوّرُ أو يشيرُ إلى ذلك الجمع ظاهراً واردةً في كلام العرب أكثر من مفرده - المفرد المعنوي وليس اللفظي - مثلاً يمكن التعبير عن شخص معيّن برجل أو امرأة بيد أنّ التعبير عن مجموعة من الرجال أو النساء يستلزم النظر إلى الصفة أو المزية التي تمتاز بها هذه المجموعة، فنجدها مرّةً تجمع على رجالٍ وأخرى على معشرٍ وثالثة على أهلٍ أو آلٍ أو ناسٍ أو أنامٍ أو غير ذلك.

إذ إنّ ظهور الصفات المميزة للمجموعة تكون أوضح من صفات الفرد الواحد، فالبادية حينما يسكنها رجلٌ واحدٌ أو امرأةٌ واحدةٌ لا يستدعي ذلك البحث عن خصائص ذلك الرجل و أطباعه وكيف يعيش ومن ثمّ وضع ألفاظ خاصة له، أما إذا كانت له زوجة وأطفال فستظهر حاجة إلى وصف العلاقة التي تنشأ بينه وبينهم فيظهر هنا لفظ (أهل)، ومع تواجد وحدات عائلية متماثلة متجاورة تظهر معها علاقات جديدة كعلاقة الصداقة والمجاورة والعمل المشترك والدفاع المشترك ولغة خاصة وأعراف وتقاليد وعلاقات زوجية فنظهُرُ ألفاظٌ تتناسب مع ما يتصفون به فتارة يوصفون بـ (أعراب) وأخرى بـ (أناس) وهكذا....

وبطبيعة الحال سيبرز منهم شخص ذو مقدرة مادية ومعنوية فينصبونه أو ينصب نفسه زعيماً لهم فيبرز لفظ يصف مآلهم إليه في كل نائبة أو مصيبة تحلُّ بهم فيظهر لفظ (آل). ويجري الأمر نفسه على الألفاظ التي تعالج جوانب الحياة المتعددة لتعدد العلاقات الإنسانية وظهورها بمظاهر مختلفة، هذا كله خلّف مجموعة من الألفاظ تتعلق بالصفات التي تظهر مع المجموعة لا مع المفرد فجاءت دالة على الجمع.

وهذه الألفاظ منها ما يأتي على وزن خاص بالجمع أو غالب فيه؛ لذا عدّها بعض النحويين جمعاً وبعضها لا يأتي على أوزان الجموع القياسية؛ لذا عدّها اسم جمع ليس له مفرد من لفظه.

وليس له مفرد هذا صعب القطع به؛ وذلك لأن عدم تداولها لعدم ظهور معناها لا يستلزم عدم تحقق مفردتها في الخارج، فقد يكون لها مفرد قياسي ولكن بما أنّه لم يسمع عن العرب لم يأخذ به اللغويون. وهذا ما سيتبين لنا في هذا الفصل.

لفظة أشده الدلالة المعجمية :

ذكر الخليل (ت ١٧٥هـ) أن الشدّة تعني: ((النّجدة وثبات القلب، والشدّة المجاعة، ورجل شديد: شجاع، والأشدُّ مبلغ الحنكة))^(١)، والشدّة القوة في الجسم، وصعوبة الزمن، وشدّاد من قولهم شددت في الحرب شدّاً^(٢). ويرى ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): أن ((الشين والبدال أصلٌ واحدٌ يدلُّ على قوة في الشيء وفروعه ترجع إليه، ومن ذلك شدّدتُ العقدَ شدّاً، والشدّة المرة الواحدة ومن الباب الشديد))^(٣). وقال ابن منظور (ت ٧١١هـ): ((قال الزجاج: الأشدُّ من سبع عشرة سنة إلى الأربعين، وقال مرةً أخرى: هو ما بين الثلاثين والأربعين))^(٤). و(الأشدُّ) عند الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ): ما بين ثماني عشرة إلى ثلاثين سنة^(٥).
وذكر ابن الانباري أنّ (أشدّه) تُعدُّ من الأضداد إذ قال: ((يقال أشده إذا بلغ ثماني عشرة سنة، وبلغ أشده إذا بلغ الأربعين))^(٦).

البنية الصوتية والصرفية للفظه الأشد :

تتألف لفظه (أشدّ) من ثلاثة مقاطع صوتية، الأول: قصير مفتوح (س+ح)، والثاني: طويل مغلق (س + ح + س)، والثالث: قصير مفتوح (س+ح):
ءَ / شُ / دُ / دُ .
فالصوت الأول يتمثل بـ(الهمزة) التي تعدُّ من المسائل الصوتية المهمة؛ لِمَا لها من علاقة وثيقة بالقراءات القرآنية واللهجات العربية، مما دفع علماء العربية قديماً وحديثاً إلى دراسة مخرجها وصفاتها والخوض في أحوالها التي تنطق بها.
وقد حدد الخليل مخرجها ((من أقصى الحلق))^(٧)، وهي عند سيبويه صوت شديد مجهور وذهب إلى ذلك أيضاً علماء العربية القدماء^(٨)

(١) العين (شدّ): ٦/٢١٤.

(٢) ينظر: الجمهرة (ابن دريد) (شد): ١/٩٨.

(٣) معجم مقاييس اللغة (ابن فارس) (شد): ٣/١٧٩.

(٤) لسان العرب (ابن منظور) (شد): ٢/٦٢٦.

(٥) ينظر: القاموس المحيط (الفيروزآبادي): (شد): ١/٣٤٠.

(٦) الأضداد (ابن الانباري): ٢٢٢، وينظر: كتاب الأضداد للصفاني، ضمن ثلاثة كتب في الأضداد (أوغست هفتر): ٢٣٣.

(٧) العين: ١/٥٢.

(٨) ينظر: كتاب سيبويه: ٤/٢٣٤، و: سر صناعة الأعراب (ابن جني): ١/٦٩، و: شرح المفصل (ابن يعيش): ١٠/١٦٩.

أما المحدثون فقد اختلفوا فيها فذهب بعضهم إلى أنها مهموسة^(١)، في حين ذهب آخرون إلى أنها ليست بمجهورة وليست بمهموسة^(٢). ويرى الدكتور عبد الكاظم الياسري أنّ القول ((بأنها صوت مهموس هو الأقرب إلى الصواب))^(٣)، وأما (الشين) فهو صوت رخو مهموس^(٤)، ((عند النطق به يندفع الهواء ماراً بالحنجرة فلا يحرك الوترين الصوتيين))^(٥)، وهو من حيث المخرج يُعدُّ من الأصوات الشجرية؛ ((لأن مبدأها من شجر الفم أي: أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس))^(٦). و(الذال) صوت شديد مجهور^(٧)، وهو من حيث المخرج يُعدُّ من الأصوات النطعية؛ ((لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى))^(٨).

وقد ذكر ابن جني (ت ٣٩٢هـ): في مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من المعاني أن هناك علاقة بين أصوات اللفظ (شَدَّ) وما تدلُّ عليه من معنى ((فالشين بما فيها من التفشي تشبه بالصوت أول انجذاب الحبل قبل استحكام العقد ثم يليه أحكام الشد وال جذب وتأريب العقد فيعبر عنه بالذال التي هي أقوى بصنعتها من الشين لاسيما وهي مدغمة وأدلُّ على المعنى الذي أريد بها ... فأما الشدة في الأمر فإنها مستعارة من شدِّ الحبل ونحوه لضرب من الاتساع والمبالغة))^(٩). وهكذا نجد أنّ لفظة (أشده) تصوّر مراحل ولوج الإنسان في خضم الحياة وخوض تجاربها وهو يستجمع قواه ويوفر طاقاته حتى تكون له القدرة لاستحكام السيطرة على أمواله وأموره ومواجهة ما يلاقه من نوازل الدهر ومصاعب الحياة. فضلاً عن هذا فإنّ الإدغام الذي قيل في تعريفه: إنّه ((تقريب صوت من صوت))^(١٠). وبتعبير أدق ((هو فناء الصوت الأول في الصوت الثاني بحيث ينطق بالصوتين صوتاً واحداً))^(١١). كان له الأثر الكبير في التخفيف النطقي واقتصاد الجهد العضلي المبذول من اللسان جرّاء نطقه بحركات وأصوات متماثلة متتالية تتمثل بصوت الدال الذي ورد مضعفاً في لفظة (أشده) وهذا ما

(١) ينظر: مناهج البحث في اللغة (تمام حسان): ٩١، و: أصوات اللغة (عبد الرحمن أيوب): ١٨٣.
(٢) ينظر: الأصوات اللغوية (د. إبراهيم أنيس): ٩٠، و: علم اللغة العام - الأصوات - (كمال محمد بشر): ١٤٢، و: علم اللغة (السعران): ١٧١.
(٣) البحث اللغوي في كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة (د. عبد الكاظم الياسري): ٧٦.
(٤) ينظر: العين: ٥٧/١، و: كتاب سيبويه: ٤٣٤/٤.
(٥) الأصوات اللغوية: ٦٨.
(٦) العين: ٥٧/١.
(٧) ينظر: كتاب سيبويه: ٤٣٤/٤، و: سر صناعة الأعراب: ٦٩/١.
(٨) العين: ٥٨ / ١.
(٩) الخصائص (ابن جني): ١٦٣/٢، وينظر: فقه اللغة وخصائص العربية (محمد مبارك): ١٠٢.
(١٠) الخصائص: ١٣٩/٢.
(١١) الأصوات اللغوية: ١٣٤.

ذكره الدكتور عبد الصبور شاهين إذ قال: ((إن حالة التجاور المباشر توجب الإدغام))^(١). وأعطى مثالا لذلك لفظة (شَدَّ) وأصلها شدد، إذ يرى أنه من الناحية الصوتية يعدُّ من قبيل ما يسمى بالتضعيف فـ (شَدَّ) هو نطق لعين الفعل ولامه، من دون فاصل من حركة، ولمَّا كان ((الصوتان مثلين، فإنَّ نطقهما يأتي من نقطة مخرجية واحدة وعملية نطقية واحدة))^(٢).

و(أشُدَّ) على وزن (أفعل) وقد ذكر الصرفيون أنَّ وزن (أفعل) يعدُّ من أوزان جموع التكسير القياسية التي تفيد القلة نحو: بحر أبحر^(٣). وقد اختلف اللغويون في مفرد (أشد) وانقسموا على قسمين:

١- القسم الأول: يرى أصحابه أنَّ (أشُدَّ) لها واحد من لفظها، وهذا ما نجده عند سيبويه الذي يرى أن واحد (أشُدَّ): (شِدَّة) واستدلَّ على ذلك بأنَّ (أشُدَّ) كـ (أنعم) وبما أنَّ واحد (أنعم): (نعمة) إذن واحد (أشُدَّ): (شِدَّة)^(٤). وتابعه على هذا الرأي ابن خالويه (ت ٣٧٠هـ)^(٥)، بيد أنَّ إجماع الصرفيين على أنَّ وزن (أفعل) يطردُّ في قاعدتين^(٦): الأولى: في كلِّ اسم ثلاثي صحيح الفاء والعين ولم يضاعف، على وزن (فعل) كـ (كلب و أكلب).

الثانية: في كل اسم رباعي مؤنث بلا علامة، قبل آخره حرف مَدَّ كذراع وأذرع، ويمين وأيمن. ولمَّا كانت لفظة (شِدَّة) رباعية، وفيها علامة التأنيث، وليس قبل آخرها حرف مَدَّ، ولم تكن على وزن (فعل) فهذا يعني أنَّ جمعها على (أشُدَّ) يعدُّ خلاف القاعدة، فضلا عن هذا ((إن جمع (فعل) على (أفعل) غير معهود في اللغة))^(٧). وذهب يونس بن حبيب (ت ١٨٢هـ) إلى أنَّ مفرد (أشُدَّ): (شُد) قياسًا على قولهم: للرجل (وُدِي)، والرجال

(١) المنهج الصوتي للبنية العربية (د. عبد الصبور شاهين): ٢٠٥.

(٢) المصدر نفسه: ٢٠٦.

(٣) ينظر: شرح جمل الزجاجي (ابن عصفور): ٥١٣/٢، و: شرح شافية ابن الحاجب (الرضي): ٨٩/٢، و: شذا العرف: ١٣٢.

(٤) ينظر: كتاب سيبويه: ٥٥٩/٤، و: الخصائص: ٤٢٢/٣.

(٥) ينظر: ليس في كلام العرب (ابن خالويه): ٣٣٠.

(٦) ينظر شرح جمل الزجاجي (ابن عصفور): ٥١٣/٢، و: شرح شافية ابن الحاجب (الرضي): ٨٩/٢، و: الصرف الوافي (د. هادي نهر): ١٦٣.

(٧) القاموس المحيط: ١/٣٠٤.

(أودي) ^(١). وذهب الفراء (ت ٢٠٧هـ) إلى أن واحد (أشد): (شَد) قياساً على قولهم: واحد أفلس: فِلس ^(٢). وقد

رجَّح الدكتور عبد الكاظم الياسري أن واحد (أشد): (شَد) قياساً على ما ذكر من أن (أفعل)

يُطرد في اسم على (فعل) صحيح اللام، أو معتلها ^(٣).

يتضح من هذا أن الذين قالوا إن (أشد) لها مفرد اعتمدوا في قولهم هذا على القياس ولم يسمعه عن العرب.

٢- القسم الثاني: يرى أصحابه أن لفظة (أشد) ليس لها مفرد من لفظها، قال أبو عبيدة (ت ٢١٠هـ): ((وموضع أشد موضع جميع ولا واحد له من لفظه)) ^(٤). وقال ابن جني ((ذهب أبو عثمان - المازني - إلى أنه جمع لا واحد له)) ^(٥).

وقد اختلف العلماء في لفظة (أشد) فمنهم من رأى أنها تعدُّ جمعاً وهذا ما ذهب إليه: سيبويه، والمازني (ت ٢٤٩هـ)، وابن جني ^(٦)، ومن المحدثين محمود صافي ^(٧)، ومنهم من يرى أنه اسم جمع ^(٨).

وفيما يبدو أن (أشد) تُعدُّ جمعاً لا اسم جمع على تفصيل يأتي في محله من هذا البحث ^(٩). وقد ذكرت لفظة (أشد) في القرآن الكريم ثماني مرات، وظفت فيها للدلالة على الجمع، ومنها قوله تعالى:

﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ (الأنعام من الآية: ١٥٢).

في هذه الآية أكثر من قرينة تثبت أن (أشدّه) تدلُّ على الجمع منها قرينة الصيغة وهي من القرائن اللفظية ^(١٠)، إذ إن لفظة (أشدّه) جاءت على وزن (أفعل) وقد ذكرت آنفاً أن هذا الوزن يُعدُّ من أوزان جموع التكسير القياسية. أما القرينة الثانية فهي قرينة سياقية متصلة إذ إنّه تعالى قال: ﴿لا تقربوا مال اليتيم ..﴾ وقال بعدها: ﴿حتى يبلغ أشده﴾، وهذا يثبت أن (أشدّه) تدلُّ على مدّة زمنية محددة إذا بلغها اليتيم جاز له التصرف في أمواله. وقد اختلف

(١) ينظر: المذكر والمؤنث (أبو بكر ابن الانباري): ٤٣٦.

(٢) معاني القرآن (الفراء): ١٢٣/٢.

(٣) ينظر: البحث اللغوي في كتاب مجاز القرآن: ١٣٤.

(٤) مجاز القرآن: ٩٩ / ٢.

(٥) الخصائص: ١٢٨ / ٢.

(٦) ينظر: كتاب سيبويه: ٥٥٩/٤، و: الخصائص: ١٢٨/٢، و: المذكر والمؤنث (الانباري): ٤٣٧.

(٧) ينظر: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه (محمود الصافي): ٣٣٣/٨.

(٨) ينظر: تفسير غريب القرآن (الطريحي): ١٩٦.

(٩) ينظر لفظة (أعراب) في هذا الحقل.

(١٠) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها (د. تمام حسان): ٢١٠.

المفسرون في تحديد هذه المدّة فقيل: ((هو ما بين ثماني عشرة إلى ثلاثين سنة))^(١)، وقيل: ((المراد بالأشد في هذه الآية البلوغ.... وقال أكثر أهل العلم: إنّ سن البلوغ خمس عشرة سنة))^(٢).

ولو رجعنا إلى السياق القرآني نجد أن (أشدّه) تدل على بلوغ الحلم وعمره بين خمس عشرة إلى

ثماني عشرة سنة وما يؤيد هذا قول محمد رضا الطريحي (ت ١٠٨٥هـ): ((أشدّ اليتيم ثمان عشرة سنة))^(٣).

وهذا يثبت أنّ لفظة (أشدّه) تدلّ على الجمع وعلى مدّة زمنية محددة تتراوح ما بين خمس عشرة

إلى ثماني عشرة سنة. ويجري الأمر نفسه في جميع الآيات التي ذكرت فيها لفظة (أشدّه) مقترنة بذكر اليتيم^(٤).

أما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ (يوسف من الآية ٢٢).

فإنّ دلالة (أشدّه) في هذه الآية على المدّة الزمنية تختلف عن دلالتها في الآيات التي ذكرت فيها لفظة (أشدّه) مقترنة بذكر اليتيم؛ وذلك أن السياق الذي وردت فيه (أشدّه) في هذه الآية يختلف عن السياق التي وردت فيه (أشدّه) في تلك الآيات، قال الطبرسي (٥٤٨هـ): ((بلغ أشدّه أي: منتهى شبابه وقوته وكمال عقله، وقيل: أقصى الأشد أربعون سنة وقيل: ستون سنة))^(٥).

يتضح من هذا أنّ بلوغ الأشد في هذه الآية يختلف عن بلوغ الأشد في الآيات السابقة إذ إنّ بلوغ الأشد في تلك الآيات يعني أنّ يبلغ اليتيم الحلم ويصل إلى مرحلة تمكنه من أن يحسن إدارة أموره وأمواله. أما بلوغ الأشد في سورة يوسف فإنّه يعني أن يصل الإنسان إلى مرحلة البلوغ والنضج الروحي والعقلي والفكري وتتوافر عنده الخبرات والتجارب بحيث تكون له القدرة على إدارة أمة أو عالم بأكمله أو أن يكون نبياً أو وصياً. ويمكن القول إنّ الأمر نفسه ينطبق على قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (القصص ١٤).

(١) ينظر: زاد المسير (ابن الجوزي): ١١٤/٣، و: روح البيان في تفسير القرآن (البروسي): ١٢٤/٣، و:

روح المعاني (الألوسي): ٢٩٨/٤.

(٢) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن (الشنقيطي): ٢١٠/٢.

(٣) تفسير غريب القرآن: ١٩٦.

(٤) ينظر: الإسراء: ٣٤، الكهف: ٨٢، الحج: ٥، غافر: ٦٧.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٣٨٠/٥.

وبعد هذه الاطافة على لفظة (أشدّ) يتبين لنا أن لفظة (الأشدّ) إذا جاءت مقترنة مع اليتيم دلت على بلوغه الحلم، وألمحت إلى أن اليتيم وصل إلى مرحلة تمكنه من إدارة أموره وأمواله بحكمة ورجاحة عقل. أما إذا اقترنت مع نبي أو إنسان بلغ الأربعين من عمره فإنّها تدلّ على أنّه قد اشتد ساعده وقويت شكيمته، وانه وصل إلى مرحلة النضج العقلي والفكري وتراكمت لديه الخبرات والتجارب وأصبح قادرًا على أن يأخذ بزمام الأمة أو العالم بأكمله.

أما مفرد لفظة (أشد) فيمكن القول إنّ (أشدّ) تُعدّ من الألفاظ التي ليس لها مفرد من لفظها، وأما ما قيل من أنّ مفردها (شِدّة) أو (شُد) أو (شَد) أو (شِد) فهي مفردات قياسية لم تسمع عن العرب. ومن ثم فإنّ مجيء لفظة (أشد) على وزن (أفعل) الذي يُعدّ أحد أوزان جموع التكسير القياسية كان سببًا ومسوغًا للقول إنّ (أشدّ) تُعدّ جمعًا وإن لم يكن لها مفرد من لفظها.

لفظة أعراب

الدلالة المعجمية :

من تتبعي لهذه اللفظة في المعجمات العربية وجدت أنها قد تضمنت معاني عدة، ونزوعًا للاختصار وتوخياً للإيجاز أثر الباحث الاقتصار على المعنى الذي يخصُّ البحث من دون غيره. وتشرفًا بفضل السابق فسأبدأ البحث بقول الخليل: ((العرب العاربة: الصريح منهم، والأعاريب جماعة الأعراب))^(١). والعرب ضد العجم، والعرب جيل من الناس والنسبة إليهم عربي^(٢)، و(الأعراب) منهم سكان البادية خاصة، والنسبة إلى الأعراب: أعرابي؛ لأنه لا واحد له من لفظه، وليس الأعراب جمع عرب^(٣)، والعربي منسوب إلى العرب وإن لم يكن بدويًا، والأعرابي البدوي^(٤)، فمن نزل البادية أو جاور البادين وضعن بضعتهم فهم الأعراب، ومن نزل بلاد الريف واستوطن المدن والقرى فهم عرب وإن لم يكونوا فصحاء^(٥).

((فالأعرابي البدوي وإن كان بالحضر، والعربي منسوب إلى العرب وإن لم يكن بدويًا))^(٦).

البنية الصرفية للفظة أعراب:

لفظة (أعراب) على وزن (أفعال) وقد ذكر الصرفيون أنّ هذا الوزن يُعدّ من أوزان جموع التكسير القياسية التي تفيد القلة^(١). ويمكن القول إنّ النحويين واللغويين اتفقوا على أنّ

(١) العين (عرب): ٢/ ١٢٨.

(٢) ينظر: الاشتقاق (ابن دريد): ١٢٧.

(٣) ينظر: الصحاح (الجوهري)(عرب): ١/ ١٧٨.

(٤) ينظر: لسان العرب (عرب) : ١/ ٥٣٦.

(٥) ينظر: المصدر نفسه (عرب) : ١/ ٥٣٧.

(٦) الفروق اللغوية (أبو هلال العسكري) : ٥٨، وينظر: فروق لغات (نور الدين الجزائري): ٥٢.

لفظة (أعراب) ليس لها واحد من لفظها، قال سيبويه: ((تقول في النسب إلى الأعراب: أعرابي؛ لأنه ليس له واحد على هذا المعنى))^(٢)؛ لذا انقسم النحاة في لفظة (أعراب) على قسمين:

١- القسم الأول: يرى أصحابه أنّ (أعراب) لا تُعدُّ جمعًا؛ لأنّ العرب يعمُّ الحاضرين والبادين،

والأعراب خاص بالبادين؛ لذا أبى سيبويه أن يجعل الأعراب جمع عرب^(٣).

الذي يبدو من كلام سيبويه أنّ (أعراب) لا تُعدُّ جمعًا؛ لأنّ الجمع يدلُّ على العموم في حين أنّ لفظة (أعراب) تدلُّ على الخصوص فهي خاصة بالبادين، قال ابن مالك: ((تقول في النسب إلى

أعراب: أعرابي، إذ لو قيل فيه عربي ردًا إلى المفرد لالتبس الأعم بالأخص؛ لاختصاص

الأعراب بالبوادي))^(٤).

٢- أما القسم الثاني: فيرى أصحابه أنّ (أعراب) تُعدُّ جمعًا وإن لم يكن لها واحد من لفظها وحجتهم في ذلك أنّ (أعراب) جاءت على وزن غالب في الجموع، قال ابن مالك: ((كل اسم دلّ على أكثر من اثنين ولا واحد له من لفظه فهو جمع واحد مقدر إن كان على وزن خاص بالجموع أو غالب فيه... ومثال الغالب فيه أعراب))^(٥). وقد تابعه على هذا الرأي ابن الناظم، والسيوطي، والأشموني^(٦). ومن المحدثين الحملاوي، والاستاذ عباس حسن، والدكتور هاشم طه شلاش وزميلاه^(٧). قال الدكتور عباس حسن: ((ومن أمثلة الموضوع على صيغة غالبية في التفسير وليس له مفرد (أعراب) فإنّ صيغة (أفعال) شائعة في الجموع نادرة في المفردات))^(٨). وقال الدكتور هاشم طه شلاش وزميلاه: ((في العربية جموع تكسير ليست أصلية ولكنها تلحق بجموع التفسير الأصلية اعتبارًا، وتجري عليها أحكامها. وهذا النوع من جموع التفسير ما كان على صيغة من الصيغ الخاصة بالتفسير أو الغالبة فيه ولكن ليس له

(١) ينظر: شرح جمل الزجاجي (ابن عصفور): ٥٣٤/٢، و: المهذب في علم التصريف: ١٨٤.

(٢) كتاب سيبويه: ٣٧٩/٣.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٤١ / ٣.

(٤) شرح التسهيل: ٨٨ / ١.

(٥) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ٢٦٧.

(٦) ينظر: شرح ألفية (ابن الناظم): ٢٤، و: همع الهوامع: ٣ / ٣٧٥، و: حاشية الصبان: ٢١٧/٤.

(٧) ينظر: شذا العرف: ١٤٧، و: النحو الوافي: ٤ / ٦٢٦، و: المهذب في علم التصريف: ٢٠٥.

(٨) النحو الوافي: ٤ / ٦٢٦.

مفرد ... ومن ذلك كلمة (أعراب) وهي جمع واحد مقدر، وصيغتها (أفعال) وهي صيغة شائعة في الجمع^(١). وعلى هذا فإنَّ (أعراب) تعدُّ جمعًا وإن لم يكن لها مفرد من لفظها. وهو الرأي الذي يميل إليه الباحث.

وقد ذكرت لفظة (أعراب) في القرآن الكريم عشر مرات وظفت فيها للدلالة على الجمع منها قوله تعالى:

﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾
(الحجرات من الآية ١٤).

وفي هذه الآية أكثر من قرينة تثبت أنَّ (أعراب) تدلُّ على الجمع، منها قرينة الصيغة وهي قرينة لفظية إذ جاءت (أعراب) على وزن (أفعال) وقد ذكرت آنفاً أنَّ هذا الوزن يُعدُّ من أوزان جموع التكسير القياسية. والقرينة الثانية أنه تعالى أعاد الضمير على (أعراب) بصيغة الجمع، وعود الضمير قرينة لفظية أيضاً^(٢)؛ إذ قال تعالى: (آمنا)، و(لم تؤمنوا)، و(أسلمنا)، و(قلوبكم)

فأعاد الضمير على (أعراب) في جميع هذه الألفاظ بصيغة الجمع ولو كانت (أعراب) لا تدلُّ

على الجمع لم يسوِّغ فيها هذا الاستعمال. ومثل هذا نجده في قوله تعالى:

﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ﴾ (الفتح من الآية ١١).

فأعاد الضمير على (أعراب) بصيغة الجمع أيضاً إذ قال: (شغلتنا)، و(أهلنا)، و(أهلونا)، و(لنا) فدلَّ هذا على أنَّ (أعراب) في هذه الآية وظفت للدلالة على الجمع أيضاً. ويمكن القول: إنَّ الأمر نفسه يجري على جميع الآيات التي ذكرت فيها لفظة (أعراب)^(٣)، إذ إنَّه تعالى أخبر عنهم بصيغة الجمع ووصفهم بصيغة الجمع وأعاد عليهم الضمير بصيغة الجمع.

نخلص من هذا أنَّ (أعراب) استعملت في القرآن الكريم للدلالة على من نزل البادية، أو جاور البادين وطمع بظعنهم ... ولم يذكر أحدٌ من اللغويين أنَّ أعراب لها مفرد من لفظها وإنَّ مجيء (أعراب) على وزن (أفعال) الذي يعدُّ وزناً من أوزان جموع التكسير القياسية كان مسوغاً لعدِّ (أعراب) جمعاً وإن لم يكن لها مفرد من لفظها.

(١) المهذب في علم التصريف : ٢٠٥.

(٢) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها : ٢١١.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : ٦١٤.

لفظة أناس

الدلالة المعجمية :

الأناس: جماعة الناس، وهم الأنس^(١). والإنس خلاف الجن، والأنس خلاف النفور^(٢). والإنسي المنسوب إلى الإنس، يقال ذلك لمن كثر أنسه ولكل من يؤنس به. والإنسان قيل: سمي بذلك؛ لأنه خلق خلقة لا قوام له إلا بإنس بعضهم ببعض^(٣).

البنية الصرفية للفظ أناس :

اختلف الصرفيون في الأصل الذي اشتقت منه لفظة (أناس)، والفرق بينها وبين لفظة (ناس)، فمنهم من ذهب إلى أنّ (أناس) و(ناس) أصلٌ واحدٌ، ومنهم من ذهب إلى أنّهما أصلان ولكل منهما معنى خاص به. وتفصيل ذلك على الوجه الآتي:

١- القسم الأول: يرى أصحابه أنّ (أناس) و(ناس) يرجعان إلى أصلٍ واحدٍ، وهذا ما أكّده

سيبويه بقوله: ((والأصل في الناس الأناس مخففاً فجعلوا الألف واللام عوضاً من الهمزة))^(٤). وتابعه على هذا الرأي ابن دريد (ت ٣٢١هـ) واستدلّ على ذلك بقوله: ((أناس) الألف فيه أصلية ثم زيدت عليه اللام التي تزداد مع الألف للتعريف ... فلما زادهما على (أناس) صار الاسم (الأناس) ثم كثرت في الكلام فكانت الهمزة واسطة فاستقلوها فتركوها وصار الباقي (الأناس) بتحريك اللام بالضمّة، فلما تحركت اللام والنون ادغموا اللام في النون فقالوا: (الأناس)، فلما طرخوا الألف واللام ابتدؤوا الاسم فقالوا: قال ناس من الناس))^(٥). ووافقهم على هذا الرأي ابن الشجري (ت ٥٤٢هـ)؛ الذي يرى أنّ (ناس) أصلها (أناس) وقد حذفت همزتها إذ قال:

((فمن حذف الهمزة فاءً: حذفها في (أناس)، قالوا فيه: (ناس) وزنه عال ... وإنما كثر حذف فائه إذا دخل عليه الألف واللام))^(٦).

(١) ينظر: العين (أنس): ٣٨/٧ .

(٢) ينظر: المفردات (الراغب الأصفهاني) : ٣٣ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه : ٣٣ .

(٤) كتاب سيبويه: ٣٧٩/٣، وينظر: الخصائص: ٢/٢٨٥، و: اللباب في علل البناء والأعراب (العكبري) : ٣٦٢ .

(٥) الاشتقاق (ابن دريد): ٣١١ .

(٦) أمالي الشجري (ابن الشجري): ٢/١٩٣ - ١٩٤ .

٢- القسم الثاني: يرى أصحابه أنّ (أناس) لها أصل اشتقت منه ومعنى تدلُّ عليه، وكذا لفظة (ناس) فهما أصلان لا أصل واحد. وهذا ما أكَّده الكسائي (ت ١٨٩هـ) الذي يرى أنّ الناس لغة مفردة وهو اسم تام وألفه منقلبة عن واو. إذ قال: ((ناس وأناس هما لغتان ليست احدهما أولى من الأخرى، يدلُّ على ذلك أنّ العرب تصعَّر ناساً نويساً، ولو كان ذلك الأصل لقالوا: أنيس))^(١). وقال ابن الشجري: ((قال سلمة بن عاصم وكان من أصحاب الفراء: الأثبه في القياس أنّ يكون كلُّ واحدٍ منها أصلاً بنفسه، فأناس من الأنس و(ناس) من النوس؛ لقولهم في تحقير (ناس): نويس، كبويب في تحقير باب))^(٢).

وهذا ما يميل إليه الباحث ويجد فيه الصواب، ويستبين لنا في الاستعمال القرآني لهذه اللفظة أنها استعملت للدلالة على معنى خاص يختلف عن دلالة لفظة (ناس).

ولفظة (أناس) على هذا الرأي على وزن (فَعَال). ووزن (فَعَال) لم يذكر ضمن أوزان جموع التكسير القياسية؛ لهذا اختلف النحاة والصرفيون في لفظة (أناس) إن كانت تعدُّ جمعاً أو اسم جمع ولاسيما أنّ (أناس) لا واحد لها من لفظها^(٣).

فذهب المبرد إلى أنّ (أناس) اسم جمع، وليس بجمع تكسير^(٤). وهو الرأي الذي ذهب إليه الزمخشري في قوله: ((الأناس اسم جمع غير تكسير... ويجوز أن يقال إن الأصل الكسر والتكسير، والضمة بدل من الكسرة، كما أبدلت في نحو (سُكاري)، و(غِياري) من الفتحة))^(٥). فالزمخشري يرى أنّ (أناس) إن كان أصلها (فَعَال) لا تعدُّ جمعاً؛ لأن هذا الوزن لم يذكر ضمن أوزان جموع التكسير. أما إن قيل إنّ الأصل في (أناس) الكسر وإنّ الضمة بدلٌ منها فقد زالت العلة وعُدَّت (أناس) جمعاً؛ لأن (فَعَال) وزن مطّرد في أوزان جموع التكسير. بيد أنّ هذا الرأي لم يسلم من النقد فقد انبرى أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) للردِّ على الزمخشري قائلاً: ((لا يجوز ما قال لوجهين: احدهما: إنّه لم ينطق بـ (أناس) بكسر الهمزة، فيكون جمع تكسير، حتى تكون الضمة بدلاً من الكسرة، بخلاف (سُكاري)، و(عُجالي) فإنّ القياس فيه (فَعَالِي) بفتح فاء الكلمة وهو مسموع فيهما

الثاني: أنّ (سُكاري)، و(عُجالي) وما ورد من نحوهما ليست الضمة فيه بدلاً من الفتحة بل نصّ سيبويه في كتابه على أنّه جمع تكسير أصل، كما أن (فَعَالِي) جمع تكسير أصل))^(٦).

(١) معاني القرآن (الكسائي) د. عيسى شحاته : ٦٢.

(٢) أمالي الشجري: ٣٣/١.

(٣) ينظر: كتاب سيبويه: ٣٧٩/٣.

(٤) ينظر: المقتضب: ٣٣/١.

(٥) الكشف (الزمخشري): ١٦٩/٢.

(٦) البحر المحيط (أبو حيان الأندلسي): ٤٠٩/٤.

فأبو حيان الأندلسي يرى أنّ العرب لم ينطقوا بـ (أناس) بكسر الهمزة، فيكون جمع تكسير، حتى تكون الضمة بدلاً منها في حين أنهم نطقوا بلفظة (سُكاري) و(عُجالي) بفتح الفاء وضمها. فأبو حيان يرى أنّ (أناس) لا تعدُّ جمع تكسير.

وعلى هذا فالمبرد والزمخشري وأبو حيان يرون أن (أناس) لا تعدُّ جمع تكسير قياسياً؛ لأنها على وزن (فُعَال) ووزن (فُعَال) لم يذكر ضمن أوزان جموع التكسير القياسية.

في حين نرى أنّ سيبويه عدَّ وزن (فُعَال) من أبنية الجموع إذ قال في جمع ((ربي:رُبَاب، حذفوا الألف وبنوه على هذا البناء))^(١). وقال أيضاً: ((تَوَامٌ وَتَوَامٌ، كأنهم كسروا عليه تَتَمُّ، كما قالوا: ظَيْرٌ وَظَوَارٌ، وَرَخْلٌ وَرُخَالٌ))^(٢). فضلاً عن هذا أن ابن خالويه(ت ٣٧٠هـ) ذكر ألفاظاً سمعت عن العرب مجموعة على (فُعَال) إذ قال: ((ليس في كلام العرب شيء جمع على (فُعَال) إلا نحو عشرة أحرف: عُرَاق جمع عرق، وَرُخَال جمع رخل وَرُبَاب جمع ربي (...))^(٣). وفي هذا دليل على أنّ العرب استعملوا وزن (فُعَال) للدلالة على الجمع، وهذا ما ذكره ابن عصفور إذ قال: ((وباب (فُعَال) أن يكون جمعاً لـ (فُعَل) و(فُعَل) كـ (رَخْل وَرُخَال)، و (ظَيْر وَظَوَار))^(٤).

وعلى هذا فإنّ (أناس) تعدُّ جمعاً وإن لم يكن لها مفرد من لفظها ولاسيما إذا أخذنا برأي ابن عصفور الذي قال فيه: ((وقد جاء في الجموع ما هو على غير لفظ واحده المنطوق به ... ومنه (فُعَال))^(٥).

فضلاً عن هذا أن (أناس) استعملت في القرآن الكريم خمس مرات وقد وظفت في جميعها للدلالة

على الجمع منها قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظَلَمُونَ فَتِيلاً ﴾ (الإسراء: ٧١).

ومما يلاحظ في هذه الآية أنّه تعالى أعاد الضمير على (أناس) بصيغة الجمع في أكثر من لفظة إذ قال: (بإمامهم)، و(فأولئك)، و(يقرءون)، و(كتابهم)، و (يظلمون) وهذا يثبت أنّ (أناس) في هذا المورد وظفت للدلالة على الجمع. ولمّا كانت هذه الآية في سياق الحشر وما

(١) كتاب سيبويه: ٣ / ٦٠٩.

(٢) المصدر نفسه: ٣ / ٦١٧.

(٣) ليس في كلام العرب: ١٥١.

(٤) شرح جمل الزجاجي(ابن عصفور): ٢ / ٥٤٢.

(٥) المصدر نفسه: ٢ / ٥٤٢.

يرافق الحشر من مشاهد القيامة وأهوالها جاءت لفظة (أناس) تحمل دلالة الخوف والترقب من جهة والرجاء والحاجة إلى أنيس وبعبارة أدق إلى شفيح من جهة أخرى^(١).
ومثل هذا نجده في قوله تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَهُرُونَ ﴾ (الأعراف: ٨٢).

في هذه الآية قرينتان تثبتان أنّ (أناس) تدلّ على الجمع، الأولى هي قوله تعالى:
﴿أخرجوهم﴾ التي جاءت بصيغة الجمع، قال الرازي (ت ٦٠٦هـ): ((«أخرجوهم﴾ أي:
أخرجوا آل لوط وأتباعه؛ لأنه تعالى قال في غير هذه السورة: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ
قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَهُرُونَ﴾ (النمل: ٥٦))^(٢).

أما القرينة الثانية فهي إسناد (أناس) إلى (إنهم) التي جاءت بصيغة الجمع، ووصفهم بصيغة
الجمع أيضًا بقوله: (يتطهرون) وهذا يثبت أنّ (أناس) استعملت في هذه الآية للدلالة على
الجمع أيضًا. ومن ثم فإنّ وصف قوم لوط -عليه السلام- وأهله بقولهم: ﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ
يَنْطَهُرُونَ﴾ فيه دلالة على القلة والضعف والكراهة وشيء من الاستهزاء والإستصغار^(٣).

ومن استعمال (أناس) في كلام العرب للدلالة على الجمع قول الشاعر^(٤):
وكانوا أناسًا ينفحون فأصبحوا
وأكثر ما يعطونك النظر الشزر
فأسند (أناسا) إلى واو الجماعة في قوله: (كانوا)، و(فأصبحوا)، و(يعطونك) فدلّ هذا على أنّ
(أناس) دلت على الجمع. ومثل هذا قول الشاعر ابن احمر^(٥):

إن نحن إلا أناسٌ أهل سائمة
ما إن لنا دونها حرث ولا غررُ
فاستعمال (أناس) للدلالة على الجمع واضحة إذ قال قبل ذكر (أناس): (إن نحن) التي
جاءت

بصيغة الجمع، وأعاد الضمير على (أناس) بصيغة الجمع أيضًا إذ قال: (لنا).
مما تقدم يتضح أنّ (أناس) استعملت في القرآن الكريم وفي كلام العرب للدلالة على
الجمع في سياق متقارب وهو سياق تقليل وحاجة وهذه الصفة هي التي تميز لفظة (أناس) من
لفظة (ناس) التي سأتناولها في آخر هذا الحقل.

(١) ينظر: الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم، د. محمد جعفر، أطروحة دكتوراه، جامعة القادسية -
آداب، سنة: ٢٠٠٢ م: ١٨٧.

(٢) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (الرازي): ٤/ ١٧٨، وينظر: الجامع لأحكام القرآن (القرطبي): ٧/ ١٥٧.

(٣) الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم: ١٨٧.

(٤) الشاعر هو ربيعة بن نجوان وقيل: نعمان بن نجوان وهو عشي تغلب، ينظر: ديوان الاعشيين: ٢٨٩.

(٥) الشاعر هو: ربيعة بن احمر بن فراص بن احمر الباهلي، ينظر: شعر ابن احمر (د.حسين عطوان): ١٠٧.

و (أناس) على وزن (فَعَال) بضم الفاء وهذا الوزن لم يذكر ضمن أوزان جموع التكسير القياسية، بيد أن استعمال القرآن الكريم (أناس) للدلالة على الجمع في خمسة موارد، واستعمال العرب لها للدلالة على الجمع، وما ذكره سيبويه من أن (فَعَال) يعدُّ من أبنية الجمع وتأيد ابن عصفور له، وما ذكره ابن خالويه من أن هناك ألفاظاً جُمِعَتْ على هذا الوزن وقد دلت على الجمع، كل هذا دفعني إلى ترجيح رأي سيبويه في عَدِّ (أناس) جمعاً حقيقاً وإن لم يكن لها مفرد من لفظها.

لفظة أنام

الدلالة المعجمية :

لم يذكر اللغويون معنىً للفظ (أنام)، ولا الأصل الذي اشتقت منه. كما أنهم لم يذكروا واحداً لها من لفظها ولم يتطرقوا إلى وزنها. ومن ثم فإنهم قد اختلفوا في تحديد المراد منها فقيل: إنَّ الأنام كلُّ ذي روح من الخلق^(١). وقيل: المراد من (الأنام) الجن والإنس^(٢). وقيل: هم بنو آدم فقط . وقيل المراد منها: الخلق كلهم^(٣). وسيتبين لنا في هذا الحقل أن الاستعمال القرآني لهذه اللفظة يوحي بأنَّ المراد من (الأنام) الإنس والجن.

البنية الصرفية للفظ أنام:

لمعرفة وزن لفظ (أنام) لا بُدَّ من تحديد مفرداتها. ويمكن القول إن ابن دريد والثعالبي (ت ٤٢٩هـ) قد اختلفا في تحديد مفرد لفظ (أنام)، فذهب ابن دريد إلى أن ((واحد الأنام: نيم ولم يعرفه البصريون))^(٤) في حين ذكر الثعالبي أن ((الأنام لا واحد لها من بناء جمعها))^(٥). و يبدو أن (الأنام) تُعدُّ من الألفاظ التي ليس لها واحد من لفظها، وأما ما ذكره ابن دريد من أن واحد (الأنام): (نيم) فقد اعتمد في هذا القول على القياس إذ إنَّ (أنام) على وزن (أفعل)، ووزن (أفعل) يُعدُّ من أوزان جموع التكسير القياسية التي تفيد القلة، ويطرَّد في (فعل) كـ (كلب وأكلب)، و(عين وأعين)^(٦). وعلى هذا تجمع (نيم) على (أنيم)، بيد أن ضم الياء وسبقها بالفتح يسبب ثقلاً في النطق؛ لذا وضع الصرفيون قاعدة تنصُّ على أن الياء إذا كانت عيئاً

(١) ينظر فقه اللغة وسر العربية (الثعالبي) : ١٣٥.

(٢) ينظر: لسان العرب (نم): ٣٤/٧.

(٣) ينظر: المصدر نفسه (نم): ٣٤/٧، و: المصباح المنير (الفيومي): ٢٦/١.

(٤) الجمهرة (نم) : ٣٨٣/٢.

(٥) فقه اللغة وسر العربية : ٢٥٠.

(٦) ينظر: كتاب سيبويه: ٤٩٠/٣، و: شذا العرف: ١٣٢.

وكانت متحركة وسبقت بفتحة وجب أن تقلب إلى ألف^(١)؛ لذا قلبت الياء في (أنيم) إلى ألف فصارت (أنام) وعلى هذا فإن ما ذكره ابن دريد من أن مفرد (أنام): (نيم) لم يسمعه عن العرب إنما اعتمد فيه على القياس وبدا تكون لفظة (أنام) من الألفاظ التي تدلُّ على الجمع وليس لها مفرد من لفظها.

وقد ذكرتُ في لفظة (أعراب) أن اللفظ إذا دلَّ على الجمع، وكان على وزن من أوزان جموع التكسير القياسية عدَّ جمعًا وإن لم يكن له مفرد من لفظه. و(أنام) على وزن (أفعل) وقد جاءت دالة على الجمع بدليل قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ (الرحمن: ١٠)

وفي هذه الآية أكثر من قرينة تثبت دلالة لفظة (الأنام) على الجمع، القرينة الأولى هي البنية الصرفية إذ إنَّ (أنام) على وزن (أفعل) وهذا الوزن كما تبين لنا يُعدُّ من أوزان جموع التكسير القياسية. والقرينة الثانية هي المعنى المعجمي، وقد ذكرت في الدلالة المعجمية لهذه اللفظة اختلاف اللغويين في تحديد المراد من لفظة (أنام) ويبدو أن المفسرين قد اختلفوا في تحديد المراد منها أيضًا، إذ إنَّ معناها عند الفراء: ما ظهر على الأرض من جميع الخلق^(٢). غير أنَّ ((تفسيرها بالخلق، على ما يبدو من قربه، لا يجيب عن وجه تفردها في القرآن، مع كثرة ورود الخلق فيه: فعلاً ماضياً مبنياً للمعلوم مائة وخمسين مرَّة، وللمجهول سبع مرَّات، ومضارعاً للمعلوم ثلاثاً وعشرين مرَّةً وللمجهول أربع مرَّات. ومصدرًا خمسًا وأربعين مرَّة، واسم فاعل مفرد ثمانين مرَّات، وجمع مذكر سالماً أربع مرَّات. ومعها (الخلق) و (مخلقة) مرتين ومجموعها مائتان وخمس وأربعون^(٣)). وفي هذا دلالة على أنَّ (أنام) لا تعني الخلق إذ إنَّ ((آيات الخلق، تؤذن بفرق بينه وبين الأنام. فالخلق عام لكل ما خلق الله في السموات والأرض وما بينهما من ملائكة وانس وجن، ومن حيوان ونبات وجماد^(٤)). ويبدو أن القرطبي (ت ٦٧١هـ) وأبو حيان الأندلسي قد تنبها على هذه المسألة؛ لذا ذكرا أن (الأنام) تعني الجن

والإنس^(٥). في حين ذكر الألوسي (ت ١٢٧٠هـ) ((رواية عن ابن عباس هم بنو آدم فقط^(٦))).

(١) ينظر: المنصف (ابن جني): ٢٢٤، و: التصريف الملوكي (ابن جني): ٣٢، و: الممتع في التصريف: ١/٣٦٨.

(٢) ينظر معاني القرآن (الفراء): ٣ / ١١٣.

(٣) الإعجاز البياني للقرآن (بنت الشاطي): ٣٧٨.

(٤) المصدر نفسه: ٣٧٨.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٧ / ١٠٣، و: البحر المحيط: ١٩٠/٨.

(٦) روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني: ١٠٢/١٤.

ولو أنعمنا النظر في السياق الذي وردت فيه هذه الآية نجد أن جميع القرائن المتوافرة في السورة وطبيعة النداءات الموجهة للإنس والجن تدلُّ على أنّ المقصود من (الأنام) في هذه الآية الجن والإنس^(١) إذ إنّ الآيات التي سبقت هذه الآية، ومنها قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ (الرحمن: ٣، ٤). وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ (الرحمن: ٩)، توحى بأنّ الخطاب موجّه إلى مجموعة وليس إلى مفرد، وصفة هذه المجموعة أنّها عاقلة مكلفة، ولا يمكن أن يكون هذا الخطاب موجّهاً إلى حيوان أو نبات. أما الآيات التي تلت قوله تعالى:

﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾، ومنها قوله تعالى: ﴿بِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمْ تَكْذِبُونَ﴾ (الرحمن: ١٣) فإنّ الخطاب موجّه فيها إلى اثنين، وقد فسرت الآيات التي جاءت بعد هذه الآية ومنها قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ و﴿خَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾ (الرحمن: ١٥، ١٤). ومن هذا يتضح لنا أنّ الخطاب موجّه إلى الإنس والجن ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتِطَعْتُمْ أَنْ تَتَّقُوا﴾ (الرحمن من الآية: ٣٣). وقال أبو حيان الأندلسي: ((عبر بـ (من) في قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (الرحمن: ٢٦) تغليباً لمن

يعقل، والضمير في (عليها) قيل عائد على الأرض))^(٢).

يتبين لنا من هذا أنّ لفظة (الأنام) استعملت في القرآن الكريم للدلالة على الإنس والجن من دون غيرهم من سائر المخلوقات، وهذا هو الفرق بين (الأنام) و(الخلق). ومن استعمال لفظة (أنام) للدلالة على الجمع قول الشاعر ليبيد بن ربيعة:^(٣)

فإنّ تسألينا فيم نحن فإئنا عسافير من هذا الأنام المسحر

فإنّ السياق الذي وردت فيه لفظة (الأنام) في هذا الشاهد يوحي بأنّ الشاعر أراد من (الأنام) هنا الدلالة على الجمع وليس على المفرد أو المثني.

مما تقدم نقف على أنّ لفظة (أنام) استعملت في القرآن الكريم وفي كلام العرب للدلالة على الجمع ولم تستعمل للدلالة على المفرد.

وانّ هناك فرقاً بين (الأنام) و(الخلق) إذ إنّ (الخلق) دلالاته عامة تشمل كل ما خلق الله في

(١) ينظر: الأمتل في تفسير كتاب الله المنزل (مكارم الشيرازي): ٢٧٩/١٧.

(٢) البحر المحيط: ١٩٠/٨.

(٣) ديوان ليبيد بن ربيعة: البيت ٣٥ من القصيدة الثامنة: ٥٦.

السموات والأرض وما بينهما من ملائكة وإنس وجن، ومن حيوان وجماد في حين أن
(الأنام)

دلالتها خاصة بـ (الجن والإنس).

وإنّ مجيء لفظة (أنام) على وزن (أفعل) الذي يعدُّ من أوزان جموع التكسير القياسية كان
مسوغاً لعدّها جمعاً وإن لم يكن لها مفرد من لفظها.

لفظة أهل

الدلالة المعجمية :

ذكر اللغويون أكثر من معنى للفظ (أهل) فقالوا: ((أهل الرجل: زوجته، وأهل الرجل:
أخصُّ الناس به، وأهل البيت سكانه، وأهل الإسلام من يتصف به))^(١).
وقد ذهب الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) إلى أنّ الأصل في لفظة (أهل) ((من يجمعه
وإياهم مسكن واحد ثم تجوز به فقول أهل الرجل لمن يجمعه وإياهم نسب أو دين أو ما يجري
مجراها من صناعة وبيت وبلد))^(٢). في حين يرى باحث آخر أنّ الأصل الذي ترجع إليه
جميع معاني لفظة (أهل) هو: ((تحقق الأنس مع الاختصاص والتعلق. ثم إنّ لهذا المعنى
مراتب سعة وضيقاً، فالزوجة والأبناء والأحفاد والأصهار كلهم من الأهل، وكلما يشتدُّ التعلق
والاختصاص يقوى عنوان الأهلية... وقد ينتفي عنوان الأهلية عن من ينتفي منه التعلق
والاختصاص))^(٣). واستشهد بقوله تعالى: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ
صَالِحٍ﴾ (هود من الآية ٤٦).

وقد تتسع دلالة (الأهل) باختلاف الموارد والأغراض كما سنوضح ذلك في البنية الصرفية.

البنية الصرفية للفظ (أهل):

لفظة (أهل) على وزن (فعل)، وقد اختلف الصرفيون في اللفظ الذي يأتي على هذا
الوزن أبعدُ جمعاً أم اسم جمع؟ وانقسموا على قسمين، قسم يرى أنّه لا يعدُّ جمعاً وحجتهم في
ذلك أنّ اللفظ الذي يأتي على وزن (فعل) دالٌّ على الجمع كـ (ركب) و(صحب) و(وقد)

(١) العين (أهل): ٨٩ / ٤، وينظر: الصحاح (أهل): ١٦٢٨ / ٤، و: لسان العرب (أهل): ١٤٦ / ٦.

(٢) المفردات: ٣٤.

(٣) التحقيق في كلمات القرآن الكريم (مصطفوي): ١٨٤ / ١.

ليس له واحد من لفظه وأما (راكب) و(صاحب) و (وافد) فإنه لا يعدُّ واحدًا للفظة (ركب) أو (صحب) أو (وفد) من لفظها وإنما من تركيبها؛ لذا لم يعدُّوها جمعًا. وأما القسم الآخر فإنه يعدُّ اللفظ الذي

يأتي على وزن (فَعَلَ) جمعًا وواحدة من لفظه على تفصيل يأتي في محله من هذا البحث^(١).

وثمة سمة تتعلق بلفظة (أهل) هي إضافتها، وهي سمة بارزة في استعمال (أهل) إذ لا ينطق بها إلا بوجود مضاف إليه. وهذا المضاف هو الذي يحدد دلالة لفظة (أهل)، ف أهل الرجل: عشيرته وذوو قرياه وأهل العلم من يتصف به وأهل الإسلام من يدين به. و(أهل البيت): ((اسم تُعُورَف في أسرة النبي محمد -صلى الله عليه وآله- مطلقًا))^(٢)، وهذا ما أكَّده ابن منظور في قوله: ((وأهل البيت: النبي -صلى الله عليه وآله- وأزواجه وبناته وصهره أعني عليًا -عليه السلام-))^(٣). وقد ذهب أهل التفسير إلى أن المقصود بـ (أهل البيت) الوارد ذكرهم في قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب من الآية ٣٣). هم أهل بيت النبي -صلى الله عليه وآله-، وهو ما عليه جمهور المسلمين فقد نقل الطبرسي الإجماع عليه فقال: ((اتفقت الأمة بأجمعها على أن المراد بأهل البيت في الآية أهل بيت نبينا -صلى الله عليه وآله-))^(٤). فعلى هذا القول يكون أهل البيت اسمًا خاصًا في عرف القرآن^(٥)، أطلقه على جماعة مخصوصة من دون غيرها، ((وتخصيص القرآن لهذا الاسم بأهل بيت النبي -صلى الله عليه وآله- وما تبعه من استعمال لغوي أكسب الاسم العلمية))^(٦) حتى إذا قيل: (أهل البيت) لا يتبادر إلى الذهن إلا هؤلاء الذين خصهم الله بالذكر وأشار إليهم النبي -صلى الله عليه وآله- ونوه بذكرهم في كثير من أحاديثه^(٧).

بيد أن الاختلاف وقع في تعيين المراد بـ(أهل البيت) على وجه الخصوص، فقيل: إنهم نساء رسول الله -صلى الله عليه وآله-؛ لأنهن في بيته، وقيل: إنَّه خاص برسول الله -صلى

(١) ينظر: لفظة (ركب) في الحقل الرابع.

(٢) المفردات: ٣٤.

(٣) لسان العرب (أهل): ١٤٦/٦.

(٤) مجمع البيان: ٣٥٦/٨.

(٥) ينظر: الميزان في تفسير القرآن (الطبائبي): ٣١٢/١٦.

(٦) العلم في القرآن، رسالة ماجستير، جامعة القادسية - كلية الآداب - حسين عيدان: ٣١٨.

(٧) ينظر: التاج الجامع للاصول في أحاديث الرسول (الشيخ منصور على ناصف): ٣٤٧/٣ وما بعدها و: ٤/

الله عليه وآله - وعلي وفاطمة والحسنين - عليهم السلام -، وقيل: إنهم أهل رسول الله -صلى الله عليه وآله- وأزواجه (١).

وكان النحاس (ت ٣٣٨هـ) ذهب إلى القول الثاني ونسب قول من قال إنَّ المقصود بهم أزواج النبي -صلى الله عليه وآله- إلى الخطأ وحجته انه لو كان كذلك لكان يقول (عنكن) مكان (عنكم) (٢). وأورد أسماء سبعة من الصحابة ومنهم - عائشة وأم سلمة - ممن روي عنهم أن

الآية تخصُّ المذكورين في القول الثاني من دون نساء النبي -صلى الله عليه وآله- ثم خُصَّ إلى القول: ((ولو لم يكن في هذا إلا إته بغير نون لكفى)) (٣).

وقد فصلَّ الشيخ جعفر السبحاني القول في هذه المسألة، وأورد الأدلة العقلية والنقلية واللغوية التي تثبت اختصاص هذه الآية في رسول الله -صلى الله عليه وآله- وعلي وفاطمة والحسنين -عليهم السلام- من دون غيرهم (٤).

إلا أنَّ مما يجدر ذكره أنَّ المفسرين وأهل الحديث رووا كثيراً من الأحاديث التي تثبت أنَّ المراد بـ (أهل البيت) هم النبي -صلى الله عليه وآله- وعلي وفاطمة والحسنين -عليهم السلام- (٥) أكتفي منها بذكر ما رواه الطبري (ت ٣١٠هـ) في سبب نزول هذه الآية - عن ابي سعيد الخدري - أنَّه قال: ((قال رسول الله -صلى الله عليه وآله- : نزلت الآية في خمسةٍ : فيَّ وفي عليٍّ رضي الله عنه - وحسن - رضي الله عنه - وحسين - رضي الله عنه - وفاطمة - رضي الله عنها-)) (٦).

و((أهل البيت) على هذه الهيئة اسم مركب تركيباً إضافياً من (أهل) مضافاً إلى البيت)) (٧). ومن ثم فإنَّ دلالة (أهل) على الجمع في هذه الآية واضحة بقريضة عود الضمير على (أهل) بصيغة الجمع في قوله تعالى: (يطهركم). ولو كان المقصود من (أهل) واحداً لا جماعة لقال: يطهرك. ومثّل هذا قوله تعالى:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (آل عمران: ٦٥).

(١) ينظر: زاد المسير: ٦ / ٣٨١.

(٢) ينظر: القطع والائتلاف (النحاس): ٥٧٦.

(٣) القطع والائتلاف: ٥٧٦.

(٤) ينظر: الإنصاف في مسائل دام فيها الخلاف (جعفر السبحاني): ٥٨٢/٢ - ٥٨٧.

(٥) ينظر: جامع البيان عن تأويل القرآن (الطبري): ٢٢ / ٥ - ٨، و: الدر المنثور في التفسير بالمأثور

(السيوطي): ٥ / ٣٧٦.

(٦) جامع البيان: ٢٢ / ٢٥ وينظر: صحيح مسلم بشرح النووي: ١٥/١٩٤.

(٧) العلم في القرآن: ٣١٩.

ودلالة لفظة (أهل) في هذه الآية على الجمع واضحة بقريظة عود الضمير عليها بصيغة الجمع في قوله تعالى: (تحتاجون)، و(أفلا تعقلون). ولو كانت لفظة (أهل) لا تدلُّ على الجمع لم يسغ فيها هذا الاستعمال. ومثل هذا نجده في جميع الآيات التي ذكرت فيها لفظة (أهل) إذ إنَّها ذكرت في أربعة وخمسين موردًا وظُفَّت في جميعها للدلالة على الجمع، وهذا ما أثبتته القرائن اللفظية والمعنوية التي توافرت في النصوص التي ذكرت فيها لفظة (أهل).

ومن استعمال لفظة (أهل) للدلالة على الجمع في كلام العرب قول الشاعر:^(١)

متى تقول خلت من أهلها الدار كأنهم بجناحي طائر طاروا

فوظف الشاعر لفظة (أهل) لدلالة على الجمع بدليل عود الضمير على (أهل) بصيغة الجمع في قوله (كأنهم)، و(طاروا) ولو كانت لفظة (أهل) تدلُّ على المفرد لقال: (كأنه)، و(طار).

مما تقدم يتبين لنا أن لفظة (أهل) استعملت في القرآن الكريم وفي كلام العرب للدلالة على الجمع وإنها من الألفاظ الملازمة للإضافة، إذ إنَّ دلالتها تتضح بما يضاف إليها.

و(أهل) لا يشترط فيها أن تضاف إلى المعارف من دون النكرات ومن دون الأزمنه والأمكنة أو إلى الأشراف الأفضل، بل هي تضاف إلى الكل فيقال: أهل الله، وأهل الخياط، وأهل زمان كذا وبلد كذا. و(أهل) ليس لها مفرد من لفظها وإنما مفردها من معناها وهو: رجل أو امرأة. وعدم انطباق أحكام الجمع من تصغير ونسب على لفظة (أهل) وكونها لم تأت على وزن من أوزان جموع التكسير القياسية كان سبباً لعددها اسم جمع لا جمعاً حقيقياً.

لفظة آل

الدلالة المعجمية :

تذكر مصادر الوجوه والنظائر للفظة (آل) أربعة أوجه: الوجه الأول منها أن الـ (آل) هم أهل بيت الرجل، والوجه الثاني أنهم ذريته، والوجه الثالث أنهم أهل دينه، وأما الوجه الرابع فهو أن (آل) صلة في الكلام زائدة^(٢). وعلى هذا فـ (آل) في رأيهم تعدُّ مشتركاً لفظياً.

(١) البيت من شواهد الكسائي ولم ينسبه إلى قائل، ينظر: معاني القرآن (الكسائي): ١٨١، و: دقائق التصريف : ٢٩٦.

(٢) ينظر: الوجوه والنظائر في القرآن الكريم (هارون بن موسى) : ٢٩٥، و: إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم (الدامغاني): ٥٧، و: نزهة الأعين والنواظر (ابن الجوزي) : ٢١.

وقد ذهب الراغب إلى أنّ الأوجه الثلاثة الأولى راجعة إلى أصلٍ واحدٍ إذ قال: ((ويستعمل فيمن يختص بالإنسان اختصاصاً ذاتياً إما بقرابة قريبة أو بموالاتة))^(١). وعلى هذا ((فاللفظ عام، وإطلاقه على أجزائه يُعدُّ من قبيل المجاز))^(٢).

وأما الوجه الرابع وهو كون (آل) صلة في الكلام زائدة فقد ردّه الدكتور محمد نور الدين المنجد

بقوله: ((أما كون (الآل) صلة في الكلام زائدة في قوله تعالى: ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ

هَارُونَ﴾ (البقرة من الآية ٢٤٨) . فمردود ولا يُعدُّ أنّ يكون رأياً من آراء والذي يظهر أنّ

(آل موسى وآل هارون) هم الأنبياء الذين كانوا بعدهما فإنَّهم كانوا يتوارثون ذلك))^(٣).

ويرى الدكتور المنجد أنّ جميع هذه الأوجه راجعة إلى أصلٍ واحدٍ وأنَّ لا مشتركاً لفظياً في لفظة (آل) إذ قال: ((وبذلك تعود الأوجه الثلاثة إلى دلالة واحدة عامة وكذلك الوجه الرابع يعود إلى ذلك المعنى فيخرج من دائرة المشترك اللفظي))^(٤). وهو الرأي الذي يميل إليه الباحث.

البنية الصرفية للفظ آل :

اختلف الصرفيون في وزن لفظة (آل) والأصل الذي اشتقت منه وقد انقسموا على قسمين: القسم الأول: يرى أصحابه أنّ لفظة (آل) أصلها (أهل)، فأبدلت الهاء همزة كما قالوا: (هرقت وأرقت) فصارت (أأل) ومدت الهمزة بألف فصارت (آل) ووزنها (فعل). واستدلوا على هذا بتصغير (آل) على (أهَيْل)^(٥).

قال ابن جني: ((آل الرجل: أهله، أصلها أهل ثم أبدلت الهاء همزة فصارت في التقدير (أأل) فلما توالى همزتان أبدلت الثانية ألفاً كما قالوا: آدم وآخر))^(٦). فابن جني يرى أنّ (آل) لا تختلف عن (أهل) من حيث الدلالة، وإنهما يرجعان إلى أصلٍ واحدٍ. وقال ابن عصفور: ((فإن قيل: فهلاً جعلت الألف بدلاً من الهاء أولاً؟ فالجواب أنّه لم يثبت إبدال الألف من الهاء في

(١) المفردات : ١٣٤.

(٢) ينظر: الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق (د. محمد نور الدين منجد) : ١٠٦.

(٣) الإشتراك اللفظي في القرآن الكريم : ١٠٦.

(٤) الإشتراك اللفظي في القرآن الكريم : ١٠٦.

(٥) ينظر مجاز القرآن: ٣٠٥/١، وأعراب القرآن (النحاس): ٢٢٣/١، والبحث اللغوي في كتاب مجاز القرآن: ١٤١.

(٦) سر صناعة الأعراب : ١٠٠/١، وينظر: اللباب في علل البناء والأعراب: ٢/٢٩٩.

غير هذا الموضع، فيحمل هذا عليه، وقد ثبت إبدال الهمزة من الهاء في (ماء) فلذلك حمل (آل) على أنّ الأصل فيه (أهل) ثم (أل) فأبدلت الهاء همزة^(١). وقد ردّ ابن عصفور على من يرى أنّ أصل عين لفظة (آل) (واو) بقوله: ((فإن قيل: وما الذي يدلّ على أنّ الأصل (أهل)، وهلا جعلت الألف منقلبة عن الواو! فالجواب أنّ الذي يدلّ على ذلك قولهم في التصغير (أهليل). ولو كانت الألف منقلبة عن واو لقليل في تصغيره (أويل)^(٢).

بيد أنّ الكسائي نقل عن العرب أنّ تصغير (آل): أويل^(٣). قال أبو حيان: ((يقال قي تصغير (آل) أويل نقله الكسائي نصّاً عن العرب))^(٤). وبما أنّ التصغير يردّ الأشياء إلى أصولها فهذا يعني أنّ أصل عين لفظة (آل) (واو) وليس همزة أو هاء، وهذا ما ذهب إليه أصحابه القسم الثاني .

القسم الثاني: ويرى أصحابه أنّ أصل (آل): (أول) وزنها (فعل)، وهي مشتقة من ((آل يؤول أولاً ومآلاً إذا رجع، وآل الأمر إلى كذا، والموئل المرجع)^(٥). فأصل (آل) : أول وقد قلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، فصارت (أال) ومدت الألف بألف فصارت (آل). واستدلوا على ذلك بتصغيرها على (أويل)^(٦).

وبهذا يمكن أن نضع بعض الفروق بين لفظتي (آل) و(أهل) وذلك على الوجه الآتي:

١- إنّ تصغير (آل) على (أويل) يثبت أنّ الألف الثانية ليست أصلية بل مبدلة عن (واو) وأنّ وزن (آل): (فعل). في حين ان تصغير (أهل) على (أهليل) يثبت أنّ (الهاء) في لفظة (أهل) أصلية وأنّ وزن (أهل): (فعل)، وهذا يعني أنّ (آل) تختلف عن (أهل) من حيث الاشتقاق والوزن وان لكل من اللفظتين أصل في ذاته وهذا ما أكّده ابن منظور في قوله: ((قالت طائفة الآل والأهل واحد، واحتجوا بأنّ الآل إذا صُعّر قيل: (أهليل)... وروى الفراء عن الكسائي في تصغير (آل): (أويل)، قال أبو العباس: فقد زالت تلك العلة وصار الآل والأهل أصليين لمعنيين))^(٧).

٢- إنّ لفظة (آل) اقتصت بالإضافة إلى أعلام الناطقين من دون النكرات والأزمنة والأمكنة وهذا ما أكّده الكسائي بقوله: ((إنّما يقال: آل فلان وآل فلانة ولا يقال في البلدان: هو من آل

(١) الممتع في التصريف : ١ / ٣٤٩.

(٢) المصدر نفسه : ١ / ٣٤٩.

(٣) ينظر: معاني القرآن (الكسائي) : ٧٠.

(٤) البحر المحيط : ١ / ١٨٨.

(٥) ينظر: معجم مقاييس اللغة (أول): ١ / ١٦١، و: المصباح المنير: ١ / ٢٩.

(٦) ينظر: معاني القرآن (الكسائي): ٧٠، و: لسان العرب (آل): ٦ / ١٤٦.

(٧) لسان العرب (أول): ٦ / ١٤٦.

حمص ولا من آل المدينة))^(١). في حين (أهل) تضاف إلى الكل: ((يقال: من أهل البصرة، ومن أهل الكوفة))^(٢).

٣- إنَّ (آل) اختصت بالإضافة إلى الأشراف الأفاضل، يقال: آل الله، وآل محمد -صلى الله عليه

وآله-، وآل السلطان، وآل فرعون؛ لأنَّه كان رئيسهم في الضلالة^(٣)، ولا يقال: آل الاسكافي. في حين أنَّ لفظة (أهل) تضاف إلى الأشراف وإلى غيره فيقال: ((أهل الله، وأهل الخياط))^(٤).

و(آل) لفظ يدلُّ على الجمع بيد أنه ليس له مفرد من لفظه^(٥)؛ ولذا اختلف فيه اللغويون، فذهب الفراء والمبرد إلى أنَّ ((آل واحد لا جمع له))^(٦). وقد ردُّ بأنَّ ((آل تجمع على ألون))^(٧). وذهب ابن الانباري (ت ٣٢٨هـ) إلى أنَّ ((آل جمع شبه الواحد))^(٨).

وقد ذكرت لفظة (آل) في القرآن الكريم خمساً وعشرين مرة، وقد وظفت في جميعها للدلالة على الجمع منها قوله تعالى:

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبُّونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (البقرة: ٤٩).

في هذه الآية أكثر من قرينة تثبت أنَّ (آل) تدلُّ على الجمع، منها أضافتها إلى (فرعون) وهي قرينة نسبية بين المضاف والمضاف إليه، وقد قيل: إنَّ المقصود من (آل فرعون) أهل مصر، وقيل: أهل بيته خاصة، وقيل: أتباعه على دينه^(٩)، والقرينة الثانية قوله تعالى: (يسومونكم) التي جاءت في محل نصب حال وتسمى قرينة الملابس وهي من القرائن المعنوية التي تفيد التخصيص^(١٠).

ومجيء جملة (يسومونكم) بصيغة الجمع لبيان حال (آل فرعون) يثبت أنَّ (آل) تدلُّ على الجمع ولا سيَّما أنَّه تعالى عطف على (يسومونكم) جملة (يذبحون) وجملة (يستحيون) وكلتا الجملتين بصيغة الجمع، ولو كانت (آل) تدلُّ على المفرد لقال: (يسومكم) و(يذبحكم). والآية الثانية هي قوله تعالى: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الحجر: ٥٩).

(١) معاني القرآن (الكسائي): ٦٩، و: أعراب القرآن (النحاس): ٢٢٣/١.

(٢) معاني القرآن (الكسائي): ٦٩.

(٣) معاني القرآن (الأخفش): ٢٦٤/١، و: المفردات: ٣٤.

(٤) المفردات: ٣٤.

(٥) ينظر: تفسير غريب القرآن (الطريحي): ٤٤٣.

(٦) ينظر: المذكر والمؤنث (ابن الانباري): ٤٣٥.

(٧) معاني القرآن (الكسائي): ٧٠، و: أعراب القرآن (النحاس): ٢٢٣/١.

(٨) المذكر والمؤنث (ابن الانباري): ٤٣٥.

(٩) ينظر: زاد المسير: ٦٧/١.

(١٠) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ١٩٤.

فأعاد الضمير على (آل لوط) بصيغة الجمع في قوله تعالى: (لمنجوم) وهذا يثبت أن لفظة (آل) في هذه الآية دلت على الجمع. ومثل هذا قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَهُرُونَ﴾ (النمل: ٥٦).

ودلالة (آل) على الجمع في هذه الآية واضحة إذ إنَّه تعالى أعاد الضمير عليهم بصيغة

الجمع في قوله تعالى: (إنهم)، وأسند (أناس) إلى الضمير (هم) العائد على (آل لوط)، و(أناس) لفظة تدلُّ على الجمع كما ذكرت سالفاً^(١).

فضلاً عن هذا أنَّه تعالى وصفهم بقوله (يتطهرون) التي جاءت بصيغة الجمع. وكل هذا يثبت أن (آل) استعملت للدلالة على الجمع.

ومن استعمال (آل) للدلالة على الجمع في كلام العرب قول الشاعر:^(٢)

أنا ابن أباة الضيم من آل مالك وإن مالك كانت كرام المعادن

فأضاف (مالك) إلى (آل)؛ لأنهم كرام معروفون بالحسب والنسب والأصالة يدلُّ على هذا أن الغرض من قول الشاعر الفخر، والشاعر لا يفتخر بمن لا يستحقون أن يكونوا أهلاً للفخر من جهة ومن جهة أخرى أن الشاعر وصفهم بقوله: الجمع تثبت دلالة (آل) على الجمع .

ويجري الأمر نفسه على قول الشاعر:^(٣)

أنا ابن حماة المجد من آل مالك إذا جعلت خور الرجال تهيع

نخلص من هذا أن هناك فرقاً بين لفظة (آل) ولفظة (أهل) فلكل منهما أصلٌ اشتقت منه ومعنى تدلُّ عليه، وإنَّ الأصل الذي تدلُّ عليه جميع معاني لفظة (آل) هو الرجوع. وإن (آل) من الأسماء الملازمة للإضافة، ولا تضاف إلا إلى أعلام الناطقين من دون النكرات ومن دون الأزمنة والأمكنة كما إنَّها لا تضاف إلا إلى الأفضل الأشرف. و(آل) استعملت في القرآن الكريم وفي كلام العرب للدلالة على الجمع، ولم يذكر أحدٌ من اللغويين أن (آل) لها مفرد من لفظها وبذا تكون (آل) من الألفاظ التي تدلُّ على الجمع وليس لها مفرد من لفظها.

لفظة : أولو، وأولات

الدلالة المعجمية :

(١) ينظر: لفظة (أناس) في هذا الحقل.
(٢) الشاعر هو الحكم بن حكيم ويلقب بالطرماح. والبيت من شواهد ابن هشام في قطر الندى : ١٨٧، ابن عقيل في شرح الألفية : ٣٧٩ / ١.
(٣) الشاعر: هو الطرماح، ينظر: ديوانه: ٣٩٧ .

تعدُّ (أولو)، و (أولات) من الألفاظ الأشدُّ ملازمة للدلالة على الجمع^(١). وقد دعت كثرة اتصالهما بمن يعقل بعض اللغويين إلى القول باختصاصهما بمن يعقل، وهذا ما أكَّده الخليل بقوله: ((أولو، وأولات مثل: ذو، وذات في المعنى، ولا يقال إلا للجميع من الناس))^(٢). و ((أولو ليس لها مفرد من لفظها، ومفردها من معناها هو (ذو) بمعنى صاحب))^(٣). فالفظة (أولو) على هذا تعني أصحاب، وهي بهذا المعنى ليس لها مفرد من لفظها. ومثلها لفظة (أولات)^(٤). وهذا يدلُّ على أنَّ (أولو) لا تختلف عن (أولات) من حيث الدلالة المعجمية بيد أنَّهما يختلفان من حيث البنية الصوتية والصرفية، وذلك على الوجه الآتي :

أولا : البنية الصوتية والصرفية للفظ (أولو) :

تتألف لفظة (أولو) من مقطعين صوتيين طويلين مفتوحين: (ص + ح ح) + (ص + ح ح) :

ء — ل — .

قد أفادنا التقطيع الصوتي في تحديد موضع النبر الذي قيل في تعريفه: إنَّه ((نشاط في جميع أعضاء النطق في وقت واحد))^(٥). أو هو ((وضوح نسبي لصوت أو مقطع إذا قورن ببقية

الأصوات والمقاطع في الكلام))^(٦). وبما أنَّ المقطع الأخير من لفظة (أولو) لم يكن من النوع الرابع أو الخامس إذن موضع النبر يقع على المقطع الأول — وفقاً للقواعد التي وضعها علماء الصوت^(٧) — وهو المقطع الطويل المفتوح المتمثل بـ (أو)، في حين أنَّ النبر في لفظة (أولات) وقع على المقطع الأخير كما سيبتين في لفظة (أولات).

وثمة سمتان تتعلقان بتركيب (أولو) هما :

- ١— اقترانها بالواو: إذ إنَّ من الظواهر اللغوية البارزة في استعمال (أولو) اقترانها بالواو التي اجتلبت ليفرق بينها وبين المشبه بها في الخط ، مثل واو (أولاء). وهذا ما أكَّده ابن الحاجب^(٨).
- ٢— إضافتها: وهي سمة بارزة في استعمال (أولو) إذ لا ينطق بها إلا بوجود مضاف إليه ؛ فهي من الأسماء الملازمة للإضافة، وهذا ما أكَّده الزمخشري^(٩).

(١) ينظر: العين (أولو): ٣٨٠/٨.

(٢) العين (أولو): ٣٨٠/٨.

(٣) أدب الكاتب (ابن قتيبة): ١١٣، و: المزهري: ١٧٩/٢.

(٤) ينظر: أدب الكاتب: ١١٣.

(٥) الأصوات اللغوية: ١٦٩.

(٦) مناهج البحث في اللغة (د. تمام حسان) ١٦٠.

(٧) ينظر: المحيط في أصوات اللغة: ٥٢/١، و: مناهج البحث في اللغة: ١٦٠، و: أصوات اللغة العربية :

٢٢٠، و: أصوات اللغة : ١٦٩.

(٨) ينظر: الشافية (ابن الحاجب): ١٤٤/١.

ويشار بـ (أولو) إلى المذكر العاقل، وهو الأصل في استعماله اللغوي. بالرغم من أنها تمثل صيغة جمع إلا إنها ليست جمعاً لـ (ذو)، وهذا ما لم يغفل عنه النحويون، فقد بين طائفة منهم أن (أولو) لا تجمع وفق قواعد الجمع الصحيح؛ فالأصل في (ذو) أن يكون جمعها (ذوون) لجماعة المذكرين، بيد أن هذا مخالف لقواعد الجمع اللغوي لهذه الطائفة من الأسماء، فلم يسمع بمثل هذه الصيغة المذكورة آنفاً. وهذا يدل على أن (أولو) صيغة جمع ليس لها مفرد من لفظها؛ ومفردها من معناها وهو (ذو).

ويبدو أن هذا هو السبب في اختلاف النحاة في لفظة (أولو)، إذ إن جمهور النحاة من القدماء والمحدثين يذهبون إلى أن لفظة (أولو) ملحقة بجمع المذكر السالم^(٢). في حين عدّها ابن قيم الجوزية (ت ٧٦٧هـ) اسم جمع لا واحد له من لفظه بمعنى أصحاب^(٣). ووافقته على هذا الرأي المدرس الأفغاني^(٤). وذهب محمد بن عبد الله (ت ٨١٩هـ) إلى أنها جمع لا اسم جمع إذ قال: ((أولو جمع مبني على غير واحد))^(٥). ويرى الاستاذ عباس حسن أنها من الكلمات المسموعة التي تدل على الجمع^(٦). بيد أن الإجماع كما ذكرت آنفاً على أنها ملحقة بجمع المذكر السالم وهذا ما أكده كل من الدكتور احمد مختار عمر، والدكتور مصطفى النحاس بقولهما: ((أولو ملحقة بجمع المذكر السالم؛ لأنها فقدت شرطاً من شروطه))^(٧).

و(أولو) ترفع بالواو بدلاً من الضمة، تقول: المخترعون أولو الفضل. وتتصب وتجر بالياء بدلاً من الفتحة والكسرة، تقول: كان المخترعون أولي فضل، وانتفعت من أولي الفضل^(٨).

أما نون (أولو) فلا تختلف في شيء عن نون جمع المذكر السالم التي أجمع النحويون على حذفها عند الإضافة^(٩).

وقد استعملت (أولو) في غير موضع من القرآن الكريم وعلى صورتين :

١- الصورة الأولى: في حالة الرفع متمثلة بلفظ (أولو) إذ وردت في سبعة عشر موضعاً منها قوله تعالى: ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ (الأنفال من الآية ٧٥).

(١) ينظر: المفصل في صناعة الأعراب: ١١٧/١.

(٢) ينظر: شرح الكافية الشافية: ٧٨/١، و: همع الهوامع: ١٥٥/١، و: النحو الوافي: ١٣٤/١.

(٣) ينظر: إرشاد السالك إلى حل ألفية مالك (ابن قيم الجوزية): ١/١٣٥.

(٤) ينظر: الكلام المفيد للمدرس والمستفيد في شرح الصمدية (المدرس الأفغاني): ٤٩.

(٥) الكافية في النحو (محمد بن عبد الله): ١٥٣.

(٦) ينظر: النحو الوافي: ١٣٤/١.

(٧) النحو الأساسي (د. احمد مختار عمر، ومصطفى النحاس): ٨٠.

(٨) ينظر: النحو الوافي: ١٣٤/١.

(٩) ينظر: قطر الندى وبل الصدى: ١٨٤، و: البهجة المرضية على ألفية ابن مالك: ٢٦٠/١.

فأضاف (أولو) إلى (الأرحام)، و(الأرحام) صيغة جمع، وهي قرينة نسبية بين المضاف والمضاف إليه. ثم انه تعالى أعاد الضمير على (أولو) بصيغة الجمع في قوله: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ فناسب هذا أن تدلّ (أولو) على الجمع. ومثل هذا قوله تعالى: ﴿سَتَأْتِكُ أَوْلُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ (التوبة من الآية ٨٦). ودلالة (أولو) على الجمع في هذه الآية واضحة إذ إنه تعالى أعاد الضمير على (أولو) بصيغة الجمع في أكثر من لفظ إذ قال: (منهم، وقالوا، وذرنا، ونكن). ولو كانت (أولو) لا تدلّ على الجمع لم يسوّغ فيها هذا الاستعمال.

٢- الصورة الثانية: في حالة النصب والجر المتمثلة بلفظ (أولي) وهي الصورة الشائعة في القرآن الكريم، إذ وردت في ستة وعشرين موضعاً منها قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٩).

ومما يلاحظ في هذه الآية أنّ الخطاب فيها موجه إلى مجموعة من الأفراد وليس إلى فرد واحد بدلالة قوله تعالى: (لكم في القصاص)، ولو كانت تدل على مفرد لقال: (لك في القصاص). ثم أنّه أضاف (أولي) إلى (الألّباب) فقال: (أولي الألّباب) و(الألّباب) صيغة جمع مفردها(لب) فضلا عن هذا أنه أعاد الضمير على (أولي) بصيغة الجمع في قوله: (لعلكم تتقون). فتضافر القرائن في هذه الآية يثبت أنّ (أولي) دلت على الجمع وليس على المفرد. ومثل هذا قوله تعالى:

﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُقْلِحُونَ﴾ (المائدة من الآية ١٠٠).

ووفقاً لذلك يمكن القول إنّ لفظة (أولو) في حالات الرفع والنصب والجر تعدّ صيغة جمع ملحقة بجمع المذكر السالم وليس جمعاً حقيقياً، وأنها ليس لها واحد من لفظها، وواحدتها من معناها وهو (ذو، و ذى) وإنها استعملت في القرآن الكريم بمعنى (أصحاب) أو ماشابه ذلك.

ثانياً: البنية الصوتية والصرفية للفظّة أولات :

تتألف لفظّة (أولات) من مقطعين صوتيين الأول طويل مفتوح (ص + ح ح)، والثاني هو ما يسمى بالمديد ويتألف من صامتين بينهما صائت طويل (ص + ح ح + ص) :

ءُ / لَ / ت .

وبما إنّ المقطع الأخير من لفظّة (أولات) من النوع الرابع فهذا يعني أنّ النبر يقع عليه. وبهذا يتضح لنا الفرق بين (أولو) و(أولات) إذ إنّ موضع النبر في لفظّة (أولو) وقع على المقطع

الأول، في حين وقع النبر في لفظة (أولات) على المقطع الأخير المتمثل بالمقطع المديد (لات).

وإنّ (أولات) تختلف عن (أولو) في أنّ (أولو) صيغة جمع لمذكر عاقل مفردة من معناه (نو). و(أولات) ليس لها مفرد من لفظها^(١)، وهذا ما لم يغفل عنه النحويون، فقد لاحظوا أنّ هذا اللفظ لا يجمع وفق قواعد الجمع الصحيح، فالأصل في (ذات) أنّ تجمع على (ذوات) بيد أنّ ذلك مخالف للوضع اللغوي لهذا اللفظ حتى أنّ ابن مالك وصفها بقوله: ((أما (أولات) التي بمعنى ذوات والواحد منها ذات؛ ولكن (ذوات) جمع؛ لأنّ واحده من لفظه، و(أولات) اسم جمع؛ لأنّ واحده من غير لفظه إلاّ أنّه يجري مجرى الجمع الذي علامته ألف وتاء زائدتان))^(٢)، فابن مالك يرى أنّ (أولات) اسم جمع وليست جمعاً؛ لأنها ليس لها واحد من لفظها.

ويبدو أنّ هذا هو السبب في عدّ (أولات) ملحقة بجمع المؤنث السالم وليس جمعاً حقيقياً. و(أولات) تعامل معاملة جمع المؤنث السالم، إذ إنّها ترفع بالضمّة، وتنصب بالكسرة بدلاً عن الفتحة^(٣).

وثمة موضعان استعملت فيهما (أولات) دالة على جماعة الإناث في القرآن الكريم، الأول في قوله تعالى: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ (الطلاق من الآية ٤). فأعاد ضمير المؤنث على (أولات) بصيغة الجمع في قوله تعالى: (أجلهن)، و(حملهن). فناسب هذا أنّ تدل (أولات) على الجمع وليس على المفرد. وأما الآية الثانية فهي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٌ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ (الطلاق من الآية ٦).

ودلالة (أولات) على جماعة الإناث في هذه الآية واضحة إذ إنّ تعالى أعاد ضمير المؤنث على (أولات) بصيغة الجمع في أكثر من لفظة إذ قال: (عليهن)، و(يضعن)، و(حملهن)، و(أرضعن)، و(فآتوهن)، و(أجورهن). وهذا يثبت أنّ (أولات) استعملت في القرآن الكريم للدلالة على جماعة الإناث العاقلات.

وفي ضوء ما تقدم يتبين لنا أنّ (أولو وأولي وأولات) استعملت في القرآن الكريم لدلالة على الجمع العاقل، فوظفت (أولو وأولي) للدلالة على المذكر العاقل، وألحقت بجمع المذكر

(١) ينظر: أدب الكاتب: ١١٣، المزهر: ١٧٩/٢.

(٢) شرح الكافية الشافية: ٨٠/١.

(٣) ينظر: قطر الندى وبل الصدى: ٧٢.

السالم فرفعت بالواو بدلاً من الضمة ونصبت وجرت بالياء بدلاً من الكسرة. ووظفت لفظة (أولات) لدلالة على المؤنث العاقل وألحقت بجمع المؤنث السالم فرفعت بالضمة، ونصبت بالكسرة بدلاً من الفتحة.

لفظة زبانية :

الدلالة المعجمية :

ذكر اللغويون أنّ (الزبانية) مأخوذة من الزبن، و((الزبن: دفع الشيء عن الشيء كالناقة تزبن ولدها عن ضرعها برجلها، والحرب تزبن الناس إذا صدمتهم))^(١). وقيل للمشتري زبون؛ لأنه يدفع لمن اخذ الثمن^(٢). و(الزبانية): ((ملائكة موكلون بتعذيب أهل النار))^(٣). وقيل: ((هم متمرّدو الإنس والجن))^(٤).

البنية الصوتية والصرفية للفظة زبانية:

تتألف لفظة (زبانية) من خمسة مقاطع صوتية، الأول: قصير مفتوح (ص + ح)، والثاني طويل مفتوح (ص + ح ح)، وأما المقطع الثالث والرابع والخامس فكلها مقاطع قصيرة (ص + ح) وذلك على الوجه الآتي :

زَ — / بَ — / نَ — / يَ — / ةَ — .

وبما أنّ المقطع الأخير ليس من النوع الرابع أو الخامس، والمقطع الذي قبل الأخير ليس من النوع الثالث أو الثاني وكذا المقطع الذي يسبق ما قبل الأخير إذن موضع النبر يكون على المقطع الثاني — وفقاً للقاعدة التي وضعها علماء الصوت^(٥) — وهو المقطع الطويل المفتوح المتمثل بالصامت (الباء)، والصائت الطويل (الألف).

ويبدو أنّ أصوات هذه اللفظة كان لها أثر كبير في تحديد دلالة لفظة (الزبانية). إذ إنّ صوت (الزاي) بما فيه من جهر وصفير عال^(٦) يصرّ لنا غلظة الملائكة وارتفاع أصواتهم

(١) العين (زبن): ٧/٧٨٤، وينظر: الاشتقاق (الأصمعي): ١٢٤، و: أدب الكاتب: ٨٧.

(٢) ينظر: لسان العرب (زبن): ٧/٨٨٤.

(٣) المصدر نفسه (زبن): ٧/٨٨٤.

(٤) القاموس المحيط (زبن): ٤/٢٣٠.

(٥) ينظر: المحيط في أصوات العربية: ١ / ٥٢، و: مناهج البحث في اللغة: ١٦٠، و: أصوات اللغة العربية

: ٢٢٠، و: أصوات اللغة (أيوب): ١٦٩.

(٦) ينظر: كتاب سيبويه: ٤ / ٤٣٤، و: سر صناعة الأعراب: ١ / ٦٩، و: المدخل إلى علم أصوات العربية :

١٠٣، الأصوات اللغوية: ٦٦.

وعلوها فهي تصك مسامعهم. وصوت (الباء) الذي يتطلب النطق به غلق الشفتين غلقاً تاماً حتى ينحبس الهواء وفجأة تنفرج الشفتان ليخرج الهواء محدثاً انفجاراً يتناسب مع كل ما في صوت (الباء) من جهرٍ وشدةٍ ولا سيما أن اتصال (الباء) بحرف (الألف) كان له أثر في مدّ الصوت وإطالته. فهذا يصوّر لنا قوة الدفع وشدة الركل الذي يلاقيه المجرمون من ملائكة العذاب. وأما صوت النون الذي يتطلب النطق به حدوث اهتزاز في الأوتار الصوتية^(١)، فهو يصوّر لنا خوف الكفار والمجرمين وارتعاد فرائصهم واصطكاك أسنانهم واهتزازهم وارتجافهم لشدة ما يواجهونه من مشاهد وأحوال القيامة، ويأتي صوت (الياء) بما فيه من توسط بين الشدة والرخاوة^(٢) ليصوّر لنا كيف يقوم الملائكة بدفع المجرمين ثم يتوانوا عنهم ثم يعودوا ثانية ليدفعونهم ويركلونهم حتى يجذّوا في المسير لملاقاة حسابهم.

ومن ثم فإنّ قوله تعالى: ﴿سَدْعُ الزَّبَانِيَةِ﴾ (العلق: ١٨) بقصر (الواو) من الفعل (سندع) كان له دلالة أيضاً وهذا ما أكّده الزركشي (ت ٧٩٤هـ) في قوله: ((الواو سقطت من أربعة أفعال، تنبئها على سرعة وقوع الفعل، وسهولته على الفاعل، وشدة قبول المنفعل المتأثر به في الوجود: أولها -﴿سَدْعُ الزَّبَانِيَةِ﴾ فيه سرعة الفعل وإجابة الزبانية وقوة البطش. وهو وعيد عظيم ذكر مبدؤه وحذف آخره...))^(٣). وقد أضاف الدكتور احمد عبد المجيد: ((ان هذا الحذف ساعد على انسياب الإيقاع في الآيات الكريمة التي وقع فيها مع غيرها انسياباً متناسقاً على نظام اختص به

القرآن الكريم دون غيره))^(٤).

وقد ذكرت في الدلالة المعجمية لهذه اللفظة أنّ (الزبن) لفظ يدلُّ على دفع الشيء عن الشيء ويبدو أنّ (الزبانية) مشتقة من هذا المعنى، وهذا ما أكّده ابن دريد بقوله: ((هي مشتقة من قولهم: زبنت الناقة حالها إذا ضربته برجلها فالقته... وذكر أبو عبيدة أنّ من هذا اشتقاق الزبانية

- والله اعلم -))^(٥).

وقد اختلف اللغويون في مفرد لفظة (زبانية) وقد انقسموا على قسمين:

١- القسم الأول: يرى أصحابه أنّ (زبانية) ليس لها مفرد من لفظها، قال الكسائي: ((لم أسمع

(١) ينظر: الأصوات اللغوية: ٦١.

(٢) ينظر: سر صناعة الأعراب: ٦٩/١.

(٣) البرهان في علوم القرآن (بدر الدين الزركشي): ٣٩٧/١، وينظر: الإتقان في علوم القرآن (السيوطي): ٢/١١٦٩.

(٤) نهايات الآيات القرآنية بين إعجاز المعنى وروعة الموسيقى (د. احمد عبد المجيد محمد خليفة): ٧٣.

(٥) الاشتقاق (ابن دريد): ٢٠٤، وينظر: الاشتقاق (الأصمعي): ١٢٤.

لها بواحد))^(١)، وقال بعد هذا: ((واحد الزبانية زبني))^(٢). وكان هذا سبباً في تحيّر الفراء إذ قال: ((قال الكسائي: واحد الزبانية زبني، وكان قبل ذلك يقول: لم اسمع لها بواحد، ولست ادري أقياساً أم سماعاً))^(٣). وقال النظام النيسابوري (ت ٧٢٨هـ): ((هي جمع لا واحد له))^(٤). وقال الألوسي: ((اختلف فيه فقيل: جمع لا واحد له من لفظه كعباديد))^(٥).

٢- القسم الثاني: يرى أصحابه أنّ (زبانية) لها واحد من لفظها بيد أنّهم اختلفوا في تحديده فذهب الجوهري (ت ٤٠٠هـ) إلى أنّ ((واحدهم زباني))^(٦). وقال الزمخشري: ((واحد الزبانية: زبنية كعفريّة من الزين وهو الدفع))^(٧).

ومنهم من ذهب إلى أنّ واحد (الزبانية): (زبني)^(٨).

ويبدو أنّ الذين قالوا إنّ (زبانية) لها مفرد من لفظها اعتمدوا في ذلك على القياس ولم يسمعه عن العرب ويؤكد هذا أنّ الذي قال إنّ مفرد (زبانية): (زبنية) قاس ذلك على عفريّة إذ قال: ((واحد الزبانية: زبنية كعفريّة))، والذي قال: إنّ مفرد (زبانية): (زبني) اعتمد على القياس أيضاً إذ إنّ وزن (فعالي) يطرد في كلّ ثلاثي ساكن زيدت في آخره ياء مشددة لغير تجديد النسب نحو: كرسي وكراسي^(٩). ويجري الأمر نفسه على من قال إنّ مفرد (زبانية): (زباني) بتشديد الياء ثم جاءت التاء عوضاً عن الياء ويؤكد هذا القول البيضاوي (ت ٧٩١هـ):

((الزبانية... أصلها زبانيّ التاء معوضة عن الياء))^(١٠). وهذا يعني أنّ التاء ليست أصلية وإنما هي مبدلة من ياء... وعلى هذا فإنّ وزنها قبل إبدال الياء تاءً: (فعاليّ) ، وقد ذكر الصرفيون أنّ وزن (فعاليّ) يعدّ من أوزان جموع التكسير القياسية التي تفيد الكثرة^(١١). وأما وزنها بعد إبدال الياء تاءً فيكون على (فعالية) وهذا يعني أنّ (زبانية) تعدّ جمعاً وأنّ لم يكن لها مفرد من لفظها.

وقد ذكرت لفظة (زبانية) في القرآن الكريم مرّةً واحد في قوله تعالى:

(١) معاني القرآن (الكسائي): ٢٥٧.

(٢) المصدر نفسه: ٢٥٧.

(٣) معاني القرآن (الفراء): ٢٨٠/٣.

(٤) تفسير غريب القرآن وרגائب الفرقان (النيسابوري): ٥٣٤/٦.

(٥) روح المعاني: ٤٩٠/١٥، وينظر: الأمتل: ٢٥٩/٢٠.

(٦) الصحاح (زين): ٢١٣/٥.

(٧) الكشف: ٧٧٩/٤.

(٨) معاني القرآن (الكسائي): ٢٥٧.

(٩) ينظر: شذا العرف: ١٤١، و: الفيصل في ألوان الجموع (عباس أبو السعود): ٨٧ - ٨٨.

(١٠) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (البيضاوي): ٢ / ٦١٠.

(١١) ينظر: شذا العرف: ١٤١، و: الفيصل في ألوان الجموع: ٨٧.

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ ﴿سَدَّعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ (العلق ١٧، ١٨).

وقد توافرت في هذه الآية أكثر من قرينة تثبت دلالة (زبانية) على الجمع، القرينة الأولى هي قرينة الصيغة وتتجلى في لفظة (زبانية) وقد ذكرت أنفاً أن أصل (زبانية): (زباني) وان التاء عوض عن الياء. وهذا يعني أن وزنها (فَعَالِي) ووزن (فَعَالِي) يعدُّ من أوزان جموع التكسير القياسية وان وزنها بعد الإبدال: (فعالية). أما القرينة الثانية فهي القرينة المعجمية إذ إن (زبانية) كما ذكرت في الدلالة المعجمية لهذه اللفظة تأتي بمعنى الملائكة الموكلين بتعذيب أهل النار، وتأتي بمعنى متمردي الإنس والجن، بيد أن السياق الذي وردت فيه هذه الآية يوحي بأن المراد من (الزبانية) الملائكة وليس متمرود الإنس والجن وهذا ما تبينه لنا القرينة الثالثة وهي قرينة السياق إذ لو نظرنا إلى الآية التي سبقت قوله تعالى: ﴿سَدَّعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ وهي قوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ والمخاطب بها أبو جهل^(١). وفي معنى (ناديه) قال البغوي (ت ٥١٦هـ): ((أي: قومه وعشيرته، أي: فليستتصر بهم))^(٢). وهذا يعني أن (ناديه) دلت على مجموعة من أنصار وأعوان أبي جهل؛ لذا اقتضى مقام التحدي أن يقابلوا بملائكة من الله، وهم الذين قيل في صفتهم إنهم ((الملائكة الغلاظ الشداد))^(٣). ولا يعقل أن ينصر الله نبيه محمد -صلى الله عليه وآله- بمجموعة من متمردي الإنس والجن. قال الثعلبي (ت ٤٢٧هـ): ((قال ابن عباس: والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله))^(٤).

وفي ضوء ما تقدم يتبين لنا أن لفظة (زبانية) استعملت في القرآن الكريم للدلالة على مجموعة من الملائكة الغلاظ الشداد الذين يدفعون الكفار ويسوقونهم إلى جهنم. وهي بهذا المعنى تدل على الجمع. وهذا ما أكدته القرائن اللفظية والمعنوية التي توافرت في النص القرآني.

وأما مفرد لفظة (زبانية) فلم يسمع عن العرب أن (زبانية) لها مفرد من لفظها، وأما ما قيل من إن مفردا ((زبني أو زباني أو زبانية)) فإنهم اعتمدوا في قولهم هذا على القياس ولم يذكروا أنهم سمعوه عن العرب.

ومن ثم فإن مجيء لفظة (زبانية) على وزن (فعالية) الذي أصله (فَعَالِي) إذ إن التاء ليست أصلية بل مبدلة من ياء كان مسوغاً لعد (زبانية) جمعاً وفقاً لما ذكرت في لفظة

(١) لباب التأويل في معالم التنزيل (الخازن) : ٤ / ٤٤٨، و: الدر المنثور في التفسير بالمأثور (السيوطي) : ٦ / ٦٢٦.

(٢) معالم التنزيل (البغوي) : ٤ / ٥٠٨.

(٣) المصدر نفسه : ٤ / ٥٠٨.

(٤) الكشف والبيان في تفسير القرآن (الثعلبي) : ٦ / ٥٠٠، وينظر: لباب التأويل في معالم التنزيل : ٤ / ٤٤٨.

(أعراب) من أن اللفظ إذا كان دالاً على أكثر من اثنين وكان على وزن من أوزان جموع التكسير القياسية عدّ جمعاً وإن لم يكن له مفرد من لفظه.

لفظة معشر:

الدلالة المعجمية:

ذكر اللغويون أن (المعشر) من مشتقات مادة (عَشَرَ) إذ تقول: ((عشرتهم تعشيراً أي: كانوا تسعة فزدت واحداً))^(١)، و(مُعَشَّرٌ): ((الحمار الشديد النهيق: ويقال: نعت بذلك؛ لأنه لا يكف عن ذلك حتى تبلغ عشر نهقات وترجيحات))^(٢)، وتقول: ((جاء القوم عشار عشار ومُعَشَّر معشر أي: عشرة عشرة))^(٣)، ولمّا كان (المُعَشَّر) هو الحمار الذي لا يكف حتى يبلغ عشر نهقات، وقولك: ((جاء القوم مَعَشَّر أي: عشرة عشرة)) إذن لا بد أن تكون هناك صلة وعلاقة بين (المُعَشَّر والعشرة) إلا أن اللغويين قد انقسموا على قسمين:

قسم لا يرى أن هناك صلة بينهما، وقسم يرى أنّهما يرجعان إلى أصل واحد. فالذي يرى أن لا صلة بينهما، ابن فارس في قوله: ((العين والشين والراء: أصلان صحيحان أحدهما في عدد معلوم ثم يحمل عليه غيره، والآخر يدلُّ على مداخلة ومخالطة))^(٤) وأعطى أمثلة للأصل الأول ومنها: ((العَشْر والعَشْرَة...))، وأمثلة للأصل الثاني ومنها: ((العِشْرَة والمعاشرة والمعشر))^(٥).

أما القسم الثاني فيرى أصحابه أن (المُعَشَّر) و(العشرة) يرجعان إلى أصل واحد قال الطبرسي: ((المعشر الجماعة التامة من القوم التي تشتمل على أصناف من الطوائف ومنها العشرة؛ لأنّها تمام العدد))^(٦)، وقال ناصر مكارم الشيرازي: ((معشر من العدد عشرة وبما أنّ العشرة تعتبر عدداً كاملاً، فالمعشّر هي الجماعة الكاملة التي تضمّ مختلف الطوائف والأصناف))^(٧)، وهذا ما نجده عند مصطفى في قوله: ((ولا يخفى ما بين هذا العدد - عشرة - وبين مفهوم المعاشرة من التناسب فإنّ العَشْرَة يصدق فيه مصاحبة الأعداد التسعة واختلاطها وامتزاجها، فإنّ فيه جماع الأعداد شمولاً أو على البذل، والعشير فعيل وهو

(١) ينظر: العين(عشر): ٢٤٨ / ١ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه(عشر): ٢٤٨ / ١ .

(٣) ينظر: التهذيب(عشر): ٢٦١ / ١ .

(٤) معجم مقاييس اللغة(عشر): ٣٢٦ / ٤ ، ٣٢٧ .

(٥) ينظر: المصدر نفسه(عشر): ٣٢٧ / ٤ .

(٦) مجمع البيان: ١٦٤ / ٤ .

(٧) الأمتل في تفسير كتاب الله المنزل: ٣١٩ / ٤ .

المتصف بالمعاشرة وهو يصاحب ويختلط، وهو يشمل كل ما يكون كذلك^(١). وهو الرأي الذي يميل إليه الباحث .

و (المَعَشَر) هم الجماعة، وقيده بعضهم بالدلالة على الجماعة الكثيرة^(٢).

البنية الصرفية للفظه معشر :

لفظة (معشر) على وزن (مَفْعَل) وقد ذكر الصرفيون أنَّ وزن (مَفْعَل) يُعَدُّ صيغةً من صيغ المكان، إذا كان مشتقاً من فعل ثلاثي مضموم العين أو مفتوحها، أو معتل اللام^(٣). و(معشر) اسم مشتق من الفعل (عشر) وهو فعل ثلاثي مفتوح العين، وعلى هذا فإنَّ (معشر) في الأصل اسم مكان، وقد أطلق على مجموعة من الناس تتصف بصفة المصاحبة والاختلاط فكأنَّه محل العِشْرَة، وفيها دلالة على الإتمام وتكامل الأطراف، وبعبارة أدقَّ أنَّ (المعشر) تدلُّ على الجماعة التامة التي توافرت فيها جميع مؤهلات التنافس أو خوض الصعاب، وهذا يعلّل لنا سبب استعمال لفظه (معشر) وإيثارها على غيرها من ألفاظ المجموعات البشرية في قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ (الرحمن: ٣٣) .

فكأنه تعالى يقول إنكم - الجن والإنس - وإن بلغتم الذروة في تكامل الطاقات والإمكانات وتوافرت عندكم الآلات والوسائل فإنكم لا تستطيعون أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض وإن كان جئكم عوناً لإنسكم . وهذا يبين لنا الفرق بين (المعشر) و(القوم) إذ إنَّ (القوم) لا يشترط فيهم المصاحبة والاختلاط، فربما يكونون في مكان واحد ولكن لا يوجد بينهم توادد أو تحابب ويجري الأمر نفسه في التقرييق بين المعشر والقبيلة والطائفة والعشيرة وغيرها من الألفاظ التي تدلُّ على المجموعات البشرية فإنَّ كل لفظه منها تستعمل بلحاظ خاصية فيها.

و(معشر) كما ذكر اللغويون معناها الجمع ولا واحد لها من لفظها، وإنها خاصة بالرجال من من دون النساء^(٤) وهذا ما أكده السجستاني(ت٢٥٥هـ) بقوله: ((معشر: من الجمع الذي لا واحد له من لفظه))^(٥)؛ لذا عدها مصطفى الغلاييني اسم جمع لاجمعاً حقيقياً^(٦).

وقد ذكرت لفظه(معشر) في القرآن الكريم ثلاث مرات، جاءت فيها مقترنة مع لفظتي (الجن والإنس)، وقد وظفت للدلالة على الجمع، وهذا ما نجده في قوله تعالى:

(١) التحقيق في كلمات القرآن الكريم : ١٦٦ / ٨ .

(٢) ينظر: اللب الباب في غريب اللغة والحديث(الشيخ محمد رضا الغراوي): ١٣٠ .

(٣) ينظر: دقائق التصريف: ١٢٣، و: شذا العرف: ١١٠، و: الصرف الوافي (د.هادي نهر): ١٢٠ .

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (الأزهري):(عشر): ١ / ٢٦٠، لسان العرب (عشر): ٣٢٦/٤ .

(٥) المذكر والمؤنث (السجستاني): ٢٩٦ .

(٦) جامع الدروس العربية (الغلاييني): ٢١١ .

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ (الأنعام من الآية ١٢٨). في هذه الآية أكثر من قرينة تثبت دلالة (معشر) على الجمع، منها قرينة السياق إذ إن هذه الآية جاءت في سياق الحديث عن الحشر، والحشر عام لا يستثنى منه أحد، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ وقوله تعالى: (جميعاً) (يعني الجن والإنس يجمعهم في موقف القيامة) (١).

وأما القرينة الثانية فهي إضافة (الجن) إلى معشر في قوله تعالى ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ﴾ وهي قرينة نسبية بين المضاف والمضاف إليه، ولما كان لفظ (الجن) يدلُّ على الجمع بقرينة عود الضمير عليه بصيغة الجمع في قوله تعالى (استكثرتهم) فلا بدَّ أن تدلَّ (معشر) على الجمع كي يحصل التناسب بينها وبين لفظ (الجن).

ولما كان الخطابُ موجهاً إلى الجن والإنس بقرينة قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ ؛ لذا أعاد الضمير عليهم بصيغة الجمع في قوله تعالى: ﴿النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا﴾. وهذا يثبت أن لفظة (معشر) تدلُّ على الجمع وليس على المفرد، وإنَّها تشمل (الجن والإنس)؛ لذا جمع بينهما في قوله تعالى:

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ (الأنعام من الآية: ١٢٨). فَعَطَفَ (الأنس) على (الجن) وأضافتها إلى لفظة (معشر) يدلُّ على أن لفظة (معشر) تشمل الجن والإنس لذا أعاد الضمير عليهما معاً في قوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾.

ومن استعمال لفظة (معشر) للدلالة على الجمع قول الفرزدق في أهل البيت -عليهم السلام- (٢):

في معشر حبهم دين وبغضهم كفر وقربهم منجى ومعتصم

فأعاد الضمير على لفظة معشر - التي قصد بها أهل البيت - (عليهم السلام) بصيغة الجمع إذ قال: (حبهم)، و(بغضهم)، و(قربهم). ولو كانت لفظة (معشر) لا تدلُّ على الجمع لم يسغ فيها هذا الاستعمال.

وبعد هذه الإطلالة على لفظة (معشر) نقف على أن (معشر) استعملت في القرآن الكريم وفي كلام العرب للدلالة على الجماعة التامة الكاملة التي تضم مختلف الطوائف والأصناف .

(١) معالم التنزيل: ١٣٠/٢، وينظر: زاد المسير (ابن الجوزي): ٩٤ / ٣.
(٢) ديوان الفرزدق: ٤٥٦.

وإنها بهذا المعنى تدلُّ على الجمع، وهذا ما أثبتته القرائن اللفظية والمعنوية التي توافرت في النصوص المذكورة فيها لفظة (معشر)، ولفظة (معشر) على ما ذكر اللغويون ليس لها مفرد من لفظها . وبهذا تكون لفظة (معشر) من الألفاظ التي تدلُّ على الجمع وليس لها مفرد من لفظها .

لفظة نساء ونسوة :

١- لفظة نساء :

الدلالة المعجمية :

النساء: ((جمع إمراة من غير لفظها))^(١)، ونساء الشيء أو الأمر نساءً ومنسأةً: أخره^(٢)، والنسيء في اللغة له دالتان: الأولى: التأخر في الوقت، ومنه نسأت الشيء: أخرته، وأنسأته بعته بتأخير، ونسئت المرأة إذا تأخر وقت حيضها فرجي حملها^(٣).
والدلالة الثانية: إنَّ (نَسَاءً) تأتي بمعنى الزيادة، ومنه نسأت اللبن إذا جعلت فيه الماء تكثره

به^(٤)، ونسأت الإبل في ضمئها زدتها يوماً أو يومين^(٥).

البنية الصرفية للفظة نساء

ذكرت في الدلالة المعجمية لهذه اللفظة أنَّ (النَّسَاءَ) له دالتان: الأولى: التأخر، والثانية: الزيادة ويبدو أنَّ كلا المعنيين قد اشترك في اشتقاق لفظة (نساء)؛ لأنَّ المرأة يتأخر

(١) العين: (نساء): ٣٠٥/٧.

(٢) ينظر: المصدر نفسه (نساء): ٣٠٥/٧، و: المفردات: ٥١٤.

(٣) ينظر: الجمهرة (نساء): ٢ / ٤٩٣.

(٤) ينظر: الصحاح (نساء): ٦ / ٢٥٠٨.

(٥) ينظر: المفردات: ٥١٤.

وقت حيضها فيرجى أنَّها حُبلى فتكون بمعنى التأخير، وتكون بمعنى الزيادة؛ لأنها تحبل فيكون الولد زيادة فيها .

ومن ثمَّ فإنَّ (نساء) على وزن (فَعَالٍ)، وهذا الوزن يعدُّ من أوزان جموع التكسير القياسية^(١)، وقد ذكر الصرفيون أنَّ (فَعَالٍ) يطرد في ثمانية أنواع منها: (فَعَلٌ) كـ (كَلَبٌ وكلاب)، و(فَعَلٌ) كـ (رُمُحٌ ورماح)^(٢)، وهذا يدلُّ على أنَّ (نساء) لو كان لها مفرد لكان

(نُسْءٌ) أو (نُسْءٌ) قياساً على (فَعَلٌ) و(فَعَلٌ)، وهذا ما ذهب إليه الدكتور صباح السالم^٣. ولكن بما أنَّ العرب لم ينطقوا بـ (نَسْءٌ) أو (نُسْءٌ) كمفرد للفظ (نساء) لذا عُدَّت (نساء) من الألفاظ التي ليس لها مفرد، وهذا ما أكَّده الخليل بقوله: ((نساء ليس لها مفرد من

لفظها))^(٤). وذكرها الثعالبي، والسيوطي ضمن الألفاظ التي تدلُّ على الجمع وليس لها واحد من

لفظها^(٥). وقد اختلف الصرفيون في لفظ (نساء) وانقسموا على قسمين:

١- القسم الأول: يرى أصحابه أنَّ (نساء) تُعدُّ جمعاً وإن لم يكن لها مفرد من لفظها، وهذا ما أكَّده الرضي بقوله: إنَّ كل اسم دل على معنى الجمع، وقد جاء على وزن خاص بأوزان جموع التكسير أو مشهور فيه، فوزنه أوجب أن يكون من الجموع، ويقدر له واحد وإن لم يستعمل^(٦). و(نساء) وزنها أوجب أن تكون جمعاً؛ لأن (فَعَالٍ) وزن مشهور في الجموع، وقد تابعه على هذا الرأي ابن الناظم والسيوطي، ومن المحدثين: الحملوي والدكتور عباس حسن، والدكتور هاشم طه شلاش وزميلاه^(٧)، وهو الرأي الذي يميل إليه الباحث.

٢- القسم الثاني ويتمثل برأي صلاح بن علي بن محمد المهدي إذ قال: ((إن لم يكن له - الاسم الذي يدلُّ على أكثر من اثنين - مفرد من لفظه أو كان وليس على قياس فليس بجمع كـ

(١) ينظر: الممتع في التصريف (ابن عصفور): ٨٣/٣، و: شرح الكافية الشافية (ابن مالك): ٢٥٤/٢.

(٢) ينظر: كتاب سيبويه: ٥٦٧/٣ - ٥٧٦، و: شذا العرف: ١٣٧، و: الصرف الوافي: ١٦٥.

(٣) ينظر: الأبنية الصرفية في ديوان أمراء القيس، اطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة بابل، الدكتور صباح عباس السالم، ٥٤.

(٤) العين (نساء): ٣٠٥/٧، وينظر: الصحاح (نساء): ٢٥٠٨ / ٦، و: المصباح المنير: ٢ / ٦٠٤.

(٥) ينظر: فقه اللغة وسر العربية: ٢٥٠، و: المزهرة: ١٧٨/٢.

(٦) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٣٦٧/٣.

(٧) ينظر: شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك: ٢٤، و: همع الهوامع: ٣ / ٣٧٥، و: شذا العرف: ١٤٧، و:

النحو الوافي: ٤ / ٦٢٦، و: المهذب في علم التصريف: ٢٠٥.

(نساء) ((^(١)).

وقد ذكرت لفظة (نساء) في القرآن الكريم ستاً وخمسين مرة^(٢)، واستعملت في جميعها للدلالة على الجمع منها قوله تعالى:

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة من: ٢٣٢).

في هذه الآية أكثر من قرينة تثبت دلالة (نساء) على الجمع، منها قرينة الصيغة إذ إن (نساء)

على وزن (فِعال) وقد ذكرت آنفاً أن هذا الوزن يُعدُّ من أوزان جموع التكسير القياسية. والقرينة

الثانية هي عود الضمير إذ أعاد الضمير على (نساء) بصيغة الجمع في أكثر من مورد فقال: (فبلغن)، (اجلهن)، (تعضلوهن)، (ينكحن)، (أزواجهن)، وعود الضمير في جميع هذه الألفاظ على (نساء) بصيغة الجمع يثبت دلالتها على الجمع. ومثل هذا قوله تعالى:

﴿وَلَوْ لَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ (الفتح من الآية ٢٥).

فأسند (مؤمنات) التي جاءت بصيغة الجمع إلى (نساء)، ولو كانت (نساء) لا تدلُّ على الجمع لم يسغ فيها هذا الاستعمال ومن استعمال (نساء) في كلام العرب للدلالة على الجمع قول الشاعر^(٣):

وأنت التي حبيت كل قصيرة إليّ وما تدري بذاك القصائر
عنيت قصيرات الحجال ولم أرد قصار الخطى شر النساء البحائر

فأورد الشاعر لفظة (نساء) في سياق الجمع إذ قال: (قصيرات)، و(قصار). ومن ثمَّ فإنه أسند (البحائر) التي جاءت بصيغة الجمع إلى (شر النساء) وهذا يثبت دلالة (نساء) على الجمع.

مما تقدم يتبين لنا أن (نساء) استعملت في القرآن الكريم وفي كلام العرب للدلالة على الجمع، وهذا ما دلت عليه القرائن التي توافرت في النصوص التي ذكرت فيها لفظة (نساء) ولم يذكر أحدٌ من اللغويين أن (نساء) لها مفرد من لفظها، أما إذا اعتمدنا على القياس فيكون قياس مفرد (نساء): (نِسْء) أو (نُسْء). ولكن بما أنه لم يسمع عن العرب لم يؤخذ به؛ لذا عُدَّت (نساء) من الألفاظ التي ليس لها مفرد من لفظها. وإن مجيء (نساء) على

(١) النجم الثاقب شرح شافية ابن الحاجب: ٨١٨ / ٢.

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٨٥٤ - ٨٥٥.

(٣) ديوان كثير عزة: ٣٦٩.

وزن (فَعَال) الذي يعدُّ من أوزان جموع التكسير القياسية كان مسوغًا لعدِّ (نساء) جمعًا وإن لم يكن لها مفرد من لفظها.

٢ - لفظة نسوة

الدلالة المعجمية :

يمكن القول إنَّ لفظة (نسوة) لا تختلف عن لفظة (نساء) من حيث الدلالة المعجمية بيد أن الاختلاف وقع بينهما من حيث البنية الصرفية. لذا سأكتفي بما ذكرته في الدلالة المعجمية للفظ (نساء) ، وابتدأ في البنية الصرفية للفظ (نسوة).

البنية الصرفية للفظ نسوة :

لفظة (نسوة) على وزن (فَعْلَة) وقد ذكر سيبويه أنَّ وزن (فَعْلَة) يُعدُّ من أوزان جموع التكسير القياسية التي تفيد القلة إذ قال: ((واعلم أنَّ لأدنى العدد أبنية هي مختصة به، وهي له في الأصل ... كـ (فَعْلَة نحو: غِلْمَة وصِيبة وفْتية))^(١). و(نسوة) كما ذكر القاسم بن سعيد المؤدب: ((الكسر فيها أكثر الكلام وهو الأصل، وربما غلطوا لمكان الواو فضموا النون))^(٢). و(نسوة) ليس لها واحد من لفظها وهذا ما أكده سيبويه في قوله: ((وليس نسوة بجمع كسر له واحد))^(٣)؛ لذا اختلف فيها اللغويون وانقسموا على قسمين:

١- القسم الأول: يتمثل بما ذهب إليه المبرد من أنَّ (نسوة) لا تعدُّ جمعًا بل اسم جمع وحجته في ذلك أنها ليس لها مفرد من لفظها إذ قال: ((النسوة اسم جمع ليس له واحد من لفظه))^(٤).
٢- القسم الثاني: يرى أصحابه أنَّ (نسوة) تعدُّ جمعًا لا اسم جمع وهذا ما أكده الرضي بقوله: ((إنَّ أسماء الجموع هي المفيدة لمعنى الجمع مخالفة لأوزان الجموع الخاصة بالجمع والمشهورة فيه، ونحو... نسوة مشهور فيه، فوزنها أوجب أن تكون من الجموع، فيقدر لها واحد وإن لم يستعمل))^(٥).

فالرضي يرى أنَّ مجيء (نسوة) على وزن (فَعْلَة) الذي يعدُّ من الأوزان المشهورة في جموع التكسير كان مسوغًا لعدِّها جمعًا وإن لم يكن لها مفرد من لفظها. وقد ذكرت سالفًا موافقة النحاة والصرفيين القدماء والمحدثين لهذا الرأي^(٦)، وانه الرأي الراجح عند الباحث.

وقد ذكرت لفظة (نسوة) في القرآن الكريم مرتين، وقد استعملت فيها للدلالة على الجمع، منها

(١) كتاب سيبويه: ٤٩٠/٣.

(٢) دقائق التصريف: ٣٠٦.

(٣) كتاب سيبويه: ٣٧٩/٣.

(٤) المقترض: ٥٦١/٢.

(٥) شرح الرضي على الكافية: ٣٦٧/٣.

(٦) ينظر: لفظة (أشد) ، أعراب ، و: نساء في هذا الحقل.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (يوسف: ٣٠).

في هذه الآية قرينتان تثبتان دلالة (نسوة) على الجمع، الأولى: قرينة الصيغة، إذ جاءت لفظة (نسوة) على وزن (فعللة)، وقد ذكرت آنفاً أن هذا الوزن يعدُّ من أوزان جموع التكسير القياسية التي تفيد القلة. والقرينة الثانية هي إعادة الضمير على (نسوة) بصيغة الجمع، في لفظتين هما (انا) و (نراها)، وهذا يثبت دلالة (نسوة) على الجمع. ومثل هذا قوله تعالى:

﴿فَاسْأَلُهُ مَا بَالَ النَّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ (يوسف من الآية: ٥٠).

ودلالة لفظة (نسوة) على الجمع في هذه الآية واضحة إذ إنَّه تعالى أعاد الضمير على (نسوة) بصيغة الجمع إذ قال: (قطعن أيديهن)، و(بكيدهن). ولو كانت لفظة (نسوة) لا تدلُّ على الجمع لم يسغ فيها هذا الاستعمال.

ومن استعمال (نسوة) للدلالة على الجمع في كلام العرب قول الفرزدق^(١):

لئن كنت قد أبكيت قبلك نسوة
كراما فهذي دائلات^(٢) العواقب

ودلالة (نسوة) على الجمع في هذا الشاهد واضحة إذ إنَّه وصفه بقوله: (كراما)، و(كراما) صيغة جمع مفردا (كريمة) فناسب هذا أن تدل (نسوة) على الجمع، ولو كانت تدل على مفرد لم يسغ فيها هذا الاستعمال.

وخلاصة القول إنَّ مجيء (نسوة) على وزن (فعللة) الذي يعدُّ من أوزان جموع التكسير القياسية التي تفيد القلة، وتوظيف القرآن الكريم هذه اللفظة للدلالة على الجمع يثبت أن (نسوة) تعدُّ جمعاً وإنَّ لم يكن لها مفرد من لفظها هذا من جهة ومن جهة أخرى يبين لنا الفرق بين لفظة (نساء) ولفظة (نسوة) إذ إنَّ لفظة (نساء) جاءت على وزن (فَعَال)، ووزن (فَعَال) من أوزان الجموع التي تفيد الكثرة، وهذا يعني أنَّ القرآن الكريم إذا أورد لفظة (نساء) فإنَّ في هذا إشارة إلى الكثرة، وإنَّ أورد (نسوة) ففي هذا إشارة إلى القلة. وهذا ما أكَّده الدكتور محمد ياسين الدوري في تفريقه بين لفظة (نساء) ولفظة (نسوة)^(٣).

لفظة ناس

الدلالة المعجمية :

(١) ديوان الفرزدق : ٢٦ .

(٢) دائلات : مفردا دائلة : التي تتداولها الأيدي مرة بعد أخرى.

(٣) ينظر: دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني: ٢٧١.

ذَكَرْتُ فِي الدَّلَالَةِ الْمُعْجَمِيَّةِ لِلْفِظَةِ (أَنَاسٍ) فِي أَوَّلِ هَذَا الْحَقْلِ أَنَّ سَبِيوِيَهْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الْأَصْلَ فِي (نَاسٍ): (أَنَاسٍ) ^(١). وَهَذَا مَا أوردَه الرَّاعِبُ فِي قَوْلِهِ: ((النَّاسُ: قِيلَ أَصْلُهُ أَنَاسٌ، فَحَذَفَ فَاؤُهُ لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ الْأَلْفُ وَاللَّامُ، وَقِيلَ قَلْبٌ مِنْ نَسِيٍّ، وَأَصْلُهُ إِنْسِيَانٌ عَلَى (إِفْعَلَانَ)، وَقِيلَ أَصْلُهُ مِنْ نَاسٍ يَنُوسُ إِذَا اضْطَرَبَ)) ^(٢). وَذَهَبَ الزَّمخَشَرِيُّ إِلَى أَنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنْ نَاسٍ يَنُوسُ إِذَا تَحَرَّكَ ^(٣). وَقَالَ أَيضًا: ((النَّاسُ جَمْعٌ وَاحِدُهُمُ إِنْسَانٌ مِنْ غَيْرِ لَفْظِهِ)) ^(٤). وَأَكَّدَ هَذَا الرَّأْيَ السَّبِيوِيُّ بِقَوْلِهِ: ((نَاسٌ جَمْعٌ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ)) ^(٥)، وَقَدْ فَصَّلَ الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ نُورُ الدِّينُ المُنْجِدُ القَوْلَ فِي الرَّدِّ عَلَى مَنْ يَرَى أَنَّ لَفْظَةَ (نَاسٍ) تَعَدُّ مِنَ المَشْتَرَكِ اللَّفْظِيِّ ^(٦).

البنية الصوتية والصرفية للفظة ناس :

تتألف لفظة (ناس) من مقطعين صوتيين الأول: طويل مفتوح (ص + ح ح)، والثاني طويل مغلق (ص + ح + ص) وهذا على الوجه الآتي :

ن — / س — ن .

فالنون: صوت مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة ^(٧). وهو صوت لثوي أنفي، بمعنى أن اللسان يعتمد بطرفه على اللثة، ثم يهبط أقصى الحنك الأعلى فيسدُّ بهبوطه فتحة الفم فيتسرب الهواء من التجويف الأنفي ^(٨). وأما الألف فإنَّ أصله هنا (واو)، وهو صوت مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة ^(٩). وقد أبدلت ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها إذ إنَّ ((الواو إذا كانت عين كلمة وكانت متحركة وسبقت بفتحة وجب قلبها إلى ألف)) ^(١٠). وقد أطلق على هذه العملية مصطلح (الاعلال). وفي هذا دلالة على أنَّ أصل (ناس): (نَوس) وإنَّ وزنها (فَعَل). وأما (السين) فهو صوت رخو مهموس ^(١١). يختلف بعض الاختلاف في مخرجه باختلاف لهجات العربية، وتتميز (السين) بأنها عند النطق بها تقترب الأسنان العليا من السفلى فلا يكون بينها إلا منفذ ضيق جدًّا، فيحدث عند النطق بها صفيرٌ عالٍ؛ لذا أطلق عليها العلماء اسم

(١) ينظر: كتاب سيبويه: ٣ / ٣٧٩.

(٢) المفردات: ٨٢٨.

(٣) ينظر: شرح الفصيح (الزمخشري): ١ / ٧.

(٤) المصدر نفسه: ١ / ٧.

(٥) المزهر في علوم اللغة وأنواعها (السبوي): ١ / ٧٨.

(٦) ينظر: الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق: ٢٢٥ - ٢٥٦.

(٧) ينظر: كتاب سيبويه: ٤ / ١٣٤، و: سر صناعة الأعراب: ١ / ٦٩.

(٨) المحيط في أصوات اللغة ونحوها وصرفها: ١ / ١٣٣.

(٩) ينظر: كتاب سيبويه: ٤ / ١٣٤، و: سر صناعة الأعراب: ١ / ٦٩.

(١٠) ينظر: كتاب سيبويه: ٤ / ٣٦٠، و: المقرب (ابن عصفور): ٢ / ١٨٦، و: ارتشاف الضرب (أبو حيان الأندلسي): ١ / ٢٩٧.

(١١) ينظر: كتاب سيبويه: ٤ / ٤٣٤، سر صناعة الأعراب: ١ / ٦٩.

(أصوات الصفيير) في حين أطلق المحدثون عليها اسم: (الأصوات الأسلية). ويشاركها في نسبة علو هذا الصفيير: ((الزاي والصاد))^(١). وقد اختلف الصرفيون في وزن لفظة (ناس)، والأصل الذي اشتقت منه وقد انقسموا على قسمين:

١- القسم الأول: يرى أصحابه أنّ وزن (ناس): (عال) وأصلها (أناس) وهذا ما نجده عند سيبويه وابن جني إذ قال ابن جني: ((ناس والأصل عند سيبويه أناس التي وزنها على وزن (فَعَال) فحذفت الهمزة تخفيفًا فوزن (ناس) على هذا (عال))^(٢). ووافقهم على هذا ابن الشجري في قوله: ((وزن أناس: فَعَال وناس منقوصة منه))^(٣).

٢- القسم الثاني: يرى أصحابه أنّ وزن (ناس): (فَعَل) وهي مشتقة من ناس ينوس إذا تحرك ولم يحصل فيها حذف. وهذا ما أكّده الكسائي في قوله: ((أناس وناس: لغتان ليست أحدهما أولى من الأخرى يدلُّ على ذلك أنّ العرب تصغر ناساً نويساً، ولو كان ذلك الأصل لقالوا: أنيس))^(٤). وهذا يثبت أنّ لفظة (ناس) لم تشتق من (أناس)، وأنّ لكل من اللفظتين أصلاً اشتقت منه ومعنى تدل عليه، وان وزن (ناس) على هذا (فَعَل) ولم يحصل فيها حذف^(٥). وهو الرأي الذي يميل إليه الباحث.

ووزن (فَعَل) لم يذكر ضمن أوزان جموع التكسير القياسية. إلا إنّ هذا لا يعني أنّ (ناس) لا تعدُّ جمعاً. وذلك إنا لو رجعنا إلى القرآن الكريم نجد أنها قد ذكرت مائتين وإحدى وأربعين مرّة، وقد استعملت في جميعها للدلالة على الجمع ونأيًا عن الإطالة وتوخيًّا للإيجاز إنا لو أغضينا النظر عن جميع القرائن التي توارد ذكرها في هذه الآيات، وأخذنا قرينة واحدة وهي قرينة (عود الضمير) التي تعدُّ من القرائن اللفظية؛ لتبين لنا أنها تكفي لإثبات أن لفظة (ناس) قد استعملت في القرآن الكريم للدلالة على الجمع. وهذا ما نجده في قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ٢١).

ودلالة لفظة (ناس) على الجمع في هذه الآية واضحة إذ إنّه تعالى أعاد عليها الضمير بصيغة الجمع في أكثر من لفظة إذ قال: (ربكم)، و(خلقكم)، و(لعلكم تتقون)، وعود الضمير في جميع هذه الألفاظ بصيغة الجمع على لفظة (ناس) يثبت دلالتها على الجمع في هذه الآية. ومثل هذا نجده في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (البقرة من الآية ١٨٧).

فقال تعالى: (لعلهم)، و(يتقون)، فأعاد الضمير على لفظة (ناس) بصيغة الجمع أيضًا وكذا في

(١) ينظر: الأصوات اللغوية : ٧٥.

(٢) الخصائص: ١٢ / ٢.

(٣) أمالي الشجري: ١٩٣ / ٢.

(٤) معاني القرآن (الكسائي): ٦٢.

(٥) ينظر: اللباب في علل البناء والأعراب: ٣٦٣ / ٢.

جميع الآيات التي ورد فيها ذكر لفظة (ناس) في القرآن الكريم^(١) ، يثبت أن لفظة (ناس) استعملت في القرآن الكريم للدلالة على الجمع.

وإن تعدد السياقات التي تضمنت لفظة (ناس) في القرآن الكريم كانت سبباً في تعدد إشاراتها غير أن سياق خطاب الكفار والتوعد بعذابهم هو المهيمن على استعمالها، فجاءت مائة وست وثلاثين مرة في هذا السياق^(٢)، منها تسعة وثلاثون مورداً في سورة البقرة^(٣)، ذكر فيها تعالى كفرهم وتكذيبهم الرسل، وحرصهم على الحياة، واتخاذهم أنداداً يعبدونها من دون الله؛ لذا وصفهم الله بأنهم السفهاء، وبأنهم وقود النار، ومنها قوله تعالى:

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزِهِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ (البقرة من الآية ٩٦)، وقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ (البقرة من الآية: ١٤٢)، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ (البقرة من الآية : ١٦٥) . وقريب من هذا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة: ٦٧).

((فاستعمال (ناس) في سياق التبليغ بولاية الإمام علي بن ابي طالب -عليه السلام- يوحي بالبعوض والاتفاق على الشر ومحاولة الفتك^(٤)).

ومن استعمال (ناس) دالة على الجمع في كلام العرب قول جرير:^(٥)

إذا غضبت عليّ بنو تميم
حسبت الناس كلهم غضابا

فقال بعد ذكر لفظة (ناس): (كلهم) فأعاد الضمير على لفظة (ناس) بصيغة الجمع، وهذا يثبت دلالة لفظة (ناس) على الجمع.

وفي ضوء ما تقدم يتبين لنا أن هناك فرقاً بين لفظة (أناس) ولفظة (ناس) فلكل من اللفظتين أصل اشتقت منه ومعنى تدل عليه. فلفظة (أناس) تدل على الضعف والتقليل والحاجة إلى أنيس، ولفظة (ناس) الغالب في دلالتها البغض والاتفاق على الشر ومحاولة الفتك؛ لذا كان الغالب في استعمالها خطاب الكفار والمعاندين والتوعد بعذابهم .

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : ٧٣١ ، ٧٣٢ .

(٢) ينظر المصدر نفسه: ٧٢٧ ، ٧٧٤ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه : ٧٣١ ، ٧٣٢ .

(٤) ينظر: الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم : ١٨٣ .

(٥) ديوان جرير : ٨٢٣ .

ولفظة (ناس) لا تعدُّ جمعًا في نظر النحاة والصرفيين؛ لأنها لم تأتِ على وزن من أوزان جموع التكسير، وليس لها مفرد من لفظها؛ لأن أحكام الجمع لا تجري عليها، فهي تصغر على لفظها إذ نقول في تصغير (ناس): (نويس)، وتنسب إلى لفظها، إذ نقول في النسب إلى (ناس): (ناسي). في حين أن التصغير يوجب أن يرد الجمع إلى مفرده كي يصغر وكذا الأمر في النسب. هذا من جانب ومن جانب آخر انها دلت على الجمع من دون أن يحدث فيها تغيير في الحركة أو الشكل. غير أنّ استعمال القرآن الكريم لفظة (ناس) للدلالة على الجمع في جميع الموارد التي استعملت فيها وكذا في كلام العرب دفعني إلى القول إن لفظة (ناس) تعدُّ جمعًا من حيث الدلالة ولاسيما أن هناك أكثر من لفظ جاء على هذا الوزن وقد دل على الجمع كلفظ (آل)، و(النعم)، و(غنم)، و(سبأ)، و(عاد)⁽¹⁾ بيد أنّ الصرفيين يلتزمون بتسميته باسم الجمع. ويبدو أن هذه التسمية قد وردت لديهم تأسيسًا على منظور تعليمي؛ لأنه يعامل معاملة الاسم المفرد عند تصغيره والنسب إليه، أما من حيث ميدانه التطبيقي فهو لا يدل إلا على معنى الجمع؛ ولهذا يمكن أن يكون جمعًا من حيث الدلالة والاستعمال واسم جمع من حيث وجهة النظر الصرفية .

(1) ينظر: لفظة (آل) في هذا الحقل، و(غنم)، و(نعم) في الحقل الثاني، و(سبأ)، و(عاد) في الحقل السابع من هذه الرسالة

فيما يأتي جدول في الألفاظ الشائعة في هذا الفصل ووزنها وحكمها الصرفي و عدد مرّات ورودها في القرآن الكريم :

اللفظة	وزنه	حكمه	عدد مرات وروده
أشد	أفْعُل	جمع	٨
أعراب	أفعال	جمع	١٠
أناس	فُعال	جمع	٥
أنام	أفْعَل	جمع	١
أهل	فَعْل	اسم جمع	٢٢٧
آل	فَعْل	اسم جمع	٢٥
أولو + أولي	فعلل	ملحق بجمع المذكر السالم	٤٣
أولات	فَعْلِل	ملحق بجمع المذكر السالم	٢
زبانية	فعالية	جمع	١
معشر	مَفْعَل	اسم جمع	٣
نساء	فِعال	جمع	٥٦
نسوة	فَعْلة	جمع	٢
ناس	فَعْل	اسم جمع	٢٤١

يتضح لنا من هذا أن وزن (أفعل) ورد في لفظتين هما (أشد)، و(أنام) ووزن (فعل) ذكر في لفظتين أيضاً وبنسبة عالية جداً، اللفظة الأولى هي لفظة (آل) وقد وردت خمساً وعشرين مرة والثانية هي لفظة (ناس) وقد وردت مائتين وأحدى وأربعين مرة. ويليه في كثرة عدد مرات الورد وزن (فعل) في لفظة (أهل) وقد ذكرت في مائتين وسبعة وعشرين مورداً.

الفصل الثاني

ألفاظ الجموع التي تمثل غير العاقل من الحيوان

- أبابيل.
- إبل.
- أنعام.
- خيل.
- سلوى.
- ضأن.
- طير.
- غنم.
- نَعَم.

توطئة :

قال تعالى:

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنعام: ٣٨) .

من المعروف أنّ الإنسان يعيش في جماعات تحتتمها عليه ظروف الحياة، وفي المقابل هناك تماثل بينه وبين الحيوان في هذه الصفة، فالكثير من الحيوانات تعيش على شكل ممالك كـ (النحل والنمل)، وقطعان كـ (الإبل، والغنم، والأنعام، والنعم، والخيل)، و أسراب كـ (الطير).

وكما توضح لنا في الحقل السابق أنّ هناك ألفاظاً تصف الجماعات الإنسانية من حيث الروابط والعلاقات التي تنشأ بين أفرادها، فهناك بالمثل ألفاظ تصف جماعات الحيوانات من حيث روابط معينة تنشأ بين أفرادها تختلف باختلاف أنواعها.

ولمّا كانت هذه الألفاظ تصف العلاقات أو الروابط التي تنشأ بين أفراد المجموعة استلزم ذلك أن تكون هذه الألفاظ دالة على الجمع هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنّ عدم ظهور تطبيق لتلك العلاقات في بعض الأحيان على الفرد بما هو فرد أدى إلى عدم ظهور مفرد لتلك الألفاظ من لفظها، كما هو الحال مع لفظة (إبل) التي تصف مجموعة الجمال والنوق بلحاظ صفات معينة سنوضحها في هذا الحقل وهي ليس لها مفرد من لفظها، ويجري الأمر نفسه على لفظة خيل و أنعام و سلوى

وإنّ مجيء هذه الألفاظ على أوزان مطّردة في اللغة سهّل للباحث أن يقوم بدراستها وإثبات أنها لها مفرد حقيقي مستعمل من لفظها أم لا، وأنّعدّ جمعاً أم اسم جمع؟ وهذا ما سيتكفل هذا الحقل بإيضاحه.

لفظة أبابيل الدلالة المعجمية :

((الأبيل والأبيلة والإبالة والوبيلة الحزمة من الحطب))^(١). والإبيل والإبول والإبالة القطعة من الطير والخيل والإبل^(٢). و(الأبابيل): جماعات يتبع بعضها بعضاً. وطيراً أبابيل أي: يتبع بعضها بعضاً أبيلاً أبيلاً أي: قطعاً خلف قطع، وقولهم: جاءت إبلك أبابيل أي: فرقا^(٣). وقد ذكرت في لفظة (إبل) أن الأصل الواحد فيها هو الحيوان المتصف بصفة الاجتزاء مع النقل وان (الإبل) أحد مصاديق هذا المعنى فغلب استعماله فيها^(٤)، ((أما الأبابيل فعلها أيضاً كانت موصوفة بالاجتزاء والغلبة بمعنى اتصافها بالقوة والقناعة والاجتزاء مع كونها قطع قطع فهذه الكلمة ليست اسماً لنوع مخصوص من الطير بل هي اسم لطير تكون بهذه الخصوصية))^(٥). ومن ثمَّ فإن (أبابيل) ليست مختصة بالطير فقط بل هي كما ذكرت آنفا تشير إلى القطعة العظيمة من الخيل والإبل أيضاً.

فالأبيل والأبيلة والإبالة والوبيلة التي تعني الحزمة من الحطب؛ والإبيل والإبول والإبالة التي تعني القطعة من الطير والخيل والإبل تشترك فيما يبدو في أصل واحد وهو الدلالة على الجمع — والله اعلم — .

وقد اختلف اللغويون في مفرد (أبابيل فقيل: إنَّ واحدها إبول مثل: عجول وعجاجيل^(٦)، قال ابن خالويه: ((ليس في كلام العرب كلمة على إفعول إلا أحرفاً ... والإبول واحد أبابيل))^(٧).

(١) الجمهرة(إبل): ٤٢٤/٢.

(٢) تهذيب اللغة (إبل): ٢٨٠/١٥.

(٣) الصحاح (إبل): ١٦١٨/٤.

(٤) ينظر: لفظة إبل في هذا الحقل .

(٥) التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ٢٨/١.

(٦) ينظر: المنتخب من غريب كلام العرب: ١٥١، و: الصحاح (إبل): ١٦١٨/٤.

(٧) ليس في كلام العرب: ٢٣٥.

وقيل: واحد الأببيل إِبَّالة كأنها جماعة إذ قال الأزهري: ((زعم الرؤاسي أنّ واحدها إِبَّالة ولو قال قائل واحد الأببيل: إيبالة كان صوابًا كما قالوا: ((دينارًا ودينانير))^(١)، وقيل: واحد الأببيل: إِبَّيل مثل: سكين وسكاكين^(٢).

وذهب آخرون إلى أنّ (أببيل) لا واحد لها من لفظها إذ نقل الأزهري عن ابي عبيد أنّه قال:

((أببيل لا واحد لها من لفظها))^(٣). وقال الجوهري: ((أببيل) من الجمع الذي لا واحد له من لفظه))^(٤). وقال السيوطي: ((كان الأصمعي يقول: لم تتكلم العرب أو لم تعرف واحدا لقولهم أببيل))^(٥).

البنية الصوتية والصرفية للفظة أببيل :

تتألف لفظة (أببيل) من ثلاثة مقاطع صوتية هي:

ءَ / بَ / بِلَ .

وبما أن المقطع الأخير من النوع الرابع المتمثل بالمقطع المديد (بيل) الذي يتألف من صامتين بينهما صائت طويل (ص+ ح ح + ص) إذن موضع النبر قد وقع عليه. وقد ذكرت الدكتوراة بنت الشاطي أنّ الباء واللام تتكرر في كل ما فيه ملحظ اختلاط واضطراب وترى أنّ هذا ((مأخوذ من بلبله الأسنّة أي: اختلاطها، وبلبل القوم: هيجهم، ومنه البلبله في عجمة اللسان واضطراب مسلكه في النطق من اختلاط الألسنة. والبلبل هو الطائر المعروف ينطق مرددًا ما يسمعه دون وعي أو إبانة))^(٦). ومن ثم ((فارقت بين الحسي في البلبله والمعنوي في البلبال اللهم الشديد يضطرب له البال من اختلاط الوسواس وكثرة الهواجس وترى أنّ كل ذلك يعطي كلمة ((أببيل حس التأبيل والبلبله والبلبال))^(٧). ومن ثم فإنّ لفظة (أببيل) تصوّر لنا كثرة عدد الطيور واختلاط بعضها ببعض وتداخلها واجتماعها عليهم من كل جانب مع ما تديده من أصوات عالية وغريبة نتيجة شدة اختلاطها وكثرتها لتكون عاملاً من عوامل الخوف والرعب لدى كل من تهجم عليه.

(١) تهذيب اللغة (إيل): ٢٨٠/١٥.

(٢) الصحاح (إيل): ٤/١٦١٨.

(٣) تهذيب اللغة (إيل): ٢٨٠/١٥، و: فقه اللغة وسر العربية: ٢٥٠.

(٤) الصحاح: (إيل) ٤/١٦١٨ .

(٥) المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ١٧٧/٢.

(٦) الإعجاز البياني للقران ومسائل ابن الأزرق دراسة لغوية وبيانية: ٤٤٩.

(٧) المصدر نفسه: ٤٤٩.

وإذا كان اللغويون قد اتفقوا على معنى (أبابل) فالصرفيون قد اختلفوا في مبناها؛ فهم مختلفون في أنها جمع أو اسم جمع؟ والذين اتفقوا في كونها جمعاً اختلفوا في واحدتها على أقوال كما ذكرت في الدلالة المعجمية فقيل: واحدتها إِبِيل مثل: سكين وسكاكين، وقيل: إِبُول مثل: عجول وعجاجيل، وقيل: إيبالة مثل: دينار ودنانير، وقيل: إِبالة مثل: صنارة وصنانير. والذين ذهبوا إلى كونه اسم جمع استدلوا بالسماع وجعلوه مثل: العبايد والعبايد والشعارير وغيرها من الألفاظ التي ليس لها مفرد في اللغة. ومن قال بجمعها استدل بالقياس ومثّل بالألفاظ المذكورة آنفاً إلا إنّ قياسه بلفظ إيبالة غير مستقيم؛ لأنه على وزن فعالة ولفظ دينار على وزن فعّال على الصحيح فهو مثال إِبَال لا إيبالة. ويمكننا أن نقيسه أيضاً بألفاظ أخرى، وهي: إِبُول مثل: مكوك ومكاكيك، وإِبُول مثل: ديوس ودبابيس، وإِبَال مثل: دراج ودراريج لتصبح ثمانية مع ما تقدم. وهكذا نجد أنّ الذين قالوا إنّ (أبابل) لها مفرد من لفظها اعتمدوا على القياس وليس على السماع وهو ما أكدّه الانباري إذ قال: ((زعم بعضهم أنّ واحد إِبُول وزعم بعضهم أنّ واحد إيبيل وكلاهما مخالف لقول الأكثرين والظاهر أنهم جعلوا واحد إِبُولاً وإيبالاً قياساً وحماً لا استعمالاً ونقلًا والخلاف إنما وقع في استعمالهم لا في قياس كلامهم))^(١). يتضح لنا من قول الانباري هذا أنه يرجح أنّ (أبابل) ليس لها مفرد من لفظها؛ وما يؤيد هذا قوله: ((طيراً أبابيل أي جماعات متفرقة وهو جمع لا واحد له في قول الأكثرين))^(٢). وهذا ما أكدّه الثعالبي بقوله: ((أبابل: جمع لا واحد لها من بناء جمعها))^(٣). وهو الرأي الذي يميل إليه الباحث.

ولو رجعنا إلى ما ذكره النحاة في تعريف الجمع نجد أنّ (أبابل) تعدّ جمعاً وإن لم يكن لها مفرد من لفظها؛ إذ قال ابن مالك: ((كل اسم دلّ على أكثر من اثنين ولا واحد له من لفظه فهو جمع واحد مقدر إن كان على وزن خاص بالجمع أو غالب فيه وألا فهو اسم جمع))^(٤). ولما كانت لفظة (أبابل) تدلّ على أكثر من اثنين؛ وهي على وزن (فعاليل) وهذا الوزن يعدّ من الأوزان الخاصة بجمع التكسير إذا لفظة (أبابل) تُعدّ جمعاً، وهذا ما أكدّه الأشموني بقوله: ((أنّ الاسم الدال على أكثر من اثنين إن لم يكن له واحد من لفظه فأما أن يكون على وزن خاص بالجمع أو غالب فيه فإن كان على وزن خاص بالجمع نحو: أبابيل.... فهو جمع واحد

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف، مسألة ٢٨: ٢٤١/١.

(٢) المصدر نفسه: ٢٤١/١.

(٣) فقه اللغة وسر العربية: ٢٥٠.

(٤) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ٢٦٧.

مقدر))^(١). وبذا نجد أن الأشموني يصرّح بأنّ (أبائيل) تعدُّ جمعاً وإن لم يكن لها واحد من لفظها وتابعه على هذا الرأي من المحدثين الحملاوي والدكتور عباس حسن والدكتور هاشم طه شلاش وزميلاه، والدكتور عباس أبو السعود^(٢). إذ قال الاستاذ عباس حسن: ((هناك جمع تكسير ليس بالأصيل ولكنه يلحق بجموع التكسير الأصلية ويجري عليه أحكامها وهذا النوع هو ما كان على صيغة من الصيغ الخاصة بالتكسير أو الغالبة فيه ولكن ليس له مفرد))^(٣). وقد ذكر الدكتور هاشم طه شلاش القول نفسه وزاد عليه قوله: ((من ذلك أبائيل (جماعة الطيور)، وعباديد (للفرق من الناس والخيل) فقد وردت اللفظتان على صيغة منتهى الجموع وهي من صيغ جموع التكسير المعروفة ولم يعرف لها مفرد من لفظها))^(٤).

ينكشف من هذا أن (أبائيل) تُعدُّ جمعاً وإن لم يكن لها مفرد من لفظها.

وقد ذكرت لفظة (أبائيل) في القرآن الكريم مرّة واحدة في قوله تعالى:

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٤﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ (الفيل: ٤، ٣).

وفي معنى أبائيل عند المفسرين، قال الأخفش (ت ٢١٥ هـ) : ((قال بعضهم: واحد (الأبائيل): (إبيل)، وقال بعضهم: (إبول) مثل: (عجول) ولم أجد العرب تعرف له واحد ... وسمعت العرب الفصحاء يقولون: (أرسل إبله أبائيل)، يريد جماعات، فلم يتكلم لها بواحد))^(٥). وقال الفراء: ((أبائيل لا واحد لها وزعم الرؤاسي أنه سمع واحداً إبالة لا ياء فيها))^(٦). وقال أبو عبيدة: ((الأبائيل: جماعات في تفرقة يقال: جاءت الخيل أبائيل من هنا وهاهنا، ولم نر أحداً يجعل لها واحداً))^(٧).

وقد توافرت في هذه الآية أكثر من قرينة تثبت أنّ (أبائيل) تدلُّ على الجمع، منها قرينة الصيغة وهي من القرائن اللفظية إذ جاءت لفظة (أبائيل) على وزن (فعاليل) وقد ذكرت آنفاً أنّ هذا الوزن يعدُّ من الأوزان الخاصة بجمع التكسير، وأما القرينة الثانية فهي القرينة المعجمية، وقد ذكرت في الدلالة المعجمية أنّ (أبائيل) تدلُّ على القطعة أو المجموعة العظيمة من الشيء وما يؤكد هذا قول النحاس: ((طيراً أبائيل جمعاً بعد جمع ... وفي كلام العرب:

(١) حاشية الصبان على الأشموني: ٢١٧/٤.

(٢) ينظر: شذا العرف: ١٤٧، و: النحو الوافي: ٦٢٦/٤، و: المهذب في علم التصريف: ٢٥٠، و: الفيصل في ألوان الجموع: ٢٥٤.

(٣) النحو الوافي: ٦٢٦/٤.

(٤) المهذب في علم التصريف: ٢٠٥.

(٥) معاني القرآن (الأخفش): ١/ ٢٩٦، وينظر: إعراب ثلاثين سورة من القرآن (ابن خالويه): ٢٠٧.

(٦) معاني القرآن (الفراء): ٣/ ٢٩٢.

(٧) مجاز القرآن: ٣١٢/٢، وينظر: الكشف: ٧٩٩.

جاؤوا أبابيل أي جماعة بعد جماعة عظيمة كثيرة بعد جماعة^(١)) وقال
الواحد (ت ٤٦٨ هـ): ((أبابيل أفاطيع يتبع بعضها بعضا كالإبل المؤبلة))^(٢).
والقرينة الثالثة أنّ (أبابيل) نعت لـ (طيرا)^(٣) فاستعمال (أبابيل) التي جاءت بصيغة منتهى
الجموع نعتا لـ (طيرا) يصوّر لنا كثرة مجاميع الطيور وعظمتها فهي كما ذكر القرطبي:
(مختلفة متفرقة تجيء من كل ناحية من هاهنا وهاهنا))^(٤).

لذا وجدت الدكتورة بنت الشاطئ أنّ في جواب ابن عباس لسؤال نافع بن الأزرق أنّ
(الأبابيل): ((ذاهبة وجائية تنقل الحجارة بمناقيرها، فتبلى عليهم رؤوسهم)) فيه تقصير عن
التعبير القرآني: إذ قالت: ((وان قصرت جملة (تنقل الحجارة) عن التعبير القرآني «ترميهم
بِحجارة من سجيل» (الفيل: ٤) ، وقصر الشرح (تبلى عليهم رؤوسهم) عن التعبير الساق
المالحق في قوله تعالى: «فجعلهم كعصف مأكول» (الفيل: ٥))^(٥). وترى أنّ قول ابن عباس:
(تنقل الحجارة بمناقيرها)) لا وجه له إذ قالت: ((فضلا عما لا وجه له من تقييد نقل الحجارة
بمناقيرها، والآية أطلقت الرمي من قيد بالمناقير أو بالأرجل أو بالمخالب))^(٦).

ومن استعمال لفظة (أبابيل) في كلام العرب ما استشده به ابن عباس لنافع بن الأزرق
عندما سأله قائلاً: هل تعرف العرب ذلك؟ فأجاب: نعم، أما سمعت قول الشاعر:^(٧)
وبالفوارس من ورقاء قد علموا أحلاس خيل على جرد أبابيل
وكذا قول الأعشى:^(٨)

طريقٌ وجبارٌ رواء أصوله عليه أبابيل من الطير تتعب

نخلص من هذا أنّ لفظة (أبابيل) استعملت في القرآن الكريم وفي كلام العرب للدلالة على
المجاميع التي يتبع بعضها بعضا، ويستعمل مع الطير للدلالة على تتابع سرب الطيور بعضها
في إثر بعض، وتستعمل مع الإبل والخيل للدلالة على كثرتها وعظمتها ومجيء بعضها في
إثر بعض و(أبابيل) لا واحد لها من لفظها وأما ما قيل من أنّ واحدها (إبول أو إيبيل أو إيبالة)
وغيرها من الأقوال فهي أمثلة خاضعة للقياس لم يسمع عن العرب شيئا عنها ويمكننا أن نزيد

(١) إعراب القرآن (النحاس): ٣ / ٧٧١ .

(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد: ٤ / ٥٥٢ .

(٣) ينظر: إعراب ثلاثين سورة من القرآن: ٢٠٧ .

(٤) تفسير الجامع لأحكام القرآن (القرطبي): ١٠ / ١٣٤ .

(٥) الإعجاز البياني للقرآن: ٤٤٩ .

(٦) المصدر نفسه: ٤٠٥ .

(٧) البيت للبيد بن ربيعة.

(٨) ديوان الأعشى: القصيدة ٣٠ البيت ٤ .

عليه ألفاظًا أخرى اعتمادًا على القياس أيضًا، ولو كان لها مفرد معروف لما اختلفوا فيه كما لم يختلف اثنان في مفرد (أباريق) على الرغم من كونه أعجميًا. ومن ثم فإن (أباييل) تعدُّ جمعًا وإن لم يكن لها مفرد من لفظها والذي سوَّغ هذا ما ذكره النحاة من أن مجيء اللفظ الدال على أكثر من اثنين على وزن خاص بالجمع أو غالب فيه يكون سببًا في عدِّ ذلك اللفظ جمعًا وإن لم يكن له مفرد من لفظه، و(أباييل) جاءت على وزن (فعاليل) وهو وزن خاص بالجمع ومشهور فيه، وعلى هذا فـ (أباييل) تعدُّ جمع تكسير قياسيًّا لا واحد له من لفظه.

لفظة إبل

الدلالة المعجمية :

ذكر اللغويون للفظ (إبل) أكثر من معنى منها أن (الإبل) تعني مجموعة الجمال، قال الراغب: ((الإبل يقع على البعران الكثيرة لا واحد له من لفظه))^(١). وأكد هذا المعنى الزبيدي(ت ١٢٠٥هـ) بقوله: ((فلان له إبل أي له مائة من الإبل وإبلان مائتان))^(٢). والتأبل هو ترك النكاح وعدم مقاربة النساء^(٣). والأبيل هو الراهب من رؤوس النصارى^(٤). ولو بحثنا عن الأصل الواحد الذي ترجع إليه جميع معاني لفظة (إبل) نجده عند ابن فارس الذي قال: ((الهمزة والباء واللام بناء على ثلاثة: على الاجتزاء وعلى الثقل وعلى الغلبة))^(٥).

يبدو من هذا أن ما ذكره ابن فارس يمثل الدلالة المركزية للفظ (إبل)، وما قيل من معانٍ آخر يمثل الدلالة الثانوية لهذه اللفظة، إذ إنها أطلقت على مجموعة الجمال؛ لأن أغلب صفة فيها هي القدرة على تحمل الثقل والاجتزاء عن شرب الماء والأكل لأيام متتالية تتراوح ما بين ((سبعة إلى عشرة أيام))^(٦). فهي أحد مصاديق هذا المعنى فغلب استعمالها فيه. ومثل هذا قولهم تأبل الرجل؛ لاجتزائه عن مقاربة النساء. ويرى الزمخشري أن أبيل النصارى اشتق من هذا المعنى في قوله: ((تأبل فلان إذا ترك النكاح ولم يقرب النساء من أبلت الإبل

(١) المفردات : ١٣ .

(٢) تاج العروس (إبل) : ١٤ / ٥ .

(٣) ينظر: أساس البلاغة : ١ / ١٨ .

(٤) ينظر: تاج العروس (إبل) : ١٤ / ٥ .

(٥) معجم مقاييس اللغة (إبل) : ١ / ٤٠ .

(٦) ينظر: الصحاح (إبل) : ٤ / ١٦١٨ .

وتأملت إذا اجتزأت بالرطب عن الماء ومنه قيل للراهب إيل^(١)؛ لأنه يجتزأ عن النساء وعن مغريات الحياة .

البنية الصرفية للفظه إيل :

لفظة (إيل) على وزن (فعل)، وهذا الوزن في رأي سيبويه يعدُّ وزنًا نادرًا لم يحفظ منه سيبويه إلا (إيل) إذ قال: ((وقد جاء من الأسماء اسمٌ واحدٌ على وزن فعلٍ لم نجد مثله وهو إيل))^(٢). في حين ذكر ابن عصفور أن (فعل) يأتي اسمًا وصفة فمن مجيئه صفة قوله: ((أتان إيل للوحشية))^(٣) بيد أنه لم يذكر أمثلة لمجيئه اسمًا. وقد ذكر الأستاذ عباس أبو السعود ثلاثة ألفاظ جاءت على هذا الوزن هي: ((إيط وهو باطن المنكب، وإطل وهو الخاصرة، وديس وهو عسل التمر))^(٤). ولفظة (إيل) ليس لها مفرد من لفظها وهذا ما أكده الثعالبي بقوله: ((من الألفاظ التي ليس لها واحد من بناء جمعها لفظه إيل))^(٥). وقال القاسم بن سعيد المؤدب: ((تقول: إيلان؛ لأنه لا واحد لها من لفظها))^(٦).

وهي مؤنثة؛ ((لأنه اسم وقع في الأصل للجماعة من غير الأدميين))^(٧)، ((وأسماء الجموع التي لا واحد لها من لفظها إذا كانت لغير الأدميين فالتأنيث لها لازم))^(٨). و(إيل) تصغر على لفظها ((وإذا صغرتها أدخلت الياء فقلت أَيْلَة))^(٩). وتنسب إلى لفظها أيضاً إذ تقول في النسب إلى إيل: إيلي. فلفظة (إيل) لا تعدُّ جمعًا لهذا السبب؛ إذ لو كانت جمعًا لوجب أن ترد إلى مفردها كي تصغر أو ينسب إليها. و(إيل) صغرت ونسبت إلى لفظها؛ لذا عدّها الصرفيون اسم جمع لا جمعًا، إذ قال ابن الحاجب: ((أما ما لا يجيء من تركيبه لفظ يقع على الواحد كـ (إيل) فلا خلاف في أنها اسم جمع وليست جمعًا))^(١٠). ويرى الرضي أن (إيل) ((وإن دلت على آحاد لكن لم يقصد إلى تلك الآحاد بأن أخذت حروف مفردتها وغيرت بتغيير ما؛ بل

(١) أساس البلاغة : ١ / ١٨ .

(٢) كتاب سيبويه : ٣ / ٥٧٤ .

(٣) الممتع في التصريف : ١ / ٦٥ .

(٤) الفيصل في ألوان الجموع : ٢٦٠ .

(٥) فقه اللغة وسر العربية: ٢٥٠، وينظر: الصحاح (إيل): ٤/١٦١٨، و: لسان العرب (إيل): ٦/١٢٢، و:

القاموس المحيط (إيل): ٣/٣٢٦.

(٦) دقائق التصريف: ٤٠٤.

(٧) المذكر والمؤنث (المبرد): ١١٠، وينظر: المذكر والمؤنث (السجستاني): ١٥٣.

(٨) الصحاح (إيل): ٤/١٦١٨.

(٩) المذكر والمؤنث (المبرد): ١١٠.

(١٠) شرح شافية ابن الحاجب (الرضي): ٢/٢٠٨.

آحادها ألفاظ من غير لفظها كـ (إبل) فإن مفردها بعير^(١). وقد وافقه على هذا الرأي المهدي^(٢). وعلى هذا فعدم جريان أحكام الجمع من تصغير ونسب وعود الضمير على لفظة (إبل) كان سبباً في عدها اسم جمع لا جمعاً حقيقياً.

وقد ذكرت لفظة (إبل) في القرآن الكريم مرتين، وقد دلت فيهما على الجمع. الأولى في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ﴾ (الأنعام من الآية ١٤٤).

فإسناد (اثنين) إلى (إبل) قرينة تثبت أن (إبل) تشمل أكثر من بعيرين ولاسيما أنها جاءت لبيان موارد ما تجب فيه الزكاة. أما الآية الثانية فهي قوله تعالى:

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۖ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ (الغاشية: ١٨، ١٧).

ودلالة (إبل) على الجمع في هذه الآية واضحة إذ أنت الفعل (خُلِقَتْ) للدلالة على أنها مجموعة وليست مفرداً، وقد ذكرت أنفاً أن أسماء الجموع إذا كانت لغير الأدميين فالتأنيث لها لازم .

وأما في سبب ذكر (الإبل) من دون غيرها من سائر الحيوانات، والمناسبة بينها وبين ذكر (السماء)، و(الجال) و(الأرض) فقد فصل القول في ذلك كل من الزمخشري وأبي حيان الأندلسي من القدماء^(٣)، وسيد قطب وناصر مكارم الشيرازي من المحدثين^(٤). وتعدُّ الإبل وما يتصل بها من أسماء وصفات الأكثر استعمالاً في كلام العرب شعراً ونثراً وتلك مسألة طبيعية بحكم صلتها بحياة العربي.

وقد وظفت لفظة (إبل) وما يتصل بها في سياقات تشبيهية، ويندرج أكثر ذلك في سياق الوصف إذ تمثل في السياق دور المشبه به ولكن بصور مختلفة^(٥). ويمكن أن نرى ذلك واضحاً في خطب الإمام علي - عليه السلام - إذ قال في خطبة له يستنفر أصحابه للجهاد وينعى عليهم تقاعسهم عن الحق: ((ما أنتم بركن يمال بكم، ولا زواجر عزّ يفتقر إليكم، ما انتم إلا كإبل ضلّ رعاتها فكلما جمعت من جانب انتشرت من آخر))^(٦).

فقوله - عليه السلام - : (جمعت) يستلزم أنها أكثر من اثنين، وقوله: (انتشرت) يصور لنا كثرة عددها وتفرقتها في جهات مختلفة. والوجه الجامع بين أصحاب الإمام علي - عليه السلام - والإبل التي ضلّ رعاتها ((هو التفرق، فهم متفرقون لم يكن لهم رأي واحد في التوجه

(١) شرح الرضي على الكافية: ٣/٣٦٦.

(٢) ينظر: النجم الثاقب شرح شافية ابن الحاجب: ٢/٨١٦ .

(٣) ينظر: الكشاف: ٤/٧٥٤، و: البحر المحيط: ٨/٤٦٤.

(٤) ينظر: في ظلال القرآن (سيد قطب): ٨ / ١٤٧، و: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢٠/١٢٢.

(٥) ينظر: دراسات في اللغة والنحو (د. عبد الكاظم الياصري): ١٢.

(٦) نهج البلاغة (د. صبحي الصالح): ٧٨.

إلى الجهاد كلما جمع منهم جمعاً تفرّق آخر، وهكذا هي حال الإبل التي ضلّ رعاتها كلما جمعت من جانب تفرقت من آخر))^(١). ومن استعمالها للدلالة على الجمع أيضاً قول الشاعر:^(٢)

دراكها من إبل دراكها أما ترى الموت لدى أوراكاها

ودلالة (إبل) على الجمع في هذا الشاهد واضحة إذ أعاد الضمير عليها بصيغة الجمع في قوله: (أوراكاها) ولو كانت تدل على مفرد مذكر لقال: ورکه، أو مفرد مؤنث لقال: وركها.

نخلص من هذا أنّ لفظة (إبل) استعملت في القرآن الكريم وفي كلام العرب للدلالة على الجمع، ولم تستعمل للدلالة على المفرد، وقد عضدت دلالتها على الجمع قرائن لفظية ومعنوية، وقد أجمع اللغويون على أنّ (إبل) ليس لها مفرد من لفظها. ولأن أحكام الجمع من تصغير ونسب لم تجر عليها إذ إنّها تنسب إلى لفظها وتصغر على لفظها؛ لذا لم يعدّها الصرفيون جمعاً حقيقياً بل اسم جمع.

لفظة أنعام

الدلالة المعجمية :

في معنى النعم وما يشتق منها قال الخليل: ((نَعِمَ يَنْعُمُ، نَعْمَةٌ فهو نَعِمٌ نَاعِمٌ بَيْنَ المنعم. والنَّعْماء اسم النعمة، والنعيم الخفض والدعة، والنِّعْمَة اليد الصالحة))^(٣).

و ((النَّعْمَة بكسر النون ما أنعم الله به على عباده من مال أو رزق. والنَّعْمَة: ما يتنعم به الإنسان من مأكّل أو مشرب أو ملبس))^(٤). وقد فرّق الدكتور محمد الدوري بين كل من اللفظتين بحسب مواطن استعمالها في القرآن الكريم^(٥).

و ((النَّعْمَة) تجمع على (النَّعَم)، و(الأنعم) ولكلّ من الجمعين دلالتة، فـ(النَّعَم) أعَمُّ من (الأنعم) من حيث الدلالة؛ فهي تشمل النعم الظاهرة كالمال والمتاع والعقار، والنعم الباطنة كالصحة والعافية والسعادة والهناء^(٦). في حين أنّ (الأنعم) تشمل النعم الظاهرة فقط^(٧). فهي أخصُّ من (النَّعَم) من حيث الدلالة.

(١) دراسات في اللغة والنحو: ١٣.

(٢) البيت للحارث بن خالد المخزومي، وليس في شعره، ونسب إلى أبي دهب، ديوانه: ٦٦، وإلى العرجي، ديوانه: ١٩٣.

(٣) العين (نعم): ١/١٦٢.

(٤) الاشتقاق (ابن دريد): ١٣٧.

(٥) ينظر: دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني (د. محمد الدوري): ٢٥٣ - ٢٥٤، و: لطائف قرآنية (د. صلاح الخالدي): ١٧١ - ١٨٥.

(٦) ينظر: تهذيب اللغة (نعم): ٣/١١، و: الصحاح (نعم): ٥/٢٠٤٠.

(٧) ينظر: الجمهرة (نعم): ٢/٣٣١، و: الاشتقاق (ابن دريد): ١٣٧.

أما (الأنعام) فهي جمع أيضاً بيد أن دلالتها تختلف عن دلالة الجمعين المذكورين آنفاً، إذ إنَّها خاصة بنوع من أنواع النَّعَم الظاهرة وهي الماشية من الإبل والبقر والغنم. ((فالعرب إذا أفردت النعم لم يريدوا بها إلا الإبل، فإذا قالوا: (الأنعام) أرادوا بها الإبل والبقر والغنم))^(١).

البنية الصرفية للفظه أنعام:

اختلف اللغويون في الأصل الذي اشتقت منه لفظه (أنعام) وقد انقسموا على ثلاثة أقسام:

١- القسم الأول: يرى صاحبه أن جميع مشتقات لفظه (نعم) راجعة إلى أصل واحد وهو قولنا في الجواب: نَعَمْ، ويتمثل هذا بما ذهب إليه ابن جني في قوله: ((أنا أرى أن جميع تصرف (ن ع م) إنما هو من قولنا في الجواب: نَعَمْ، من ذلك: النَّعْمَةُ والنَّعْمَةُ والنَّعِيمُ والتنعيم ونعمت به بالآ وتنعَّم القوم والتَّعْمَى والنعماء وأنعمت وكذلك البقية؛ وذلك أنَّ (نَعَمْ) أشرف الجوابيين، وأسرهما للنفس واجلبهما للحمد، و(لا) بضدها))^(٢).

٢- القسم الثاني: يرى صاحبه أن جميع مشتقات لفظه (نعم) راجعة إلى الترقُّه وطيب العيش ويتمثل هذا بما ذهب إليه ابن فارس في قوله: ((النون والعين والميم فروعه كثيرة، وعندنا أنها على كثرتها راجعة إلى أصل واحد يدلُّ على ترقُّه وطيب عيش وصلاح؛ منه النَّعْمَةُ ما ينعم الله تعالى على عبده من مال وعيش،... والنعمة المنة وكذا النعماء...))^(٣).

٣- القسم الثالث: يرى صاحبه أن جميع معاني لفظه (نعم) مشتقة من (النَّعَم) وهي الإبل ويتمثل هذا بما ذهب إليه الدكتور عبد الله أمين في قوله: ((إنَّ النعمة والنعيم، وكل مشتقات هذه المادة مشتقة من (النَّعَم) وهي الإبل؛ لأنها مصدر نعمتهم ونعيمهم))^(٤).

ولفظه (أنعام) على وزن (أفعال)، وهذا الوزن يُعدُّ من أوزان جموع التكسير القياسية التي تفيد القلة^(٥).

وقد ذكرت سالفاً آراء الصرفيين في اللفظ الذي يدلُّ على الجمع ويأتي على وزن من أوزان جموع التكسير القياسية، وليس له مفرد من لفظه، وخلصت بنتيجة مفادها أنه يُعدُّ جمعاً

(١) ينظر: تهذيب اللغة (نعم): ١١/٣، و: الصحاح (نعم): ٥/ ٢٠٤٠.

(٢) الخصائص: ٤٣٣ / ١.

(٣) معجم مقاييس اللغة (نعم): ٥ / ٤٤٧.

(٤) الاشتقاق (د. عبد الله أمين): ١٤٣.

(٥) ينظر: دقائق التصريف: ٣٩٩، و: شرح جمل الزجاجي (ابن عصفور): ٢/ ٥١٢، و: شذا العرف: ١٣٢.

وإن لم يكن له مفرد من لفظه^(١)، و(أنعام) جاءت دالة على الجمع، وعلى وزن من أوزان جموع التكسير القياسية، وليس لها مفرد من لفظها وهذا ما أكده ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) في قوله: ((الأنعام: الإبل والبقر والغنم... وهو جمع لا واحد له من لفظه))^(٢).

وعلى هذا فهي تُعدُّ جمعاً وإن لم يكن لها مفرد من لفظها وهذا ما صرَّح به سيبويه في قوله: ((هذا باب ما يكسر مما كسر للجمع))^(٣)، ويقصد به جمع الجمع: وأعطى مثلاً لذلك: (اناعيم في أُنعام)^(٤)، وهذا يعني أنَّ (أنعام) في رأي سيبويه تُعدُّ جمعاً .

وجمع الجمع (اناعيم). وانها جاءت على بناء أدنى العدد وقد أكد هذا في قوله: ((أما أبنية أدنى العدد فتكسر منها... (أفعالاً) فإنه يكسر على (أفاعيل)، وذلك نحو: أنعام وأناعيم))^(٥).

وذكر أبو عبيدة أنَّ لفظه (أنعام) مؤنثة وإن أريد بها (النعم) فإنها تذكر^(٦). ووافقه على هذا الرأي السجستاني في قوله: ((الأنعام مؤنثة... فأما تذكيرها فلا يعرف في الكلام ولكن إن ذهب إلى النعم فجائز))^(٧). وذهب الدكتور عبد الكاظم الياسري إلى أنَّ تذكير الأنعام وتأنيتها متأت من دلالتها على الجمع إذ قال: ((ويبدو أنَّ تذكير الأنعام وتأنيتها متأت من دلالتها على جمع التكسير وهذا الجمع يصلح للتذكير والتأنيت في السياق. فمن ذكَّره حملة على معنى الجمع ومن أثَّته حملة على معنى الجماعة))^(٨).

وقد ذُكرت لفظه (الأنعام) في القرآن اثنتين وثلاثين مرة وقد دلت في جميعها على الجمع منها قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (غافر: ٧٩).

وفي هذه الآية قرينتان تثبتان دلالة (أنعام) على الجمع، الأولى قرينة الصيغة إذ إنها جاءت على وزن (أفعال) وقد ذكرت آنفاً أنَّ وزن (أفعال) يُعدُّ من أوزان جموع التكسير القياسية. والقرينة الثانية انه تعالى أعاد الضمير على (الأنعام) بصيغة الجمع في قوله (لتركبوا منها)، و(منها تأكلون) وهذا يثبت أنَّ (الأنعام) تدلُّ على الجمع. ومثل هذا قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حِجْرًا لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بَزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (الأنعام: ١٣٨).

(١) ينظر: لفظه (أشده)، و (أعراب) في المبحث الأول) .

(٢) تفسير غريب القرآن (ابن قتيبة) : ١٤٦ .

(٣) كتاب سيبويه: ٤٠٧ / ٣ .

(٤) المصدر نفسه: ٤٠٧ / ٣ .

(٥) المصدر نفسه: ٦١٨ / ٣ .

(٦) ينظر: مجاز القرآن : ١ / ٣٦٢ .

(٧) المذكر والمؤنث (السجستاني): ١٩٦، وينظر: المذكر والمؤنث (التستري): ١٠٧ .

(٨) البحث اللغوي في كتاب مجاز القرآن : ١٢٨ .

وقد ذكرت لفظة (أنعام) في هذه الآية ثلاث مرات، الأولى في قوله تعالى: ﴿أَنْعَامٌ وَحَرْتٌ حَجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا﴾ فأعاد الضمير على (أنعام) بصيغة الجمع في قوله: (لا يطعمها). والثانية في قوله تعالى: ﴿وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ وقد أنثت (أنعام) بدليل التاء في (حرمت)، وتأنيت الفعل (حرمت) فيه دلالة على حمل (أنعام) على معنى الجمع ولا سيما أنه تعالى أعاد الضمير عليها بصيغة الجمع في قوله تعالى: (ظهورها) ولو كانت (أنعام) تدلُّ على مفرد مذكر أو مؤنث لقال ظهره أو ظهرها. والمرّة الثالثة في قوله تعالى: ﴿وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ فأعاد الضمير على (أنعام) بصيغة الجمع في قوله: (عليها). فدلَّ كل هذا على أن لفظة (أنعام) وظفت للدلالة على الجمع في هذه الآية. ومثل هذا نجد في جميع الآيات التي ذُكرت فيها لفظة (الأنعام)^(١).

مما تقدم نقف على أنّ (الأنعام) استعملت في القرآن للدلالة على الجمع ولم تستعمل للدلالة على المفرد. وأنها تدل على الإبل والبقر والغنم. ولم يذكر أحدٌ من اللغويين أنّ لفظة (أنعام) لها مفرد من لفظها، وقد أكد ابن قتيبة أنها من

الألفاظ التي تدلُّ على الجمع وليس لها مفرد من لفظها. وإنّ مجيء لفظة (أنعام) على وزن (أفعال) الذي يعدُّ من أوزان جموع التكسير القياسية فضلاً عن دلالتها على الجمع كان مسوغاً لعدّها جمع تكسير وإن لم يكن لها مفرد من لفظها.

لفظة خيل

الدلالة المعجمية:

ذكر اللغويون للفظ (خيل) وما يُشتقُّ منها أكثر من معنى، فـ (الخيل): ((جماعة الفرس، لم تؤخذ من واحد مثل النبل والإبل))^(٢). والخيلاء من الاختيال، تقول: ((فيه خيلاء ومخيلة وهو يمشي الخيلاء واختال في مشيته))^(٣). والخيال: كل شيء تراه كالظل^(٤). والأخيل طائر يتشام منه^(٥).

وقد أرجع ابن فارس جميع هذه المعاني إلى أصل واحدٍ إذ قال: ((الخاء والياء واللام أصلٌ واحدٌ يدلُّ على حركةٍ في تلوّنٍ فمن ذلك الخيال وهو الشّخص. وأصله ما يتخيّل الإنسان

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٨٦٣.

(٢) العين (خيل): ٣/٣٠٦، وينظر: المخصص: ٦/١٣٥.

(٣) الجمهرة (خيل): ٢/٦٨٩، وينظر: المصباح المنير: ١/١٨٦.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (خيل): ٧/٢٣٠.

(٥) ينظر: الصحاح (خيل): ٤/١٦٩٢.

في منامه؛ لأنه يتلون ويتشبه به. ويرى أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) أنّ الخيل سميت خيلاً؛ لأن المختال في مشيته يتلون في حركته ألواناً^(١).

فقول ابن فارس: ((يدل على حركة في تلون)) يمثل الدلالة المركزية والأولية للفظ (خيـل) وما يشتق منها من معانٍ يمثل الدلالة الثانوية لهذه اللفظة، ومن ذلك الأخيـل الذي ذكرته آنفاً وفيه قال ابن منظور: ((الاخيـل: طائرٌ أخضر وعلى جناحيه لمعة تخالف لونه سمي بذلك للخيلان))^(٢). فحركة هذا الطائر في السماء مع وجود أكثر من لون فيه كانت سبباً في تسميته: أخيلاً.

والخيال كما ذكر ابن فارس أصله ما يتخيله الإنسان في منامه؛ لأنه يتشبه ويتلون به. والخيلاء: هو أن يتلون الإنسان في مشيته تكبراً وإعجاباً بنفسه.

البنية الصرفية للفظـة خيل :

لفظة (خَيْل) على وزن (فَعَلَ) وقد ذكر ابن جني أنّ (فَعَلَ) يأتي اسماً نحو: كَعَب، ويأتي صفة نحو: ضَخَم^(٣). وقد وردت لفظة (خيل) هنا اسماً، وبذلك تكون لفظة (خيل) اسماً مجرداً ثلاثياً خالياً من حروف الزيادة (أجوف)؛ لأن عينه حرف علة.

و(خيل) اسم مشتق وليس جامداً بيد أنّ اللغويين اختلفوا في الأصل الذي اشتقت منه فذهب بعضهم إلى أنها مشتقة من الاختيال - وهو العجب - سُميت بذلك؛ لاختيالها في مشيتها بطول أذناها^(٤). وذهب آخر إلى أنها مشتقة من التخيل؛ لأنها تتخيل في صورة من هو أعظم منها^(٥) ((وَجَوَّرَ بعضهم أنّ تكون مخففة من (خَيْل) بتشديد الياء نحو: مَيْت في مَيْت، وهَيْن في هَيْن ورُدَّ عليه بأنّ كل ما سُمِعَ فيه التخفيف سُمِعَ فيه التثقيل وهذا لم يُسْمَعِ إلا مخففاً))^(٦).

وكما اختلف اللغويون في الأصل الذي اشتقت منه لفظة (خيل) فقد اختلفوا في مفردتها وقد انقسموا على قسمين:

١- القسم الأول: يرى أصحابه أنّ (خيل) ليس لها واحد من لفظها، ويتمثل هذا بما ذهب إليه الخليل بقوله: ((الخيـل جماعة الفرس، لم تؤخذ من واحد مثل النبل والإبل))^(٧). وقال ابن دريد

(١) معجم مقاييس اللغة (خيل) : ٢ / ٢٣٦.

(٢) لسان العرب (خيل) : ٦ / ٣٠٣.

(٣) ينظر: المصنف (ابن جني) : ٤٥ ، والصرف الوافي : ٤٧.

(٤) ينظر: المصباح المنير: ١ / ١٨٦.

(٥) ينظر: مجمع البيان: ٢ / ٢٥٢.

(٦) اللباب في علوم الكتاب (الدمشقي): ٥ / ٧٦.

(٧) العين (خيل) : ٣ / ٣٠٦.

: ((الخيَل: جمع لا واحد له من لفظه))^(١). ووافقهم على هذا الرأي كل من الثعالبي والجوهري وابن سيده وابن منظور^(٢).

١- القسم الثاني: يرى أصحابه أنّ لفظه (خيل) لها واحد من تركيبها، ويتمثل هذا بما ذهب إليه أبو الحسن الأخفش في قوله: ((كل ما يفيد معنى الجمع على وزن (فَعَل) وواحد اسم فاعل كصَحَبَ وشَرِبَ في صاحب وشارب فهو جمع تكسير وواحد ذلك الفاعل))^(٣). ولفظة (خَيْل) على وزن (فَعَل) وهي تَدُلُّ على الجمع وعلى هذا فإنّ مفردهما يكون (خائل). بناءً على هذا فـ (خيل) على رأي الأخفش تُعَدُّ جمع تكسير وواحدتها خائل.

وقد ردَّ الرضي على الأخفش بقوله: ((اعلم أنّ فَعَلًا في فاعل ليس بقياس، فلا يقال جَلَسَ وكَثَبَ في جالس وكاتب، ومقتضى مذهب الأخفش وإنّ لم يُصَرِّحْ به أنّ يكون مثل صَحَبَ في صاحب وخَدَمَ في خادم كل ذلك جمع تكسير في مثل سَفَرٍ وركب ونحوهما؛ لأنّ للجمع من تركيبه لفظ يقع على مفرده.... وإنما يعرف هذا النوع بأنه لا يكون من أبنية الجمع المذكورة ولا يفيد إلا معنى الجمع))^(٤).

الذي يتضح من قول الرضي أنّ لفظه (خيل) لا تُعَدُّ جمعًا وإنّ كان لها واحد من تركيبها، وقد صرَّح الرضي بذلك في قوله: ((إنّ خائل في خيل وراكب في ركب لا تُعَدُّ جمعًا وإنّ اتفق اشتراكهما في الحروف الأصلية وإنها لو كانت جموعًا لهذه الأحاد لم تكن جموع قلة.... بل جموع كثرة، وجمع الكثرة لا يُصَغَّرُ على لفظه بل يرد إلى واحد))^(٥). وبما أنّ لفظه (خيل) تنسب إلى لفظها إذ ((إنك إذا نسبت إلى ما يدل على الجمع فإنّ كان ... اسم جمع كنفر ورهط وإبل نَسَبَتْ إلى لفظه نحو: إيلي))^(٦). وعلى هذا فالنسب إلى (خيل): خليي وهي تُصَغَّرُ على لفظها أيضاً ولو كانت جمعًا لوجب أنّ ترد إلى مفردتها كي تصغَّر أو ينسب إليها.

يتضح من هذا أنّ لو أخذنا بقول من يرى أنّ (خيل) لها واحد من تركيبها وهو (خائل) فإنها لا تُعَدُّ جمعًا لعدم جريان أحكام الجمع من تصغير ونسب عليها. أما إذا أخذنا بقول من قال إنّ (خيل) لا مفرد لها من لفظها، فإنها لا تُعَدُّ جمعًا أيضاً وهذا ما أكده الرضي بقوله: ((أما ما لا يجيء من تركيبه لفظ يقع على المفرد كالغنم والإبل والخيل... فلا خلاف في

(١) الجمهرة (خيل): ١/ ٧٣٨، وينظر: الاشتقاق (ابن دريد): ٣١٨.

(٢) ينظر: فقه اللغة وسر العربية: ٢٥٠، و: الصحاح (الخيل): ٤/ ١٦٩٢، و: المخصص (خيل): ٦ / ١٣٥، و: لسان العرب (خيل): ٦ / ٣٠٢.

(٣) شرح شافية ابن الحاجب (الرضي): ٢ / ٢٠٣.

(٤) المصدر نفسه: ٢ / ٢٠٤.

(٥) شرح شافية ابن الحاجب (الرضي): ٢ / ٢٠٣.

(٦) المصدر نفسه: ٢ / ٢٠٣.

أَنَّهَا اسم جمع وليست بجمع^(١)). وعلى هذا فلفظة (خيل) تعد اسم جمع لا جمع تكسير؛ لعدم توفر شروط جمع التكسير فيها.

وقد ذكرت لفظة (خيل) في القرآن الكريم في خمسة موارد وُطِّقَتْ في جميعها للدلالة على الجمع منها قوله تعالى:

﴿زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ﴾ (آل عمران من الآية ١٤).

في هذه الآية قرينتان تثبتان دلالة (خيل) على الجمع، الأولى قرينة السياق إذ إن هذه الآية جاءت في سياق ذكر الشهوات والملذات وهذا السياق يستلزم التكثير في عددها؛ لذا جاءت جميع الألفاظ بصيغة الجمع إذ قال: (نساء)، و(بنين)، و(القناطر المقنطرة)، و(الأنعام).

والقرينة الثانية هي وصف لفظة (خيل) بـ(المسومة) التي قيل فيها إنها بمعنى المدربة أو التي ترعى في المرعى. وهذا يثبت دلالة (خيل) على الجمع. ومثل هذا قوله تعالى:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الأنفال من الآية: ٦).

ولمّا كانت هذه الآية في سياق ذكر الاستعداد للحرب ومواجهة العدو فإن توافر أكثر عدد من الخيل أمرٌ لأبد منه ولاسيما انه تعالى قال: ﴿تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ﴾، وفي كثرة الخيول وفرسانها رهبة لهم. ومن ثمّ فإنّ إضافة (خيل) إلى (رباط) في قوله تعالى (رباط الخيل) تُعدُّ قرينة نسبية بين المضاف والمضاف إليه، وهي تثبت دلالة (خيل) على الجمع إذ إنّ ((الرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله))^(٢). و((الرباط من الخيل الخمس فما فوقها، قال ابن عطية: رباط الخيل جمع ربط ككلب و كلاب ولا يكثر ربطها إلا وهي كثيرة))^(٣). ولمّا كانت (رباط) تدلُّ على خمسة من الخيل فما فوقها فهذا يثبت أنّ (خيل) تشمل أكثر من فرس. ومثل هذا نجده في الآيات التي ذكرت فيها لفظة (خيل)^(٤).

ومن استعمال لفظة (خيل) للدلالة على الجمع في كلام العرب قول الإمام علي(عليه السلام) في وصف الخير والعزّة والوفرة المادية: ((يلبسون السُرَّقَ والديباج ويعتقبون الخيل

(١) المصدر نفسه: ٢ / ٢٠٤.

(٢) الكشف: ٢ / ٣٣٢.

(٣) البحر المحيط: ٤ / ٥١٢.

(٤) ينظر: النحل: ٨، و: الإسراء: ٦٤، و: الحشر: ٦.

العُتَاق))^(١) وقد وَظَّفَ الإمام علي-عليه السلام- لفظة (خيل) في قوله هذا ((للدلالة على كثرة النعمة وامتلاك الخيل الأصيلة وذلك أنّ امتلاك مثل هذا النوع يمثل العزة والنعمة))^(٢). فناسب هذا أنّ تدل لفظة(خيل) على الجمع وليس على المفرد. ومثل هذا قول الأعشى:^(٣)

وخيل بكر فما تنفك تطحنهم حتى تولوا وكاد اليوم ينتصف

فأعاد الضمير على لفظة (خيل) بصيغة الجمع في قوله: (تطحنهم). وهذا يثبت دلالة (خيل) على الجمع .

وفي ضوء ما تقدم يتبين لنا أنّ لفظة (خَيْل) استعملت في القرآن الكريم وفي كلام العرب للدلالة على الجمع ولم تستعمل للدلالة على المفرد، وهذا ما دلّت عليه القرائن التي توافرت في النصوص التي ذُكرت فيها لفظة (خيل).

وقد اختلف الصرفيون في لفظة(خيل) فمنهم من ذهب إلى أنّها اسم جمع ليس لها مفرد من لفظها وهذا ما عليه أكثر النحاة والصرفيين، وهو الرأي الذي يميل إليه الباحث. ومنهم من ذهب إلى أنّها جمع تكسير وواحدة من تركيبها وهو(خائل) وقد بيّنت عدم موافقة الصرفيين لمن قال بهذا الرأي وان (خيل) لا تُعدُّ جمعاً وإن كان لها مفرد من تركيبها لعدم جريان أحكام الجمع عليها.

لفظة سلوى

الدلالة المعجمية:

السلوى: ((طائر يضرب إلى الحمرة دقيق الرجلين يتداخل في الشجر))^(٤)، ((طعمه لذيق))^(٥). وقد ذكر اللغويون أكثر من معنى للفظ (سلوى) منها أنّ (السلوى) ماء من شربه ذهب همه، والسلوان: تراب ينتقع في ماء يشربه العاشق فيتسلى به، والسلوى تأتي بمعنى العسل))^(٦). ومنه قول الشاعر:^(٧)

وقاسمها بالله جهداً لأنتم ألدّ من السلواة إذ ما اشورها

(١) نهج البلاغة: ١٨٦.

(٢) دراسات في اللغة والنحو: ١٥.

(٣) ديوان الأعشى: ١٦٢.

(٤) المخصص: ٨ / ١٦٥.

(٥) الحيوان (الجاحظ): ١ / ٢٢٢.

(٦) العين (سلا): ٧ / ٢٩٧.

(٧) البيت للشاعر : خالد بن يزيد ، وهو من شواهد العين (سلا) : ٧ / ٢٩٧ .

ويرى آخر أنّ (السلوى) في الاستعمال القرآني تدلُّ على الطير، وفي غير القرآن تدلُّ على العسل^(١). ومنهم من يرى أنّ (السلوى) من قولك: سلوت فأنا أسلو سلواً وسليت عنه أسلى عنه أسلى سُلِّيًا بمعنى سلوت إذا نسيت ذكره^(٢). وبهذا يمكن القول إنّ الأصل الواحد الذي تعود إليه معاني هذه اللفظة هو: ((حالة الانصراف عما كان فيه وترك ما كان يحبه مع حدوث السكون في النفس، وبهذا اللحاظ تطلق المادة على نسيان الذكر والذهاب عن الذكر وترك الشيء وبغضه بعد المحبة والصبر والتسلي للخاطر وطيب النفس))^(٣) — والله أعلم — .

البنية الصرفية للفظه سلوى

لفظة (سلوى) على وزن (فَعْلَى)، ويعدُّ هذا الوزن من أوزان جموع التكسير القياسية^(٤). و(فَعْلَى) جمع لما دل على ما فيه الآفات والمكاره والهلاك والتوجع^(٥). من فعيل بمعنى مفعول كجريح وجرحى، وحمل عليه ستة أوزان مما دلَّ على آفة من ذلك: فعيل للفاعل نحو: مريض ومرضى، وفَعَلَ نحو: زمن وزمنى وفاعل كهالك وهلكى وفعيل نحو: ميت وموتى وأفعل نحو: أحمق وحمقى وفعالان نحو: سكران وسكرى^(٦).

وقد ذكر القاسم بن سعيد المؤدب أنّ اللفظة التي تأتي على وزن (فَعْلَى) ولا تَكرَ لها وكانت من ذوات الياء فإنَّ أهل العربية قالوها في الواو، كقصوى من قصيت، وسلوى من سليت، وتقوى من وقيت ويجري الأمر نفسه في لفظة حلوى وفحوى ونجوى إذ إنّ هذه الألفاظ من مصادر ذوات الياء بيد أنّها لفلتها حملت على مصادر ذوات الواو لكثرتها فأجروا الياء مجرى الواو^(٧).

وبهذا تخرج لفظة (سلوى) عن دلالة الآفات والمكاره والهلاك والتوجع التي أطرد ذكرها في وزن (فَعْلَى) وتبقى على دلالتها التي بيّنتها في الدلالة المعجمية.

وقد اختلف اللغويون في مفرد لفظة (سلوى) وانقسموا على قسمين:

(١) ينظر: تهذيب اللغة (سلا) : ١٣ / ٦٨ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه : ١٣ / ٦٨ .

(٣) التحقيق في كلمات القرآن الكريم : ٥ / ٢٤٦ .

(٤) ينظر: شرح المفصل (ابن يعيش) : ٥ / ١٥، و: البهجة المرضية ٢ / ٢٢، و: شذا العرف : ١٣٦ .

(٥) ينظر: شرح المفصل (ابن يعيش) : ٥ / ١٥، و: حاشية الخضري على شرح ابن عقيل : ٢ / ١٥٧، و: معاني

الأبنية في العربية (د. فاضل السامرائي) : ١٦٠ .

(٦) ينظر: شذا العرف : ١٣٦، و: معاني الأبنية في العربية : ١٦٠ .

(٧) ينظر: دقائق التصريف : ٣٠٠ — ٣٠١ .

١- القسم الأول: يتمثل بما ذهب إليه الخليل بأنَّ واحد (سلوى): سلواة، واستشهد بقول الشاعر: (١)

واني لتعروني لذكراك هزة
كما انتقض السلواة بلله القطر (٢)

إلا انه لم يذكر أحدًا من الصرفيين أن (فعلاة) تجمع على (فعلى) حتى يكون (سلواة) مفرد (سلوى).

٢- القسم الثاني: يرى أصحابه أنَّ (سلوى) ليس لها مفرد من لفظها، ويتمثل هذا بما قاله الأخفش: ((أمَّا (السلوى) فهو طائر لم يسمع له واحد)) (٣). وقد ذهب إلى هذا الرأي النحاس وابن عطية الأندلسي (٤). وهو الرأي الذي يميل إليه الباحث.

وقد ذكرت (سلوى) في القرآن الكريم في ثلاث موارد، وقد دلت في جميعها على الجمع منها قوله تعالى:

﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوىَ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (البقرة: ٥٧).

في هذه الآية أكثر من قرينة تثبت دلالة (سلوى) على الجمع، الأولى: قرينة السياق إذ إنَّ هذه الآية جاءت في سياق ذكر نعم الله تعالى على بني إسرائيل وهذا ما بيَّنته الآيات التي سبقت هذه الآية (٥)، فناسب هذا أن تدل (سلوى) على الجمع ولاسيما انه تعالى استعمل صيغة الجمع في قوله: (طيِّبات)، و (رزقناكم) .

أمَّا القرينة الثانية فهي أنه تعالى أخبر أنَّ المنزل عليهم (المن والسلوى) مجموعة وليس واحدًا.

ولمَّا كان المنزل عليهم جمعًا فلا بدَّ أن تكون (سلوى) مجموعة من الطيور كي تكفي لإشباعهم. والقرينة الثانية أنَّ (سلوى) جاءت على وزن (فعلى) وقد ذكرت آنفًا أنَّ هذا الوزن يُعدُّ من أوزان جموع التكسير القياسية. وكل هذا يثبت أنَّ لفظة (سلوى) استعملت في هذه الآية للدلالة على الجمع، ومثل هذا قوله تعالى:

﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوىَ﴾ (الأعراف من الآية ١٦٠).

(١) الشاعر أبو صخر الهذلي، ينظر: العين (سلا): ٢٩٧/٧، و: تهذيب اللغة: ٦٨/١٣.
(٢) الرواية المشهورة في هذا البيت: (كما انتقض العصفور بلله القطر) وهذا ما ذكره القالي في الامالي : ١ / ١٤٩، وفي اغلب كتب النحو.
(٣) معاني القرآن (الأخفش): ١٠١/١، وينظر: معاني القرآن (الكسائي): ٧١، معاني القرآن (الفراء): ١ / ٣٨.
(٤) ينظر: إعراب القرآن (النحاس): ٢٣٠/١، و: المحرر الوجيز: ٢٢٩/١.
(٥) ينظر: الآيات: ٤٠- ٥٧.

وقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى﴾ (طه: ٨٠).

ومن استعمال (سلوى) للدلالة على الجمع في كلام العرب قول الاعشى: (١)

لو أطمعوا المن والسلوى مكانهم ما أبصر الناس طعمًا فيهم نجعا

فدلَّ السياق على أن المخاطبين مجموعة وليس واحدًا، بدليل قول الشاعر: (لو اطمعوا)، و(مكانهم). ولمَّا كانوا مجموعة فالْبُدُّ أن يطعموا مجموعة من الطيور وليس طيرًا واحدًا؛ لذا أعاد الضمير على (المن والسلوى) بصيغة الجمع في قوله: (فيهم)، ولو كان الضمير عائداً على مثني لقال: (فيهما) فدلَّ هذا على أن (سلوى) وظفت في هذا الشاهد للدلالة على الجمع. مما ذكر يتبين أن (السلوى) استعملت في القرآن الكريم، وفي كلام العرب للدلالة على الجمع، ولم تستعمل للدلالة على المفرد وهذا ما دلت عليه القرائن التي توافرت في النصوص التي ذكرت فيها لفظة (سلوى).

ولفظة (سلوى) ليس لها مفرد من لفظها، وأما ما ذكره الخليل من أن واحد (السلوى) :

(سلواة) فلم يؤخذ به لسببين :

الأول: إنه لم يطرَّد جمع (فعلاة) على (فعلى) حتى تكون (سلواة) مفرد وقد جمعت على (سلوى).

الثاني: إنَّ الخليل استشهد لإثبات ذلك بقول الشاعر: كما انتقض السلواة بلله القطر.

في حين أن الرواية المشهورة في هذا الشاهد هي:

كما انتقض العصفور بلله القطر

وهذا ما انشده ابن هشام، وابن عقيل (٢) وغيرهما من النحاة .

وبما أنَّ لفظة (سلوى) تدلُّ على الجمع، وقد جاءت على وزن من أوزان جموع التكسير

القياسية وهو وزن (فعلى) إذن لفظة (سلوى) تعدُّ جمعًا وإن لم يكن لها مفردٌ من لفظها.

لفظة ضأن

الدلالة المعجمية :

(١) ديوان الأعشى: ١٠٩.

(٢) ينظر: شرح قطر الندى وبل الصدى (ابن هشام): ٢٥٤، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : ٢ / ٢٠ .

الضأن في اللغة أطلق على الغنم في مقابل المعز، فهو يشمل الغنم ذات الصوف فقط^(١). وفي معنى (الضأن) وما يشتق منها قال الخليل: ((رجل ضائن أي لين كأنه نعجة، ويقال: رملة ضائنة هي البيضاء العريضة، ورجل ضائن إذا كان ضعيفا))^(٢). وقال ابن فارس: ((الضاد والهمزة والنون أصل صحيح وهو بعض الأنعام. ومن ذلك الضأن يقال: أضأن الرجل إذا كثر ضأنه))^(٣).

وقد أرجع مصطفى هذه المعاني إلى أصل واحد في قوله: ((الأصل الواحد في المادة هو الغنم في مقابل المعز.... وأما مفاهيم اللين والاسترخاء والضعف فكأنها مأخوذة من خصائص يمتاز بها الضأن عن سائر الأنعام))^(٤).

البنية الصرفية للفظه ضأن :

(ضأن) اسم ثلاثي مهموز العين. وهو ساكن الوسط وهذا ما أثبتته الأخفش^(٥)، وأكدّه النحاس بقوله: ((اختار أبو عبيد من الضأن بإسكان العين قال: لا جماعهم على الضأن))^(٦). وقال أيضاً: ((الأكثر في كلام العرب الضأن بالإسكان ويدل على هذا قولهم في الجمع ضئين))^(٧). وقد ذهب ابن جني إلى أن من فتح همزة (ضأن) إنما هو لأجل حرف الحلق إذ قال: ((أما الضأن بفتح الهمزة في هذه القراءة فمذهب أصحابنا فيه وفي مثله مما جاء على (فعل) و(فعل) وثانيه حرف حلق كالنَّهْر والنَّهْر، والصَّخْر والصَّخْر، والتَّعَل والتَّعَل.... أنها لغات كغيرها مما ليس الثاني فيه حرفاً حلقياً كالنَّشْر والنَّشْر... ومذهب البغداديين فيه أن التحريك في الثاني من هذا النحو إنما هو لأجل حرف الحلق))^(٨).

وقد اختلف اللغويون في مفرد لفظه (ضأن)، فذهب الخليل إلى أن ((ضأن: الواحد ضائنة))^(٩). في حين ذهب أبو علي الفارسي إلى أن (ضأن) ((جمع على غير واحد))^(١٠). وأكد القرطبي هذا في قوله: ((ضأن جمع لا واحد له من لفظه))^(١١). إلا إن الأخفش يرى أن (ضأن) ليس لها واحد من لفظها بل واحدها من تركيبها إذ قال: ((وأما (ضأن) فمهموز

(١) ينظر: الجمهرة (ضأن) : ٤٩٨/٢ ، و: الصحاح (ضأن) : ٢١٥٣ / ٦ ، و: أساس البلاغة : ٥٧١ / ٢ .

(٢) العين (ضأن) : ٦١ / ٧ ، و: تهذيب اللغة (ضأن) : ٤٩ / ١٢ .

(٣) معجم مقاييس اللغة (ضأن) : ٣٨٤ / ٣ .

(٤) التحقيق في كلمات القرآن الكريم : ٨ / ٧ .

(٥) ينظر: معاني القرآن (الأخفش) : ٣١٥ / ١ .

(٦) إعراب القرآن (النحاس) : ١٠٢ / ٢ .

(٧) المصدر نفسه : ١٠٢ / ٢ .

(٨) المحتسب : ٣٤٤ / ١ .

(٩) العين (ضأن) : ٦١ / ٧ .

(١٠) الحجة للقراء السبعة (أبو علي الفارسي) : ٢٢ / ٢ ، و: ينظر: المصباح المنير : ٣٦٦ / ١ .

(١١) تفسير الجامع لأحكام القرآن : ٧٤ / ٧ .

وهو جماع على غير واحد^(١)، وقال بعد هذا: ((والذكر الواحد (ضائن)، فيكون (الضأن) جماعة (الضائن) مثل: صاحب وصحب، وتاجر وتجر، وخادم وخدم^(٢))).

وذكرت سالفاً أنّ اللفظ الذي يأتي على وزن (فعل) وليس له مفرد من لفظه ومفرده من تركيبه على وزن (فاعل) كصحب وصاحب، وركب وراكب فإنه لا يعدّ جمعاً لعدم جريان أحكام الجمع من تصغير ونسب عليه وإنما يعدّ اسم جمع^(٣) من وجهة النظر الصرفي وجمعاً من حيث الاستعمال اللغوي.

و(ضأن) تصغر على لفظها إذ ((يقال في تصغير الضأن: ضؤين))^(٤). وتتسبب إلى لفظها أيضاً إذ يقال في النسب إلى (ضأن): ضأني. وهي مؤنثة^(٥)؛ ((لأن أسماء الجموع إذا لم يكن لها مفرد من لفظها وكانت لغير الأدميين فالتأنيث لها لازم))^(٦).

وقد ذُكرت لفظة (ضأن) في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى :

﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْرِ اثْنَيْنِ﴾ (الأنعام من الآية ١٤٣).

فالسباق الذي وردت فيه لفظة (ضأن) في هذه الآية والآية التي بعدها يثبت أنّ (ضأن) تدل على الجمع، فهذه تمثل القرينة الأولى التي تثبت دلالة (ضأن) على الجمع. والقرينة الثانية هي قوله تعالى: ﴿مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ﴾ إذ إنّ (من) هنا تبعيضية وفيها إشارة إلى كثرة (الضأن)، وقد استدل أبو علي الفارسي بهذه الآية على دلالة (الضأن) على الجمع إذ قال: ((الضأن جمع يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ﴾ ولو كان واحداً لم يسغ فيه هذا))^(٧).

وأما سبب تقديم (الضأن) على (المعر) في هذه الآية ودلالة ذلك التقديم فقد فصل الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) فيها القول في كتابه (الحيوان)^(٨).

ومن استعمال لفظة (ضأن) للدلالة على الجمع في كلام العرب قول ابن احرمر: ^(٩)

فِدَاكَ كُلِّ ضَيْئِلِ الْجِسْمِ مَخْتَشَعٌ
وسط المقامة يرعى الضأن أحيانا

مما ذكر ينكشف لنا أن لفظة (ضأن) استعملت في القرآن الكريم وفي كلام العرب للدلالة على الجمع. وأنّ هناك فرقا بينها وبين لفظة (معر)؛ إذ إنّ (الضأن) اختص بالدلالة

(١) معاني القرآن (الاحفش): ٣١٥/١.

(٢) المصدر نفسه: ٣١٦/١.

(٣) ينظر لفظة (خيل) في هذا الحقل.

(٤) المذكر والمؤنث (الانباري): ٥٥٧.

(٥) المذكر والمؤنث (ابن التستري): ٥٤.

(٦) الصحاح (إيل): ٤/١٦١٨.

(٧) الحجة للقراء السبعة: ٢/٢٢.

(٨) ينظر: كتاب الحيوان: ٤٥٧/٥ - ٤٥٨.

(٩) شعر ابن احرمر: ١٥٥.

على ذوات الصوف فقط . ولفظة (ضأن) ليس لها مفرد من لفظها، وأما (ضائن) فإنه ليس مفرد (ضأن) من لفظها وإنما من تركيبها. وبما أنّ (ضأن) ليس لها مفرد من لفظها، ولم تأت على وزن من أوزان جموع التكسير القياسية إذن هي تعدُّ اسم جمع من حيث وجهة النظر الصرفي وجمعاً من حيث الاستعمال العملي.

لفظة طير

الدلالة المعجمية :

الطائر: كلُّ ذي جناح يسبح في الهواء، يقال: طار يطير طيراناً^(١). والتطاير: التفرق والذهاب وقيل للشوْم طائر وطيرة؛ لأنَّ العرب كان من شأنها عيافة الطير وزجرها والتطير ببارحها ونعيق غربانها، وأخذها ذات اليسار^(٢). وذكر الراغب أنّ ((التَّطِيرُ أصله التَّفَاوُلُ بالطير ثم يستعمل في كل ما يتفاعل به ويتشاعم))^(٣). وقد أرجع ابن فارس هذه المعاني الثانوية إلى أصل واحد يمثل الدلالة الأولية للفظ (طير) إذ قال: ((الطاء والياء والراء أصل واحد يدل على خفة الشيء في الهواء ثم يستعار ذلك في غيره و في كل سرعة، من ذلك الطير))^(٤).

البنية الصرفية للفظ طير :

يمكن القول إنّ لفظة (طَيْر) لا تختلف عن لفظة (خَيْل) و(ضَأْن) من حيث البنية الصرفية في شيء، فهي على وزن (فَعَل)، وتدل على الجمع. وقد اختلف اللغويون في مفرداتها كاختلافهم في مفرد (خَيْل)، و(ضَأْن)، فقالوا: إنّ (طير) ليس لها مفرد من لفظها وإن مفردتها من تركيبها وهو طائر^(٥).

وعلى هذا فإنّ ما ذكرته في لفظتي (خَيْل) و(ضَأْن) ينطبق على لفظة (طير) فهي لا تعدّ جمعاً؛ لأنها لم تأت على وزن من أوزان جموع التكسير القياسية، وليس لها مفرد من لفظها، ولأن أحكام الجمع من تصغير ونسب لا تجري عليها؛ لذا فهي تعد اسم جمع. وقد دُكرت لفظة (طَيْر) في القرآن الكريم إحدى وعشرين مرة وقد وظفت في جميعها

للدلالة

على الجمع منها قوله تعالى:

(١) ينظر: العين (طير): ٢٤٧/ ٧، و: المحكم والمحيط الأعظم: (طير) : ٩ / ١٧٣ ، و: المفردات : ٣٢٢ .
(٢) ينظر: تهذيب اللغة (طير): ١٤ / ١١ ، و: المحكم والمحيط الأعظم (طير) : ٩ / ١٧٣ .
(٣) المفردات : ٣٢٢ .
(٤) معجم مقاييس اللغة (طير) : ٣ / ٤٣٦ .
(٥) ينظر: العين (طير) : ٧ / ٢٤٧ .

﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾ (النحل من الآية ٧٩).
 فوصف لفظه (طَيْر) بـ (مسخرات) التي جاءت بصيغة الجمع، وهذا يثبت أن لفظه (طَيْر) تدل
 على الجمع ولاسيما انه تعالى أعاد الضمير عليها بصيغة الجمع في قوله (ما يمسكهن) ولو
 كانت (طَيْر) تدل على المفرد لم يسغ فيها هذا. ومثل هذا نجده في قوله تعالى:
 ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾ (الملك من الآية
 ١٩). فوصف لفظه (طير) بـ (صافات) التي جاءت بصيغة الجمع، وأعاد الضمير عليها
 بصيغة الجمع أيضاً في قوله تعالى: (يقبضن)، و(يمسكهن) فدللت لفظه (طير) على الجمع في
 هذه الآية أيضاً. ويمكن القول أن الأمر نفسه يجري في جميع الآيات التي ذكرت لفظه
 (طير)^(١).

ومن استعمال لفظه (طَيْر) للدلالة على الجمع في كلام العرب قول الاعشى:^(٢)

طريقٌ وجبارٌ رواء أصوله عليه أبابيلٌ من الطير تتعبُ

ودلالة (طير) على الجمع في هذا الشاهد واضحة بقريئة قوله: (أبابيل من الطير) إذ إن
 (أبابيل) كما ذكرت في أول هذا الحقل تدل على جماعات متعددة وبهذا تثبت دلالة (طير)
 على الجمع.

نخلص من هذا أن لفظه (طير) استعملت في القرآن الكريم وفي كلام العرب للدلالة على
 الجمع وهذا ما دلت عليه القرائن التي توافرت في النصوص التي ذكرت فيها لفظه (طير).
 ولفظة (طير) ليس لها مفرد من لفظها، وأما (طائر) فإنه لا يُعدُّ مفرداً للفظه (طير) من
 لفظها بل من تركيبها والدليل على ذلك أنك إذا نسبت إلى (طير) تقول: طَيْرِي. ولو كان طائر
 مفرد (طير) لوجب أن تقول في النسب إليه: طائري لا طيري؛ لأن عملية النسب توجب
 ارجاع الجمع إلى مفرده، ويجري الأمر نفسه في تصغير (طير) إذ يصغر على طوير ولو
 كان طائر مفرد لوجب أن تصغّر طير على طويئر؛ لأن التصغير يوجب أن يرجع الجمع
 إلى مفرده كما تقول في تصغير طلاب: طويلبون إذ ترجع طلاب إلى مفردها وهو طالب
 وتصغره وتجمعه جمع مذكر سالماً.

ولمّا كانت أحكام الجمع من تصغير ونسب لا تنطبق على لفظه (طير)، و(طير) لم
 تأت على وزن من أوزان الجموع القياسية ولم يكن لها مفرد من لفظها لذا فهي تُعدُّ جمعاً من
 حيث الاستعمال والتداول والدلالة و اسم جمع من حيث القواعد الصرفية.

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن : ٥٨٦ .

(٢) ديوان الاعشى : ١١ .

لفظة غنم

الدلالة المعجمية :

قال الخليل : ((هذه غنم لفظ للجماعة، فإذا أفردت قلت شاة))^(١).

هذا القول يبين لنا أمرين :

الأول: إنّ لفظة (غنم) موضوعة للجماعة لا للمفرد.

الثاني: إنّ لفظة (غنم) ليس لها واحد من لفظها وإنّ واحدها من معناها وهو (شاة). وهذا ما أكدّه

ابن دريد في قوله: ((الغنم: اسم يجمع الضأن والمعز ولا واحد له من لفظه))^(٢). وعلى هذا فقولك: تروح لفلان غنمان أي: قطيعان لكل قطيع راع على حده^(٣). وان لفظة (غنم) هي اسم موضوع للجنس يقع على الذكور والإناث^(٤). وهي ((تشمل الضأن والمعز لا الضأن وحدها كما هو متعارف عليه في العرف اللغوي))^(٥).

البنية الصرفية للفظ غنم:

لفظة (غنم) على وزن (فعل). ووزن (فعل) يطرّد في الاسم نحو: جمّل، وفي الصفة نحو: حدّث^(٦). وقد جاءت لفظة (غنم) هنا اسماً.

ولفظ غنم كما ذكرت في الدلالة المعجمية ليس لها مفرد من لفظها، وهذا ما أكدّه القاسم بن سعيد المؤدّب في قوله: ((ولا يجوز تثنية الجمع... فلا يقال في أقوال: أقوالان. وإنما قالوا: إبلان، وغنمان؛ لأنه لا واحد لها من لفظها))^(٧). وقوله هذا يثبت أنّ (إبل) و(غنم) كل منهما يدل على الجمع وليس له مفرد من لفظه.

ولفظ غنم تصغر على لفظها إذ تقول في ((تصغير غنم: غنيمة))^(٨). ولو كان لها مفرد من لفظها لوجب أن ترد إليه عند تصغيرها. وهي تنسب إلى لفظها أيضاً. ولفظة (غنم)

(١) العين (غنم): ٤٢٦/٤، وينظر: المخصص (غنم): ١٧٦/٦.

(٢) الجمهرة (غنم) : ٢ / ٢٤٣، وينظر: الاشتقاق (ابن دريد) : ١٤٠.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (غنم): ١٤١/٨، و: أساس البلاغة: ٧١٤/١.

(٤) ينظر: الصحاح (غنم): ١٩٩٩/٥.

(٥) تنقيف اللسان وتلقيح الجنان (حلف بن مكي): ١٧١.

(٦) ينظر: الممتع في التصريف: ١ / ٦٢، و: شذا العرف: ٧٩.

(٧) دقائق التصريف: ٤٠٤، وينظر: الفيصل في ألوان الجموع: ٢٦٠.

(٨) المذكر والمؤنث (السجستاني): ١٥٣.

مؤنثة^(١). ومن ثمَّ فإنَّ عدم انطباق أحكام الجمع من تصغير ونسب على لفظة (غنم) وكونها لم تأتِ على وزن خاص بأوزان الجموع وليس لها مفرد من لفظها كل هذا دفع الصرفيون إلى أن لا يعدُّوا لفظة (غنم) جمعاً وإنما اسم جمع، قال ابن الحاجب: ((وأما ما لا يجيء من تركيبه لفظاً يقع على مفردة كالغنم ... فلا خلاف في أنَّها اسم جمع لا جمعاً))^(٢). وقد وافقه على هذا الرأي الرضي في قوله: ((خَرَجَ بقوله - يقصد قول ابن الحاجب في تعريف الجمع - (مقصوده بحروف مفردة بتغيير ما)) اسم الجمع نحو: إبل وغنم؛ لأنها وإن دلت على آحاد لكن لم يقصد إلى تلك الآحاد بأن أخذت حروف مفردها وغيرت بتغيير ما، بل آحادها ألفاظ من غير لفظها))^(٣). فابن الحاجب والرضي يريان أن لفظة (غنم) لا تعدُّ جمعاً؛ لأنها ليس لها مفرد من لفظها. وقال الدكتور عباس أبو السعود: ((فتصغير الغنم على غَنِمَةٍ، والنسب إليه غَنَمِيٌّ وكونها لم تأتِ على وزن خاص بالجموع لذلك فهي ليست جمعاً بل اسم جمع))^(٤).

يستفاد من هذا أن عدم انطباق أحكام الجمع على لفظة (غنم) كان سبباً في عدها اسم جمع . وقد ذكرت (غنم) في القرآن الكريم ثلاث مرات وقد دلت فيها على الجمع منها قوله تعالى:

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ (الأنعام من الآية ١٤٦).

ودلالة (غنم) على الجمع في هذه الآية واضحة إذ أعاد الضمير عليها بصيغة الجمع في قوله بعد ذكر البقر والغنم (شحومهما)، و(ظهورهما) إذ إنَّ (شحوم) جمع شحم، و(ظهور) جمع (ظهر)، فلو كانت لفظة بقر وغنم تدل على المفرد لقال: (شحمهما) و(ظهرهما). فالتعبير عنهما بقوله: (شحومهما)؛ و(ظهورهما) يثبت أن (غنم) في هذه الآية تدل على الجمع. أما الآية الثانية فهي قوله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفِثَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ (الانبيا: ٧٨). والآية الثالثة هي قوله تعالى:

﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ (طه: ١٨).

(١) ينظر: المذكر والمؤنث (الانباري): ٥٥٦، و: المذكر والمؤنث (ابن التستري): ٥٤.

(٢) شرح شافية ابن الحاجب (الرضي): ٢٠٤/٢.

(٣) شرح الرضي على الكافية: ٣٦٩/٣.

(٤) الفيصل في ألوان الجموع: ٢٦٠.

ومن استعمال لفظة (غنم) للدلالة على الجمع في كلام العرب قول الإمام علي (عليه السلام) في وصف أصحابه: ((مجتمعين حولي كربيضة الغنم))^(١). فـ (ربيضة الغنم) فيها دلالة على كثرة الأغنام واجتماعها في مكان واحد، وما يؤيد هذا قول الدكتور عبد الكاظم الياسري إنَّ هذا النص ((فيه دلالة على الاجتماع والجلوس في مكان حول

الإمام – عليه السلام –))^(٢). وكذلك قول ابن احمر: ^(٣)

وجيد أدماء وعيني جؤذر لُبَّ بأرض لم توطأها الغنم

فشبَّه الشاعر عنق محبوبته بعنق الطيبة وعينيها بعيني ولد البقرة الوحشية المقيم بأرض بعيدة معبرا عنها بأنها لم توطأها الغنم . فقصد بالغنم مجموعة الضأن والماعز .

مما تقدم يتبين لنا ان لفظة(غنم) استعملت في القرآن الكريم وفي كلام العرب للدلالة على الجمع ولم تستعمل للدلالة على المفرد. وإنَّ هناك فرقا بينها وبين (الضأن) و(المعز) إذ إنَّ الضأن خاص بذات الصوف و(المعز) خاص بذات الشعر في حين ان (الغنم) عام يشمل الضأن والماعز وهذا ما دل عليه السياق الذي وردت فيه (غنم) في القرآن الكريم وفي الكلام العرب.

ولفظة (غنم) ليس لها مفرد من لفظها هذا من جهة ومن جهةٍ أخرى فإنَّ أحكام الجمع من تصغير ونسب لا تنطبق عليها فضلا عن هذا إنها لم تأتِ على وزن خاص بأوزان الجموع ولا مشهور فيها فهي اسم جمع من حيث وجهة نظر الصرفي وجمع من حيث الدلالة والاستعمال.

لفظة (النَّعَم)

الدلالة المعجمية :

يمكن القول إنَّ لفظة (النَّعَم) تختلف عن لفظة (الأنعام) التي طرحت على بساط أول هذا الحقل^(٤) من حيث الدلالة المعجمية؛ إذ إنَّ (الأنعام) تشمل (الإبل والبقر والغنم) في حين أنَّ

(النَّعَم) لفظ يدلُّ على الإبل من دون غيرها وهذا ما أكده الأزهري في قوله: ((العرب إذا أفردت النَّعَم لم يريدوا بها إلا الإبل، فإذا قالوا: الأنعام أرادوا بها الإبل والبقر والغنم))^(١). فـ

(١) نهج البلاغة: ٤٩ .

(٢) دراسات في اللغة والنحو : ١٦ .

(٣) شعر ابن احمر: ١٤١ .

(٤) ينظر: لفظة (أنعام) في أول الحقل .

(النَّعَم) على هذا لفظ يدلُّ على الجمع وليس له مفرد من لفظه، وهذا ما أكدَّه الفيومي (ت ٧٧٠هـ) في قوله: ((النَّعَم ليس لها واحد من لفظها))^(١). وقد ذكَّرتُ في الدلالة المعجمية للفظ (أنعام) أنَّ الدكتور عبدالله أمين أرجع جميع معاني لفظة (نعم) إلى أصلٍ واحدٍ وهو (النَّعَم) التي تعني الإبل إذ قال: ((إنَّ النعمة والنعيم، وكل مشتقات هذه المادة مشتقة من النَّعَم، وهي الإبل؛ لأنها مصدر نعمتهم ونعيمهم))^(٢).

البنية الصرفية للفظ (النَّعَم) :

لفظة (النَّعَم) على وزن (فعل) وقد ذكَّرتُ آراء الصرفيين في هذا الوزن في لفظتي (ناس) و(غنم) وخلصتُ بنتيجة أنَّ اللفظ الذي يأتي على وزن (فعل) وفيه دلالة على الجمع، ولا تنطبق عليه أحكام الجمع من تصغير ونسب فإنه يُعدُّ جمعاً من حيث الدلالة والاستعمال واسم الجمع من حيث وجهة نظر الصرفي. ويجري الأمر نفسه على لفظة (النَّعَم) إذ إنها من حيث الدلالة تدل على الجمع وما يؤكد هذا قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ (المائدة من الآية ٩٥).

فقد جاءت هذه الآية في سياق تحريم قتل الصيد في حالة الإحرام وجزاء من يقتل صيدا متعمدا. قال الأخفش في تفسير قوله تعالى: ﴿فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾: ((أي: فعليه جزاءٌ مِثْلُ ما قتل من النَّعَم))^(٤). وفي هذا إشارة إلى الفدية و(من) في قوله تعالى (من النَّعَم) جاءت لبيان الجنس، وهذا يثبت دلالة (النَّعَم) على الجمع، ويؤكد هذا قول الفراء: ((النَّعَم الإبل فقط وهو مذكر ولا يؤنث، تقول: هذا نَعَم واردة، وهو جمع لا واحد له من لفظه))^(٥). ويرى ابن قتيبة أنَّ الغالب في لفظة (النَّعَم) أنَّ تدل على الإبل وقد تدل على البقر إذ قال: ((النَّعَم: الإبل وقد تكون للبقر والغنم والأغلب عليها الإبل))^(٦). وقريب من هذا ما ذكره ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) عن الزجاج في قوله: ((النَّعَم في اللغة: الإبل والبقر والغنم، فإنَّ انفردت الإبل قيل لها نَعَم، وإنَّ انفردت البقر والغنم لم تسم نَعَمًا))^(٧).

(١) تهذيب اللغة (نعم) : ٣ / ١١، و: ينظر: الجمهرة (نعم): ٢ / ٣٣١، و: الاشتقاق (ابن دريد): ١٣٧.

(٢) المصباح المنير: ٦١٤ / ٢.

(٣) الاشتقاق (د. عبد الله أمين) : ١٤٣.

(٤) معاني القرآن (الأخفش) : ١ / ٢٨٨، وينظر : مجمع البيان : ٣ / ٤١٧، و: زاد المسير: ١ / ٢٥٦.

(٥) معاني القرآن (الفراء): ١ / ١٥٤.

(٦) تفسير غريب القرآن (ابن قتيبة): ١٤٦.

(٧) زاد المسير: ٢٥٦.

ومن استعمال لفظة (النَّعْم) للدلالة على جماعة الإبل قول الاعشى: ^(١)
من النَّعْم التي كحراج إيل تحشُّ الأرض شيمًا أو هجانا
ودلالة (النَّعْم) على الإبل واضحة بقرينة قوله (تحشُّ الأرض)، وقوله (هجانا) يثبت دلالة
(النَّعْم) على الجمع إذ إنَّ (هجانا) جمع هجين.
تأسيسًا على هذا نقول إنَّ لفظة (النَّعْم) استعملت في القرآن الكريم وفي كلام العرب
للدلالة على الجمع ولم تستعمل للدلالة على المفرد وهذا ما ذكره اللغويون فضلًا عن ما توافر
من القرائن في النصوص التي ذكرت فيها لفظة (النَّعْم).
وان هناك فرقًا بين لفظة (أنعام) ولفظة (النَّعْم) إذ إنَّ (الأنعام) تشمل الإبل والبقر والغنم
في حين أنَّ (النَّعْم) خاصة بالإبل فقط.
ولفظة (النَّعْم) ليس لها مفرد من لفظها ولم تنطبق عليها أحكام الجمع؛ فهي تعدُّ اسم
جمع من حيث الاستعمال النظري وجمعًا من حيث الاستعمال التطبيقي.

^(١) ديوان الاعشى: ٢١٢.

فيما يأتي جدول بالألفاظ الشائعة في هذا الفصل وزنها وحكمها الصرفي وعدد مرات ورودها في القرآن الكريم :

اللفظ	وزنه	حكمه	وروده في القرآن الكريم
أبَابِيل	فَعَالِيل	جمع	١
إِبِل	فِعْل	اسم جمع	٢
أَنْعَام	أَفْعَال	جمع	٣٢
خَيْل	فَعْل	اسم جمع	٥
سَلَوَى	فَعْلَى	جمع	٣
ضَأْن	فَعْل	اسم جمع	١
طَيْر	فَعْل	اسم جمع	٢١
عَمَّ	فَعْل	اسم جمع	٣
نَعَم	فَعْل	اسم جمع	١

يتضح لنا من هذا أنّ أكثر الأوزان وروداً في هذا الحقل هو وزن (فَعْل) وقد ذكرت في ثلاثة ألفاظ في نسب متباينة. ويليه وزن (أفعال) التي تكرر أكثر من ثلاثين مرة، ووزن (فَعْل) وقد ورد في لفظتين في نسب متقاربة.

الفصل الثالث

ألفاظ الجموع التي تمثل غير العاقل من الجماد

- أثاث.
-
- أساطير.
-
- متاع.
-
- مقاليد.

توطئة :

ذكر علماء الطبيعة أنّ كل شيء في الوجود يتكوّن من دقائق صغيرة كالجزئيات والذرات بالنسبة للجمادات، وكالخلايا بالنسبة للأحياء وما شاكل ذلك. وإنّ دقائق الشيء الواحد تكون متشابهة لحدّ قريب مما تضيفي على الشيء انفراده واستقلاليته؛ لذا يكون مفردًا.

أمّا إذا كانت أجزاء الشيء واضحة عند اجتماعها، مختلفة عند انفرادها، لا تجمعها جهة موضعية واحدة، إذ تغلب عليها صفة الجمع. فلا بُدَّ أن يكون لمثل هذه الأشياء ألفاظ تعبّر عنها؛ وتعبّر عنها كمجموعة أجزاء غير متماثلة، فنلتبس فيها الدلالة على الجمع مثل لفظة (أثاث) التي تدلُّ على كل ما يحتاجه البيت من أدوات. وهي بطبيعة الحال مختلفة الشكل والوظيفة إلا إنها تشترك بمفهوم أنها أدوات منزلية، فهي تحتاج إلى لفظٍ يعبّر عنها لتسهيل التعامل، وتقليل الجهد المبذول، وتحقيق الاقتصاد اللغوي، فبدلًا من قولك: فرش، وسُرر، و أكواب، وأباريق، وجهاز للطبخ، وآخر للتبريد، وآخر للغسل، وما إلى ذلك يمكن أن نعبر عنها بلفظ: (أثاث).

وفي مثل هذه الحالة تبرز الحاجة إلى لفظ يعبّر عن تلك الأغراض بكلمة واحدة، وليس هناك حاجة إلى أفراد تلك المجموعة؛ لأنّ المفرد جزء من مجموعة متشابهة. وأجزاء مجموعة (أثاث) غير متشابهة؛ لذلك لا نجد لها مفرداً من لفظها. ويجري الأمر نفسه على لفظة (متاع)، و(مقاليد)، و(أساطير) التي سنبين أحكامها في هذا الفصل.

لفظة أثاث

الدلالة المعجمية:

يمكن القول إنَّ لفظة (أثاث) كانت ذات دلالةٍ عامةٍ تشتمل على مدخلات متنوعة، فهي تطلق على النبات إذا كثر والتفَّ، وكذلك على الشعر إذا كان كثيرًا، يقال: شعرٌ أثيثٌ ونباتٌ أثيثٌ وهو الطويل الكثير^(١) ومنه قول امرئ القيس:^(٢)

وفرع يغشي المتن اسود فاحم
أثيث كقنو النخلة المتعتكل

و(الأثاث) عند الخليل تعني: ((أنواع المتاع؛ من متاع البيت ونحوه))^(٣). وهي عند ابن قتيبة تشمل المال أجمع من الإبل والبقر والغنم والعبيد والمتاع^(٤)، وعند الراغب تعني متاع البيت الكثير^(٥).

((يظهر من هذا العرض الدائر في فلك دلالة الأثاث أنها كانت ذات دلالة رحبة.... ولكن هذه الدائرة الدلالية الرحبة اختزلت فأطرح كثير من المدخلات التي تستوعبها هذه الدلالة فاقصرت في رحلة العربية على واحدة وهي متاع البيت، وهذا المعنى هو المعنى الذي لنا به عهد وتواضع هذه الأيام))^(٦).

وهذا يعني أنَّ لفظة (أثاث) قد حصلَ فيها تطور دلالي ضيق من مدلولها فبعد أن كانت تدلُّ على المال والإبل والغنم والبقر والعبيد فضلاً عن دلالتها على متاع البيت أصبحت تدلُّ على متاع البيت فقط. وهذا النوع من التطور الدلالي هو ما يسمى بتخصيص العام^(٧). وقد ذكر اللغويون أنَّ (أثاثاً) ليس لها مفرد من لفظها^(٨)، باستثناء ما نقله الجوهري عن ابي زيد أنَّه قال: ((واحد الأثاث: أثاثة))^(٩).

(١) ينظر العين (أثث): ٨ / ٢٥٣، و: الاشتقاق (الأصمعي): ٨٠.

(٢) ديوان امرئ القيس: ١٦.

(٣) العين (أثث): ٨ / ٢٥٣.

(٤) أدب الكاتب: ٥٣، وينظر: الصحاح (أثث): ١ / ٥٧٢، و: تاج العروس (أثث): ٣ / ١٦٣.

(٥) المفردات: ١٣، وينظر: لسان العرب (أثث): ١ / ٨٣٤، و: المعجم الوسيط: ١ / ٥، و: المنجد: ٣.

(٦) التطور الدلالي الأشكال والإشكال والأمثال (د. مهدي عرار): ٨٢.

(٧) ينظر: التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه (د. رمضان عبد التواب): ١٨٩ - ٢٠٠، و: التطور

اللغوي التاريخي (د. إبراهيم السامرائي): ٤٣.

(٨) ينظر: مقاييس اللغة (أثث): ١ / ٨، و: المفردات: ١٣، و: لسان العرب (أثث): ١ / ٨٣٤، و: المزهر: ١

١٧٩/

(٩) الصحاح (أثث): ١ / ٢٧٢.

البنية الصوتية للفظَة أَثَاث

لا يكاد البحث يجانب الصواب إذا ما رأى أنّ الكلمة بأصواتها أشبه بكائن حي يؤثر ويتأثر، ويتعرض لمجموعة من التغيرات الصوتية التي تتخذ أشكالاً متنوعة تبعاً لتنوع العوامل التي تؤثر فيها، ونجد مصداق هذا في لفظَة (أثَاث) التي تتكون من ثلاثة مقاطع صوتية:

الأول: مقطع قصير (ص + ح) يتمثل بصوت الهمزة، وقد بيّنت آراء العلماء قديمهم وحديثهم في هذا الصوت في لفظَة (أشُد) ^(١).

أما الثاني: فيتمثل بالمقطع الطويل المفتوح (ثا): (ص + ح ح) .

فـ (الثاء) صوت لثوي؛ لأن مبدأه من اللثة ^(٢). وهو صوت رخو مهموس ^(٣). وأما (الألف) فإنّه في الأصل (ياء) إذ إنّ أصل الكلمة (أثيث) فـ (الثاء) مفتوحة، والياء مفتوحة. وقد وضع الصرفيون قاعدة تنصُّ على وجوب قلب الياء أو الواو ألفاً إذا كانت متحركة وسبقت بفتحة ^(٤).

ولمّا كانت (الياء) متحركة وسبقت بحرف مفتوح؛ فقد حصل فيها إعلال فأبدلت ألفاً فصارت الكلمة (أثَاث).

ولا يخفى أنّ إبدال الياء ألفاً أدى إلى تيسير عملية النطق والاقتصاد في الجهد العضلي ^(٥). وهذه العملية أضفت على لفظَة (أثَاث) السعة والكثرة في الدلالة على المعنى المطلوب مع الانسجام في بنيتها الصوتية.

وبذا تكون البنية المقطعية للفظَة (أثَاث) على الشكل الآتي:

ء — / ث — / ث — / ث — .

البنية الصرفية للفظَة (أثَاث) :

لفظَة (أثَاث) على وزن (فَعَال)، وهذا الوزن لم يذكر ضمن أوزان جموع التكسير القياسية إلا أنّ هذا لا يعني أنّ (أثَاث) لا تُعدُّ جمعاً، فقد ذكر ابن خالويه أنّ هناك ألفاظاً جمعت على هذا

الوزن مثل: ((ذفرى وذفار، وملهى وملاه)) ^(١). وقد وافقه على هذا ابن عصفور ^(٢).

(١) ينظر: لفظَة (أشده) في الحقل الأول من هذا البحث.

(٢) ينظر: العين: ٥٨ / ١، و: كتاب سيبويه: ٤ / ٤٣١، و: سر صناعة الإعراب: ٥٢ / ١.

(٣) ينظر: كتاب سيبويه: ٤ / ٤٣٤، و: سر صناعة الإعراب: ٦٩.

(٤) كتاب سيبويه: ٤ / ٣٨٣، شرح شافية ابن الحاجب (الرضي): ٣ / ١٥٧، و: المنصف: ١ / ١١٦، و: الممتع في التصريف: ١ / ٢٧٩، و: ارتشاف الضرب: ١ / ٢٩٥.

(٥) ينظر: المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها: ١ / ٢٢.

يستفاد من هذا أمران :

الأول: إِنَّ لَفْظَةَ (أَثَاث) ليس لها مفرد من لفظها، ولو كان لها مفرد من لفظها لكان ينبغي أن يكون على وزن (فَعَلَى) والدليل على ذلك أن ابن عصفور جمع (ذفرى، وملهى) على (ذفار وملاه)، وفي هذا ردُّ على من ذهب إلى أن مفرد (أثاثة): (أثاثة)، ويتمثل هذا بما نقله

الجوهري عن أبي زيد^(٣).

الثاني: إِنَّ لَفْظَةَ (أَثَاث) تدلُّ على الجمع وليس على المفرد، ويؤكد هذا قول السيوطي: ((الأثاثة جمع ليس له واحد من لفظه))^(٤).

وقد وردت لفظة (أثاثة) في الذكر الحكيم مرتين الأولى في قوله تعالى:

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾ (النحل ٨٠).

هذه الآية تحتاج إلى وقفةٍ ودراسةٍ؛ إذ إنَّ الحذفَ لمَّا كان يعدُّ من أبرز عوارض التركيب في الكلام^(٥)، فهو كما قيل: ((باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تتطق، وأتم ما تكون بياناً، إذا لم تبين))^(٦).

لذلك فقد حصل في هذه الآية حذف، وهو حذف المسند والمسند إليه، ونجد هذا في البنية السطحية لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا﴾، إذ لو رجعنا إلى البنية العميقة لها نجد تقدير الكلام (والله جعل لكم من أصوافها وأوبارها) والدليل على ذلك ذكر المسند والمسند إليه في أول الآية، إذ قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ ولا يخفى أن هذا الحذف من حيث الأهمية يتميز بقدرته على إحداث الإثارة، ولفت خاطر، والدفع إلى التفكير في المحذوف، لتولد لدى المتلقي تصورات^(٧)، وتأويلات قصد إشراكه في الرسالة الموجهة إليه من خلال إكمال الناقص الذي لا يتوصل إليه إلا بفضل تأمل عميق، وبعد نظر طويل^(٨). وقد يكون سبب حذف المسند والمسند إليه في هذه الآية لدفع السامع والقارئ إلى

(١) ينظر: ليس في كلام العرب : ٢٨.

(٢) ينظر: شرح جمل الزجاجي(ابن عصفور): ٢ / ٥٣٥.

(٣) ينظر: الصحاح (أثث) : ١ / ٢٧٢ .

(٤) ينظر: المزهري في علوم اللغة وأنواعها (السيوطي) : ١ / ١٧٩ .

(٥) ينظر: خصائص الأسلوب في الشوقيات (د.احمد الطرابلسي) : ٣٠٢ .

(٦) دلائل الإعجاز في علم المعاني (عبد القاهر الجرجاني) : ١١٢ .

(٧) ينظر: الأسلوبية : (د. فتح الله سليمان): ١٣٩ .

(٨) التراكيب اللسانية في الخطاب الشعري القديم : ٢٠٥ .

التفكير والتأمل في كيفية خلق الله تعالى، وحسن تدبيره وإكرامه وإنعامه على البشر، وقد يكون سبب الحذف للعلم به، إذ لو أنعمنا النظر في السياق الذي وردت فيه الآية عرفنا أنّ المحذوف المسند إليه والمسند وتقديره: (والله خلق لكم من أصوافها ...) ودلّ على ذلك السياق الذي وردت فيه هذه الآية وذكر المسند والمسند إليه في أولها. ودلالة لفظة (أثاث) على الجمع في هذه الآية واضحة من جوانب عدّة أهمها انه تعالى عبّر في

هذه الآية عن جميع ما خلقه بصيغة الجمع فقال: (بيوتكم)، و(جلود الأنعام)، و(بيوتًا)، و ﴿أَصَوَافِهَا وَأَوْبَارَهَا وَأَشْعَارَهَا﴾ وهذه الألفاظ جميعها جاءت بصيغة الجمع فناسب هذا أن تدل لفظة (أثاث) على الجمع وليس على المفرد في هذه الآية.

هذا من جانب ومن جانب آخر: لو أخذنا بالحسبان المقابلة بين قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا﴾ وبين قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا﴾ نجد أنّه قال في صدر الآية (بيوتًا) بصيغة الجمع فناسب هذا أن تقابلها (أثاثًا) بصيغة الجمع أيضاً فضلاً عن هذا انا لو نظرنا في السياق الذي جاءت فيه هذه الآية والآيات التي سبقتها^(١) والآية التي تلتها^(٢) نرى أنّ هذه الآيات جميعها جاءت في سياق بيان قدرة الله تعالى على الخلق وبيان تفضله وإنعامه وتكرمه وإيمانه على البشر فناسب هذا أن يعبر بصيغة الجمع في جميع الألفاظ التي وردت فيها هذه الآية، وهذا يثبت دلالة (أثاث) على الجمع في هذه الآية.

أما الآية الثانية التي وردت فيها لفظة (أثاث) فهي قوله تعالى:

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرَثًا﴾ (مريم ٧٤) .

ودلالة (أثاث) على الجمع في هذه الآية واضحة إذ إنها جاءت في سياق ذكر الأمم الذين هلكوا مع ما كانوا عليه من حسن المنظر وقوة الجسم وامتلاكهم الأموال والبيوت وما فيها من فرش وأسرة وأباريق وغيرها من الممتلكات التي عبّر عنها الفراء بلفظة متاع في قوله: ((الأثاث: المتاع لا واحد له من لفظه))^(٣).

وقد استدلت الدكتورة بنت الشاطيء ((من استقراء الآيات في الكلمتين أنّ الأثاث يستعمل؛ أكثر ما يستعمل في متاع البيت بخاصة، ومع ملحظ الوفرة والكثرة. وقلمًا يستعمل في المعنوي))^(٤). وعلى هذا الأساس فرقت بين الأثاث والمتاع^(١).

(١) ينظر: الآيات: ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ من سورة النحل.

(٢) ينظر: النحل: ٨١.

(٣) معاني القرآن (الفراء): ٢ / ١٧١.

(٤) الإعجاز البياني للقران: ٣٢٨.

ومن استعمال (أثاث) في كلام العرب قول النثقي: (٢)

أشأقتك الضعائن يوم بانوا بذوي الزي الجميل من الأثاث

ودلالة (أثاث) على الجمع في هذا الشاهد واضحة، وذلك أنها تبين حال المخاطب وهو ينظر إلى القوم الذين شدوا الرحال وحملوا أمتعتهم وممتلكاتهم على الإبل قاصدين السفر البعيد. وينطبق القول نفسه على قول الشاعر: (٣)

كأن على المحمول غداة ولّوا من الرئي الكريم من الأثاث

نخلص من هذا أن لفظة (أثاث) استعملت في القرآن الكريم وفي كلام العرب للدلالة على الجمع وهذا ما دلت عليه القرائن التي توافرت في النصوص التي ذكرت فيها لفظة (أثاث) .

ولفظة (أثاث) قد حصل فيها تطور دلالي ضيق من مدلولها إذ إن دلالتها كانت عامة في كل ما يمتلكه الإنسان وصارت خاصة بمتاع البيت فقط.

و(أثاث) ليس لها واحد من لفظها، وهي على وزن (فَعَال) وهذا الوزن لم يذكر ضمن أوزان جموع التكسير القياسية بيد أنما ذكره ابن خالويه وابن عصفور من وجود ألفاظ جمعت على هذا الوزن في كلام العرب من جهة مع دلالة (أثاث) على الجمع من جهة أخرى دفعني إلى القول إن لفظة (أثاث) تُعدُّ جمعاً سماعياً لا اسم جمع.

لفظة أساطير :

الدلالة المعجمية :

الأساطير: هي الأباطيل أو الأحاديث التي لا نظام لها^(٤). وقد ذهب بعضهم إلى أنها مشتقة من السَطْر. والسَطْر: الصف من الكتابة، ومن الشجر: المغروس، ومن القوم: الوقوف^(٥). وهذا ما أكده ابن فارس في قوله: ((السين والطاء والراء أصل مُطْرَد يدلُّ على

(١) ينظر: المصدر نفسه: ٣٢٨ — ٣٢٩.

(٢) النثقي هو محمد بن عبد الله بن نمير، كما في الجمهرة ١: ١٤، وينظر الأبيات في الكامل في اللغة والأدب (المبرد): ٣٧٦، و: معجم مقاييس اللغة: ٨ / ١.

(٣) الشاهد من الأبيات التي استشهد بها ابن عباس في الجواب على سؤال نافع ابن الأزرق، وهو بلا نسبة في الإعجاز القرآني: ٣٢٨.

(٤) ينظر: العين (سطر): ٢١٠/٧، و: المحكم والمحيط الأعظم (سطر): ٤٣٢ / ٨.

(٥) ينظر: العين (سطر): ٢١٠ / ٧، و: الصحاح (سطر): ٦٤٨ / ٢.

اصطفاف الشيء كالكتاب والشجر... فأما الأساطير فكأنها أشياء كُتبت من الباطل فصار ذلك اسماً لها مخصوصاً بها ((^(١)).

البنية الصرفية للفظه أساطير:

لمعرفة وزن (أساطير) وحكمها الصرفي لا بُدُّ من تحديد مفرداتها، ويمكن القول إنّ اللغويين قد اختلفوا في مفرداتها، إذ ذهب الأخفش إلى أنّها ليس لها مفرد من لفظها فقال: ((لا أراه إلا من الجمع الذي ليس له واحد، نحو عباديد ومذاكير))^(٢). ومثل هذا قول ابن دريد: ((قال أبو بكر: كان الأصمعي يقول: لم تتكلم العرب أو لم تعرف واحداً لقولهم أساطير))^(٣).

في حين ذهب بعضهم إلى أنّ (أساطير) لها مفرد من لفظها، إذ قال ابن جني: ((قال قوم: واحدها أسطورة، وقال آخرون: إسطورة))^(٤). وقيل: ((واحد الأساطير إسطار، وأساطر، وأسطورة))^(٥). وقال العكبري (ت ٦١٦ هـ): ((أساطير جمع أسطار، وأسطار جمع سطر))^(٦). ويبدو أنّ من قال إنّ (أساطير) لها مفرد من لفظها اعتمد في ذلك على القياس وليس على السماع؛ إذ لم يذكر أحدٌ أنّ العرب نطقت بواحد للفظه (أساطير) وما يؤكد هذا قول الأخفش في (الأساطير)، و(الأبائيل)، و(العباديد)، و(المذاكير): ((كل هذه لها واحد؛ إلا أنه ليس يُستعمل، ولم يُتكلم به؛ لأن هذا المثال لا يكون إلا جميعاً))^(٧).

يستفاد من هذا أنّ كل من ذهب إلى أنّ (أساطير) أو (أبائيل) لها واحد من لفظها فهو لم يخطئ، ولكن بما أنّ العرب لم تستعمله ولم تتكلم به؛ لذا لا يمكن الأخذ به. وعلى هذا فإنّ (أساطير) ليس لها مفرد من لفظها. ووزنها (أفاعيل). وكما اختلف الصرفيون في واحد الأساطير فقد اختلفوا في حكمها، وقد انقسموا خمسة أقسام: القسم الأول: يرى أصحابه أنّ (الأساطير) تُعدُّ جمعاً^(٨)، ولاسيما إذا كان مفردها (أسطورة) قال ابن خالويه: ((تجمع أقولة على أفاعيل مثل أبطولة تجمع على أباطيل))^(٩).

(١) معجم مقاييس اللغة (سطر): ٧٢/٣ - ٧٣.

(٢) معاني القرآن (الأخفش): ٢٩٦/١.

(٣) الجمهرة (سطر): ٧٣٩/٢، وينظر: لسان العرب (سطر): ٣٤٠/٣.

(٤) سر صناعة الإعراب: ٦١٠ / ٢، وينظر: الخصائص: ٥٩ / ٣.

(٥) المحكم والمحيط الأعظم (سطر): ٤٣٢ / ٨.

(٦) التبيان في إعراب القرآن: ٤٨٨ / ١.

(٧) معاني القرآن (الأخفش): ٢٩٦/١.

(٨) ينظر: إعراب القرآن (النحاس): ١ / ١١٢، وينظر: املاء ما من به الرحمن: ٢٣٩/١.

(٩) ينظر: ليس في كلام العرب: ٣٣٢.

القسم الثاني: يرى أصحابه أنّ (أساطير) جمع الجمع ويمثله ابن السراج الذي قال: ((أما الجمع ففرع مسبوق بالواحد فإذا صار على مثال مفاعل ومفاعيل... صار مطلق الجمع بمنزلة أسطار جمع سطر وأساطير جمع ثان لا يجمع مرة أخرى))^(١).

القسم الثالث: يرى أصحابه أنّ (أساطير) جمع شاذ وهذا ما نقله القاسم بن سعيد المؤدب^(٢).
القسم الرابع: يرى أصحابه أنّ (أساطير) اسم جمع ويتمثل بما نقله ابن عطية (ت ٥٤٦هـ) الذي قال: ((قيل: إنّ أساطير اسم جمع))^(٣)، وقد ردّ عليه أبو حيان الأندلسي بقوله: ((وهذا لا يسميه النحاة اسم جمع؛ لأنه على وزن الجموع بل يسمونه جمعاً وإن لم يلفظ له واحد))^(٤).

القسم الخامس: يرى أصحابه أنّ (أساطير) جمع جمع الجمع، ويتمثل هذا بما نقله أبو حيان الأندلسي إذ قال: ((وقيل: هو جمع جمع الجمع، يقال: سطر وأسطر فجمع سطر على أسطر، ثم أسطار وهو جمع أسطر ثم أساطير وهي جمع أسطار))^(٥).
ويرى الدكتور إبراهيم السامرائي أنّ اختلاف اللغويين في مفرد أساطير وفي حكمها يرجع إلى احد السببين^(٦):

الأول: اختلاف اللهجات العربية، فقد يكون مفرد (أساطير) في لهجة ما: (أسطار)، وفي لهجة أخرى (أسطير)، وفي ثالثة (أسطيرة).

الثاني: وهو الاختلاف في أصل المفردة، وأعطى مثالا على هذا (الفراديس) وهو مُعرَّب عن الفارسية وتوهموا فيه صورة الجمع فصاغوا عليه الفردوس مفرداً.

والذي يبدو أنّ مجيء لفظة (أساطير) على وزن (أفاعيل) كان مسوغاً لعددها جمع الجمع أو ما اصطلح عليه الصرفيون بـ (صيغة منتهى الجموع) والذي يؤكد هذا أنّ لفظة (أساطير) قد ذكرت في القرآن الكريم تسع مرات وقد وظفت في جميعها للدلالة على الجمع والتكثير، ونجد مصداق هذا في قوله تعالى:

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةً مِنْهُمْ مَنْ يَأْتِيهَا بِطَبَعٍ أَوْ يُؤْمِنُهَا كَلِمَةً فَخَوْسِمْ عَلَيْهَا وَإِنْ يُؤْمِنُهَا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾

(١) الأصول في النحو: ١ / ٥٠٣.

(٢) ينظر: دقائق التصريف: ٤٠١.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز: ٢ / ٢٨٠.

(٤) البحر المحيط: ٤ / ٨٩، وينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٨ / ٨٣.

(٥) ينظر البحر المحيط: ٤ / ٨٩.

(٦) ينظر فقه اللغة المقارن (د. إبراهيم السامرائي) ٩٦، وينظر دراسات اللغة (د. إبراهيم السامرائي): ٧٦ - ٩٥.

(الأنعام: ٢٥).

في هذه الآية أكثر من قرينة تثبت دلالة (أساطير) على الجمع والتكثير، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ففي قوله (إن هذا) إشارة إلى القرآن الكريم، ولما كان القرآن الكريم فيه أخبار وحكايات وقصص الأنبياء والمرسلين بدءاً من نبينا آدم -عليه السلام- ونوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق وموسى وعيسى -عليهم السلام- وأقوام عاد وثمود وسبأ وغيرهم فناسب هذا أن يصفه المنكرون والكافرون بلفظ يدل على المبالغة في التكثير لذا اختاروا صيغة (أفاعيل) في قولهم (أساطير) التي تشير إلى مجموعة من القصص والأخبار لا قصة واحدة^(١). فضلا عن هذا انه تعالى أضاف (أساطير) الى (الأولين) في قوله: ((أساطير الأولين)) وفي هذا إشارة إلى مجموعة كبيرة من الأقوام والقبائل التي سبقت عصرهم. وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (أنفال: ٣١).

دليل آخر يثبت أن (أساطير) تدل على الجمع والتكثير إذ قال تعالى: ﴿تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾، وقد ذكرتُ آنفاً أن في (آيات الله) أخبار وقصص الأمم والشعوب والأقوام والجماعات الماضية؛ وهي قصص وأحداث كثيرة، فوصفها بقوله تعالى على لسان الكافرين والمعاندين — (أساطير) يتناسب مع دلالتها على الكثرة. ولا يخفى أن فيها دلالة أخرى؛ وهي التقليل من شأن القرآن الكريم وعظمة ما جاء فيه، ولا سيما ما ذكره المفسرون من أن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث الذي كان يجلس مع المستهزئين والمعاندين، ولما قصَّ رسول الله - صلى الله عليه واله - عليهم شأن القرون الماضية قال النضر: لو شئت لقلت مثل هذا إنَّ هذا إلا ما سَطَّرَ الأولون في كتبهم — يقصد التوراة والإنجيل —^(٢).

ومثل هذا نجده في جميع الآيات التي ذكرت فيها لفظة (أساطير)^(٣).

نخلص من هذا أن (أساطير) استعملت في القرآن الكريم للدلالة على الجمع والتكثير من جانب وعلى الاستهزاء بالشيء والتقليل من أهميته وإبعاده عن أرض الواقع ووصفه بالخيال من جانب آخر. وان (أساطير) ليس لها مفرد من لفظها، وأما ما قيل من أن مفرداها (إسطار أو اسطارة أو أسطورة وغير ذلك) فإنهم اعتمدوا في ذلك على القياس ولم يسمعه عن

العرب .

(١) ينظر: معالم التنزيل (البغوي): ٩٠/٢، و: المحرر الوجيز: ٢/٢٨٠، و: مفاتيح الغيب (الرازي): ١٢/١٥٥

(٢) ينظر: جامع البيان: ٥٠٦/١٣، و: الوسيط في تفسير القرآن المجيد: ٤٥٤/٢، و: مفتاح الغيب: ١٥٦/١٥.

(٣) ينظر: الآيات: النحل: ٢٤، ٦٨، المؤمنون: ٨٣، و: الاحقاف: ١٧، و: القلم: ١٥، و: المطففين: ١٣.

وان مجيء لفظة (أساطير) على وزن (أفاعيل) الذي يُعدُّ من الأوزان المطردة في الدلالة على جمع الجمع أو ما يسمى بصيغة منتهى الجموع مع دلالتها على التكاثير كان مسوِّغاً لعددها جمع الجمع وإن لم يكن لها مفرد من لفظها.

لفظة متاع:

الدلالة المعجمية :

يمكن القول إن لفظة (متاع) تُعدُّ من الألفاظ التي اتفق لفظها واختلف معناها^(١)، فقد ذكر اللغويون أكثر من معنى للفظ (متاع)، والذي يهمننا من هذه المعاني هو ما ذكره من أن (متاع) تأتي بمعنى المنافع وهذا ما أشار إليه الخليل في قوله: ((كل ما يستمتع به الإنسان من حوائجه من أمتعة البيت ونحوه من كل شيء فهو متاع))^(٢). وإن (متاع) إذا جاءت بهذا المعنى فهي جمع لا واحد له من لفظه^(٣). بيد أنه لم يفرق بينهما وبين لفظة (أثاث) من حيث الدلالة إذ إنه يرى أن (الأثاث) و(المتاع) يحملان الدلالة نفسها^(٤). في حين فرَّق الزبيدي بينهما في قوله: ((الأثاث ما يتخذ للاستعمال، والمتاع للتجارة))^(٥).

ودلالة لفظة (متاع) على غير الأدميين واضحة من قول المبرد: ((تقول في جواب ما عندك؟ فرس أو بعير أو متاع... ولا تقول في جواب مَنْ عندك؟ فرس ولا متاع وإنما: زيد أو هند))^(٦)؛ وذلك أن (ما) يستفهم بها عن غير العاقل في حين أن (من) يستفهم بها عن العاقل. ونستدل من هذا على أن (متاع) تدل على غير العاقل.

البينة الصرفية للفظ متاع:

لفظة (متاع) على وزن (فَعَال) وقد ذكَّرتُ آراء الصرفيين بهذا الوزن في لفظة (أثاث)^(٧)، وقد توصلت فيه إلى أن هذا الوزن لم يذكر ضمن أوزان الجموع القياسية غير أن ما ذكره ابن خالويه وابن عصفور من وجود كلمات مسموعة عن العرب وقد جُمعت على هذا الوزن دفعني إلى القول إن لفظة (أثاث) تُعدُّ جمعاً استناداً على ما ذكره الدكتور عباس حسن في قوله: ((إن الجمع إذا كان مخالفاً في صيغته لصيغة الجمع فهو سماعي لا يجوز القياس

(١) ينظر: الوجوه والنظائر في القرآن الكريم (هارون بن موسى): ١٤٥.

(٢) العين (متع): ٢٥٣/٨.

(٣) ينظر: العين (متع): ٢٥٣/٨، و: لسان العرب (أثاث): ٨١٤ / ١.

(٤) ينظر: العين (أثاث): ٨٣/٢.

(٥) تاج العروس (أثاث): ١٦٤/٣.

(٦) المقتضب: ٢٦٥/٢.

(٧) ينظر: لفظة (أثاث) في هذا الحقل.

عليه لقلته وندرته ولا اتخاذ وزنه مقياساً يجمع عليه مفرداً آخر غير الذي ورد مسموعاً عن العرب وهذا المسمى بـ جمع التكسير السماعي أو جمع التكسير غير المطرد^(١).

ويبدو أنّ (متاع) من حيث البنية الصرفية لا تختلف عن لفظ (أثاث)، فهي على وزن (فَعَال) وتدلُّ على الجمع وليس لها مفرد من لفظها وهذا ما ذكرته في الدلالة المعجمية وقد أيده طائفة من المفسرين إذ قال ابن الجوزي: ((متاع ليس لها واحد من لفظها))^(٢). ووافقه على هذا الرأي أبو حيان الأندلسي والألوسي^(٣) فلفظة (متاع) تُعدُّ جمع تكسير سماعي.

وقد ذكرت لفظة (متاع) في القرآن الكريم في أربعة وثلاثين مورداً منها قوله تعالى:

﴿ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأُوبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ﴾ (النحل من الآية ٨٠).

وقد ذكرتُ في لفظة (أثاث) مجموعة من القرائن اللفظية والمعنوية التي تضافرت في هذه الآية وأثبتت دلالة (الأثاث) على الجمع، ويمكن القول إنّ القرائن نفسها تثبت دلالة (متاعا) على الجمع أيضاً. وأما الآية الثانية فهي قوله تعالى:

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ (النور: ٢٩).

وقد ذكر المفسرون أنّ هذه الآية تجيز للمسافرين وغيرهم أن يدخلوا البيوت غير المسكونة كالحانات والخانات والارحبة من غير استئذان؛ لأن فيها متاع لهم أي: منافع من انقاء البرد والحر والاستمتاع بها^(٤). فلفظة (متاع) تدل على المنافع.

وقد فرقت الدكتور بنت الشاطي بين (الأثاث) و(المتاع) في قولها: ((إن الأثاث يستعمل، أكثر ما يستعمل في متاع البيت خاصة، ومع ملحظ الوفرة والكثرة وقلمما يستعمل في المعنوي. وأما (متاع) فعام في ما هو من متاع الدنيا، غير مقصور على الأثاث. وتتصرف العربية في المتاع، على سبيل المجاز بمثل قولهم: متع النهار متوعاً، إذا ارتفع غاية الارتفاع ما قبل الزوال؛ وشيء ممتع: بالغ الجودة ورجل ممتع: كامل في خصال الخير))^(٥).

ويقوى هذا الملحظ في الفرق بين خصوص الأثاث وعموم المتاع عندها بعطف أحدهما على الآخر في آية النحل التي ذكرتها آنفاً هذا من جانب ومن جانب آخر أنها استدللت

(١) النحو الوافي: ٣٤ / ٥٨٤ .

(٢) زاد المسير: ٣٦٣ / ٤ .

(٣) البحر المحيط: ٥١٨/٥، و: روح المعاني: ٤٢١/٧ .

(٤) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد: ٣٦٥/٣، و: مجمع البيان: ٢٣٨/٧، و: الجامع لإحكام القرآن: ١٤٧/١٢ .

(٥) الإعجاز البياني للقران: ٣٢٨ - ٣٢٩ .

بمجموعة من الآيات دُكرت فيها لفظة (متاع) ولا يقبل سياقها أن تحمل الكلمة على معنى الأثاث منها

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (الأعراف من الآية ٢٤)، وقوله تعالى: ﴿أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ مَتَاعًا لَكُمْ﴾ (المائدة من الآية ٩٦)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا رَحِمْنَا مَنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ (يس: ٤٤)، وقوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَىٰ الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ٢٤١). وغيرها من الآيات^(١)، إذ قالت: ((واضح أن المتاع عام لمتع الحياة الدنيا، وليس كذلك (الأثاث) بخصوص دلالاته في آياته من الكتاب المحكم))^(٢).

ومن استعمال لفظة (متاع) بمعنى المنافع في كلام العرب قول المشعث:^(٣)

تمتع يا مشعث إن شيئاً سبقت به المتاع هو المتاع

مما تقدم يتبين لنا أن لفظة (متاع) استعملت في القرآن للدلالة على الجمع. وان هناك فرقاً بينها وبين لفظة (أثاث) إذ إن (أثاث) يستعمل في متاع البيت خاصة مع ملحظ الكثرة والوفرة، في حين أن المتاع دلالاته عامة في منافع الحياة. وقد دل على هذا السياق الذي وردت فيه لفظة (متاع) .

ولفظة (متاع) ليس لها مفرد من لفظها وهذا ما أكده اللغويون، وهي على وزن (فَعَال) وهذا الوزن لم يذكر ضمن أوزان الجموع القياسية إلا أن ما ذُكر من أن هناك ألفاظاً سمعت عن العرب مجموعة على هذا الوزن مع توظيف القرآن الكريم لفظة (متاع) للدلالة على الجمع دفعني إلى القول إن لفظة (متاع) تعد جمع تكسير سماعي ليس له مفرد من لفظه.

لفظة مقاليد

الدلالة المعجمية:

اختلف اللغويون في دلالة لفظة (مقاليد) والأصل الذي اشتقت منه، فذهب الخليل إلى أن (مقاليد) تعني الخزائن، وهذا في قوله: ((المقلاد الخزائنة ويجمع مقاليد))^(٤). وهذا ما اختاره ابن فارس في قوله: ((أما مقاليد فيقال هي الخزائن... ولعلها سميت بذلك؛ لأنها تحصن الأشياء أي تحفظها وتحوزها))^(٥).

(١) ينظر الآيات: آل عمران: ١٤، و: ١٨٥، الحجر: ٨٨، الأنبياء: ١١١، الرعد: ١٧، محمد: ١٢.

(٢) الإعجاز البياني للقران: ٣٢٩.

(٣) البيت للمشعث، ينظر: الصحاح (متع): ١٢٨٢/٣، و: اللسان (متع) ٣٠٢/٥، و: تاج العروس

(متع): ٢٤٧/١١.

(٤) العين (قلد): ٥/٥٢٨.

(٥) معجم مقاييس اللغة (قلد): ٢٠/٥.

أما الجوهري فقد ذهب إلى أنّ (مقاليد) تعني المفاتيح إذ قال: ((المقلد مفتاح كالمنجل ((^(١) في حين يرى آخرون أنّ (مقاليد) ليست عربية الأصل وإنما معربة، قال النيسابوري (ت ٧٢٨هـ): ((المقاليد غير معروف في لغة العرب))^(٢). وأكد هذا شهاب الدين الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ) في قوله: ((مقاليد لغة في إقليد وهو مُعَرَّب))^(٣). ويرى الدكتور محمد التتوجي أنّ مقاليد كلمة فارسية تعني مفاتيح، ولم تستعملها العرب مفردة إلا نادراً، وهو معرب (كليد) أي: مفتاح^(٤) ويظهر هذا جلياً عند الدكتور محمد المبارك الذي يرى أنّ بعض الألفاظ الدخيلة قد يخفى أصلها لالتحاقها بأصل عربي لمشابهة لفظية ومثال ذلك: ((مقاليد بمعنى مفاتيح ومفردها (إقليد) وأصلها يوناني، وقد يظن الناظر من غير بحث أنها عربية من مادة (ق ل د) وهو ظنٌ خاطئ يكشف عنه البحث الاشتقاقي التاريخي))^(٥).

البنية الصرفية للفظه مقاليد:

لفظة (مقاليد) على وزن (مفاعيل)، وقد أطلق الصرفيون على الاسم الذي يأتي على هذا الوزن مصطلح (جمع الجمع) أو (صيغة منتهى الجموع)^(٦). وقد اختلف العلماء في لفظه (مقاليد) إن كان لها واحد أو لم يكن، فذهب أبو عبيدة والأخفش إلى أنّ واحد (مقاليد): (مقليد)^(٧). ووافقهم على هذا الرأي القرطبي في قوله: ((واحدها مقليد، وقيل: مقلاد وأكثر ما يستعمل فيه إقليد))^(٨). في حين ذكر الزمخشري أنّ ((مقاليد لا واحد لها من لفظها))^(٩). ووافقه على هذا الرأي النيسابوري والسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) في قوله: ((مقاليد... لا واحد لها من لفظها كأساطير وأخواتها))^(١٠). والذي يبدو أنّ من قال إنّ (مقاليد) واحدها مقليد أو مقلاد اعتمد في ذلك على القياس إذ إنّ (مفاعيل) يطرّد في جمع (مفعّال)، وفيه قال سيبويه: ((أما ما كان (مفعّالاً) فإنه يكسر على مثال مفاعيل كالأسماء... وذلك قولك: مكثّار ومكاثير، ومهّذار ومهاذير، ومقلات

(١) الصحاح (قلد): ٥٢٨/٢، وينظر: لسان العرب (قلد): ٧٥٠/٢.

(٢) تفسير غرائب القرآن: ١٣/٢٤، وينظر: نشوء اللغة ونموها واكتمالها (انستاس الكرمللي): ٩٥.

(٣) شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل (الخفاجي): ٢٧٢.

(٤) ينظر: معجم المعربات الفارسية (د. محمد التتوجي): ٧٠.

(٥) فقه اللغة وخصائص العربية: ٨٢ - ٨٣.

(٦) ينظر: كتاب سيبويه: ٢٥٠/٤، ٤١٥.

(٧) ينظر: مجاز القرآن: ١٩١/٢، و: إعراب القرآن (الأخفش): ٦٥.

(٨) الجامع لأحكام القرآن: ٢٧٤/١٥.

(٩) الكشف: ١٤٣/٤، وينظر: تفسير غرائب القرآن: ١٣/٢٤.

(١٠) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (السمين الحلبي): ٢١/٦.

ومقاليت))^(١). وما يؤكد ذلك هو ما ذكره اللغويون من أن (مقاليد) معربة وليست أصلية. وبذا تكون (مقاليد) من الألفاظ التي ليس لها مفرد من لفظها.

وقد ذكرت لفظة (مقاليد) في القرآن الكريم مرتين وقد وظفت فيهما للدلالة على الجمع والتكثير، قال تعالى:

﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (الزمر: ٦٣).

في هذه الآية أكثر من قرينة تثبت دلالة (مقاليد) على الجمع والتكثير منها قرينة الصيغة إذ إن (مقاليد) جاءت على وزن (مفاعيل) وهو من الأوزان المُطَرَّدة في الدلالة على التكثير ويسمى بـ (جمع الجمع). أما القرينة الثانية فهي تقديم المسند في قوله تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. ولما كان الترتيب في أركان الجملة العربية يُعَدُّ من أبرز عناصر التحويل، وأكثرها وضوحاً؛ لأن الكاتب يعمد إلى ما حقه التأخير فيقدمه، وإلى ما حقه التقديم فيؤخره طلباً لإظهار ترتيب المعاني في النفس، وتثبيتها في ذهن المخاطب^(٢). وهو باب يراه الجرجاني كثير الفوائد، جمُّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية ما يزال يفتر لك من بديعه ويفضي بك إلى لطيفه... ثم تنتظر فتجد السبب الذي جعله يروقك ويلطف عندك إن هو تقديم شيء وتحويله عن مكان إلى مكان^(٣). ونجد مصداق هذا في هذه الآية، إذ إن عملية التحويل وتغيير رتب الوحدات في السياق القرآني لها أهمية كبيرة في تقرير الحكم وتقويته، والدلالة على التخصيص، وتثبيت مالكية الله تعالى للسموات والأرض.

ولما كان السياق مصوغاً لبيان قدرة الله على الخلق وهذا ما نلاحظه في الآية التي سبقت هذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (الزمر: ٦٢) من جهة ومالكيته لكل شيء من جهة أخرى ناسب تقديم المسند وتأخير المسند إليه في قوله تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لبيان اختصاص ملك السموات والأرض بالله وحده. وإن التعبير عن احتواء السموات على الكواكب والمجرات والأجرام السماوية والنجوم واحتواء الأرض على الإنسان والحيوان والنبات والجبال وغيرها يحتاج إلى لفظة أكثر دلالة من صيغة الجمع لتدل على المعنى بتمامه لذا جاء التعبير بصيغة منتهى الجموع في قوله تعالى: (مقاليد) يتناسب مع سياق الآية وما تدل عليه من معنى، وهو أكثر دلالة وانطباقاً لبيان مالكية الله لكل ما خلق. ويجري الأمر نفسه على قوله تعالى:

(١) كتاب سيبويه: ٣/٦٤٠.

(٢) ينظر: البرهان في تفسير القرآن (الزركشي): ٣/١٠٣ - ١١١؛ خصائص الأسلوب في الشوقيات: ٢٨٣.

(٣) ينظر: دلائل الإعجاز (الجرجاني): ٨٣.

﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾
(الشورى: ١٢).

ومن استعمال لفظة (مقاليد) للدلالة على الجمع قول الشاعر: (١)

لولا أبوك ولولا قبله عُمرٌ أَلَقْتُ إِلَيْكَ مَعْدًا بِالمَقَالِيدِ

فالسباق الذي وردت فيه لفظة (مقاليد) يوحي بالدلالة على الجمع والتكثير إذ إنَّ الغرض من قول الشاعر المدح، ويدل على هذا الأبيات التي تسبق هذا البيت ومنه قوله:

أما أبوك فعين الجود نعرفه وأنت أشبه خلق الله بالجود

فالشاعر يمدح ابن يزيد بن عمر بن هبيرة، ويقول له: أنت خليك بأن يخضع لك بنو معدٍ كلهم؛ لكفايتك وعظيم قدرك وإنما تأخر خضوعهم لك لوجود أبيك ووجود جدك من قبل أبيك (٢). ولما كان الشاعر يميل إلى جانب المبالغة في مدحه فناسب هذا أن تدل (مقاليد) على الجمع والتكثير.

مما تقدم يتضح أنَّ (مقاليد) استعملت في القرآن الكريم وفي كلام العرب للدلالة على الجمع وهذا ما دل عليه السياق والقرائن التي رافقت لفظة (مقاليد) في مواضع ورودها .
و(مقاليد) ليست عربية الأصل. ولم يرد لها مفرد من لفظها، وأما ما قيل من أن مفرد لها (مقلاد) أو (مقليد) فإنَّ من قال ذلك اعتمد على القياس ولم يسمعه عن العرب، وإنَّ مجيء (مقاليد) على وزن (مفاعيل) مع دلالتها على الجمع والتكثير كان مسوغا لعددها (جمع الجمع)

(١) الشاهد للشاعر : ابي العطاء السندي واسمه (مرزوق) وقيل : (افلح) بن يسار، وهو من مضمري الدولتين العباسية والأموية، والبيت من شواهد ابن عقيل: ٢٤٨/١.
(٢) هامش ابن عقيل : ١ / ٢٤٩.

وفيما يأتي جدول في الألفاظ الشائعة في هذا الفصل ووزنها وحكمها الصرفي وعدد مرات ورودها في القرآن الكريم :

اللفظة	وزنها	حكمها	عدد مرات ورودها في القرآن
أثاث	فَعَال	جمع سماعي (غير مطرد)	٢-
أساطير	أفَاعيل	جمع الجمع	٩-
متاع	فَعَال	جمع سماعي (غير مطرد)	٣٤
مقاليد	فَعَاليل	جمع الجمع	٢-

يتضح لنا من هذا الجدول أنّ وزن (فَعَال) قد تكرر في لفظتين الأولى لفظة (أثاث)، والثانية لفظة (متاع) وإنّ ندرة ما سمعه اللغويون والصرفيون عن العرب من ألفاظ جاءت مجموعة على هذا الوزن مع عدم انطباق أحكام الجمع من تصغير ونسب عليه لم يدفعهم إلى عدّه وزنًا مطردًا في الدلالة على الجمع. ويبقى غير سماعيًا غير مطرد يؤخذ به ولكن لا يقاس غيره عليه.

الفصل الرابع

ألفاظ الجموع التي تمثل العاقل وغير العاقل

- أسماء الإشارة.
- ألفاظ العقود.
- بضع.
- خَلْق.
- ركاب.
- رَكْب.

توطئة :

تناول البحث فيما سبق الألفاظ التي تصف العلاقات بين العاقل تارة وبين غير العاقل تارة أخرى.

ولمّا كانت طبيعة الحياة تقتضي تسخير غير العاقل لخدمة العاقل، فهذا يعني أنّ هناك علاقات وروابط بين العاقل وغير العاقل تستلزم هي الأخرى ألفاظاً خاصة بها؛ لتصف تلك العلاقات بلفظ موجز مختصر.

ومثال ذلك ما يتطلبه العربي في السفر من بلدٍ إلى بلدٍ؛ فهو يحتاج إلى الإبل التي تنقله والميرة التي يقات بها والحادي الذي يحدو الإبل، فاجتمع عندنا عاقل وهو راكب الإبل وحاديها، وغير عاقل وهو الإبل والميرة .

وبما أنّ اللغة دقيقة في الوصف وموجزة في الذكر فهذا يعني أنّ هناك لفظاً يغني عن ذكر جميع هذه الأشياء بلفظ موجز، فظهر لنا لفظ (ركب).

ولمّا كان المفرد أصلاً والجمع فرعاً فهذا يعني أنّ الجمع فرع من المفرد، ولفظة (ركب) تدلّ على الجمع، فهل هذا يعني أنها لها مفرد من لفظها ؟

الحقيقة أنّ (ركب) ليس لها مفرد من لفظها وإنّ كانت تدلّ على الجمع، وأما (راكب) فإنه لا يعدّ مفرد (ركب)؛ وذلك لأسباب عدّة، أذكر منها سبباً وأترك الباقي لما سيظهره لنا هذا الحقل.

أقول: إنّ (ركب) كما ذكرت أعلاه تدلّ على الإبل وراكبها وحاديها والميرة التي تحملها، فإذا قلنا: إنّ (راكب) مفرد (ركب) فهذا يعني أنها تشمل راكب الإبل فقط، ولا تشمل الإبل ولا الميرة التي تحملها ولا حاديها؛ لأنه يكون سائراً على قدميه. لذا عدّت (ركب) من الألفاظ التي تدلّ على الجمع وليس لها مفرد من لفظها. وما ذكرته في لفظة (ركب) ينطبق على لفظة (ركاب).

وإنّ احتياج اللغة إلى الضمير الذي يمكن من خلاله الإشارة إلى تلك المجاميع كان سبباً في ظهور (أسماء الإشارة)، وهي في الوقت نفسه تستلزم وجود ما يدلّ على عددها بلفظ موجز أيضاً فظهرت (ألفاظ العقود).

وليس هذا فقط بل هناك ألفاظ تدلّ على جوانب أخرى من العلاقات والروابط التي تنشأ بين العاقل وغير العاقل كلفظتي (خلق)، و(بضع) وما تدلان عليه. وستتضح أحكامها وأوزانها وأهم ما يميزها في هذا الحقل .

أسماء الإشارة

أسماء الإشارة في اللغة :

اسم الإشارة: ((هو ما وضع لتعيين مسماه بقيد الإشارة إليه))^(١). مصحوباً لفظه بإشارة حسية باليد ونحوها إن كان المشار إليه ذاتاً حاضرة؛ مثل: خذ هذا الكتاب، أو بإشارة معنوية إن كان المشار إليه معنى أو ذاتاً غير حاضرة؛ مثل: سير هذه السيرة^(٢).

أما في الاصطلاح :

فهي ما وضع للمشار إليه المحسوس المشاهد، وهي الامتداد المتخيل الواصل بين المشير والمشار إليه^(٣). وتقول لمن كان يدنو منك من المذكر: (هذا)، والأصل (ذا)، و(ها) للتنبيه. وتقول للأنثى: (ذه)، و(ته)، و(تا) فإن ألحقت هاء التنبيه قلت: (هذه)، و(هاتا). وأما من كان متراخياً من المذكر فهو (ذاك)، و(ذلك)، وما كان من المؤنث فهو (تلك)، و(تيك)، و(هاتيك) فإن ثنيت أو جمعت قلت: (هذان)، وفي المؤنث (هاتان)، وتقول في الجمع الحاضر: (أولاء)، و(هؤلاء)، وللبعيد: (أولى)، و(أولئك) يمدُّ ويقصر والمدُّ أجود^(٤)، ويستعمل مع المذكر والمؤنث معاً، ومع العاقل وغير العاقل معاً أيضاً على تفصيل يأتي في محله من هذا البحث. ولأن معناها لا يتم وهي منفردة بل يتم في الاسم الذي تشار إليه لذلك عدها سيبويه من الأسماء المبهمة^(٥).

والذي يهمنها من أسماء الإشارة ما يأتي:

١ - أولاء، وألى :

البنية الصرفية لـ أولاء، وألى :

يبدو من كلام اللغويين أنّ (أولاء) اسم مركب من كلمتين في الأصل، وهذا الظاهر من كلام الدكتور هنري فليش الذي يرى أنّ أصل هذا الاسم هو (أل) وبعد ذلك أضيفت إليه لاحقة الجمع القديمة وهي (أي) فصار (ألى)، وبسبب من الإبدال الذي طرأ على المزدوج - وهو صوت اللين الذي في آخر الكلمة - انتقلت صيغة اللفظ إلى (أولى)^(٦)، وهذا القول يفسر لنا

(١) إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك (ابن قيم الجوزية): ٢٠١/١.

(٢) المحيط في أصوات اللغة ونحوها وصرفها (محمد الأنطاكي): ٢٠٤/٢.

(٣) ينظر: الكلام المفيد للمدرس والمستفيد في شرح الصمدية (المدرس الأفغاني): ١٦٤.

(٤) ينظر: المقتضب: ٥٩١/٢.

(٥) ينظر: كتاب سيبويه: ١٠٢/٢.

(٦) ينظر: العربية الفصحى: ١٦٦.

بنية هذا الاسم، فالذي يظهر أنه لفظ معتمد على اللام ثم زيدت عليه اللواحق حتى صار بصيغته التي هو

عليها^(١). ويرى الرضي أن الواو تكونت بسبب إشباع ضمة الهمزة وهو ما صيرها على وزن (طومار)^(٢).

أما وزن البنية فالراجح عند اللغويين أنها على وزن (فَعَال)؛ لأن أصله (ألاء)^(٣)، إلا أنهم اختلفوا في سبب بنائه، فذهب بعضهم إلى أنه مبني بسبب من تضمنه معنى حرف الإشارة؛ لأن الأصل في أسماء الإشارة أن تكون بالحرف مثل الشرط والنفي والتمني فلما لم يفعلوا ذلك ضَمَّنُوا (أولاء) معنى الحرف فبنوها^(٤). ومنهم من ذهب إلى أنها وقعت موقع المبني وهو فعل الأمر (أمر أو نيه)^(٥)، والراجح أن هذه الأسماء مبنية لتضمنها معنى حرف الإشارة، وهو الأصل في بنائها^(٦).

أما حركة البناء، فيمكن القول: إن الكسرة الظاهرة في آخر اللفظ طارئة على هذا الاسم، والأصل في (هؤلاء) السكون، ولكن سكون الألف التي قبل الهمزة أدى إلى اجتماع ساكنين في البنية، وهما الألف والهمزة (هؤلاء) فحركوا الهمزة بالكسر تخلصاً من التقاء الساكنين^(٧). ومما يعزز هذا الأمر أن الأصل في كل مبني أن يكون بناؤه على السكون وكل حركة غيرها تكون طارئة^(٨).

وقد ذكرت في لفظة (أناس) التي جاءت على وزن (فَعَال) اختلاف الصرفيين في هذا الوزن إن كان يعدُّ جمعاً أو لا، وخلصت بنتيجة انه في رأي سيبويه وابن خالويه وابن عصفور يعدُّ جمعاً^(٩). وعلى الرغم من أن (هؤلاء) و(أولئك) تمثلان صيغة جمع لأسماء الإشارة فإنها ليست جمعاً لاسم الإشارة المفرد (هذا) أو (هذه)، وهذا ما لم يغفل عنه النحويون، فقد لاحظوا أن هذه الأسماء لا تجمع وفق قواعد الجمع الصحيح السالم؛ فالأصل في جمع (هذا) أن يكون (هاذون) لجماعة المذكرين، و(هذات) لجماعة النساء، بيد أن ذلك مخالف للوضع اللغوي لهذه

(١) ينظر: أسماء الإشارة في القرآن الكريم : ١٩١ .

(٢) ينظر: شرح الرضي على الكافية : ٣١/٢ .

(٣) ينظر: المقتضب: ٢٨٨/٢، و: ارتشاف الضرب: ٥٠٦/١ .

(٤) ينظر: أسرار العربية : ١٥، ١٦ .

(٥) ينظر: كشف المشكل (حيدر اليمني) : ١٩٦/١ .

(٦) ينظر: أسماء الإشارة في القرآن الكريم : ١٩٢ .

(٧) ينظر: ما ينصرف وما لا ينصرف (الزجاج): ٨٢ .

(٨) ينظر: المقتصد في شرح الإيضاح : ١٢٥/١ .

(٩) ينظر: لفظة (أناس) في الحقل الأول من هذا البحث.

الطائفة من الأسماء فلم يسمع مثل هذه الصيغ المذكورة آنفاً، حتى إنَّ اللغويين وصفوا بعضها - وهي هذات - بأنها شاذة مرغوب عنها مع قلة ورودها^(١).

ويبدو أنَّ اختلاف طريقة الجمع في هذه الأسماء كان بسبب من مخالفة ألفاظ الإشارة للأسماء الأخرى في الإعراب والتصغير، إذ لا يضم أولها عند تحقيرها، ويمثل هذا خصيصة تميزها من سواها من الأسماء^(٢)، فوجب أن تكون ألفاظ الإشارة مخالفة لبقية الأسماء في الجمع^(٣). ووفقاً لذلك تكون (أولاء) صيغة جمع مُكسَّر لم تجر على لفظ واحدتها المفرد (هذا) وغيره، وهو مذهب جمهور النحويين القدامى والمحدثين^(٤).

وتوجد لغات في (أولاء) منها المدّ والقصر^(٥)، وأكثرها حاصل بسبب من التغيرات الصوتية المتعلقة بالنطق، فهي آثار لهجية احتفظ هذا الاسم ببعضها واختفى أثر بعضها الآخر، وقد فصلَّ الباحث حسام عدنان القول فيها^(٦). وعلى هذا فإن لفظة (أولاء) تتكون من ثلاثة مقاطع صوتية^(٧) وهي :

ء / لَ / عَ -

وقد استعمل هذا اللفظ (أولاء) في غير موضع من القرآن الكريم، منها قوله تعالى:

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ٣١). فجاءت (أولاء) مقترنة بـ (ها) التنبيه وهي الصيغة الشائعة في القرآن الكريم إذ وردت في ستة وأربعين موضعاً ودلالة (هؤلاء) على الجمع في هذه الآية واضحة؛ وذلك أنها مضافة إلى (أسماء) وهي قرينة نسبية ولما جاءت (أسماء) بصيغة الجمع وذلك في قوله: ﴿الْأَسْمَاءُ كُلَّهَا﴾ فناسب هذا أن تدل (هؤلاء) على الجمع.

وتوافرت مزية في الاستعمال القرآني لهذا اللفظ إذ يلحظ فيه الإشارة إلى المذكر أكثر من المؤنث، وهي ظاهرة شائعة ويتضح هذا في قوله تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ (آل عمران من الآية ١١٩). فأشارتها إلى المذكر واضحة ذلك أنها أشارت إلى رجال من المسلمين كانوا يواصلون رجالاً من اليهود لِمَا كان بينهم من الصداقة والقرابة^(٨)، ودلالاتها على الجمع واضحة؛ لأنه تعالى أعاد الضمير عليها بصيغة الجمع وذلك

(١) ينظر: تاج العروس (هذي): ٤٣٤/١٠.

(٢) ينظر: الجمل في النحو (الزجاجي): ٢٥١.

(٣) ينظر: ما ينصرف وما لا ينصرف: ٨١.

(٤) ينظر: شرح المفصل: ١٢٦/٥.

(٥) ينظر: صيغ الجموع في اللغة العربية: ٨٩.

(٦) ينظر: أسماء الإشارة في القرآن الكريم: ١٩٣.

(٧) ينظر: المصدر نفسه: ١٩٨.

(٨) ينظر: مجمع البيان: ٤٩٢/٢.

في قوله: ﴿لا يحبونكم﴾، وقوله: ﴿تؤمنون﴾ فضلا عن أنّ (هؤلاء) بدل من (أنتم) التي تدل على الجمع.

وأما إشارة (هؤلاء) على الإناث فنجدها في قوله تعالى: ﴿هؤلاء بناتي هن أظهر لكم فأتقوا الله ولا تخزون﴾ (هود من الآية ٧٨).

فاستعملت مع الإناث ودلت على الجمع أيضاً؛ بدلالة قوله ﴿بناتي﴾، و﴿هن﴾. ويمكن القول إنّ (أولاء) دلت على المذكر والمؤنث المجموعين بسبب مجيئها بصيغة جمع التكسير وهو الذي أضفى عليها تلك الدلالة المشتركة^(١)، ونلاحظ أنّ هذه الآيات دالة على العاقل أما دلالتها على غير العاقل فنجدها في قوله تعالى:

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَنْتَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (يونس: ١٨).

والمراد بـ(هؤلاء) الأصنام التي يعبدها المشركون، وهي كيانات جامدة غير عاقلة^(٢).

ومن استعمال (هؤلاء) للعاقل وغير العاقل في كلام العرب، قول القطامي:^(٣)
يأما أميلح غزلاًنا شدنّ لنا
من هؤلّيائكن الضال والسمر
ومثل هذا قول ابن مالك الذي أشار فيه إلى دلالة (أولى) إلى المذكر والمؤنث والعاقل وغيره^(٤)

وبأولى أشر لجمع مطلقاً والمدّ أولى ولدى البعد انطقاً
وفي ضوء ما تقدم يتبين لنا أنّ (أولى وأولاء) استعملت في القرآن الكريم، وفي كلام العرب للدلالة على الجمع القريب، وأنها لم تجر على لفظ واحد المفراد (هذا أو هذه).
وانها وظفت للدلالة على المذكر والمؤنث، وعلى العاقل وغير العاقل، وبذا تكون (أولى وأولاء) جمعاً ليس له مفرد من لفظه دالّ على العاقل وغير العاقل.

٢ - لفظة أولئك:

(١) ينظر: أسماء الإشارة في القرآن الكريم : ١٩٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه : ٢١٤.

(٣) لم أعر عليه في ديوانه، وهو في شرح قطر الندى: ٣٥٩، و: همع الهوامع: ٧٦/١.

(٤) شرح ألفية ابن مالك (ابن الناظم): ٣٢، : البهجة المرضية في شرح الألفية (السيوطي): ٥٩/١.

لا يشدُّ هذا الاسم عن اسم الإشارة (أولاء)، فكلاهما صيغة لبناء واحد، سوى أنَّ الأول للقرب و(أولئك) للبعد. ووفقاً لذلك يكون هذا اللفظ صيغة جمع لاسمي الإشارة (ذا و ذه)^(١).

البنية الصرفية لصيغة أولئك :

لمَّا كان لفظ (أولئك) المتكون من أربعة مقاطع صوتية وهي:

ءُ / لَ / ءَ / كَ .

مقتصرًا إلى حاضرٍ يشار إليه لزمَ البناء^(٢)، وهذه علة تبدو مقترنة بدلالته على البعد، وأحسب انه مبني بسبب من تضمنه معنى حرف الإشارة وهي العلة نفسها التي بُنيت بسببها ألفاظ الإشارة^(٣)، وقد أجمع النحويون على أنَّ الأصل في صيغة (أولئك) أن تكون مقصورة نظير قولهم: (قرى وبرى)^(٤).

ويفهم من ذلك أنَّ المد فيه خروج عن الأصل على الرغم من جواز كلتا اللغتين، وهو مذهب أكثر اللغويين^(٥).

وتطراً على هذه البنية مجموعة من التغيرات عند نطقها بلغة المدّ التي استعمل بها هذا الاسم، فعند مدِّ (إلى) تزداد الألف بعد اللام؛ كي يبنى الاسم بها على المدّ فاجتمعت ألفان، الأولى هي المبدلة من اللام، والثانية هي ألف المد وكلاهما ساكن، واللازم في هذا أن يتخلص من التقاء الساكنين بإحدى الطريقتين^(٦):

١- حذف احد الساكنين، وهذا الحذف ممتنع هنا لئلا تنتقض دلالة المد في الاسم^(٧).

٢- تحريك الساكن الثاني منهما، ولم يجز تحريك الألف الأولى (أي: صوت المد)؛ لأن تحريكها يؤدي إلى قلبها همزة، وهذا يوجب مفارقة المدّ ودلالته، فاخترت تحريك الألف الثانية فانقلبت همزة؛ لأنها أقرب حرفٍ إلى الألف^(٨). وهذا يثبت لنا أنَّ الهمزة في (أولئك) ليست بأصل في بنية اللفظ وإنما هي منقلبة عن الإلف، وقد بني الاسم على الكسر بسبب من مدّه، وهذا مذهب جمهور اللغويين والنحويين إذ الكسرة طارئة عليه؛ لأن أصل بنائه السكون^(٩).

(١) ينظر: الصحاح(أولى) : ٢٥٤٤/٦، و: صيغ الجموع في اللغة: ٨٩.

(٢) ينظر: المقتضب: ٢٧٩/٤.

(٣) ينظر: أسماء الإشارة في القرآن الكريم: ٢١٧.

(٤) ينظر: دقائق التصريف: ٥٤١، و: شرح المفصل(ابن يعيش): ١٣٣/٣.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة (أولى): ١٧/١٥.

(٦) ينظر: أسماء الإشارة في القرآن الكريم : ٢١٧.

(٧) ينظر: شرح المفصل: ١٣٣/٣.

(٨) ينظر: شرح المفصل: ١٣٣/٣.

(٩) ينظر: الصحاح (أولى): ٢٥٤٤/٦.

على الرغم من أن (أولئك) تمثل صيغة جمع لأسماء الإشارة فهي ليست جمعا لاسم الإشارة المفرد (هذا وهذه) وهذا ما ذكره النحويون، فقد لاحظوا أنّ هذه الأسماء لا تجمع وفق قواعد الجمع الصحيح السالم، وقد ذكّرتُ في لفظة (هؤلاء) المذكورة آنفاً أنّ اختلاف طريقة الجمع في هذه الأسماء كان بسبب من مخالفة أسماء الإشارة للأسماء الأخرى في الإعراب والتصغير.

ووفقاً لذلك تكون لفظة (أولئك) صيغة جمع مكسّر لم تجر على لفظ واحدتها المفرد (هذا وهذه) وهذا ما ذهب إليه النحويون^(١).

وقد جاء استعمال (أولئك) في القرآن الكريم بشكل فاق فيه اسم الإشارة (هؤلاء) فلا تتناسب بين هذين الاسمين من جهة مرات ورودها في الذكر الحكيم، إذ استعملت بصيغتها المجردة من ميم الجمع (أولئك)، وهي الصيغة الأكثر شيوعاً في النظم القرآني فقد ذكرت في مائتين وأربعة مواضع^(٢)، منها قوله تعالى :

﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين﴾ (البقرة ١٦).

تضافت في هذه الآية عدة قرائن أثبتت أنّ (أولئك) تدل على الجمع، منها قرينة السياق وهي أنّ هذه الآية جاءت في سياق ذكر الذين كفروا، والذين يخادعون الله؛ وهم مجموعة من الناس وليس شخصاً واحداً وهذا ما دلت عليه الآيات التي سبقت هذه الآية^(٣). أما القرينة الثانية فهي قرينة التبعية وذلك في قوله تعالى: ﴿أولئك الذين﴾ فـ (الذين) هنا بدل من (أولئك) وهذه القرينة تقتضي المطابقة في العدد والمعدود فـ (الذين) هنا دلت على مجموعة من الناس بدليل صيغتها من جهة وعود الضمير بصيغة الجمع عليها من جهة أخرى وذلك في الألفاظ (اشتروا)، و(تجارتهم)، و(كانوا)، و(مهتدين)، فناسب هذا أنّ تدل (أولئك) على الجمع وليس على المفرد. والآية الثانية قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ (آل عمران من الآية ٧٧). إذا لاحظنا القرائن اللفظية الواردة في سياق هذه الآية نجد أنّ الخطاب موجه إلى الذكور من دون الإناث، وذلك أن الاسم الموصول الذي في صدر الآية يستعمل للجمع المذكور، وهذا يعضد استعمال لفظ الإشارة إلى المذكورين، فضلاً عما ذكره المفسرون من أنّ هذه الآية نزلت في جماعة من أحبار اليهود.

(١) ينظر: شرح المفصل: ١٠٦/٥ .

(٢) ينظر: المعجم المفصل لألفاظ القرآن الكريم: ١٣٨، ١٤٢ .

(٣) ينظر: سورة البقرة: ٦-١٥٠ .

وثمة موضع واحد استعمل فيه (أولئك) مشاراً به إلى المذكر والمؤنث المنصوص عليها في سياق الآية، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (غافر: ٤٠). فقال تعالى: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى﴾ وأردفها بقوله: ﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا﴾ فإعادة الضمير في قوله: (يدخلون) و (يرزقون) على قوله: (من ذكر أو أنتى) بصيغة الجمع دليلٌ على أن (أولئك) أشارت إلى التذكير والتأنيث. ففي الآيات المذكورة آنفاً أشارت (أولئك) إلى الجمع العاقل، أما إشارتها إلى الجمع غير العاقل فقد ساق جمهور من اللغويين قولاً لجريير استعمل فيه (أولئك) مشيراً فيه إلى الجمع غير العاقل وهو قوله: (١)

نمُّ المنازل بعد منزله اللوى والعيشُ بعد أولئك الأيام

فأشار إلى (الأيام) بـ (أولئك)، وهذا يثبت أنّ (أولئك) تستعمل مع العاقل وغير العاقل. وفي ضوء ما تقدم من شواهد قرآنية، ومن كلام العرب تبين لنا أنّ صيغة (أولئك) دلت على الجمع البعيد في الموارد جميعها التي استعملت فيها، ولم تجر على لفظ واحد المفراد (هذا أو هذه) وأنّها دلت على العاقل وغير العاقل، وبذلك تكون لفظة (أولئك) جمع ليس له مفرد من لفظه دال على العاقل وغير العاقل.

ألفاظ العقود

الدلالة المعجمية:

العَدُّ: ((الجمْعُ بين أطراف الشيء، ويستعمل ذلك في الأجسام الصلبة كعقد الحبل وعقد البناء))^(١)، ثمَّ يستعار ذلك ليدل على أكثر من معنى^(٢)، إلا أنها إذا جاءت بصيغة الجمع وعلى وزن (فُعُول) وكانت مضافة إلى كلمة (ألفاظ) فإنّها في هذه الحالة تكون مختصة بالإعداد من (عشرين إلى تسعين)^(٤)، ولاسيما إذا استعملت في الجانب النحوي. وممّا ينبغي الإشارة إليه: أنّ (ألفاظ العقود) دلت على العاقل وغير العاقل مع أنّها جاءت على صيغة جمع المذكر السالم المخصوص بمن يعقل، والذي سوَّغ ذلك ما قاله الجرجاني (ت ٤٧١هـ): ((وأما عشرون وثلاثون إلى تسعين، فإن الذي جوَّز أن يكون الواو والنون في

(١) ديوانه: ٩٩٠.

(٢) المفردات: ٣٥٤.

(٣) ينظر: ما اتفق لفظه واختلف معناه (ابن الشجري): ٣٢١.

(٤) ينظر: شرح التسهيل: ٧٩/١.

ذلك دليلاً على الجمع، أن العدد يقع على الأنواع كلها، فلما كان كذلك غلب ما يعقل على ما لا يعقل، حتى كان نحو عشرون لا يكون إلا لِمَا يعقل كما غلب المذكر على المؤنث في قولهم: أخواك هند وزيد))^(١)، وقد اخذ بهذا الرأي الانباري^(٢).

البنية الصرفية لألفاظ العقود :

ألفاظ العقود من الألفاظ التي اجتمع فيها التذكير والتأنيث، وهذا ما نجده في (ثلاثين) على سبيل المثال إذ تدل ثلاث على عدد مؤنث، والواو والنون علامة جمع المذكر السالم فاجتمع ذلك في ألفاظ العقود، ومميزها مفرد منصوب^(٣).
وقد أجمع النحاة على أن ألفاظ العقود ملحقة بجمع المذكر السالم وليست جمعاً حقيقياً؛ لأنها لم تستوفِ شروط جمع المذكر السالم من جهة^(٤)، وللمشابهة اللفظية بينهما، وبين جمع المذكر السالم من جهة أخرى^(٥).
وقد اختلف النحويون والصرفيون في مفرد ألفاظ العقود.

فذهب ابن عصفور وابن مالك وابن هشام، ومن المحدثين الدكتور هادي نهر إلى أن ألفاظ العقود ليس لها واحد من لفظها^(٦)، وذهب الدكتور عبد المنعم سيد عبد العال إلى أن ألفاظ العقود ليس لها واحد من لفظها ولا من معناها^(٧)، بيد أن الدكتورة باكزة رفيق حلمي ترى غير ذلك إذ قالت: ((والحقيقة أن لهذه الألفاظ مفرداً من لفظها شكلاً هو أعداد الأحاد من ثلاثة إلى تسعة فلكل عدد منها لفظ مفرد شكل دال على مقدار معين من الواحد وبإضافة علامة الجمع المذكر السالم إليه تنتقل مرتبة العدد من الأعداد الدالة على أفراد من الواحد إلى عشرات أمثال ذلك اللفظ، فـ (ثلاثون) عشرة أمثال الثلاثة و(الأربعون) عشرة أمثال الأربعة وهكذا. وما ينوب عن العشرة وهو اسم العدد الدال على الجمع والكثرة وهو الواو والنون في الرفع والياء والنون في النصب والجر ولا يصيب اللفظ المفرد أي تغيير بإضافة هذه العلامة إليه سوى ما يصيب الاسم المذكر الصحيح عند جمعه بالواو والنون))^(٨). وهذا يجري

(١) المقتصد في شرح الإيضاح العضدي: ١/١٩٩.

(٢) أسرار العربية: ٤٩.

(٣) لمحات عن دراسة العدد في القرآن الكريم (محمد عبد الخالق عزيمة): ٢٥.

(٤) شرح التسهيل: ١/٧٩.

(٥) الفيصل في ألوان الجموع: ١٤.

(٦) ينظر: شرح جمل الزجاجي (ابن عصفور): ١/٢٨٢، و: شرح التسهيل: ١/٧٩، و: قطر الندى: ٤٨،

و: الصرف الوافي: ١٥٦.

(٧) جموع التصحيح والتكسير: ١٦.

(٨) صيغ الجموع في اللغة العربية: ٨٤.

على جميع ألفاظ العقود باستثناء العدد (عشرين) الذي يرى المبرد أنه لم يكن على منهاج سائر العقود إذ قال: ((لم يكن في (العشرين) على منهاج سائر العقود غيره وهذا دليل على مجيئه على غير وجهه - أي: جمع المذكر السالم -))^(١). وقال المبرد في شرح العبارة: ((وأما قولنا: إنه على خلاف العقود؛ فإنما هو لأنك اشتقت (الثلاثين) من (الثلاثة)؛ لأنها ثلاثة عقود، وكذلك فعلت بـ (الأربعين) و(الخمسين) وما بعده إلى (التسعين) فكان الواجب إذا اشتقت (الثلاثين) من الثلاثة أن تشتق (العشرين) من الاثنين))^(٢)، ويرى المبرد أن هذا لا يجوز؛ لأن الاثنين مما إعرابه في وسطه، فلو فُعلَ به ما فُعلَ بالثلاثة، حيث صيرت إلى الثلاثين، لبطل معناه، وصير إلى الأفراد ولم يقع مفرداً قط فالمبرد يرى أن الامتناع فيه كالضرورة.

ويبدو أن هذا هو الذي دفع المستشرق الألماني (براجشتراسر) إلى أن يعد (العشرين) مثلى وليس جمعاً ويتضح هذا من قوله ((العشرين.... أصلها العَشْران تنثية: عَشْر... و(الثلاثون) جمع: (الثلاث) وكذلك إلى (التسعين) ... فالأصل هو التنثية في العشرين، والجمع فيما بعدها، ثم صارت كلها جمعاً في بعض اللغات السامية، وكلها تنثية في باقيةها))^(٣).

يستفاد من هذا أن المبرد من القدماء وبراجشتراسر والدكتورة باكزة من المحدثين يرون أن ألفاظ العقود تعدّ جمعاً حقيقياً وليست ملحقة بجمع المذكر السالم، وإن لها مفرداً من لفظها شكلاً.

وقد ذُكرت جميع ألفاظ العقود في القرآن الكريم، فذكر العدد (عشرون) مرة واحدة، و(الثلاثون) مرتين، و(الأربعون) سبع مرات، و(الخمسون) مرتين، و(الستون) مرة واحدة، و(السبعون) ثلاث مرات، و(الثمانون)، و(التسعون) كل منهما مرة واحدة.

وقد استعمل العدد في القرآن الكريم لمعالجة كثير من جوانب الحياة الفكرية والاجتماعية والدينية، ودخل في مجال العقائد والأحكام والعقوبات وفي مجالات أخرى، وقد فصل القول في هذه المسألة الباحث عايد محمد في رسالة الموسومة بـ (العدد في القرآن الكريم)^(٤).

ومن استعمال العدد للدلالة على جماعة العقلاء قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (الأنفال: ٦٥).

(١) المقتضب: ٤٥٣/١.

(٢) المقتضب: ٤٥٤/١.

(٣) التطور النحوي للغة العربية: ١٢٢.

(٤) العدد في القرآن الكريم دراسة دلالية (عايد)، رسالة ماجستير، جامعة القادسية، كلية الآداب: ٣٦-١١٣.

ودلالة (عشرون) على الجمع واضحة، إذ أعاد الضمير عليهم بصيغ الجمع في قوله: (صابرون)، و(يغلبوا) والمقصود بهم (المؤمنين) ودلّ على هذا ذكرهم في صدر الآية في قوله تعالى: (حرض المؤمنين). ومثل هذا قوله تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ نُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ (لأعراف: ١٥٥)

ومن استعمال ألفاظ العقود للدلالة على الجمع غير العاقل قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ (ص من الآية: ٢٣)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَاوَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ (البقرة من الآية: ٥١).

ومن استعمال العدد للدلالة على الجمع في كلام العرب قول زهير بن ابي سلمى: (١)
سئمت تكاليف الحياة ومن يعش
ثمانين حولاً لا أباً لك يسأم
والسياق الذي وردت فيه لفظة (ثمانين) في هذا الشاهد، فضلاً عن إضافتها إلى لفظة (حولاً) يثبت دلالتها على الجمع.

وفي ضوء ما تقدم يتبين لنا أنّ ألفاظ العقود استعملت في القرآن الكريم وفي كلام العرب للدلالة على الجمع العاقل وغير العاقل، وعلى المذكر والمؤنث.
وأما مفرد ألفاظ العقود فقد اختلف فيه النحويون، فذهب معظمهم إلى أنها ليس لها مفرد من لفظها، وذهب آخر إلى أن ليس لها مفرد من لفظها ومعناها. في حين يرى بعضهم أنها لها مفرد من لفظها شكلاً.
فعلى الرأي الأول والثاني فإنّ ألفاظ العقود تعد ملحقاتاً بجمع المذكر السالم؛ وذلك لعدم توافر شروط جمع المذكر السالم فيها، إذ ليس لها مفرد من لفظها.
أما على الرأي الثالث فإنها تعدّ جمع مذكر سالماً، وله مفرد من لفظه شكلاً.

لفظة بضع

الدلالة المعجمية :

(١) ديوان زهير بن ابي سلمى: ٢٩.

البضع في اللغة: القَطْع، وبَضَعَ اللحم يبضعه بضعاً قطعاً، والبِضْعَةُ قطعة لحم^(١)، وفلان بضعه من فلان: يذهب به إلى الشبه، وفي الحديث (فاطمة بضعه مني)^(٢). وقد تكسر أي جزء مني كما أنَّ القطعة جزء من اللحم^(٣)، والبضاعة: طائفة من المال تبعثها للتجارة^(٤). و (البِضْع) من العدد ما بين الثلاثة إلى التسعة، وقد اختلف اللغويون في تحديد القيمة العددية للفظ (بضع) فقيل: إنَّه من ثلاثة إلى عشرة^(٥)، وقيل: إنَّه ما لم يبلغ العقد ولا نصفه أي: أقل من نصف الخمسة^(٦)، وقيل: إنَّه من ثلاثة إلى تسعة^(٧)، وقيل: إنَّه فوق الخمسة دون العشرة^(٨)، إلا أنَّ الرأي الراجح عند المفسرين واللغويين أنَّ بضع من ثلاثة إلى تسعة، قال ابن مالك: ((والأولى أنَّ بضع من ثلاث إلى تسع))^(٩). وهو الرأي الذي يميل إليه الباحث. وقد اختلف اللغويون أيضاً في لفظ (بضع) إذا جاوزت العشرة، فمنهم من ذهب إلى أنَّ العدد إذا جاوز العشرة ذهب البضع^(١٠)، ومنهم من ذهب إلى جواز ذلك تقول: ((له بضع وعشرون امرأة، وبضعة وعشرون رجلاً))^(١١). ولا يستعمل (بضع) مع المائة والألف^(١٢).

البنية الصرفية للفظ بضع :

لفظة (بِضْع) ((تأتي بكسر الباء وفتحها))^(١٣). وتستعمل استعمال العدد، فتلحقها الهاء مع المذكر وتحذف مع المؤنث، قال سيبويه: ((أما بضعه عشر فبمنزلة تسعة عشر في كل شيء، وبضع عشرة كـ (تسع عشرة) في كل شيء))^(١٤)، إذ تقول: ((لبثت بضعه أعوام، وبضع سنين))^(١٥)، و((عندي بضعه عشر غلاماً، وبضعه عشرة أمة))^(١٦). وقد وردت لفظة (بِضْع) دالة على العدد في القرآن الكريم مرتين، الأولى في قوله تعالى:

(١) ينظر: الصحاح(بضع): ١/١١٨٦، و: شرح الفصيح (الزمخشري): ٢/٤٩٦، ٤٩٥.

(٢) أمالي الصدوق (الصدوق): ٦٢، و: أعيان الشيعة(الاميني): ١٣/٥٥٥.

(٣) ينظر: الصحاح (بضع) ١/١١٨٦، و: لسان العرب(بضع): ٥/١٤.

(٤) ينظر: الصحاح (بضع) : ١/١١٨٦.

(٥) ينظر: العين(بضع): ١/٢٨٦، و: الجمهرة (بضع): ١/٣٧٥، و: الصحاح (بضع): ١/١١٨٥.

(٦) ينظر: مجاز القرآن: ٢/١١٩.

(٧) ينظر: شرح الفصيح: ٢/٤٩٥، و: اللسان (بضع): ٥/١٥، و: المعجم الوسيط: ٦٠.

(٨) ينظر: المفردات: ٥٥.

(٩) شرح الكافية الشافية: ٢/١٩٣، وينظر: حاشية الصبان: ٤/١٠٣.

(١٠) ينظر: بصائر ذوي التمييز: ٢/٢٥٠.

(١١) لسان العرب(بضع): ٥/١٦.

(١٢) ينظر: المصدر نفسه(بضع): ٥/١٦.

(١٣) إصلاح المنطق: ٣٠.

(١٤) كتاب سيبويه: ٤/٤.

(١٥) شرح الكافية الشافية: ٢/١٩٢.

(١٦) المحيط في أصوات اللغة ونحوها وصرفها: ٣/٦٤.

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ (يوسف: ٤٢).

وقد ذكر المفسرون أن المراد بـ (بضع) هنا: سبع سنين^(١). أما الآية الثانية فهي قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿١﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ (الروم الآيتين: ٣، ٢)

وقد ذكر المفسرون أن (الروم) قد انتصروا على الفرس بعد سبع سنين^(٢). وهذا يثبت أن (بضع) استعملت في القرآن الكريم للدلالة على ما دون العشرة. وقد استعملت في الدلالة نفسها في الحديث الشريف: ((صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في بيته وصلاته في سوقه بضعا وعشرين درجة))^(٣).

وفي هذا دليل على أن (بضع) تستعمل مع ألفاظ العقود. ومثل هذا قول أبي تمام:^(٤)

أقول حين أرى كعباً ولحيته لا بارك الله في بضع وستين

وفي ضوء ما تقدم يتبين لنا أن لفظة (بضع) من الألفاظ التي تدل على العدد إلا أن بينها وبين العدد اتفاق واختلاف يتمثل بما يأتي:

١- إن لفظة (بضع) تدل بصيغتها ونصها الحرفي على عدد مبهم لا تحديد ولا تعيين فيه لكنه لا يقل عن ثلاثة ولا يزيد على تسعة، وأنها إذا ذكرت لا ينصرف الذهن إلى واحد من دون غيره من هذه الأعداد.

٢- إن لفظة (بضع) تعامل معاملة الأعداد من (ثلاثة إلى تسعة) وما بينهما فتندكر مع المؤنث وتؤنث مع المذكر.

٣- إن لفظة (بضع) إذا لم تُركَّب مع العشرة فإنَّ تمييزها مجرور، وإذا رُكِّبت مع العشرة فإنَّ تمييزها مفردٌ منصوبٌ.

٤- إن لفظة (بضع) تستعمل مع العاقل وغير العاقل.

٥- إن لفظة (بضع) إذا استعملت استعمال العدد فإنها تدلُّ على الجمع وليس لها مفرد من لفظها، وتكون حينئذٍ اسم جمع لا جمعاً حقيقياً.

(١) جامع البيان: ١١٤/١٦، و: الوسيط في تفسير القرآن المجيد: ٦١٤/٢، و: معالم التنزيل: ٤٢٨/٢، و: البحر المحيط: ٣١١/٥.

(٢) ينظر: روح المعاني: ١٤٧/٦، و: الأمثل: ٣٤٣/٢.

(٣) سنن ابن ماجه: (محمد القزويني): باب المساجد والجماعات: ٤٣٠/١٦.

(٤) ينظر: الصحاح (بضع): ١١٨٦/١.

لفظة خَلَقَ

الدلالة المعجمية:

ذكرت مصادر الوجوه والنظائر ثمانية أوجه للفظ (خَلَقَ) هي: ((الإيجاد، والكذب، والتصوير، والجعل، والنطق، والموت، والدين))^(١). وهذا يعني أن لفظة (خَلَقَ) في نظرهم تُعدُّ من المشترك اللفظي، في حين أنا لو أنعمنا النظر في هذه الأوجه نجد أن جميعها ترجع إلى أصل واحد، وهو الإيجاد والإحداث على تقدير وترتيب^(٢). وذلك على الوجه الآتي:

١- الوجه الأول (الكذب) إذ إنَّ التَّخَرَّصَ والكذب عموماً لا يخرج عن معنى الإحداث والإيجاد على غير حقيقة، قال ابن فارس: ((الخلَق: خَلَقَ الكذب وهو اختلاقه واختراعه وتقديره في النفس))^(٣). ((فمأل المعنى من حيث الأصل الإيجاد على تقدير وترتيب سواء كان حقاً أم باطلاً، وما دامت العلاقة قائمة بن المعنيين فلا اشتراك لفظي بينهما))^(٤).

٢- الوجه الثاني: (التصوير) وشاهدهم فيه قوله تعالى: ﴿وَأَدَّ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأَيْدِي﴾ (المائدة من الآية: ١١٠)، و(الخلَق) هنا تقدير شيء من شيء، ((ولعله يكون مقبولاً عند أهل التفسير حمل المعنى على ظاهره ما دام معلقاً بمشيئة الله، فالخلَق في الآية منسوب لعيسى (عليه السلام) ظاهراً لكنه لله حقيقة حيث شاء أن يجري المعجزة على يده، وبذلك لا تخرج الكلمة عن معناها في الإيجاد والتقدير))^(٥).

٣- الوجه الثالث: (الجعل) وشاهدهم فيه قوله تعالى: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ﴾ (الشعراء من الآية: ١٦٦)). وقد حمل أبو حيان اللفظ على ظاهر معناه في الخلق فقال: ((أي: العضو المخلوق للوطة))^(٦). وصحة توجيه اللفظ لما وضع له تبطل حمله على ما سواه^(٧).

٤- الوجه الرابع: (النطق) وشاهدهم فيه قوله تعالى: ﴿أَنطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (فصلت من الآية ٢١). ويبدو أنهم حملوا (النطق) على (الخلَق) من قبيل

(١) ينظر: الأشباه (مقاتل): ٢٦١، و: الأشباه (الثعلبي): ١٣١، و: إصلاح الوجوه والنظائر: ١٦٢، و: المنتخب: ١٠٧، نزهة الأعين والنواظر: ٣٨٣.

(٢) الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم (المنجد): ١٠٣.

(٣) معجم مقاييس اللغة (خلق): ٢/٢١٤.

(٤) الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم: ١٠٣.

(٥) الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم: ١٠٣.

(٦) البحر المحيط: ٢٦ / ٧.

(٧) ينظر: الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم: ١٠٤.

المجاورة بيد أن النص القرآني واضح في عبارته؛ فحين أراد النطق عَبَّرَ به، وحين أراد الخَلْقَ عَبَّرَ به كذلك^(١)، فلكل لفظٍ معناه ولا اشتراك بينهما.

٥- الوجه الخامس: (البناء) وشاهدهم فيه قوله تعالى: ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلَهَا فِي الْبِلَادِ﴾ (الفجر: ٨). والمعنى عند أبي حيان بعيد عن معنى البناء، إذ قال: ((والضمير في (مثلها) عائد على القبيلة - عاد - أي: في عظم أجسام وقوة))^(٢)، والخلق على هذا جار على أصله ولا وجه للاشتراك فيه^(٣)

٦- الوجه السادس: (الموت) وشاهدهم فيه قوله تعالى: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ❀ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ (الإسراء من الآيتين ٥٠، ٥١).

وقد فسَّرَ (الخلق) في هذه الآية بأقوال كثيرة^(٤)، فقيل: إنَّه الموت، وقيل: إنَّه السموات والأرض والجال، ويحتمل غير ذلك غير أن هذه الأقوال جميعها ليست تفسيراً للفظ (خَلْق) ذاته وإنما هي تأويل لما يكبر في صدور الكفار، ويرى الدكتور محمد المنجد: أن ((الخلق هنا بمعنى المخلوق عَبَّرَ بالمصدر عن المعقول ولم يخرج عن دلالة جذره في الإيجاد والتقدير والترتيب^(٥)).

ويجري الأمر نفسه على ما قيل في الوجه الثامن إنَّه يعني (الدين)، وعلى هذا فإنَّ (الخلق) تعني القدرة على الإيجاد والتقدير والترتيب وهو الذي يهمننا في هذا البحث.

البنية الصوتية والصرفية للفظه خلق :

يتألف النسيج المقطعي للفظه (خَلْق) من مقطعين: الأول: طويل مغلق، والثاني: قصير قصير مفتوح، وذلك على الشكل الآتي:

خ - ل / ق - ؤ .

ولفظه (خَلْق) تتكون من ثلاثة أصوات، وهي:

أولاً: صوت الخاء: وهو صوت حلقي، مخرجه ما بين الحنجرة وجذر اللسان، يقع مع الغين في حيز واحد^(٦)، ويرى الخليل أنَّ الغين أقرب إلى الفم من الخاء في حين يرى سيبويه العكس^(٧)، وقد أثبتت الدراسات الحديثة أنَّ الخاء أقرب إلى الفم من الغين^(٨). ومع أنَّ كلا

(١) ينظر: المصدر نفسه: ١٠٤.

(٢) البحر المحيط: ٤٦٩/٨.

(٣) المشترك اللفظي في القرآن الكريم: ١٠٥.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ٤٦/٦ .

(٥) ينظر: الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم: ١٠٤ .

(٦) ينظر: العين: ٥٨/١، وكتاب سيبويه: ٤٣١/٤، و سر صناعة الإعراب: ٥٢/١ .

(٧) ينظر: كتاب سيبويه: ٤٣٣/٤ .

الصوتين حنكي قصي إلا أن الخاء مهموس والغين مجهور^(٢)، وبذا فالخاء (صوت مهموس حنكي قصي احتكاكي)^(٣) .

ثانياً: صوت اللام ومخرجه عند سيبيويه ((من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى))^(٤). وعلى هذا فاللام ((صوت صامت مجهور سني منحرف))^(٥).

ثالثاً: صوت القاف: فالقاف من حيث المخرج يعدُّ صوتاً لهوياً؛ لأن مبدأها من اللهة ((أقصى اللسان وما يليه من الحنك الأعلى))^(٦). وأما من حيث الصفة فهي صوت شديد^(٧)، وقد اختلف القدماء والمحدثون في صفته من الجهر والهمس، فهو عند القدماء وعلماء التجويد صوت مجهور^(٨)، وعند المحدثين صوت مهموس^(٩). وقد علل الدكتور إبراهيم أنيس سبب تحول (القاف) من صوت مجهور إلى صوت مهموس بالتطور الذي حصل في اللهجات العربية إذ قال: ((وقد تطورت القاف في اللهجات العربية تطوراً ذا شأن))^(١٠). وقد فصل القول في هذا الموضوع بشكل وافٍ في كتابه الأصوات اللغوية^(١١).

وقد ذكر الدكتور تمام حسان أن بعض المحدثين سارعوا إلى القول: ((إن النحاة والقراء قد أخطأوا في اعتباره مجهوراً))^(١٢). ولكن المحققين من بعض المحدثين حاولوا أن يجدوا تفسيراً للسبب الذي حمل المتقدمين على وصف القاف بالجهر خارج احتمال وقوعهم بالغلط^(١٣). وقد فصل الدكتور غانم قدوري حمد القول في هذا الموضوع في كتابه (الدراسات الصوتية عند علماء التجويد)، تحت عنوان (مشكلة القاف)^(١٤).

(١) ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية (غانم قدوري): ٨٣ .

(٢) ينظر: الأصوات اللغوية: ٨٩.

(٣) علم اللغة (السعران): ١٦٩ .

(٤) كتاب سيبيويه: ٤/٤٣٣، وينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية: ٨٣ .

(٥) علم اللغة (السعران): ١٦٩ .

(٦) ينظر: العين: ١/٥٨، و: كتاب سيبيويه: ٤/٤٣١، و: سر صناعة الإعراب: ١/٥٢ .

(٧) ينظر: كتاب سيبيويه: ٤/٤٣٤ .

(٨) ينظر: كتاب سيبيويه: ٤/١٣٤، و: سر صناعة الإعراب: ١/٦٩، و: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٢٤٨ .

(٩) ينظر: الأصوات اللغوية: ٧٣، و: علم اللغة (السعران): ١٧، و: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد:

٢٤٨

(١٠) الأصوات اللغوية: ٧٣ .

(١١) ينظر: الأصوات اللغوية: ٧٣ .

(١٢) ينظر: مناهج البحث في اللغة (تمام حسان): ٩٦ .

(١٣) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٢٤٨ .

(١٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢٤٨ - ٢٥٧ .

هذه الأصوات الثلاثة هي التي تكون لفظة (خلق)، وقد ذكر الدكتور عبد الصبور شاهين: ((إنّ الكلمة تتكون من عنصر ثابت وآخر متغير، أما الثابت فهو مجموعة الصوامت التي تؤلف هيكل الكلمة، وأما المتغير فهو مجموعة الحركات التي تحدد صيغتها وتمنحها المعنى الخاص بها))^(١). ولما كان كل تغيير تتعرض له بنية الكلمة ينشأ عن تفاعل عناصرها الصوتية في الممارسة الكلامية^(٢)، فإنّ تغيير حركات كلمة (خَلَق) ذات المقاطع القصيرة الثلاثة إلى (خَلَق) ذات المقطعين أدى إلى تغيير دلالتها من الدلالة على الفعلية إلى الدلالة على الاسمية؛ ذلك أن المصدر الذي ((هو اسم الحدث الذي تحمله الكلمة في أصولها الصامتة، وهو لا يأتي إلا من مادة مخصصة يمكن أخذ المشتقات منها قياساً))^(٣). وقد جاء المصدر (خَلَق) من الفعل (خَلَق) على وزن (فَعَلَ)، مثل: (ضَرَبَ: ضَرَبَ).

والسّر في استعمال المصدر بدلاً من الفعل هو أنّ الاسم يدلُّ على الثبوت في حين أن الفعل يدلُّ على الحدوث والتجدد^(٤)؛ وذلك لأن الفعل مقيد بالزمن، والاسم غير مقيد بزمن من الأزمان، وقد أوضح ذلك عبد القاهر الجرجاني بقوله: ((إن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجديده شيئاً بعد شيء. وأما الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجديد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء))^(٥).

ولا يخفى أنّ الإخبار بالمصدر عن الذات معناه انطباق الذات على ما وصفت به انطباقاً كاملاً، وصار الذات عبارة عن ذلك المصدر، وقد أوضح ذلك ابن جني بقوله: ((إذا وصف بالمصدر صار الموصوف كأنه في الحقيقة مخلوق من ذلك الفعل؛ وذلك لكثرة تعاطيه له واعتياده إياه))^(٦). وقال الزمخشري أيضاً: ((اعلم أنّ العرب تصف الفاعل بالمصدر، فائدته المبالغة في الوصف؛ لأنك إذا قلت: هذا صومٌ كان أبلغ من قولك: صائم، وقد تكون الفائدة في الاختصار.... وأما وصف المفعول بالمصدر فنحو قولهم: هذا خَلَقَ الله))^(٧)، والتقدير: هؤلاء مخلوقات الله، ومثل هذا في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ (الروم من الآية ٥٤).

(١) المنهج الصوتي: ٤٣ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢٥.

(٣) المصدر نفسه: ١٠٩.

(٤) ينظر: الإتيان في علوم القرآن: ٢ / ٣٧٨، و معاني النحو (د. فاضل السامرائي): ١٤٥/٢.

(٥) دلائل الإعجاز (الجرجاني): ١٣٣.

(٦) الخصائص: ٢٦٢/٣.

(٧) شرح الفصيح: ٣٥١/٢.

إذ دلت على تمكن المعنى فيهم كأن الضعف مادة خلقهم^(١). وقد أوضح ذلك الدكتور فاضل السامرائي تحت عنوان (الإخبار بالمصدر عن اسم الذات)^(٢). قال تعالى في ابن نوح: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ (هود من الآية ٤٦) .

فقال: عنه إنه (عمل) فأخبر بالمصدر عن الذات، أي: ابنك يا نوح تحول إلى عمل غير صالح ولم يبق فيه عنصر من عناصر الذات^(٣)؛ وذلك كقولك: رجل عدل. واستشهد الدكتور فاضل السامرائي بقول الخنساء عندما وصفت ناقتها: ^(٤)

ترتع ما رتعت حتى إذا أدكرت فإنما هي إقبال وإدبار

إذ قال: ((أي: كأنها مخلوقة من الإقبال والإدبار لا على أن يكون من باب حذف المضاف أي ذات إقبال وذات إدبار))^(٥) .

يتبين لنا منها هذا العرض الدائر في فلك لفظة (خَلَقَ) أن سبب تسمية كل ما أنشأ الله وبرأ وبثَّ وجعل في الأرض بـ (خَلَقَ)؛ لأنَّ أغلب صفة فيهم أنهم مخلوقون بقدره الله تعالى. فَوَصَّفَهُمُ بِالْمَصْدَرِ (خَلَقَ) دَلٌّ عَلَى تَمَكُّنِ مَعْنَى الْخَلْقِ مِنْهُمْ وَانْطِبَاقِهِ عَلَيْهِمْ انْطِبَاقًا كَامِلًا، وَبِذَا فَكَلَّ مَا فِي الْوُجُودِ هُوَ خَلَقَ اللهُ، وَعَلَى هَذَا تَتَحَوَّلُ دَلَالَةُ لَفْظِ (خَلَقَ) مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَصْدَرِ إِلَى الدَّلَالَةِ عَلَى الْجَمْعِ.

ولفظة (خَلَقَ) على وزن (فَعَلَ)، وقد ذكرت سابقًا آراء الصرفيين في اللفظ الذي يدل على الجمع وهو على وزن (فَعَّلَ)^(٦).

وقد ذُكِرَتْ لَفْظَةُ (خَلَقَ) فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ مَرَّةً، وَقَدْ اسْتَعْمَلَتْ فِيهَا بِالْمَعْنَى الْمَصْدَرِيَّةِ وَبِمَعْنَى الْمَخْلُوقِ، وَمِنْهَا مَا هُوَ صَالِحٌ لِلْمَعْنَى الْمَصْدَرِيَّةِ وَلِمَعْنَى الْمَخْلُوقِ^(٧).

والذي يهمننا الاستعمال الثاني، ونجده في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ هَذَا خَلَقُ اللَّهِ فَرُؤُنِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي

ضَلَالٍ مُبِينٍ

(لقمان: ١١، ١٠).

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم: ٣٧١/١.

(٢) ينظر: معاني النحو: ١٤٧/٢.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٤٨/٢.

(٤) الديوان: ٦٩، البيت من قصيدة رثاء مشهورة رثت فيها الشاعرة صخرًا أخاها.

(٥) ينظر: معاني النحو: ٢٠٩/١.

(٦) ينظر: أهل في الحقل الأول، وخيل، وطير وضأن، وفي الحقل الثاني، وركب في هذا الحقل .

(٧) ينظر: معجم ألفاظ القرآن: ٣٧٣/١.

فدلالة لفظه (خَلَقَ) على الجمع في هذه الآية واضحة من خلال السياق الذي ذكرت فيه الآيتان؛ وذلك أنه تعالى ذكر السموات وإلقاء الرواسي، وكل دابة، وإنبات النبات من كل زوج فضلاً عن ذكر الألفاظ الدالة على الخلق ومنها (خَلَقَ، وألقى، وبتّ) الذي قال فيه ابن كثير: قوله تعالى: ﴿وَبَتَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾؛ ((أي: وذرأ فيها من أصناف الحيوانات مما لا يعلم عدد أشكالها وألوانها إلا الذي خلقها))^(١). فضلاً عن قوله تعالى: ﴿هَذَا خَلْقَ اللَّهِ﴾ إشارة إلى ما ذكر من مخلوقاته^(٢)، والذي قال أبو هلال العسكري فيها: ((قوله تعالى: ﴿هَذَا خَلْقَ اللَّهِ﴾ قد يختص به الناس، فيقال: ليس في الخلق مثله، وقد يجري مجرى المجموعات الكثيرة، فيقال: جاءني خلق من الناس أي: جماعات كثيرة))^(٣). أما الآية الثانية فهي قوله تعالى:

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (فاطر: ١٦).

ودلالة (خَلَقَ) على الجمع هنا واضحة أيضاً؛ إذ قال القرطبي: ((إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ فيها حذف؛ والمعنى إن يشأ أن يذهبكم يذهبكم أي: يفتنكم، و﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: أطوع منكم وأزكى))^(٤).

وأما مفرد لفظه (خَلَقَ) فقد ذكر الزمخشري أن لفظه (خَلَقَ) تُعَدُّ من الألفاظ التي تدلُّ على الجمع وليس لها مفرد من لفظها، ونلمس هذا في قوله: ((ويقع الاسم على الجميع لم يكسر عليه واحد نحو: خَلَقَ))^(٥).

وبهذا يتضح لنا الفرق بين لفظه (أَنَامَ) التي تناولتها في الحقل الأول وبين لفظه (خَلَقَ)؛ إذ إنَّ (الأَنَامَ) دلالتها خاصة بالجن والإنس كما بينت سابقاً^(٦) في حين أن (خَلَقَ) دلالتها عامة وهذا ما أكّده الدكتور بنت الشاطي في قولها: ((وآيات الخلق تؤنن بفرق بينه وبين (الأَنَامَ) فالخلق عام لكل ما خلق الله في السموات والأرض وما بينهما من الملائكة والإنس والجن، ومن حيوان ونبات وجماد ما نعم منها وما لا نعم))^(٧).

نخلص من هذا أن لفظه (خَلَقَ) استعملت في القرآن الكريم للدلالة على المصدر كما في قوله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (آل عمران من الآية: ١٩١)، وللدلالة على المخلوق كما بيّنت في الآيتين المذكورتين آنفاً. ولفظة (خَلَقَ) إذا دلت على

(١) تفسير القرآن العظيم: ٤٢٧/٣، وينظر: الكشاف: ٢٣٠/٣، و أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٥١/٤ .

(٢) البحر المحيط: ١٨٠/٧ .

(٣) الفروق اللغوية: ٢٢٧ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ٢١٦/١٤ .

(٥) المفصل في علم العربية : ٢٤٤ .

(٦) ينظر: لفظه (أَنَامَ) في الحقل الأول من هذا البحث .

(٧) الإعجاز البياني للقرآن الكريم: ٣٧٧، ٣٧٨ .

المخلوق فإنها بهذا المعنى تدل على الجمع، و دلالتها عامّة تشمل كل ما خلق الله في السموات والأرض وما بينهما وهذا هو الذي يبيّن لنا الفرق بينها وبين لفظة (الأنام).

ولفظة (خَلَقَ) على وزن (فَعَلَ)، وقد ذكّرت في طائفة من الألفاظ المذكورة سالفاً في هذا البحث أنّ العلماء اختلفوا في اللفظ الذي يدل على الجمع وعلى وزن (فَعَلَ) وأنّ منهم من ذهب إلى أنّه جمع ومنهم من ذهب إلى أنّه ليس جمعاً، وقد خلصت بنتيجة مفادها أن اللفظ إذا كان يدل على الجمع وعلى وزن (فَعَلَ) فإنه يعدّ جمعاً من حيث الدلالة والاستعمال واسم جمع من حيث التنظير الصرفي.

ركاب وركب

١ - لفظة ركاب:

الدلالة المعجمية :

ذكر اللغويون أن لفظة (ركاب) بالكسر تعني الإبل التي تحمل القوم، وهي جمع لا يفرد^(١). وإنّ الإبل التي تخرُج ليجاء عليها بالطعام تسمى (ركاباً) وإن لم تتركب^(٢). وقد اتفق اللغويون على أنّ لفظة (ركاب) ليس لها مفرد من لفظها، وأنّ مفردها من معناها وهو (راحلة)^(٣). وبذلك فإنّ (ركاب) تدلّ على مجموعة من الإبل وليس لها واحد من لفظها.

البنية الصرفية للفظّة (ركاب):

(ركاب) على وزن (فِعال)، وهذا الوزن يعدّ من أوزان جموع التكسير القياسية، وهذا ما أكّده الدكتور هاشم طه شلاش في قوله: (((ركاب) جاءت على وزن من أوزان جموع التكسير القياسية))^(٤). فإذا أخذنا برأي ابن مالك الذي قال: ((كل اسم دلّ على أكثر من اثنين ولا واحد له من لفظه فهو جمع واحد مقدر إن كان على وزن خاص بالجموع أو غالب فيها))^(٥)، فإنّ لفظة (ركاب) تعدّ جمعاً؛ وذلك لأنها تدل على الجمع من جهة و لأنها جاءت على وزن غالب في الجموع من جهة أخرى .

(١) ينظر: العين (ركب): ٣٦٤ / ٥ .

(٢) ينظر: التهذيب (ركب): ١٠ / ١٢٤ .

(٣) ينظر: الجمهرة (ركب): ١ / ٣٤٠، و: الصحاح (ركب): اد ١٢٨، و: شرح الفصيح: ١ / ١٠٣ .

(٤) المهذب في علم التصريف: ٢٠٦، و ينظر: لفظة (نساء) في الحقل الأول من هذا البحث .

(٥) تسهيل الفوائد: ٢٦٧، و ينظر: همع الهوامع: ٣ / ٣٧٥، و: شذا العرف: ٨٧ .

وقد ذكرت لفظة (ركاب) في القرآن الكريم مرة واحدة وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أُوجِفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الحشر: ٦).

في هذه الآية أكثر من قرينة تثبت أن لفظة (ركاب) تدل على الجمع وليس على المفرد. منها قرينة الصيغة إذ إنّ (ركاب) على وزن (فَعَالٍ)، وقد ذكرت آنفاً أن هذا الوزن يُعدُّ من أوزان جموع التكسير القياسية. أما القرينة الثانية فهي القرينة المعجمية وهي ما ذكره اللغويون من أنّ (ركاب) تدل على مجموعة من الإبل وليس لها مفرد من لفظها وإن مفرداها (راحلة).

أما القرينة الثالثة: فهي القرينة السياقية؛ إذ إنّ هذه الآية جاءت في سياق بيان حكم الغنائم التي يحصل عليها المسلمون من دون حرب أو قتال أو حث الركاب.

فقد ذكر المفسرون أنّ يهود بني النضير لمّا جُلّوا عن أوطانهم وتركوا رباعهم وضياعهم، طلب المسلمون من رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يخمس بينهم الغنائم كما فعلوا بغنائم بدر، فأنزل الله هذه الآية يبيّن فيها أنه إذا لم يوجف المسلمون الخيل والركاب ولم يقطعوا المسافات ولم يحدث قتال فإنّ الغنائم لا توزع بين المسلمين وتوضع تحت تصرف رئيس الدولة الإسلامية وهو الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله) ^(١). ولقرب المسافة بين المسلمين ويهود بني النضير والتي تقدر بثلاثة أميال ^(٢)، لذلك لم يسيروا على الخيول ولا الجمال، ولو كانت المسافة بعيدة لاحتاجوا إلى كثير من الإبل لتحمل أمتعتهم وطعامهم وتنقلها من بلد إلى بلد.

يستفاد من هذا أنّ لفظة (ركاب) في هذه الآية دلت على مجموعة من الجمال وليس على جمل واحد، وأنّ المسلمين لم يستخدموها في هذه المعركة لقرب المسافة بين المسلمين والأعداء.

ومن استعمال العرب لفظة (ركاب) للدلالة على راكبي الإبل خاصة، قول الشاعر: ^(٣)

فما رجعت بخائبة ركابُ
حكيم بن المسيب منتهاها

فاستعمل الشاعر لفظة (ركاب) للدلالة على راكبي الإبل خاصة والدليل على هذا أنه صّرح بذكر النوق في البيت الذي سبق هذا الشاهد إذ قال:

تَنَضَّيْتُ القِلاصُ إلى حكيم
خوارج من تباله أو مناها

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٨ / ٢٤، و: الوسيط: ٤ / ٢٧٢، و: معالم التنزيل: ٤ / ١٦ .

(٢) مجمع البيان: ٩ / ٤٣١ .

(٣) البيت للقحيف العقيلي من قصيدة له يمدح فيها حكيم بن المسيب، ينظر: مغني اللبيب: ١ / ١٤٩، و: شرح ابن عقيل: ٢ / ٢٥ .

إذ إنّ (القلاص) في اللغة تعني: النوق الشابة^(١).

ومثل هذا قول الشاعر: ^(٢)

وقولها والركاب واقفة تتركنا هكذا وتنطلق

نخلص من هذا أن لفظة (ركاب) وظّقت في القرآن الكريم وفي كلام العرب للدلالة على الإبل التي تحمل القوم، وإنما بهذه الدلالة ليس لها مفرد من لفظها، وان مفردها من معناها

وهو (راحلة) و (ركاب) تعدُّ جمعاً؛ لأنها جاءت على وزن من أوزان الجموع من جهة ولدالتها على الجمع من جهة أخرى .

٢ - لفظة ركب :

الدلالة المعجمية :

((الراء والكاف والباء في لفظة (ركب) أصل صحيح مطّرد منقاس، وهو علو شيء شيئاً))^(٣). والركوب في الأصل كون الإنسان على ظهر حيوان، وقد يستعمل في السفينة^(٤)، أما (الركب) فلفظ خُصَّ بأصحاب الإبل في السفر من دون الدواب، وهم العشرة فما فوقها^(٥). وقد عدَّ ابن قتيبة لفظة (ركب) مختصة براكبي الإبل من دون غيرهم^(٦). وقد خطَّاه البطليوسي (ت ٥٢١هـ) مستشهداً بقوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾ (النحل من الآية ٨). فأوقع الركوب على الجميع^(٧)، وقول امرئ القيس: ^(٨)

إذا ركبوا الخيل واستلأموا تحرقت الأرض واليوم قر

فأوقع الركوب على راكب الخيل، وقول زيد الخيل الطائي: ^(٩)

وتركب يوم الروع فيها فوارس بصيرون في طعن الأباهر والكلى

وهذا كثير في الشعر وغيره، فإذا كان الاستعمال يثبت أنّ (راكب) تستعمل مع راكب الخيل والبغال والحمير فضلاً عن (راكب الإبل) فلا ضير من استعمالها لراكب كل دابة.

(١) ينظر: مختار الصحاح: ٥٤٨ .

(٢) الشاهد بلا نسبة، وهو من شواهد القاسم بتن سعيد في دقائق التصريف: ٢٩٣.

(٣) معجم مقاييس اللغة (ركب): ٤٣٢٢ .

(٤) ينظر: المفردات : ٢٠٩ .

(٥) ينظر: العين (ركب) : ٣٦٣/٥ .

(٦) أدب الكاتب: ١٩٥ .

(٧) ينظر: الإقتضاب في شرح أدب الكتاب (البطليوسي): ٢١٢/١ .

(٨) ديوان امرئ القيس: ١٥٤ .

(٩) ديوان زيد الخيل الطائي : ١٤٩ .

كما غلّط البطليوسي ابن قتيبة الذي يرى أنّ الـ (ركب) العشرة ونحو ذلك^(١)، وقد استدللّ بقوله تعالى: ((والركب أسفل منكم)) (الأنفال من الآية ٤٢).

يعني مشركي قريش يوم بدر، وكانوا تسعمائة وبضعة وخمسين، ويرى أنّ ما قاله ابن السكيت (ت ٢٤٤هـ) في الـ (ركب): ((هو العشرة فما فوقها))^(٢) هو الصحيح، وقد علل قول ابن قتيبة هذا بقوله: ((وأظن ابن قتيبة أراد ذلك، فغلطوا في النقل))^(٣).

البنية الصرفية للفظ ركب:

لفظة (ركب) على وزن (فعل)، وهي مصدر ركب يركب ركباً. وقد اختصت في الدلالة على الجمع بيد أنّ الصرفيين اختلفوا في حكمها وفي واحدتها، وقد انقسموا على أربعة أقسام: ١- القسم الأول: يرى أصحابه أنّ (ركب) تعدّ جمعاً، وأنّ واحدتها من تركيبها وهو (راكب) ويتمثل هذا بما ذهب إليه الأخفش في قوله: ((الضأن جماعة الضائن، مثل: صاحب وصحب، وتاجر وتجر))^(٤).

ووافقه على هذا الرأي ابن السكيت في قوله: ((الركب جمع راكب))^(٥). وهو الرأي الذي مال إليه القاسم بن سعيد المؤدب في قوله: ((وفعل نحو: شارب وشرب، وتاجر وتجر وراكب وركب))^(٦). ومثل هذا قول الزمخشري: ((السرب جمع سارب كما تقول في صاحب: صحب، وراكب: ركب))^(٧).

وهم بذلك يرون أنّ (ركب) تعدّ جمع تكسير، وواحدتها اسم الفاعل (راكب)، ويؤكد هذا ما قاله الأخفش: ((كل ما يفيد معنى الجمع على وزن (فعل) وواحدته اسم فاعل كصحب وشرب في صاحب وشارب فهو جمع تكسير وواحدته ذلك الفاعل))^(٨). وحجتهم في ذلك دلالة هذا اللفظ على الجمع من جهة وكونه له واحد من تركيبه من جهة أخرى، فضلاً عن عود الضمير عليه بصيغة الجمع وشاهدتهم فيه قول الفرزدق: (٩)

وركب كأنّ الريح تطلب عندهم لها ترة من جذبها بالعصائب

(١) ينظر: أدب الكاتب: ١٩٥ .

(٢) إصلاح المنطق: ٣٣٨ .

(٣) الاقتضاب في شرح أدب الكاتب: ١ / ٢١٢ .

(٤) معاني القرآن (الأخفش): ٣١٥ / ١ .

(٥) إصلاح المنطق: ٣٧ .

(٦) دقائق التصريف: ٧٠ .

(٧) شرح الفصيح (الزمخشري): ٤٧٨ / ٢، و: المفصل في علم العربية: ١٩٧ .

(٨) ينظر: المنصف: ١٠٢ / ٢، و: شرح شافية ابن الحاجب: ٢٠٣ / ٢ .

(٩) ديوان الفرزدق: ٢٥ .

فأعاد الضمير على (ركب) بصيغة الجمع في قوله: (عندهم) فدلَّ هذا على أنَّهم يرون أنَّ (ركب) وكل ما جاء على وزن (فَعْل) وواحد اسم فاعل يُعَدُّ جمع تكسير.

٢- القسم الثاني: يرى أصحابه أنَّ (ركب) ليس لها مفرد من لفظها، وأنها لا تعدُّ جمعاً بل اسم جمع، ويتمثل هذا بما ذهب إليه ابن عصفور في قوله: ((وأما (فَعْل) في جمع فاعل نحو: طائر وطيور، وراكب وركب فأختلف النحويون فيه فمنهم من جعله جمع تكسير وهو الأخفش و من ذهب إلى مذهبه، ومنهم من جعله اسم جمع وهو مذهب سيبويه))^(١). ووافقته على هذا الرضي في قوله: ((اعلم أنَّ (فَعْلًا) في فاعل ليس بقياس، فلا يقال: جلس في جالس وكتب في كاتب.... وإنما يعرف هذا النوع بأنه لا يكون من أبنية الجمع المذكورة ولا يفيد إلا معنى الجمع))^(٢).

الذي يبدو من قول الرضي أنَّ (ركب) لا تعدُّ جمعاً وإن كان لها واحد من تركيبها، وقد صرَّح الرضي بذلك في قوله: ((إن خائل في خيل وراكب في ركب لا تعدُّ جمعاً وإن اتفق اشتراكهما في الحروف الأصلية، وإنما لو كانت جموعاً لهذه الأحاد لم تكن جموع قلة.... بل جموع كثرة

وجمع الكثرة لا يصغر على لفظه بل يرد إلى واحد))^(٣).

يستفاد من هذا أنَّ سيبويه وابن الحاجب وابن عصفور وابن مالك والرضي^(٤)، ومن المحدثين الاستاذ عباس حسن والدكتور عبد المنعم سيد عبد العال والدكتور هاشم طه شلاش^(٥)، يذهبون إلى أنَّ (ركب) لا تعدُّ جمعاً وإنما اسم جمع، وحثتهم في ذلك عدم جريان أحكام الجمع من تصغير ونسب وعود الضمير عليها، فإن لفظة (ركب) في نظرهم لو كانت جمعاً لم تكن جمع قلة؛ لأنها لم تأت على وزن من أوزانه المعروفة، وإنما جمع كثرة وجمع الكثرة لا يصغر على لفظه بل يرد إلى واحد، و(ركب) تصغر على لفظها فتقول في تصغيرها: (رُكَيْب) واحتجوا بقول الشاعر: ^(٦)

بنيته بعصبة من ماليا أخشى ركبياً أو رجلاً عاديا

فقال: (أخشى ركبياً) فصغر (ركب) على لفظها ولو كانت جمعاً لقال في تصغيرها: (رويكبون) وأيضاً لو إنها كانت جمعاً لردت في النسب إلى أحادها، ولم يقل في النسب إليها:

(١) شرح جمل الزجاجي (ابن عصفور): ٥٤٣ / ٢.

(٢) شرح شافية ابن الحاجب (الرضي): ٢٠٤ / ٢.

(٣) المصدر نفسه: ٢٠٣ / ٢.

(٤) ينظر: كتاب سيبويه: ١١ / ٢، ٢١٠، ٢١٤ / ٣، ٦٢٤؛ و: شرح شافية ابن الحاجب: ٢٠٣ / ٢، و: شرح جمل الزجاجي: ٢ / ٥٤٣، و: تسهيل الفوائد: ٢٦٧، و: شرح الرضي على الكافية: ٣ / ٣٦٧.

(٥) ينظر: النحو الوافي: ٤ / ٦٢٤، و: جموع التصحيح والتكسير: ٨٣، و: المهذب في علم التصريف: ٢٠٦.

(٦) البيت لأحيرة ابن الحلاج، شاعر جاهلي، ينظر: المنصف: ١٠١ / ٢، و: المخصص: ٥٥ / ٢، و: الإقتضاب: ١٥٢.

(ركبي)، فضلاً عن إنهم احتجوا بعود الضمير بصيغة المفرد عليها واستشهدوا بقول الشاعر:
(١)

ودّع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطبيق وداعاً أيها الرجل
فأعاد الضمير على (ركب) بصيغة المفرد في قوله: (مرتحل) . لذلك فإنّ (ركب) في نظرهم
لا تُعدُّ جمعاً بل اسم جمع .

٣- القسم الثالث: ويتمثل بما ذهب إليه الجرجاني في أنّ (ركب) تعدُّ جمعاً في المعنى^(٢).

٤- القسم الرابع: ويتمثل بما ذهب إليه براجشتراسر في أنّ (ركب) معناها بين معنى الجمع
ومعنى الإفراد، ((فهي تشبه الجمع في انه يعبر بها عن غير واحد من الأفراد، وتشبه المفرد
في أنها وإن احتوت على عدد كثير من الناس فهي فرد يميز عن غيره لذلك يمكن
جمعها))^(٣).

ووردت (ركب) في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهَمُّ
بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاجْتِمَاعٍ فِي الْمِيعَادِ﴾ (الأنفال من الآية ٤٢).

فأعاد الضمير على (ركب) بصيغة المفرد إذ قال تعالى: ﴿الركب أسفل﴾، واستعملها للدلالة
على الجمع وهذا ما أكدّه الفراء في قوله: ((الركب يعني أبا سفيان والعيير كانوا على
شاطئ البحر))^(٤)، وقال النحاس: ((الركب قيل: يعني الإبل التي كانت تحمل أمتعتهم))^(٥).

مما تقدم يتبين لنا أنّ لفظة (ركب) استعملت في القرآن الكريم وفي كلام العرب للدلالة
على الجمع وليس على المفرد وإنّ الصرفيين قد اختلفوا في مفردتها وفي حكمها، فمنهم من
ذهب إلى أنّها لا تعدُّ جمعاً، كونها ليس لها مفرد من لفظها؛ ولأنّ أحكام الجمع من تصغير
ونسب وعود الضمير لا تجري عليها. في حين ذهب آخرون إلى أنّها تعدُّ جمعاً وحثتهم في
ذلك أنها لها واحد من تركيبها وهو اسم الفاعل؛ فضلاً عن دلالتها على الجمع. ويميل الباحث
إلى ترجيح رأي من يرى أنّ (ركب) ليس لها مفرد من لفظها، وحثته في ذلك أنّ (ركب) لفظ
يشمل الإبل وراكبها وحاديها والميرة التي تحملها والمشاة الذين يرافقون راكبي الإبل، فإذا
أخذنا برأي من يرى أنّ (راكب) مفرد (ركب) فهذا يعني أنه يشمل راكب الإبل فقط ولا يشمل
الإبل ولا حاديها ولا والميرة التي تحملها ولا المشاة، وهذا خلاف دلالة (ركب) التي
استعملت في القرآن الكريم للدلالة على مشركي قريش يوم بدر، وكانوا تسعمائة وبضعة

(١) البيت للأعشى ميمون بن مسعود : ديوانه: ١٤٤ .

(٢) ينظر: المقتصد في شرح الإيضاح: ١٩٤/١ .

(٣) التطور النحوي للغة العربية: ١٠٦ .

(٤) معاني القرآن (الفراء): ٤١١/١ .

(٥) إعراب القرآن (النحاس): ١٦٧/٢ .

وخمسين رجلاً، وكان أغلبهم من المشاة^(١). وعلى هذا فإن لفظة (ركب) ليس لها مفرد من لفظها. فاستكمالاً لما ذكرته سالقاً في الألفاظ التي جاءت على وزن (فَعَل)، يمكن القول: إنَّ وزن (فَعَل) استعمل في القرآن الكريم للدلالة على الجمع، بيد أنَّ الصرفيين يلتزمون بتسميته بـ (اسم الجمع).

ويبدو أنَّ هذه التسمية قد وردت لديهم تأسيساً على منظور تعليمي؛ لأنه يعامل معاملة الاسم المفرد من حيث التصغير والنسب أما من حيث الدلالة المضمونية والميدان التطبيقي فهو لا يدل إلا على معنى الجمع وعلى هذا فإنَّ (ركب) وما جاء على هذا الوزن يُعدُّ جمعاً من حيث الاستعمال التطبيقي واسم جمع من حيث الاستعمال النظري.

وفيما يأتي جدول في الألفاظ الشائعة في هذا الفصل ووزنها وحكمها الصرفي وعدد مرات ورودها في القرآن الكريم ، وهذا على الوجه الآتي :

اللفظة	وزنها	حكمها الصرفي	ورودها في القرآن الكريم
أولاء	فُعَال	جمع	٢٥٠
عشرون إلى تسعين	فعلون	ملحق بجمع المذكر السالم	١٥
بضع	فَعَل	اسم جمع	-٢
خلق	فَعَل	جمع من حيث الدلالة واسم جمع من حيث وجهة نظر الصرفي	٣٨
ركاب	فُعَال	جمع	-١
ركب	فَعَل	جمع من حيث الدلالة واسم جمع من حيث وجهة نظر الصرفي	-١

(١) ينظر: الاقتضاب: ١/٢١٢.

يتضح من هذا الجدول أنّ وزن (فَعَال) في لفظة (أولاء) قد تكرر ذكره مائتين وخمسين مرة، وقد ذكرت اختلاف الصرفيين في اللفظ الذي يأتي على هذا الوزن فمنهم من يعده اسم جمع ومنه من يعده جمعاً وذلك في لفظة (أناس). ويميل الباحث إلى ترجيح الرأي الثاني وحجته في ذلك ما ذكره سيبويه وابن خالويه وابن عصفور من وجود ألفاظ سمعت عن العرب مجموعة على هذا الوزن فضلاً عن هذا أن الألفاظ التي جاءت على هذا الوزن قد تكررت بكثرة في القرآن الكريم.

ومما يلاحظ في هذا الجدول أيضاً أنّ وزن (فَعَل) قد ذكر في هذا الحقل في لفظتين، الأولى: لفظة (خَلَق) التي تكرر ذكرها ثمان وثلاثين مرة، والثانية: لفظ (ركب) التي ذكرت في مورد واحد. وإذا جمعنا الألفاظ التي ذكرت في الحقول السابقة مع هذين اللفظين يكون عدد الألفاظ التي جاءت على وزن (فَعَل) ستة ألفاظ .

الفصل الخامس

ألفاظ الجموع التي تمثل المجموعات البشرية

(من حيث الدلالة النفسية والعددية)

- رهط.
- شرذمة.
- عصابة.

توطئة :

عالجت الحقول السابقة الألفاظ الخاصة بالعلاقات والروابط التي تنشأ بين المجموعات أخذتاً الحسبان إن كانت تدلُّ على العاقل أو على غير العاقل.

وسيكون هذا الحقل وما يليه امتداداً لتلك الحقول في كونها تدرس نوعية الألفاظ نفسها - تدل على الجمع وليس لها مفرد من لفظها - غير أنها تعنى بدراسة الألفاظ من حيث دلالتها على الصفات والخواص النفسية التي تتصف بها تلك المجموعات من جهة، وفيما إذا كانت محددة بعددٍ معين أو مطلقة من جهةٍ أخرى.

وذلك أن بعض اللغويين خصوا طائفة من الألفاظ بالدلالة على عدد معين. ويبدو أنهم اعتمدوا في تخصيصهم هذا على ما ورد من ذكر لهذه الألفاظ في القرآن الكريم. وإن ما ذكروه يحتاج إلى دراسة وإعادة النظر؛ وذلك لأن الكثير من هذه الألفاظ لم يتكرر ذكرها في القرآن الكريم بحيث يتسنى للباحث أن يقطع بأن هذا اللفظ يدلُّ على هذا العدد في كل موضع يرد فيه، وبعبارة أخرى أن اللفظ إذا تكرر ذكره في القرآن الكريم عدّة مرّات، وكان في جميع هذه الموارد يدلُّ على العدد نفسه كان هذا دليلاً قاطعاً على أن اللفظ يشير إلى هذا العدد أمّا إذا ذكر اللفظ مرّة أو مرتين مشيراً إلى عدد معيّن فهذا لا يعني أن هذا اللفظ قد خصص

بالدلالة على هذا العدد - مثلما حصل مع لفظتي (بضع) و(نفر) إذ ورد كل من اللفظتين مرتين أو ثلاث في القرآن الكريم، وقد حددها اللغويون بالدلالة على العدد سبعة - فربما لو ذكرت في مورد آخر لدلت على غير هذا العدد فضلاً عن هذا أنّ اللغويين لم يتفقوا على دلالة هذه الألفاظ على عدد معين، فلفظة (رهط) مثلاً قالوا: إنها ما بين الثلاثة إلى العشرة، وقالوا أيضاً: إنها من الثلاثة إلى الأربعين، وقالوا: إنها من سبعة إلى عشرة كما سيتبين في دراسة لفظة (رهط).

وسيتبين في هذا الحقل أنّ الاختلاف بين اللغويين لم يكن مقتصرًا على لفظة (رهط) فقط بل اختلفوا في لفظة (شرذمة، وعصبة، ونفر).

وسلاحظ أيضاً أنّ الألفاظ التي حدد بعض العلماء لها عددًا معينًا هي ألفاظ تصف المجموعة البشرية بلحاظ الكثرة والقلة من جهة والتأزر والتكاتف، والتفرّق والتشردّ من جهة أخرى، فهي تارة تصف تفرّق القوم وعدم اتحادهم قياسًا بالخصم الذي يواجههم ولا سيما في الحرب والإقتال مثلما حصل في لفظة (شرذمة)، وتارة أخرى تصف اتحاد المجموعة وتعاضدها وتوحيد كلمتها وشدّ بعضهم بعضًا شدّ الأعصاب وهو ما تدل عليه لفظة (عصبة) التي قد تكون فيها دلالة على فعل الشرّ ومحاولة الإطاحة بالآخرين .

وفي الوقت نفسه نجد ألفاظًا تصف علاقة المجموعة بالفرد الذي قد يكون زعيمها أو أحد أفرادها، وهذا ما دلّت عليه لفظة (رهط).

وتأتي بعد هذا لفظة تصف الحالة النفسية للمجموعة حينما يوعز إليها أمر أو تكلف بأداء واجب ما، فتُجسّد كرههم لِمَا أمروا به وانزعاجهم منه وتقاعسهم عن أدائه. وهذا ما تصوره لفظة (نفر). وتفاصيل كل هذا نجدها في سطور هذا الفصل.

لفظة رهط

الدلالة المعجمية :

رهط الرجل: قومه وقبيلته^(١)، و((الرهط: الرء والهء والطء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على تجمع في الناس وغيرهم))^(٢)، وقد اختلف اللغويون في تحديد عدد الرهط فقبل الرهط: العصابة ما دون العشرة ليس فيهم امرأة^(٣)، وقبل الرهط: عدد يجمع ما بين الثلاثة إلى العشرة^(٤)، وقبل الرهط: من الثلاثة إلى الأربعين^(٥)، وقال بعضهم: من سبعة إلى عشرة، وما دون السبعة إلى الثلاثة نفر^(٦)، وذهب بعضهم إلى أن (الرهط) تعدُّ من المشترك اللفظي، قال ابن الشجري : ((الرهط: العصابة دون العشرة...والرهط: أديم قدر ما بين السرة إلى الركبة تلبسه الحائض))^(٧)

(١) ينظر: العين (رهط): ١٩/٤.

(٢) معجم مقاييس اللغة (رهط): ٢٥٠/٢.

(٣) ينظر: أدب الكاتب: ١٤٨، و: الفائق في غريب الحديث (الزمخشري): ٥١٦/١.

(٤) ينظر: المنتخب من غريب كلام العرب: ١٥١، و: الألفاظ الكتابية: ٢٦٠، و: كتاب الفرق (ابن فارس): ١٠٢.

(٥) ينظر: ما اتفق لفظه واختلف معناه (ابن الشجري): ١٢٩.

(٦) ينظر: لسان العرب (رهط) ٤ / ٧٢٤، و: المعجم الوسيط: ٣٧٧.

(٧) ما اتفق لفظه واختلف معناه (ابن الشجري): ١٢٩.

يبدو أنّ هناك علاقة بين الرهط الذي قيل فيه إنه: ((جلد يشقق سيورا يلبسه الصغار وتلبسه الحائض))^(١)، وبين (رهط) الذي قيل فيه إنه يعني قوم الرجل وقبيلته، فبين المعنى الأول والمعنى الثاني رابط مشترك وهو الدلالة على التجمع، فهو على المعنى الأول يدل على تجمع سيور الجلد في مكان واحد كي يصنع منها المنزر، وعلى المعنى الثاني فهو يدل على تجمع أفراد القوم حول شخص معين ينسبون إليه، وهذا التجمع إنما يصدق ويتحقق في الثلاثة إلى الأربعين غالباً وتحديده إلى العشرة غير وجيه^(٢). وبهذا يتضح لنا قول ابن فارس المذكور أعلاه إنّ ((الراء والهاء والطاء أصل واحد يدل على تجمع في الناس وغيرهم)).
و(رهط) على هذا لا تُعدُّ من المشترك اللفظي.

البنية الصرفية للفظه رهط :

(رهط) اسم ثلاثي خالٍ من حروف الزيادة، وهو على وزن (فعل)، وقد أجمع اللغويون على أنّ (رهط) ليس لها مفرد من لفظها^(٣)؛ لذا عدوها اسم جمع لا جمعاً حقيقياً، قال الرضي: ((وأما ما لا يجيء من تركيبه لفظ يقع على المفرد كـ... رهط وقوم فلا خلاف في أنها اسم جمع وليست جمعا))^(٤)، وقال صلاح بن علي المهدي: ((أما رهط فلا خلاف في أنها ليس من الجموع؛ لأنه لا واحد لها بالاتفاق))^(٥)، ويبدو أنّ السبب في عدم عدّها جمعاً مع إنها تدل على معنى الجمع أنّ أحكام الجمع لا تنطبق عليها. ولمّا كانت أحكام الاسم المفرد من نسب وتصغير وعود الضمير والتذكير والتأنيث تنطبق عليها عدوها اسم جمع، فهي من حيث النسب تنسب إلى لفظها قال سيبويه: ((تقول في الإضافة إلى (رهط): (رهطي)؛ لأن (رهط) لم يكسر لها واحد وإن كان فيه معنى الجمع))^(٦)، ولو كانت تعامل معاملة الجمع لوجب النسب إلى مفردها. وهي تصغر على لفظها أيضاً قال المبرد: ((أسماء الجموع التي لا واحد لها من لفظها مجراها في التحقير مجرى الواحد؛ لأنها وضعت أسماء، كل اسم منها لجماعة... وذلك نحو: رهط تقول في تصغيره: رهيط))^(٧). وأما من حيث التذكير والتأنيث فالرهط

(١) ينظر: غرائب اللغة العربية (الأب رفائيل نخلة اليسوعي): ٢٢٦/١.

(٢) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ٢٥٨/٤.

(٣) ينظر: لسان العرب (رهط): ٧٢٤/٤، و: ارتشاف الضرب: ٤٨٠/١، و: المزهر: ١٧٨/٢، و: الفيصل في ألوان الجموع: ٢٥٨.

(٤) شرح شافية ابن الحاجب (الرضي): ٧٢٤/٢، وينظر: جامع الدروس العربية: ٢١٠.

(٥) النجم الثاقب شرح شافية ابن الحاجب: ٨١٦/٢.

(٦) كتاب سيبويه: ٤١٦/٣.

(٧) المقضب: ٣٤٧/٣.

مذكر، قال السجستاني: (الرهط مذكر وإن كان جمعاً؛ لأنه من غير لفظ واحده)^(١)، و((قد يؤنث على معنى الجماعة))^(٢). ويجمع (الرهط) على ((أرهط)) قال: الراجز^(٣):

وفاضح مفتضح في أرهطه

فجمع (الرهط) على (أرهط)، أما جمعها على (أراهط) فقد عده القاسم بن سعيد المؤدب من شواذ الجمع^(٤). وقال الرضي فيها: ((اعلم أن (أراهط) جمع لفظاً ومعنى و لها آحاد من لفظها إلا أنها جاءت على خلاف القياس الذي ينبغي أن يجيء عليه الجموع))^(٥). وقال: ((أراهط جمع رهط وكان ينبغي أن يكون جمع أرهط))^(٦)، وقد ذكر النحويون أن (رهط) تجمع على

(أرهط) وأما (أراهط) فهي جمع الجمع، واستشهدوا بقول الشاعر سعد بن مالك:^(٧)

يا بؤس للحرب التي وضعت أراهط فاستراحوا

فقال: (أراهط) وهو جمع الجمع، يقال: رهط وأرهط وأراهط، وقد أنكروا أن يكون (أراهط) جمع (رهط)^(٨).

وقد ذكرت لفظة (رهط) في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع منها قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ (هود: ٩١).

وقد وظفت لفظة (رهط) في هذه الآية للدلالة على الجمع إذ قال الواحدي: ((«ولولا رهطك» أي: لولا عشيرتك وقومك لرجمناك))^(٩)، وقال القرطبي: ((رهط الرجل: عشيرته الذين يستند إليهم ويتقوى بهم))^(١٠)، ولا يخفى ما في استعمال لفظ (رهط) من دلالة في هذه الآية قال

(١) المذكر والمؤنث (السجستاني): ١٩٦، وينظر: الأصول في النحو: ٤١٢/٢.

(٢) المذكر والمؤنث (المبرد): ١٠٠، وينظر: المعجم المفصل في المذكر والمؤنث (أميل بديع): ٢٢٦.

(٣) البيت من الرجز المشطور، انشده الأصمعي ولم ينسبه إلى احد بعينه، ينظر: شرح شافية ابن الحاجب: ٢/٢٠٤.

(٤) ينظر: دقائق التصريف: ٤٠١.

(٥) شرح شافية ابن الحاجب (الرضي): ٢/٢٠٥.

(٦) المصدر نفسه: ٢/٢٠٥.

(٧) البيت من شواهد: كتاب سيبويه: ٢/٢٠٧، و: المقتضب: ٤/٢٥٣، و: الخصائص: ٣/١٠٦، و: أمالي الشجري: ١/٤٣٤، و: شرح جمل الزجاجي: ٢/٧٦٩.

(٨) ينظر: كتاب سيبويه: ٣/٦١٦، و: الأصول: ٣/٢٩، و: التكملة: ١٧٤، و: أمالي الشجري: ١/٤٣٤، و: شرح جمل الزجاجي (ابن عصفور): ٢/٧٧١.

(٩) تفسير الوسيط في تفسير القرآن المجيد: ٢/٥٨٧، وينظر: مجمع البيان: ٥/٣٢٣.

(١٠) الجامع لأحكام القرآن: ٩/٦١، وينظر: الدر المصون: ٤/١٢٦.

الزمخشري: ((أراد قوم شعيب الانتقاص من نبي الله شعيب — عليه السلام — فقالوا: ﴿مَا نَفَقَهُ﴾ أي: لا نفهم وفي هذا دلالة على عدم استماعهم لما يقول لهم ... ثم قالوا: ﴿إِنَّا لَنرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ لا قوة لك ولا عزة فيما بيننا؛ لذلك قللوا قومه حيث جعلوهم رهطًا، والرهط من الثلاثة إلى العشرة))^(١). ولو رجعنا إلى السياق الذي ذكرت فيه لفظة (رهط) وقارناه مع ما ذكره اللغويون في معنى (الرهط) نجد أنّ (الرهط) في هذه الآية لم تدل على الضعف أو عدم التماسك ومن ثمّ سهولة الانقضاض عليهم وإبادتهم بل تدلّ على شدة التماسك وقوة الارتباط، والاستعداد للنصرة وعدم السماح للخصم من الاقتراب من صاحبهم، إذ إنّ قوم شعيب (عليه السلام) يرونه ضعيفًا، ولكنهم لا يتمكنون من القضاء عليه لقوة أنصاره، وتماسكهم واستعدادهم للتضحية دونه. ويمكن القول إنّ الأمر نفسه يجري في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ (هود من الآية ٩٧). ذكرت لفظة (رهط) أيضًا في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةٌ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ (النحل ٤٨).

قوله تعالى: ﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾ يعني بها المدينة التي فيها نبي الله صالح — عليه السلام — وهي الحِجْر وقوله تعالى: ﴿تِسْعَةٌ رَهْطٍ﴾ يقصد بهم غواة قوم صالح — عليه السلام^(٢) —، وقد اختلف المفسرون في المراد من قوله تعالى: ﴿تِسْعَةٌ رَهْطٍ﴾ فقيل: المقصود تسعة أنفس، وقيل تسعة أشخاص^(٣)، وقال الرازي: ((الأقرب أن يكون المراد بـ (تسعة رهط) جمع إذ الظاهر من (الرهط) الجماعة لا الواحد ثم يحتمل أنهم كانوا قبائل ويحتمل أنهم دخلوا تحت العدد؛ لاختلاف صفاتهم وأحوالهم لا لاختلاف أجناسهم))^(٤)، وقال أبو حيان: ((الرهط: اسم الجماعة وكانهم كانوا رؤساء مع كل واحد منهم رهط))^(٥).

ويميل الباحث إلى ترجيح ما ذهب إليه الرازي وأبو حيان إذ إن (الرهط) يدل على مجموعة بعدد محدد ارتبطوا بشخص معين لغاية معينة ففي كل (رهط) واحد متبوع فهم تسعة أشخاص ولكل منهم رهطه، إذن فهم تسعة مجموعات مختلفة الأهواء والمشارب اجتمعوا على الفساد. يدل على هذا تميزها بالمفرد، قال ابن مالك: (إن فُسِّرَ - مُمَيَّزٌ - عدد باسم جنس أو اسم جمع لم يضاف إليه إلا سماعا كقوله تعالى: ﴿تِسْعَةٌ رَهْطٍ﴾)^(٦)، ولو كانت (رهط) تدلّ على المفرد في هذه الآية لقال: ((تسعة أرهاط)) إذ إن (مميز العدد من ثلاثة إلى عشرة مجرور

(١) الكشاف: ٢ / ٤٢٣.

(٢) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد: ٣ / ٣٨٠، وينظر: مجمع البيان ٧ / ٣٩١.

(٣) ينظر: الكشاف: ٢ / ٤٢٣، و: تفسير النسفي: ٢ / ١٢٣٦.

(٤) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: ٢ / ٢٠٣.

(٥) البحر المحيط: ٧ / ٨٣.

(٦) شرح التسهيل: ٢ / ٣١٠.

مطلقاً ثم انه أكثر ما يكون جمعاً مكسراً بلفظ القلة^(١). فإن كان مميزه اسم جنس أو اسم جمع فان النحويين اتفقوا على أنّ فصله بـ(من) هو الفصيح، واختلفوا في جواز إضافة العدد إليه، وقد انقسموا فيه على ثلاثة أقسام : قسم يرى أنه لا يجوز إلا في قليل، وقسم يرى أنه يجوز ولكن لا ينفاس، وقسم يرى أنه إن كان للقلة كـ (نفر ورهط) فإنه جائز وإن كان للكثرة فقط أو للكثرة والقلة فلا يجوز^(٢).

نخلص من هذا أنّ لفظة (رهط) استعملت في القرآن وفي كلام العرب للدلالة على مجموعة بشرية تتصف بشدة الارتباط و قوة التماسك، والاستعداد للتضحية، ارتبطوا بشخص معين قد ينتسبون إليه ولغاية معينة، وبعدد محدود يتراوح ما بين الثلاثة والأربعين، وهذه الصفة هي التي تميز لفظة (رهط) عن غيرها من ألفاظ المجموعات البشرية. وقد دلت القرائن الموجودة في التراكيب التي استعملت فيها لفظة (رهط) على أنها لم تستعمل للدلالة على المفرد.

وهي على وزن (فَعَل) وقد ذكرت سابقاً أنّ الألفاظ التي جاءت على وزن (فَعَل) في هذا البحث وظفت للدلالة على الجمع بيد أنّ الصرفيين يلتزمون بتسميتها بـ (اسم الجمع) ويبدو أنّ الذي دفعهم إلى هذه التسمية هو أنّ (رهط) لا تنطبق عليه أحكام الجمع من تصغير ونسب وعود الضمير فضلاً عن هذا انه يعامل معاملة المفرد في جميع أحكامه؛ لذا فهو يمكن أن يكون جمعاً من حيث الدلالة والاستعمال والميدان التطبيقي واسم جمع من حيث الاستعمال النظري، والمنظور الصرفي.

لفظة شرذمة

الدلالة المعجمية:

الشرذمة في الاستعمال العربي تعني القطعة من السفرجلة ونحوها، والشرذمة الجماعة القليلة من الناس، وقيل: الفرقة من الناس، وقيل: الشرذمة الطائفة من الناس والقطعة من الشيء^(٣)، قال الشاعر ساعده بن جؤية^(٤):

فخرت وألقت كل نعل شرادماً يلوح بضاحي الجلد منها جذورها

(١) ينظر: إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك: ٤٤٠ / ٢، و: شرح التصريح على التوضيح: ٤٥٠ / ٢ .
(٢) ينظر: كتاب سيبويه: ٥٦٢ / ٣، و: شرح التصريح على التوضيح: ٤٥٠ / ٢، و: همع الهوامع: ٤٩٠ / ٢ .
(٣) ينظر: العين (شرم): ٣٠٢ / ٦، و: الجمهرة (شرم): ٥٨٨ / ٢، و: الصحاح (شرم): ١٩٦٠ / ٥، و: الألفاظ المختلفة والمعاني المؤتلفة: ١ / ١٦٧ .
(٤) ديوان الهذليين: ٢ / ٢١٨ .

وثياب شرادم أي أخلاق مقطعة، قال الشاعر: (١)

جاء الشتاء وقميصي أخلاق شرادم يضحك مني التواق

ولفظة (شرذمة) لا تدل على أي جماعة من الناس وإنما على جماعة مقصودة؛ لذا فرّق أبو هلال العسكري بينها وبين لفظة جماعة إذ قال: ((إن الشرذمة البقية من البقية والقطف منه)) (٢)، وقد عدها الثعالبي من المصطلحات التي تشير إلى المجموعات العسكرية إذ قال: ((أقل العسكر: الجريدة، وهي قطعة جردت عن سائرها لوجه، ثم الشرذمة وهي من خمسين إلى أربعمئة ثم الكتيبة وهي من أربعمئة إلى ألف ثم الجيش ...)) (٣)، وقد ذكر السيد محمود شيت خطاب: أنّ ((الشرذمة: جماعة قليلة من الجند، يقال: بعث الأمر شرذمة إلى العدو، وطارد الجيش شرادم العدو جماعته القليلة التي مزقتها الحرب)) (٤).

يظهر من هذا أنّ لفظة (شرذمة) تطلق إذا اجتمع قيدان: الأول: وجود قطعة ممزقة متفرقة قليلة، والثاني: أن تكون تابعة لمجموعة عسكرية. وقد دخل عليها تطور دلالي وسّع في مدلولها بحيث أطلقت على كل مجموعة قليلة مُقَطَّعة وإن لم تكن عسكرية. وبهذا فإنّ لفظة (شرذمة) تدل على جماعة مقطّعة مضطربة غير متّحدة ليس لها القدرة على مواجهة الخصم، وهذا يبين لنا الفرق بينها وبين لفظة (فئة) التي تدل على جماعة متّحدة مهيأة مستعدة للحرب مرتبطة بزمان ومكان محدد، وبين لفظة عصابة ورهط، وجيلة، ونفر، وقوم وغيرها من أفاظ الجماعات.

البنية الصوتية والصرفية للفظة شرذمة:

تتألف لفظة (شرذمة) من أربعة مقاطع صوتية، الأول مقطع طويل مغلق والثاني مقطع قصير ومثله المقطع الثالث والرابع وذلك على الوجه الآتي:

ش — ر / ذ — م / ت — .

ولمّا كان المقطع الأخير ليس من النوع الرابع أو الخامس والمقطع الذي قبل الأخير ليس من النوع الثاني أو الثالث وكذا المقطع الذي يسبق ما قبل الأخير فهذا يعني أنّ موضع النبر

(١) البيت بلا نسبة في العين (شرم): ٣٠٢/٦، و: لسان العرب (شرم): ٢٩٤/٧، و: تاج العروس (شرم): ٣٨٨/١٦.

(٢) الفروق اللغوية: ٢٢٣.

(٣) فقه اللغة وسر العربية: ٢٤٨.

(٤) معجم المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم (محمود شيت خطاب): ١/ ٣٩٨.

يكون على المقطع الأول المتمثل بالمقطع الطويل المغلق (شر) طبقاً للقواعد التي وضعها علماء الصوت^(١).

ويبدو أنّ لفظة (شرذمة) قد مرّت بعدّة مراحل حتى وصلت إلى هذه الصورة، فابن فارس يرى أنّ أصلها (شرم) ((فالذال زائدة وإنما هي من شرمت الشيء إذا مزّقته فكأنها طائفة انمزقت وانمارت عن الجماعة الكثيرة))^(٢). ويرى غيره أنّ (شرذمة) قد اشترك في نحتها ثلاثة ألفاظ وهي (الشرم) الذي يدلُّ على الخرق والمزق والقطع، و(الشذر) الذي يدلُّ على التفرق والتميز، و(الشذ) الذي يدلُّ على الانفراد والمفارقة^(٣). وقد أطلق العلماء على هذه العملية مصطلح النحت^(٤).

وإثبات هذا الرأي يتطلب منا البحث في اختلاف فقهاء اللغة قديماً وحديثاً في اشتقاق الألفاظ العربية وتطورها التاريخي والنحت الذي حصل فيها إذ إن عدداً من قدماء اللغويين كالخليل وسيبويه وأبي علي الفارسي وابن جني قد أبدوا ملاحظات كثيرة حول هذا الموضوع، وكان أكثرهم نتاجاً وأوسعهم نظراً وأوضحهم بحثاً ابن جني، فقد بسط ما لاحظته من صلات بين الألفاظ المشتركة في حرفين أو في حرف واحد وأورد لها الكثير من الأمثلة في كتابه الخصائص^(٥). وقد سار على نهجه عددٌ من الباحثين كجرجي زيدان والكرملي والعلالي من المتأخرين^(٦). وقد خرجوا من ذلك بنظرات متقاربة في أصل الألفاظ العربية وتاريخ نشوئها وتكونها^(٧). وقد فصّل الدكتور محمد المبارك القول في تفاصيل هذه المسألة^(٨).

يتضح لنا من هذا أنّ ما ذهب إليه ابن فارس وغيره من اللغويين من أنّ (شرذمة) تكوّنت من أكثر من لفظ أمر ممكن وغير مستبعد. وتكون بهذا لفظة (شرذمة) منحوتة من ثلاثة ألفاظ وهي (شرم) و(شذر) و(شذ).

و(شرذمة) تجمع على شرادم و شراديم^(٩) ومن جمعها على شرادم قول الشاعر: (١)

(١) ينظر: المحيط في أصوات العربية: ٥٢/١، و: مناهج البحث في اللغة: ١٦٠، و: أصوات اللغة العربية: ٢٢٠، و: أصوات اللغة: ١٦٩.

(٢) معجم مقاييس اللغة (شرم): ٢٧٣/٣.

(٣) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ٤٠/٦.

(٤) النحت: وهو أنّ تعدد إلى كلمتين أو جملة؛ فتنزع من مجموع حروف كلماتها كلمة فذة؛ تدل على ما كانت تدل عليه الجملة نفسها، وينقسم النحت في اللغة إلى أربعة أقسام: وصفي، واسمي، وفعلي، وسببي. ويعد ابن فارس إمام القائلين به، وسبقه الخليل، ينظر: فصول في فقه اللغة (د. رمضان): ٣٠٠-٣٠٧.

(٥) ينظر: الخصائص: ١٦٤/٢.

(٦) ينظر: الفلسفة اللغوية: ٥٦، و: نشوء العربية ونحوها واكتمالها: ١، ٢، ١٠٧، و: دراسة لغة العرب (العلالي): ١٩٩: ٢٠٠.

(٧) ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية (محمد المبارك): ٨٦- ٨٧.

(٨) ينظر: المصدر نفسه: ٨٦- ٩١.

(٩) ينظر: جواهر القاموس في الجموع والمصادر (محمد القزويني): ٢٥٣.

شراذم يضحك مني التواق

جاء الشتاء وقميصي أخلاق

ومن جمعها على شراذيم قول الشاعر: (٢)

لم يبقَ من شرِّها إلا شراذيم

يُنْفَرُ النَّيِّبَ عنها بين أسوقها

وقد ذكرت لفظة (شرذمة) في القرآن الكريم مرّة واحدة في قوله تعالى على لسان

فرعون:

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾﴾ (الشعراء: ٥٤، ٥٥).

في هذه الآية أكثر من قرينة تثبت دلالة (شرذمة) على الجمع، منها انه تعالى أخبر بها عن اسم الإشارة (هؤلاء) الذي يدلُّ على الجمع. والقرينة الثانية انه وصفهم بـ (قليلون) التي جاءت بصيغة جمع المذكر السالم. والقرينة الثالثة إنه أعاد عليهم الضمير بصيغة الجمع في أكثر من لفظ إذ قال: (انهم)، و(لغائظون). ولو كانت (شرذمة) لا تدلُّ على الجمع لم يسغ فيها هذا الاستعمال. بيد أنّ وصف فرعون أتباع موسى (عليه السلام) بالشرذمة يحتاج إلى وقفة تحليلية. إذ إنّ لفظة (شرذمة) كما بيّنت في الدلالة المعجمية تدلُّ على الجماعة القليلة المنفرقة المنقطعة من جماعة كبرى في حين ذكر المفسرون أنّ أتباع موسى (عليه السلام) كانوا وقتئذٍ ستمائة ألف مقاتل وفي رواية أخرى ستمائة ألف وسبعين مقاتلاً لا يعدُّ منهم ابن العشرين لصغره ولا ابن الستين لكبره^(٣)، ووصف هذا العدد الضخم بالقلّة محال. فهل هذا يعني أنّ وصف فرعون أتباع موسى (عليه السلام) بالشرذمة يُعدُّ تناقضاً؟ فهو يقول: إنهم فئة قليلة بينما هم كثيرون جداً!! .

الحقيقة أنّ لا تناقض في المسألة؛ إذ إن فرعون أراد أن يقلل من شأنهم ويضعف من مكانتهم ويحطّ من منزلتهم، قال ناصر مكارم الشيرازي: ((لتعبئة الناس - ضمناً - وتهيئة الأرضية لإثارتهم ضد موسى وقومه، أمر فرعون أن يعلن ﴿ان هؤلاء لشرذمة قليلون﴾ فبناءً على ذلك فنحن منتصرون عند مواجهتنا لهذه الفئة القليلة حتمًا))^(٤). وعلى هذا فإنّ قوم موسى (عليه السلام) بنظر فرعون فضلاً عن إنهم قليلون - قياساً بجنده الذين كان في مقدمتهم هامان في ألف مقاتل وسبعمائة ألف حصان^(٥) - فهم متفرقون غير موحدين، فكان

(١) ذكرت في الدلالة المعجمية لهذه اللفظة أنّ هذا البيت بلا نسبة.

(٢) البيت بلا نسبة وهو من شواهد الأزهري في تهذيب اللغة (شرم): ٣٠٩/١١، وتاج العروس (شرم): ١٦٠/

٣٨٨

(٣) ينظر التبيان: ٢٥/٨، و: زاد المسير: ٤٠/٦، و: لباب التأويل في معاني التنزيل: ٣/٣٢٥.

(٤) الأمثل: ٢٧٣/١١.

(٥) ينظر: زاد المسير: ٤٠/٦.

فرعون بهذا التعبير أراد أن يجسد عدم انسجام بني إسرائيل وعدم تماسكهم في هذه الحرب وبالتالي فهم ليس لديهم القدرة للانتصار عليه.

هذا المستفاد من لفظة (شرذمة) واختيار فرعون لها لتعبير عن قلة قوم موسى (عليه السلام) وتفرقهم.

ولمّا كانت لفظة (شرذمة) تدل على القلة في ذاتها فهذا يعني أن وصفها بالقلة في قوله: ﴿شرذمة قليلون﴾ يعطي دلالة أخرى، وهي انه كما ذكرت آنفاً أنّ قوم موسى (عليه السلام) قياساً بجند فرعون يعد قليلاً جداً. بيد أنّ لفظة (شرذمة) لمّا كانت صيغتها صيغة مفرد كان الأولى أن يصفها بلفظ مفرد فيقول: (شرذمة قليلة) كما قال: (فئة قليلة)، إلا إن فرعون وصفهم بصيغة جمع المذكر السالم وقد دفعني هذا إلى البحث عن سبب هذا التغاير الاسلوبي؛ فوجدت أنّ المفسرين قد انقسموا فيه على ثلاثة أقسام :

القسم الأول: يرى أصحابه أنّ وصف (شرذمة) بـ (قليل)، و(قليلون) جائز من الناحية اللغوية، قال الفراء: ((يقولون: عصابة قليلة وقليلون وأكثر كلام العرب أن يقولوا: قومك قليل وقومنا كثير، وقليلون وكثيرون جائز عربي.... وأوثر قليل على قليلين، وجاز الجمع إذا كانت القلة تلزم جميعهم في المعنى فظهرت أسماؤهم على ذلك))^(١).

فالفراء يرى أنّ وصف (شرذمة) بـ (قليلون) أمر جائز من الناحية اللغوية، بيد أنه يؤثر استعمال قليل على قليلين، وعنده أنّ (شرذمة) إنما وصفت بالجمع؛ لأن القلة تلزمهم جميعهم في المعنى فكأنه نظر إلى أسمائهم فوصفهم بصيغة جمع المذكر السالم.

القسم الثاني: ويتمثل بما ذهب إليه الزمخشري الذي يرى أنّ فرعون ذكر أتباع موسى (عليه السلام) ((بالاسم الدال على القلة، ثم جعلهم قليلاً بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب فيهم قليلاً واختار جمع السلامة الذي هو للقلة.... والمعنى أنهم لقلتهم لا يبالي بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم))^(٢)، ووافقه على هذا الرأي أبو حيان الأندلسي^(٣).

فالزمخشري وأبو حيان الأندلسي يريان أنّ فرعون أراد أن يبالغ في وصف قلة إتباع موسى (عليه السلام) بإسلوب بليغ مختصر غني في دلالاته مقتصد في كلماته، فقال: ﴿شرذمة قليلون﴾ فأغنت هذه الجملة المختصرة عن مجموعة من الجمل قد لا يؤدي اجتماعها إلى هذا المعنى.

(١) معاني القرآن (الفراء): ٢ / ٢٨٠.

(٢) الكشف: ٣ / ٣١٤.

(٣) ينظر: البحر المحيط: ٧ / ١٨ - ١٩.

وقريب من هذا ما ذهب إليه البيضاوي في قوله: ((قليلون)) باعتبار أنهم أسباط كل سبط منهم قليل))^(١). وقال الشيخ القنوي (ت ١١٩٠هـ) في شرح عبارة البيضاوي ((قوله: «قليلون» باعتبار أنهم أسباط جواب سؤال بأن الظاهر (شرذمة) قليلة فما وجه الجمع؟ فأشار إلى وجهه: بأن (الشرذمة) وإن كان لفظها مفرداً لكنها باعتبار اشتغالها الأسباط جمع صفته فنبه على أنّ كل سبط منهم قليل ... والقلة المستفادة من «قليلون» ناظرة إلى كل سبط من الأسباط))^(٢).

يستفاد من هذا أنّ البيضاوي يرى أنّ أتباع موسى (عليه السلام) كانوا أسباطاً – قبائل – وإنّ فرعون أراد أنّ يُجسّد القلة والتفرّق في كل سبط منهم؛ لذا وصفهم بلفظة (قليلون) التي جاءت بصيغة جمع المذكر السالم وهو المستفاد أيضاً من قول الشيخ القنوي المذكور آنفاً والقلة المستفادة من (قليلون) ناظرة إلى كل سبط من الأسباط. وقد أكّد هذا السيد عبد الله شبر بقوله:

((قليلون) جمع قليل أي: هم أسباط كل سبط منهم قليل))^(٣). وهو الرأي الذي يميل إليه الباحث.

ومن استعمال لفظة (شرذمة) للدلالة على المجموعة العسكرية القليلة في كلام العرب، قول الإمام علي (عليه السلام) في خطبة له في حرب صفين:

((وقد رأيت أنّ أقطع هذه النطفة إلى شرذمة منكم، مؤطّنين أكناف دجلة فأنهضهم معكم إلى عدوكم واجعلهم من أمداد القوة لكم))^(٤).

فدلالة (شرذمة) على الجمع في هذه الخطبة واضحة وذلك أنه (عليه السلام) وصفهم بصيغة الجمع في قوله: (مؤطّنين)، وأعاد الضمير عليهم بصيغة الجمع في قوله: (فأنهضهم)، و(اجعلهم)، ولمّا كانت هذه الخطبة في سياق ذكر الاستعداد للحرب ومواجهة العدو فناسب هذا أنّ تدلّ (شرذمة) على مجموعة عسكرية. وفي ضوء ما تقدم يتبين لنا ما يأتي:

١- إنّ لفظة (شرذمة) قد حصل فيها (نحت) فقد تكونت نتيجة اجتماع ثلاثة ألفاظ هي (شرم) و(شذر) و(شذ).

٢- إنّ لفظة (شرذمة) في الاستعمال القرآني واستعمال العرب تعدّ من المصطلحات العسكرية

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢/ ١٥٦.

(٢) حاشية الشيخ القنوي على تفسير البيضاوي: ١٤ / ٢٣٧.

(٣) ينظر: الجوهر الثمين في تفسير القرآن المبين (السيد عبد الله شبر): ٤ / ٣٨٥.

(٤) نهج البلاغة: ٨٧.

التي تشير إلى مجموعة قليلة مضطربة وهذا هو الفرق بينها وبين لفظة (فئة) التي تُعدُّ من المصطلحات العسكرية التي تدل على مجموعة متحدة متهيئة دومًا للحرب والقتال.

٣- قد حصل تطور دلالي في لفظة (شرذمة) وسع في مدلولها بحيث صارت تطلق على المجموعة القليلة المضطربة سواء كانت عسكرية أم غير ذلك.

٤- إنَّ القرآن الكريم وَظَّفَ (شرذمة) للدلالة على الجمع، ولم يذكر احدًا من اللغويين أنَّ (شرذمة) لها واحد من لفظها. وبهذا تكون لفظة (شرذمة) من الألفاظ التي تدل على الجمع وليس لها مفرد من لفظها.

لفظة عَصْبَة

الدلالة المعجمية :

العصبة في اللغة مأخوذة من العصب وهو الطي الشديد^(١)، ف ((العين والصاد والباء أصل صحيح واحد يدل على ربط شيء بشيء مستطيلًا أو مستديرًا. ثم يُفْرَع ذلك فروعًا، وكله راجع إلى قياس واحد من العَصَب وهو الطي الشديد))^(٢)، والعصابة الشيء الذي يتعصب به الرأس من الصداع، ولا يقال إلا بالهاء وما شددت به غير الرأس فهو عِصَاب بغير هاء^(٣). ويطلق لفظ العصابة على العمامة، وعلى الجماعة من الناس والخيل والطير ولا واحد لها من لفظها^(٤)، ومن استعمال لفظ (العصبة) مع الطير قول النابغة: ^(٥)

إذا ما التقى الجمعان حَلَّق فوقهم عصائب طير تهتدي بعصائب

وبذا فالعصابة تعدُّ من الألفاظ التي اتفق لفظها واختلف معناها^(٦). واعصوب القوم صاروا عصابة^(١). و(العصبة) جماعة متعصبة متعاضدة، قال ابن فارس: ((العصبة هم الرجال

(١) ينظر: العين (عصب): ٣٠٨/١.

(٢) معجم مقاييس اللغة (عصب): ٣٤٠/٤.

(٣) ينظر: الصحاح (عصب): ١٨٢/١.

(٤) ينظر: المصدر نفسه (عصب): ١٨٢/١، و: لسان العرب (عصب): ٥٥١/١.

(٥) ديوانه: ٦.

(٦) ينظر: ماتفق لفظه واختلف معناه (ابن الشجري): ٢١٦، وينظر: الألفاظ المختلفة والمعاني المؤتلفة (عبد

الله محمد): ١/١٦٢.

العشرة، ولا يقال لما دون ذلك عُصْبَةٌ، وإنما سميت (عصبة)؛ لأنها قد عُصِبَتْ، أي: كأنها رُبِطَ بعضها على بعض))^(٢).

وقد اختلف اللغويون في عدد(العصبة)، فـ (العصبة) عند الخليل: ((عشرة من الرجال ولا يقال لا قل منهم عصبة))^(٣)، وعند الفراء: ((العشرة فما فوقها))^(٤)، وقيل إنها: ((من العشرة إلى الأربعين))^(٥)،

وقيل: إنها ((مابين الثلاثة إلى العشرة، وقيل: إنها ((أربعون، وقيل: سبعون))^(٦)، و((وقد يقال: أصل معناها الجماعة مطلقاً ثم خصصت بالعرف))^(٧).

ويبدو أنّ (العصبة) استعملت للدلالة على الاجتماع والوحدة والإعتضاد، إذ فيها إشارة إلى الارتباط وتوحيد الكلمة والقدرة العالية والعزم على بلوغ المراد، ولا اعتبار بعدد مخصوص، وهي الصفة التي تميز لفظة (عصبة) عن سائر الألفاظ التي تدل على التجمع البشري مثل: قوم، ورهط، ونفر، وشرذمة وغيرها من الألفاظ التي تدل على الجمع ولا يشترط فيها الاعتضاد والارتباط وتوحيد الصف واجتماع الكلمة، وهذا ما سيبتين لنا من الاستعمال القرآني لهذه اللفظة؛ لذا قالوا: ((إنها سميت بهذا الاسم أخذاً من الشد كآئه يشد بعضهم بعضاً شد الأعصاب))^(٨). ولفظة (عصبة) ليس لها واحد من لفظها؛ وهذا ما اجمع اللغويون عليه^(٩).

البيئة الصرفية للفظة عصبة:

لفظة (عصبة) على وزن (فَعْلَةٌ) كعُرْفَةٌ. ووزن (فَعْلَةٌ) لم يذكر ضمن أوزان جموع التكسير القياسية؛ فهي يمكن أن تعدّ جمع تكسير سماعي غير مطرد أو اسم جمع. وقد ذكرت في القرآن الكريم في أربعة موارد؛ استعملت فيها للدلالة على الاجتماع والتعاقد والتوحد بغض النظر عن العدد كما ذكرت أنفاً، ومنها قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (يوسف: ٧) وقوله تعالى: ﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الدُّبُّ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ (يوسف: ١٤).

(١) ينظر: مقاييس اللغة (عصب): ٣٢٩/٤، و:متخير الألفاظ: ١١٤.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة(عصب) : ٣٤٠/٤.

(٣) العين(عصب): ٣٠٨ / ١، وينظر: معجم مقاييس اللغة(عصب): ٣٣٩/٤.

(٤) معاني القرآن (الفراء): ٣٦/٢.

(٥) ينظر: المنتخب من غريب كلام الرعب: ١٥١، و: أدب الكاتب: ١٤٩، الألفاظ الكتابية: ٢٦١.

(٦) ينظر: تاج العروس (عصب): ٢٣٨/٢.

(٧) ينظر: المصدر نفسه (عصب): ٢٣٨/٢.

(٨) ينظر: مجمع البحرين (عصب): ١٣٢/٢.

(٩) ينظر: فقه اللغة وسر العربية: ٢٤٦، و: لسان العرب (عصب): ١ / ٥٥٤، و: البصائر: ٧٠/٤، و: تاج

العروس (عصب): ٢٣٨ / ٢.

ودلالة (عصبة) على الجمع في هاتين الآيتين واضحة بقرينة قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا﴾ التي جاءت بصيغة الجمع؛ والمقصود بها إخوة يوسف (عليه السلام)^(١)، وكذا قوله تعالى: ﴿وَتَحْنُ عُسْبَةَ﴾ فلفظة (نحن) تدل على الجمع أيضاً. وقد ذكر المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَحْنُ عُسْبَةَ﴾ أي: نحن جماعة تضر وتنفع وتحمي وتخذل، نقوم بمرافقته والدفاع عنه، بينما يوسف (عليه

السلام) وأخيه ابنان صغيران لا كفاية فيهما^(٢). هذه الدلالة الأولى المستوحاة من قولهم: ﴿وَتَحْنُ عُسْبَةَ﴾. والدلالة الثانية انه ((يفضلها في المحبة علينا، وهما اثنان صغيران لا كفاية فيهما ومنفعة، ونحن جماعة عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقته فنحن أحق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة))^(٣).

يتضح من هذا أن إخوة يوسف (عليه السلام) أرادوا بقولهم: ﴿وَتَحْنُ عُسْبَةَ﴾ أن يذكروا مزية وفضيلة لهم على يوسف (عليه السلام) وأخيه؛ وهي الارتباط والاتحاد والتعاقد واتفاق الرأي بينهم كأنهم شخص واحد، وهذا في نظرهم يوجب امتيازاً زائداً وقوة وقدرة عالية في البلوغ إلى المراد، فكيف يصح أن يفضل يوسف (عليه السلام) وأخوه وهما ضعيفان علينا؟ وكيف يمكن أن يأكله الذئب ونحن في قدرة وقوة واتحاد شديد؟. ((وثمة دلالة أخرى تشع من قولهم: ﴿وَتَحْنُ عُسْبَةَ﴾ تتصل بالسلوك الاجتماعي هي الغرور والاتفاق على الشر ومحاولة الفتك، وهذا ما كانت تخطط له هذه العصابة وقد فعلته بيوسف (عليه السلام))^(٤).

وبهذه الدلالة اقترنت لفظة (عصبة) في سياق حادثة الافك، وذلك في قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النور: ١١).

ودلالة (عصبة) على الجمع في هذه الآية واضحة وذلك بقرينة قوله: (الذين) التي جاءت بصيغة الجمع، وقوله: (جاءوا) بصيغة الجمع أيضاً، ثم انه أعاد الضمير عليهم بصيغة الجمع أيضاً في قوله: (منهم) فدل هذا على أنهم كانوا مجموعة ويؤكد هذا ما ذكره المفسرون من أنها نزلت في جماعة منهم: عبد الله بن ابي سلول، ومسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت،

(١) ينظر: معالم التنزيل: ٢ / ٤١١، و: لباب التأويل في معاني التنزيل: ٥١٤ / ٢.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: ٣ / ٢٢١، و: زاد المسير: ٤ / ١٤٠، و: البحر المحيط: ٨ / ٢٨٣.

(٣) الكشاف: ٢ / ٣٠٤، و: الدر المصون: ٤ / ١٥٦، و: تفسير المراعي: ١١ / ١١٨.

(٤) الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم: ١٤٢.

وحمنة بنت جحش وغيرهم^(١). قال السيوطي: ((اخرج الطبراني عن ابن عباس أن قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ» يريد الذين جاءوا بالكذب أربعة منكم))^(٢). وذكر الأسماء التي ذكرتها أنفاً. فاستعملت (عصبة) للدلالة على أربعة أشخاص وفي هذا ردُّ على من يرى أن (العصبة) عشرة من الرجال ولا يقال لأقل من عشرة عصبة))^(٣). وقد دلت لفظة (عصبة) على مجموعة اتحدت واتفقت على الشر والعدوان واجتمعت عليه، وفي قوله تعالى: «إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ» (القصص من الآية : ٧٦). ذكر الفراء أن (العصبة هاهنا أربعون رجلاً)^(٤).

نخلص من هذا (العصبة) استعملت في القرآن الكريم وفي كلام العرب للدلالة على الجمع سواء أكان للإنسان أم للحيوان أم للطير. وإنها إذا استعملت للإشارة إلى جماعة الناس فإنَّ فيها دلالة على التعاضد والتكاتف وتوحيد الكلمة وشدُّ بعضهم بعضاً شدُّ الأعصاب وقد تكون فيها دلالة على فعل الشر والإطاحة بالآخرين ومحاولة الفكك بهم. وهي بهذا الاستعمال لا تدلُّ على عدد معين إلا أنها محصورة ما بين الثلاثة والأربعين. وهذه الدلالة هي التي تميز لفظة (عصبة) من سائر الألفاظ التي تدل على المجموعات البشرية. وقد ذكرت أنفاً إجماع اللغويين على أن (عصبة) ليس لها مفرد من لفظها، وأنها على وزن (فُعلة) وان هذا الوزن لم يذكر ضمن أوزان جموع التكسير القياسية. وعلى هذا فإنَّ (عصبة) يمكن أن تعدَّ جمعَ تكسيرٍ سماعياً غير مطرد أو اسم جمع.

لفظة نَفَر

الدلالة المعجمية :

النفر في اللغة تعني الانزعاج من الشيء والفرع منه، وتطلق أيضاً على الذي ينفر من وطنه لطلب العلم أو القتال^(٥)، قال ابن فارس: ((النون والفاء والراء: أصلٌ صحيح يدلُّ على تجاف وتباعد منه نفر الدابة وغيره نفاراً، وذلك تجافيه وتباعده عن مكانه ومقره.... والنَّفَر

(١) ينظر: الواضح في تفسير القرآن (ابن وهب): ٢ / ٦٤، و: أسباب النزول (النيسابوري): ٣٢٢، و: لباب

النقول في أسباب النزول : ١٤١ .

(٢) الدر المنثور في تفسير بالمأثور : ٥ / ٥٥ .

(٣) العين (عصب) : ١ / ٣٠٨، وينظر : معجم مقاييس اللغة (عصب) : ١ / ٣٠٨، و: معجم مقاييس اللغة

(عصب) : ٤ / ٣٤٠.

(٤) معاني القرآن (الفراء): ٢ / ٣١٠.

(٥) ينظر: العين (نَفَر) : ٨ / ٢٦٧، و: تهذيب اللغة (نَفَر) : ١٥ / ١٥٢ .

أيضاً من قياس الباب؛ لأنهم ينفرون للنصرة^(١)، ومن هذا قالوا نفرت الدابة تنفر نفارا ونفورا وبه فُسِّرَ قول أبي ذؤيب الهذلي: ^(٢)

إذا نهضت فيه تصعد نفرها
كقتر الغلاء مستدر صيابها

وقالوا للذي ينفّر من وطنه لطلب العلم أو القتال: نَفَرَ نفوراً هجر وطنه وضرب في الأرض، ونفر الناس إلى العدو أسرعوا في الخروج لقتاله، وجاء نفير بني فلان ونفرهم ونفرتهم وهم الجماعة الذين ينفرون إلى العدو^(٣)، ومنه قيل نافرة بني فلان واستشهدوا بقول الراجز: ^(٤)

لو أن حولي من عليم نافرة
ما غلبتني هذه الضياطرة

واستنفر الإمام الرعية كلفهم أن ينفروا خفاف أو ثقالا^(٥)، وقد قالوا لليوم أو الليلة التي ينفّر فيها الحجاج من منى: يوم وليلة النفر، ومن هذا قول الشاعر: ^(٦)

هل يأتمني الله في أن ذكرتها
وعلت أصحابي بها ليلة النفر

ومن هذا سمي الذين ينفرون لطلب العلم أو القتال: (نَفَرَ)^(٧)، وقد اختلفوا في تحديد عدد النفر فقيل: النفر من ثلاثة إلى عشرة ولا يقال لما فوق العشرة نفر^(٨)، وقيل: النفر الناس كلهم أو الجمع من الناس الذين ينفرون لطلب العلم أو القتال^(٩)، وقيل: النفر من ثلاثة إلى أربعين، وسيتبين لنا في البنية الصرفية والاستعمال القرآني واستعمال العرب للفظ (نفر) إنها وظفت للدلالة على مجموعة غير محددة من الناس ينفرون لطلب العلم أو القتال.

البنية الصرفية للفظه نفر:

(نفر) اسم ثلاثي مجرد خالٍ من حروف الزيادة على وزن (فعل)، وقد بيّنتُ في الدلالة المعجمية أنها مشتقة وليست جامدة، فهي كما ذكر ابن دريد مشتقة ((إما من النفور عن الشيء ، وأما من نفر الرجل الذين ينفرون بنفوره))^(١٠).

(١) معجم مقاييس اللغة (نَفَرَ): ٤٥٩/٥.

(٢) شرح إشعار الهذليين: ٥٠.

(٣) ينظر: الصحاح (نَفَرَ): ٨٣٤/٢، و: اقرب الموارد: ٤٥٤/٥.

(٤) الرجز بلا نسبة في الجمهرة: ٧٨٨/٢، و: أساس البلاغة: ٩١/٢، و: تاج العروس (نَفَرَ): ٥٤٨/٧.

(٥) ينظر: أساس البلاغة: ٢٩١/٢.

(٦) الشاعر: نصيب الأسود، ينظر: الصحاح (نفر): ٨٣٤/٢.

(٧) ينظر: لسان العرب (نَفَرَ): ٧٩١/٣، و: بصائر ذوي التمييز: ٩٧/٥.

(٨) ينظر: أدب الكاتب: ١٤٨، و: المنتخب من غريب كلام العرب: ١٥١.

(٩) ينظر: لسان العرب (نَفَرَ): ٧٩١/٣، و: تاج العروس (نفر): ٥٤٨/٧، و: المعجم الوسيط: ٩٣٩.

(١٠) الاشتقاق (ابن دريد): ٣٩٢.

ويبدو أنَّ الأصل الواحد في لفظة (نفر) هو كما ذكر مصطفىوي: ((هو سير وحركة مع كراهة وانزعاج، ومن مصادقيه: السير إلى المحاربة))^(١)، ومن هذا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اتَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ (التوبة من الآية ٣٨) ((فتستقبل الإذن (إتأقلمتم) – أي: تباطأتم وتقاستم – فيتصور الخيال ذلك الجسم المتناقل يرفعه الرافعون في جهد، فيسقط من أيديهم في ثقل))^(٢)، ((فكأن في هذه الكلمة طناً على الأقل من الأتقال))^(٣)، وقد ذكر الزمخشري أنَّ لفظ (إتأقلمتم) تضمن معنى الميل والإخلاق، فعدي بـ (إلى) والمعنى: ملتئم إلى الأشياء وشهواتها، وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه))^(٤). فلفظة (انفروا) في هذه الآية استعملت للإشارة إلى ما من شأنه أن يزجج المخاطبين وينقّرهم ويثقل كاهلهم ويدفعهم إلى التقاعس عن أداء الواجب؛ لذا جاء الرد عليهم بقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (التوبة ٣٩).

ويتجسد كره المخاطب وانزعاجه وتقااعسه عن أداء الواجب في قوله تعالى على لسان (المُخَفَّون): ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾ (التوبة من الآية: ٨١).

ومن مصاديق لفظة (نفر) خروج الدابة من مكانها في كراهة واندفاع، وخروج الحُجَّاج من منى إلى مكة في اندفاع، والخروج من الوطن المألوف لتحصيل العلم والفقهاء، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ (التوبة من الآية ١٢٢).

ومن هذا المعنى سمي الذين ينفرون في طلب العلم أو القتال: (نفر) فهي تشير إلى مجموعة غير محددة بعدد ما من الرجال ينفرون لطلب العلم أو القتال أو المحاربة، وهذه الصفة هي التي تميز لفظة (نفر) عن غيرها من ألفاظ المجموعات البشرية وعلى هذا الأساس أعتمد أبو هلال العسكري في التفريق بين لفظة (نفر) وغيرها من ألفاظ المجموعات البشرية إذ قال: ((النفر الجماعة نحو العشرة من الرجال خاصة ينفرون لقتال وما أشبهه))^(٥)، إلا أنه وافق بعض اللغويين في أن (نفر) لا تطلق إلا على العشرة من الرجال ولا يقال لمن فوق العشرة (نفر).

(١) التحقيق في كلمات القرآن: ١٢/ ٢١٧.

(٢) من أساليب التعبير القرآني دراسة لغوية وأسلوبية في ضوء النص القرآني: (د. طالب محمد الزوبعي) : ٣٦٥

(٣) التصوير الفني في القرآن الكريم: ٧٦، و: ينظر: البيان في روائع القرآن (تمام حسان): ١/ ٢٠٠٣.

(٤) الكشف: ٢/ ٢٧١.

(٥) الفروق اللغوية: ٥٤٨.

وقد أجمع اللغويون على لفظة (نفر) تدل على الجمع وليس لها مفرد من لفظها^(١)، إلا أنهم لم يعدوها جمعاً حقيقياً؛ وذلك لأن ليس لها مفرد من لفظها، قال صلاح بن علي المهدي: ((لا خلاف في أن نفراً.... ليست من الجموع؛ لأنه لا واحد لها بالاتفاق))^(٢)، هذا من جانب ومن جانب آخر فإن أحكام الجمع لا تجري عليها، فهي تنسب إلى لفظها، قال سيبويه: ((تقول في الإضافة إلى نفر: نفري؛ لأنّ نفر لم يكسر لها واحد من لفظها))^(٣)، ولو كانت تدل على الجمع وجب النسب إلى مفرداتها، وهي تصغر على لفظها أيضاً، قال ابن السراج: ((ما كان اسماً للجمع وليس من لفظ واحد مكسراً فإنه يحقر على لفظه وذلك نحو: قوم قويم؛ لأنه غير مكسر وكذلك نفر))^(٤)، تصغر على (تُفَيِّر).

وأما من حيث التذكير والتأنيث فإنّ (نفر) مذكر قال ابن عصفور: ((إن كان اسم الجمع لمن يعقل فحكمه حكم المذكر كـ... نفر))^(٥). وقال السيوطي: ((إن كان اسم الجمع مذكراً تبقى التاء مع العدد فنقول: ثلاثة نفر))^(٦). وأما عود الضمير فقد قال فيه الشيخ الأزهري: ((نفر... تعامل معاملة الواحد، والدليل على أنه يعامل لفظاً معاملة الواحد انه قد يعود عليه الضمير الواحد، ويفرد الخبر عنه))^(٧). وعلى هذا فإن أغلب أحكام الاسم المفرد تنطبق على لفظة (نفر)؛ لذا عدّها الصرفيون اسم جمع لا جمعاً حقيقياً، قال أبو حيان الأندلسي: ((اسم الجمع قسمان : قسم ليس له واحد من لفظه كـ : قوم ورهط ونفر))^(٨).

وقد وردت لفظة (نفر) في القرآن الكريم ثلاث مرات، الأولى في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْزِرِينَ﴾ (الاحقاف: ٢٩). وقد ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية: أنه لما آيس رسول الله (صلى الله عليه وآله) من قومه أهل مكة أن يجيبوه، خرج إلى الطائف ليدعوهم إلى الإسلام، ولما وصل إلى نخلة^(٩) وقف ليصلي ويقرأ القرآن، فمرّ به نفر من أشرف جن

(١) ينظر: كتاب سيبويه: ٣/٣٧٨، و: المقتضب: ٢/٢٩٢، و: المقرب: ٢/٣٠٦، و: ارتشاف الضرب: ١/٤٨٠، و: الفيصل في ألوان الجموع: ٢٥٩.

(٢) النجم الثاقب شرح كافية ابن الحاجب: ٢/٨١٦.

(٣) كتاب سيبويه: ٣/٣٧٨.

(٤) الأصول في النحو: ٣/٥٣، وينظر: المقتضب: ٢/٢٩٢.

(٥) المقرب: ٢/٣٠٦، وينظر: شرح التصريح على التوضيح: ٢/٤٥١.

(٦) همع الهوامع: ٣/٢٥٣، وينظر: حاشية الصبان: ٤/٩٠.

(٧) شرح التصريح على التوضيح: ٢/٤٥٠.

(٨) ارتشاف الضرب من لسان العرب: ١/٤٨٠.

(٩) نخلة: موضع بين مكة والطائف يبعد عن مكة مسير ليلة، وهي التي ينسب إليها ببطن مكة، وقد ورد فيها حديث ليلة الجن ينظر: معجم ما استعجم من أسماء البلاد: ٤/١٤٩.

نصيبين واستمعوا لقرآنه^(١). وقد اختلف المفسرون في عدد الجن، قال ابن عباس: ((كانوا سبعة نفر، وقال الكلبي ومقاتل: كانوا تسعة))^(٢)، وقال النسفي: ((كانوا سبعة أو تسعة من أشرف الجن))^(٣).

وقد تضافرت في هذه الآية عدة قرائن أثبتت أن لفظة (نفر) دلت على الجمع فضلا عما ذكرته من أقوال المفسرين في سبب نزول هذه الآية. ومن هذه القرائن قوله تعالى: ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ وهي جملة حالية تدخل ضمن نطاق التخصيص الذي يُعدُّ من القرائن المعنوية فقوله تعالى: ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾ التي جاءت بصيغة الجمع تعدُّ إحدى القرائن اللفظية وهذا يثبت أن لفظة (نفر) تدلُّ على الجمع ولو كانت تدل على المفرد لقال: (يستمع). ومن هذه القرائن أيضا قرينة عود الضمير إذ إنه تعالى أعاد الضمير على (نفر) بصيغة الجمع ونلمس هذا في قوله: (حضروه)، و﴿قَالُوا أَنْصِتُوا﴾، و﴿وَلَوْأ﴾، و﴿وَلَوْأ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ فأعاد الضمير على لفظة (نفر) بصيغة الجمع في جميع هذه الألفاظ فضلا عن السياق الذي خاطب به هذا النفر قومهم عندما رجعوا إليهم في الآيات التي تلت هذه الآية^(٤)، ولو كانت لفظة (نفر) تدل على المفرد في هذه الآية لم يسغ فيها هذا الاستعمال. ويمكن القول إن الأمر نفسه ينطبق على قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ

مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ (الجن: ١).

ويبدو أن اللغويين استندوا على هاتين الآيتين وقرروا أن لفظة (نفر) تدلُّ على مجموعة محدودة تتراوح ما بين الثلاثة إلى العشرة وأنه لا يقال لمن فوق العشرة (نفر)^(٥). بيد أن قوله تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ (الكهف: ٣٤).

يثبت أن لفظة (نفر) تدلُّ على مجموعة غير محددة بعدد ما وانها قد تدلُّ على أكثر من عشرة؛ إذ قال الواحدي: ((قال ابن عباس: ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ يريد كثرة المال وعزة النفر وهم الخدم والحشم))^(٦)، وقال الطبرسي: ((﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ أي: أعز عشيرة ورهطا وسمى العشيرة

(١) ينظر: معالم التنزيل: ١١٦٢/٣، و: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٥٥٧/٢، و: لباب التأويل في معاني

التنزيل: ١٣٥/٤، و: لباب النقول في أسباب النزول: ١٧٦.

(٢) ينظر: جامع البيان: ٢٠/٢٦، و: الوسيط: ١١٥/٤، و: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: ١٢٦/١١.

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٥٥٧/٢.

(٤) ينظر: الآيات: ٣٠، ٣١.

(٥) ينظر: أدب الكاتب: ١٤٨، و: المنتخب من غريب كلام العرب: ١٥١.

(٦) الوسيط في تفسير القرآن المجيد: ١٤٨/٣، وينظر: معالم التنزيل: ١١٦٢/٣.

نفرًا؛ لأنهم ينفرون معه في حوائجه^(١)، وقال النسفي: ((وَأَعَزُّ نَفْرًا)) أي: أنصارًا وحشماً، أو أولادا ذكورا؛ لأنهم ينفرون معه دون النساء^(٢).

يتبين لنا من هذا أن لفظة (نفر) في هذه الآية وظفت للدلالة على مجموعة غير محددة من الرجال الذين ينفرون لنصرة صاحب الجنتين والذبُّ عنه وقضاء حوائجه. ولم يحدد فيها عدد نفر غير أن المقام وسياق الخطاب في هذه الآية والآيات التي سبقتها يحمل الدلالة على المبالغة والتكثير في وصف الجنتين وما فيهما من الأعناب والنخل وما بينهما من الزرع والأنهار فضلا عن تفاخر صاحبها وهو يحاور صاحبه بقوله: ((أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا))، ولما كان سياق الخطاب في المبالغة والتكثير والمفاخرة ناسب هذا أن تدل (نفر) على ما فوق العشرة من الخدم والأنصار والأولاد، ولا يمكن أن تدلّ (النفر) في هذه الآية على ما دون العشرة؛ لأن الأعداد من الثلاثة إلى التسعة تستعمل للدلالة على القلة وهذا لا يتناسب مع سياق المبالغة والتكثير والمفاخرة.

وإذا رجعنا إلى كلام العرب نجد أنهم استعملوا لفظة (نفر) للدلالة على فوق ما العشرة من الرجال في كثير من أشعارهم إذ قال الشاعر عباس بن مرداس: (٣)

أبا خراشة أما أنتَ ذا نفرٍ فإنّ قومي لم تأكلهم الضبع

إذ يخاطب الشاعر ممدوحه بقوله: ((إن كنت كثير القوم، وكنت تعتر بجماعتك فإنّ قومي موفورون كثير العدد لم تأكلهم السنة الشديدة المجدبة))^(٤). ومثل هذا قول الكميت: (٥)

إلى النفر البيض الذين بحبهم إلى الله فيما نالني أتقرب

فالكميت يقصد بالنفر البيض في هذه الهاشمية رهط النبي (صلى الله عليه وآله) وقد ذكر الدكتور علي نجيب عطوي أنّ الكميت ذكر أفراد أسرة بني هاشم مبتدأً بالنبي (صلى الله عليه وآله) وعمه الحمزة وابن عمه جعفر والحسن والحسين وأبناءهما ومحمد بن الحنفية والفضل

(١) مجمع البيان : ٤٣ / ٦ ، وينظر : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب : ١١ / ١٢٦ ، و : البحر المحيط : ٦ / ١٢٨

(٢) مدراك التنزيل وحقائق التأويل : ١٥ / ٢ .

(٣) البيت للشاعر عباس بن مرداس يخاطب به خفاف بن ندبة — ابا خراشة — وهو من شواهد النحاة على حذف كان والتعويض عنها بما الزائدة والتقدير : إذا كنت ذا نفر . ينظر : كتاب سيبويه : ١ / ٢٩٣ ، و : المقتضب : ٢ / ١٣٩ ، و : الإنصاف في مسائل الخلاف : ١ / ٧١ ، و : الخصائص : ٢ / ٣٨١ ، و : المفصل :

١ / ١٠٣ ، مغني اللبيب ١ / ٥٤ ، و : همع الهوامع ١ / ٤٤٣ .

(٤) شرح ابن عقيل : ١ / ٢٩٧ .

(٥) شرح الهاشميات ، محمد محمود الرافعي : ٣٧ .

وعبد الله والد العباس^(١) ومن يمتُّ للنبي (صلى الله عليه وآله) بصلة وقرابة وهم مجموعة كبيرة.

ومما استشهد به الهمداني ليثبت أنَّ (نفر) تدلُّ على الجمع قول الشاعر:^(٢)

يا عمرو أنت إمامنا وخليفة نفر الأوائل

فوصف لفظة (نفر) بـ (الأوائل) التي جاءت بصيغة الجمع، فناسب هذا أن تدلَّ (نفر) على الجمع فضلاً عن هذا فإن السياق يوحي أن الشاعر كان يمتدح وبما أن المدح يقتضي المبالغة والتكثير وتعظيم الممدوح فإنَّ (النفر) لا بد أن تدل على ما فوق العشرة كي يتحقق الغرض من المبالغة والتكثير في وصف الممدوح؛ لأن الأعداد من ثلاثة إلى عشرة تستعمل للقلة كما ذكرت آنفاً وهذا لا يتناسب مع سياق الشاهد الشعري وغرض المدح.

وفي ضوء ما تقدم يتبين لنا أنَّ لفظة (نفر) ذكرت في القرآن الكريم ثلاث مرات، وقد وظفت في جميعها للدلالة على الجمع، وقد دلت القرائن الموجودة في التراكيب التي استعملت فيها لفظة (نفر) على أنَّ هذه اللفظة لم تستعمل للدلالة على المفرد وقد أوضحت ذلك في الآيات والشواهد الشعرية التي ذكرتها. أما ما نقل عن بعض اللغويين من أن لفظة (نفر) تدل على عدد محدد يتراوح ما بين الثلاثة والعشرة وأنه لا يقال لما فوق العشرة نفر فقد بينت عدم صحة هذا الرأي وذكرت الشواهد القرآنية والشعرية التي تثبت أن لفظة (نفر) استعملت للدلالة على ما فوق العشرة فضلاً عما دُكرَ عن ابن منظور والزبيدي أن لفظة (نفر) تعني الناس كلهم أو جمع من الناس الذين ينفرون لطلب العلم أو القتال^(٣). وقد حصل تطور دلالي في لفظة (نفر) ضيق في مدلولها بحيث إذا أطلقت انصرف الذهن إلى المفرد لا إلى الجمع كما هو الدارج في اللهجة العراقية أما ما يخص مفرد لفظة (نفر) فقد ذكرت أن اللغويين قد اجمعوا على أنَّ لفظة (نفر) تدل على الجمع وليس لها مفرد من لفظها؛ ولأن أحكام الجمع لا تنطبق عليها من جهة؛ ولأنها تعامل معاملة الاسم المفرد من حيث التصغير والنسب وعود الضمير والتذكير والتأنيث من جهة أخرى لذا عدّها الصرفيون اسم جمع، وبهذا فإنَّ لفظة (نفر) من حيث الدلالة والاستعمال تعدُّ جمعاً ومن حيث الميدان العملي والتطبيق النظري فهي اسم جمع.

(١) ينظر : الكميت بن زيد الأسدي بين العقيدة والسياسة (د. علي نجيب عطوي) : ٨١، ٨٢، ١٠٢، ١٣١

(٢) البيت بلا نسبة وهو من شواهد الهمداني في الألفاظ الكتابية : ٢٦٠ .

(٣) ينظر : لسان العرب (نفر) ٣ / ٧٩١، تاج العروس (نفر) : ٥٤٨ / ٧، المعجم الوسيط : ٩٣٩، المعجم الوجيز ٦٢٦ .

فيما يأتي جدول في الألفاظ الشائعة في هذا الفصل ووزنها وحكمها وعدد مرات
ورودها في القرآن الكريم :

عدد مرات ورودها في القرآن الكريم	حكمها الصرفي	وزنها	اللفظة
٣	جمع من حيث الاستعمال العملي واسم جمع من حيث الاستعمال النظري	فَعَلَ	رَهْط
١	اسم جمع	فَعَّلَة	شِرْذِمَة
٤	قد تكون جمع سماعياً (غير مطرد) وقد تكون اسم جمع	فُعْلَة	عَصَبَة
٣	اسم جمع	فَعَلَ	نَفْر

أهم ما يلاحظ في هذا الجدول هو مجيء لفظة (عُصْبَة) على وزن (فُعْلَة). وهذا الوزن لم يقتصر على لفظة (عصبة) بل هناك لفظتان جاءتا على هذا الوزن؛ وهما (ثلة)، و(زمرة) في الحقل السادس من هذه البحث.

ووزن (فُعْلَة) لم يذكر ضمن أوزان جموع التكسير القياسية غير أنّ استعمال القرآن الكريم و استعمال العرب هذه الألفاظ للدلالة على الجمع كان مسوغاً لدفع الباحث إلى ترجيح ما ذهب إليه الدكتور عباس حسن في قوله: ((إنّ الجمع إذا كان مخالفاً في صيغته لصيغة الجمع المطرّد فهو سماعي لا يجوز القياس عليه لقلته وندرته ولا اتخاذ وزنه مقياساً يجمع عليه مفرد آخر غير الذي ورد مسموعاً عن العرب، وهذا المسمى بجمع التكسير السماعي أو جمع التكسير غير المطرّد))^(١).

ف (عصبة)، و(ثلة)، و(زمرة) على هذا تعدّ جمع تكسير سماعي أو جمع تكسير غير مطرّد.

الفصل السادس

ألفاظ الجموع التي تمثل المجموعات البشرية

((من حيث الدلالة الفكرية والعقائدية))

- ثلة.

(١) النحو الوافي: ٥٨٤/٤ .

- جِبْلَة.
- جِبْلًا.
- حَزْب.
- زُمْرَة.
- صَرَّة.
- فِئَة.
- فِرْقَة.
- فِرِيق.
- فُوج.
- قَرْن.
- مَلَأ.
- وَفَد.

توطئة :

إنّ نظرة في تاريخ الحياة البشرية تظهر لنا طائفة من المجموعات جُبلت على فكرة معينة رافضة التخلي عنها والتحرر منها كعبادة الأصنام مثلاً، وهذه المجموعة غالباً ما تكون عظيمة الحجم كثيرة العدد، ومجمعة في مكان وزمان واحد، وهنا تبرز الحاجة لظهور لفظٍ يصف هذه المجموعات وصفاً يتناسب مع ما جبلت عليه؛ فظهرت لفظتا (جِبْلَة)، و(جِبْلًا). ونجد في الوقت نفسه جماعة تحررت من هذا الموروث وتقبّلت الأفكار وعالجت الواقع بمنطقٍ وقلبٍ سليمين بيد أنّهم قليلون ومنتشرون على خطّ التاريخ؛ لذا نرى القرآن الكريم يمدحهم في كثير من المواطن ويصفهم بـ (ثُلّة).

ونظرة أخرى في القرآن الكريم تظهر للناظر مجموعة من البشر يجتمعون على أمر غريب قد يكون خارقاً للعادة، فيندفعون بذهول واستغراب لمعرفة بدافع الفضول، فتجدهم من غرابة هذا الأمر متراسين مترابطين إلى حدّ التصاق بعضهم ببعض، وكلُّ منهم يحدث نفسه من دون أن يعلم، وفي هذه الأثناء تظهر لفظة تصف هذه المجموعة على ما هي عليه من الذهول والإستغراب وتراصُّ بعضهم في بعض وهي لفظة (صَرَّة).

ومثل هذا نجده في: حَزْب، وزُمْرَة، وفِئَة، وفِرْقَة، وفِرِيق، وفُوج، و قَرْن، ومَلَأ، و وَفَد.

فالقاسم المشترك بين هذه المجموعات هو الجانب الفكري بما فيه من التحرر والجمود، والإنتماء العقائدي، وربما تدخل فيها دلالات أخرى. وهذا ما سيتبين لنا في زوايا هذا الفصل.

لفظة تُلَّة

الدلالة المعجمية :

التُّلَّة بفتح التاء قطعة مجتمعة من الصوف، يقال: كساء جيّد التُّلَّة أي: جيّد الصوف، وحبل تُلَّةٍ أي: حبل صوف، قال الشاعر: (١)

قد قرنوني بامرئ عثول رخو كحبل التُّلَّة المبئل

ولا يقال للشعر ولا الوبر تُلَّة، فإذا اجتمع الصوف والوبر والشعر قيل: عند فلان تُلَّة كبيرة (٢). والتُّلَّة تأتي بمعنى الهلاك وتأتي بمعنى الهدم، تقول: تُلَّه: هدمه، وأتلّه أمر بإصلاحه (٣). والتُّلَّة: القطيع من الضأن، أو من ضأن معها معز (٤)، فإذا اجتمعت الضأن أو الضأن والمعز

(١) البيت بلا نسبة، وهو من شواهد الجمهرة: ٣٩٠/٢، و: المقاييس (تل): ٣٦٨/١، و: لسان العرب (تل): ٦/٢٠١.

(٢) ينظر: اصلاح المنطق: ١٩٢، و: أدب الكاتب: ١٤٨، و: المحكم والمحيط الأعظم: ١٠/١٢٧.

(٣) ينظر: اصلاح المنطق: ١٩٢، و: الفائق في غريب الحديث: ١/١٥٤.

(٤) ينظر: ما اتفق لفظه واختلف معناه (ابن الشجري): ٦٣، و: إكمال الإعلام في تثليث الكلام: ١/٩٠.

فكثرنا قيل: ثلَّة^(١). وقد عدّها الصغاني(ت ٦٥٠هـ) من الأضداد التي تطلق على القطعة الكثيرة من الغنم والقطعة اليسيرة منها^(٢).

أما الثلَّة بضم الثاء فهي الجماعة الكثيرة من الناس^(٣). فهناك فرقٌ بين الثلَّة بالفتح والثلَّة بالضم، ومن هذا قيل: فلان لا يفرق بين الثلَّة والثلَّة أي: بين جماعة الغنم وجماعة الناس^(٤). ومن الدارسين من وازن بين (ثلَّة) والاستعمال الحديث (شلة) فانتهى إلى دلالة (ثلَّة) على الصداقة وقضاء الوقت معاً؛ وهذا ما يدل عليه لفظ (شله) وربما نتج اللفظ الثاني (شله) من إبدال الثاء في الأول شيئاً^(٥).

البنية الصرفية للفظه ثلَّة :

لفظة (ثلَّة) على وزن (فعللة) وهي مشتقة من ((ثَلَّ الرجل فهو مثل إذا كثرت ثلته))^(٦). ويبدو أنّ جميع معاني لفظه ثلَّة- التي قيل فيها إنها تعني: قطعة صوف مستخرجة ومنتقاة من مجموع الصوف المتراكم، أو إنها تعني: الهدم أو الكسر أو السقوط، أو أنها تعني مجموعة كبيرة من الضأن - قد اشتركت في اشتقاق لفظه (الثلَّة)؛ فهي تدلُّ على مجموعة منتقاة مستخرجة استخراجاً دقيقاً من جميع المجموعات البشرية. ويبدو أن هذا هو الأساس الذي اعتمده أبو هلال العسكري في التفريق بين لفظه (ثلَّة) وبين الفوج والحزب والجماعة والزمرة وغيرها من ألفاظ المجموعات إذ قال: ((الثلَّة: الجماعة تندفع في الأمر جملة من قولك ثللت الحائط إذا نقضت أسفله فاندفع ساقطاً كله، ثم كثر ذلك حتى سمي كل بشر: ثلاً ومنه ثلَّ عرشه، وقيل: التلّ الهلاك))^(٧)، وقد عدّها الثعالبي من ألفاظ المجموعات البشرية التي تدلُّ على الكثرة^(٨). وذكر مصطفى الغلاييني أنّ لفظه (ثلَّة) تعدُّ اسم جمع لا جمعاً حقيقياً وحثه في ذلك: أنها تضمنت معنى الجمع بيد أنّها لا واحد لها من لفظها وإنما واحداً من معناها وهو رجل أو امرأة^(٩).

(١) المنتخب من غريب كلام العرب: ١٥٣.

(٢) ثلاث كتب في الأضداد: ٢٢١، وينظر: المعجم المفصل في الأضداد(انطيوخس بطرس): ١١٦.

(٣) الجمهرة (تل): ٣٩٠/٢، و: متخير الألفاظ: ١١٣.

(٤) ينظر: أساس البلاغة: ١١٣/١، و: تاج العروس(تل): ١٤ / ٨٨ .

(٥) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٣٥٧.

(٦) اصلاح المنطق : ١٩٢.

(٧) الفروق اللغوية: ٢٢٩.

(٨) ينظر: فقه اللغة وسر العربية: ٢٤٦.

(٩) ينظر: جامع الدروس العربية: ٢١٠.

قال الأستاذ عباس أبو السعود: ((الثَّلَّة بضم الثاء: الجماعة من الناس، ولا واحد لها من لفظها، وواحدها إنسان من غير لفظها))^(١).

وقد وردت لفظة (ثَلَّة) في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع؛ ذكرت في سورة الواقعة، قال تعالى: ﴿ثَلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ❀ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ (الواقعة: ١٣، ١٤). والثانية قوله تعالى: ﴿ثَلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ❀ وَثَلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ (الواقعة: ٣٩، ٤٠).

وفي معنى (الثَلَّة) قال الواحدي: ((الثَلَّة: جماعة غير محصورة العدد من الناس))^(٢). وقال الزمخشري: ((الثَلَّة: الأمة من الناس الكثيرة))^(٣)، واستشهد بقول الشاعر:^(٤)

وجاءت إليهم ثَلَّةٌ خندقه
بجيش كَثِيرٍ من السيل مزبَد^(٥)

فالزمخشري يشترط في الثَلَّة أن تدلَّ على الكثرة، وقد وافقه على هذا الرأي: الطبرسي، والسمين الحلبي، والشنقيطي^(٦). قال مكارم الشيرازي: ((الثَلَّة تعني في الأصل قطعة مجتمعة من الصوف ثم أطلقت على المجموعة العظيمة المتماسكة من الأشخاص))^(٧)، فالشيرازي يشترط في (الثَلَّة) أن تدلَّ على الكثرة أيضاً سوى أن الشيخ الطوسي يرى أن (الثَلَّة) لا يشترط فيها أن تدلَّ على الكثرة، ويجوز أن تدلَّ على القلة ونلمس هذا في قوله: ((الثَلَّة الجماعة، وأصله القطعة من قولهم: ثلَّ عرشه إذا انقطع ملكه بهدم سريره، والثَلَّة القطعة من الناس، قال الزجاج: الثَل: القطع؛ والثَلَّة كالفرقة والقطعة))^(٨)، وقد قال بهذا الرأي ابن الجوزي وعقب عليه بقوله: ((فعلى هذا يجوز أن تكون الثَلَّة في معنى القليل))^(٩).

وكما اختلف المفسرون في تحديد دلالة (ثَلَّة) فقد اختلفوا في المراد بهذه الثَلَّة من الأولين، وهذا القليل من الآخرين في قوله تعالى: ﴿ثَلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ❀ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ (الواقعة: ١٣، ١٤) واختلفوا في الثَلتين المذكورتين في قوله تعالى: ﴿ثَلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ❀ وَثَلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ وقد انقسموا على أربعة أقسام وهذا على الوجه الآتي:

(١) الفیصل فی ألوان الجموع : ٢٦٢ .
(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد: ٤ / ٢٣٣، وينظر: معالم التنزيل: ٤ / ٢٨٠ .
(٣) الكشاف: ٤ / ٤٥٧ .
(٤) البيت بلا نسبة وهو من شواهد الكشاف: ٤ / ٤٥٨، و: الدر المصون: ٦ / ٢٥٥ .
(٥) يقول: جاءت إليهم جماعة منسوبة إلى خندق امرأة الياسر بن مضر، وقوله: بجيش من باب التجريد كأنه انتزع من الثَلَّة جيشاً غيرها مبالغة في الكثرة ويحتمل ان الباء بمعنى (مع) أو (في)؛ لأن الجيش أوسع من الثَلَّة. (الغبار) الماء الشديد الجري . و(المزيد) المرتفع زبده على وجه لكثرتة . هامش الكشاف: ٤ / ٤٥٧ .
(٦) ينظر: مجمع البيان : ٩ / ٣٥٩، و: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٦ / ٢٥٥، و: أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن ٧ / ٥٠٥ .
(٧) الأمتل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٧ / ٣٤٤ .
(٨) التبيان في تفسير القرآن: ٩ / ٤٩٠ .
(٩) زاد المسير: ٧ / ٣٣١ .

١- ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ يعني من الأمم الماضية من لدن آدم (عليه السلام) إلى زمان نبينا محمد (صلى الله عليه وآله)، و﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ يعني من هذه الأمة^(١).

٢- إِنَّ ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ يقصد بهم أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) و﴿الْآخِرِينَ﴾ يقصد بهم التابعين^(٢).

٣- إِنَّ ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ يقصد بهم المهاجرين والأنصار، و﴿الْآخِرِينَ﴾ الذين لم يلحقوا بهم^(٣).

٤- إِنَّ المراد بـ ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ أي: الذين آمنوا وعملوا الصالحات بأنفسهم من لدن آدم (عليه السلام) إلى نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) فهم السابقون إلى الإيمان والطاعة لله والعمل بأحكامه من غير تردد واضطراب وحازوا بذلك الكمالات من العلوم اليقينية ومراتب التقوى. وأما قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ فيشير بها إلى الذين حذوا حذو الأولين في تبليغ رسالة السماء والدعوة إلى الله في أمة الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله)^(٤).

فـ(الثَّلَاثَةُ) على هذا الرأي تشير إلى مجموعة مصفاة؛ منتقاة منتزعة من كل المجموعات البشرية، وهذا يتناسب مع دلالة لفظة (ثَلَاثَةُ) التي أشرت إليها آفا .

ولو أنعمنا النظر في النص القرآني والسياق الذي ذكرت فيه هذه الآية والآيات التي ذكرت قبلها نجد أنّ الرأي الرابع هو الرأي الراجح من بين الآراء المذكورة آفا، ونستدل على هذا من عدة جوانب منها:

١- الجانب الأول: إِنَّ الله تعالى ذكرهم قبل ذكر (السرر) و(الفاكهة) و(الهور) و(الأكواب) و(الأباريق) وغيرها من نعم الجنة في حين ذكر أصحاب اليمين:

﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ بعد ذكر جميع هذه النعم، وهذا يدل على أنّ (السابقين) لا يلتفتون إلى الحور العين والمأكول والمشروب، وإن الجنة تنتشر بهم^(٥)، وفي هذا دلالة واضحة على أنّ قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ لا يقصد بهم كل من اتبع الأنبياء والرسل (عليهم السلام) من لدن آدم (عليه السلام) إلى هذه الأمة؛ لأن هؤلاء يلتفتون إلى هذه النعم وهذا يعني أنّ المقصود بهم مجموعة عبدوا الله لا طمعاً في جنته ولا خوفاً من ناره، ومعلوم أنّ هذه الصفة لا توجد إلا في قليل من عباد الله تعالى .

(١) ينظر: معالم التنزيل: ٢٩٠/٤، و: لباب التأويل: ٢٣٨/٤، و: فتح القدير: ١٨٥/٥.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ١٣٠/٢٩.

(٣) ينظر: معالم التنزيل: ٢٩٠/٤، و: التفسير الكبير: ١٣٠/٢٩.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ١٧٠/٢٧، و: تفسير الميزان: ١٢٦/١٩، و: الأمل: ٣٣٤/١٧.

(٥) ينظر: التفسير الكبير: ١٤٦/٢٩.

٢- الجانب الثاني: بعد أن عرفنا أن قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ و﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ لا تعمُّ جميع الأمم التي سبقت هذه الأمة، ولا تشمل جميع الصحابة والتابعين ولا المهاجرين والأنصار وإنما تدل على جماعة عبدوا الله تعالى حق عبادته. بقي علينا أن نحدد هذه الجماعة مستدلين بالمأثور النبوي الشريف، إذ قال السيد عبد الله شبر: ((عن الأمام الصادق (عليه السلام) انه قال: ((ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ حَزَقِيلٌ مَوْمَنٌ آلُ فِرْعَوْنَ، وَمِنَ الْآخِرِينَ: عَلِيُّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)))).^(١) وقال البحراني بعد ذكر سلسلة الرواة: ((عن ابن عباس انه قال: سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن قوله عز وجل: ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ فقال: قال لي جبرائيل: ذلك علي (عليه السلام) وشيعته هم السابقون إلى الجنة المقربون من الله بكرامته)).^(٢) والأحاديث في هذا الميدان كثيرة جدًا أعرضت عنها رغبة في الاختصار.

٣- أما الجانب الثالث الذي نستدل من خلاله على أن قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ و﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ يشير إلى مجموعة بلغت أقصى درجات التقوى والورع والابتعاد عن الملمات والشهوات فكانوا بحق قادة الأمم وأمراء الشعوب وأعلام التاريخ هو ما تدل عليه لفظة (ثلاثة) من معنى؛ فهي كما ذكرت في الدلالة المعجمية تشير إلى مجموعة منتقاة ومستخرجة استخراجًا دقيقًا من كل المجموعات البشرية، وهي في الوقت نفسه تمثل مركز النقل فيها^(٣)، وعلى هذا فقولته تعالى: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ تشير إلى المجموعات المنتخبة من كل المجموعات البشرية من لدن آدم (عليه السلام) والتي تشمل الأنبياء والأوصياء ومن حذا حذوهم في تبليغ الرسالة إلى زمن نبينا محمد (صلى الله عليه وآله). وقوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ تشير إلى مجموعة الأشخاص الذين خلّفهم الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) لتبليغ الرسالة ونشر الدعوة الإسلامية، وكان في مقدمتهم أمير المؤمنين وأمام الموحدين علي ابن ابي طالب (عليه السلام)؛ ولأن عدد القادة في زمن النبي (صلى الله عليه وآله) كان قليلاً إذا ما قورن بعدد القادة والدعاة الذين سبقوا نبينا الكريم (صلى الله عليه وآله) لذا عبّر عنهم القرآن بـ ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾، قال الشنقيطي: ((ولا غرابة في هذا؛ لأن الأمم الماضية أمم كثيرة وفيها أنبياء كثيرة ورسول فلا مانع من أن يجتمع من سابقها من لدن آدم (عليه السلام) إلى محمد (صلى الله عليه وآله) أكثر من سابقها هذه الأمة وحدها)).^(٤) ويرى الدكتور فاضل السامرائي أن قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ فيه إشارة إلى ندرتهم وقلة وجودهم قياسًا

(١) الجوهر الثمين في تفسير القرآن المبين: ١٤٠/٦، وينظر: تفسير الصافي: ١٢٥/٥.

(٢) البرهان: ٤٠٨/٧، وينظر: الميزان: ١٢٣/١٩.

(٣) ينظر: المدخل الى نظام المجموعات: ٤٥.

(٤) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن: ٥٠٥/٧ - ٥٠٦.

بالأولين من السابقين، ويرى أن التدرج من الكثرة إلى القلة أسلوب من أساليب القرآن الكريم في التقديم والتأخير^(١).

أما قوله تعالى في وصف أصحاب اليمين أنهم «ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ» وثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ، فنجد أن القرآن الكريم قد عبّر عن أصحاب اليمين من الآخرين بقوله: «وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ» فوصفهم بلفظة (ثلاثة) في حين عبّر عن (السابقين) من الآخرين بقوله: «وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ» فوصفهم بلفظة (قليل) ويبدو أن هذا راجع إلى تغيّر سياق الخطاب في الآيتين؛ إذ إن سياق الخطاب في الآية الأولى وهي قوله تعالى: «وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ» كان في الأشخاص الذين وصفهم الله تعالى بقوله: «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ» (الواقعة: ١٠).

وقد ذكرت آنفاً أن هؤلاء الأشخاص قد توافرت فيهم صفات لم تتوافر في أصحاب اليمين من إعراض عن الدنيا ومتاعها، أما الآيتان الأخريتان فكانتا وصفاً لأصحاب اليمين، وأصحاب اليمين هم أيضاً جماعة منتقاة ومستخرجة من باقي المجموعات إلا أن الصفات التي توافرت في السابقين لم تتوافر فيهم، ويبدو هذا واضحاً من السياق القرآني، إذ إنّه تعالى ذكرهم بعدما ذكر ((السدر المخضود)، و(الطلح المنضود)، و(الفاكهة الكثيرة)، و(الحوار) وفي هذا إشارة إلى التفاتهم إلى هذه النعم في حين ذكر السابقين قبل أن يذكر جميع هذه الصفات وفي هذا إشارة إلى إعراضهم عنها كما ذكرت قبل قليل، وقد ترتب

على هذا أن يكون أصحاب اليمين تبعاً للسابقين^(٢) — والله اعلم —

قال تعالى: «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ» (الطور: ٢١).

وعلى هذا فالآيتان الأوليان نزلت في القادة والآخرين في الأتباع^(٣). ولما كانت الأولى في القادة دلّ هذا على أن الأتباع أكثر عدداً منهم؛ لذا قال تعالى في السابقين: «وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ» وفي أصحاب اليمين «ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ». ويرى النحاس: ((أنما قيل في الأولى: «وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ» وفي الثانية: «وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ»؛ لأن الثانية لأصحاب اليمين وليست للسابقين، وأصحاب اليمين قد يدخل فيهم المسلمون إلى يوم القيامة^(٤)).

وفي ضوء ما تقدم يتبين لنا أن لفظة (ثلاثة) استعملت في القرآن الكريم وفي كلام العرب للدلالة على الجماعة، ولكن ليس على أي جماعة وإنما على الجماعة المنتقاة المستخرجة من

(١) ينظر: التعبير القرآني: ٥٦.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ١٧٠/٢٧، و: التفسير الكبير: ١٤٦/٢٩.

(٣) ينظر: المدخل إلى نظام المجموعات: ٤٦.

(٤) ينظر: إعراب القرآن (النحاس): ١٣٢/٤ — ١٣٣.

المجموعات البشرية، وهذه الصفة هي التي تميز (ثلة) عن غيرها من الألفاظ التي تدلُّ على المجموعات البشرية. هذا من جانب ومن جانب آخر فإنَّ لفظة (ثلة) لا يشترط فيها الدلالة على الكثرة ولا على القلة، فهي يمكن أن تطلق على الجماعة القليلة ويمكن أن تطلق على الجماعة الكثيرة.

أما مفرد لفظة (ثلة) فلم أجد أحداً من اللغويين يقول: إنَّ (ثلة) لها واحد من لفظها، وقد صرَّح الأستاذ عباس أبو السعود بان (ثلة) ليس لها مفرد من لفظها^(١) وعلى هذا الأساس فإن لفظة (ثلة) تعدُّ من ألفاظ الجموع التي ليس لها مفرد من لفظها.

لفظة جبلة وجبلا

الدلالة المعجمية :

((الجيم والباء واللام: أصلٌ صحيحٌ يَطْرُدُ وينقاس، وهو تجمع الشيء في ارتفاع، فالجبل اسم لكل وتد من أوتاد الأرض إذا عظم وطال، والجيل الجماعة العظيمة الكثيرة))^(٢)، قال الشاعر:^(٣)

أما قریش فان تلقاهم أبداً
إلا وهم خير من يحفى وينتل

الإ وهم جبَل الله الذي قصرت
عنه الجبال فما ساوى به جبل

وحي جبَل: كثير، قال أبو ذؤيب الهذلي:^(٤)

منايا يُقَرَّبْنَ الحُتُوفَ لأهلها
جهارا ويستمتعن بالإنس الجبل

أي الناس كلهم، يقول: ((الناس كلهم متعة للموت يستمتع بهم))^(٥). والجبلة والجبلة تكسر وترفع مشددة كسرت أو رفعت تعني: الأمة من الخلق، والجماعة من الناس، وجبلة الوجه بشرته، ورجل جبَل الوجه أي غليظ بشرة الوجه، وامرأة جبلة: غليظة وعظيمة الخلق^(٦). أما (جبل) فقد ذكر اللغويون لها أكثر من وجه، قال كراع النمل: ((الجبل، والجبل، والجيل: الجماعة))^(٧)، قال الأزهري: ((قال أبو الهيثم: جبَل وحبَل وجيل ولم يعرف جبلاً بالضم وتشديد اللام، وكل ذلك الأمة من الخلق والجماعة من الناس))^(٨).

(١) ينظر: الفيصل في ألوان الجموع : ٢٦٢.

(٢) معجم مقاييس اللغة(جبل): ٥٠٢/١.

(٣) البيت بلا نسبة في معجم مقاييس اللغة(جبل): ٥٠٢ / ١ .

(٤) شرح ديوان الهذليين: ٩٢.

(٥) لسان العرب (جبل): ٢١٠/٦.

(٦) المصدر نفسه (جبل): ٢١٠/٦.

(٧) المنتخب من غريب كلام العرب: ١٥١.

(٨) تهذيب اللغة (جبل): ٦٧ / ٦.

ويرى الفيروزآبادي أنّ المجموعة من الناس إذا كانوا مجبولين على فعل شيء ما فهم (جيلة) أما إذا كانوا مجموعين جمعاً عظيماً مهيباً فهم (جبالاً) فكأنهم شبهوا بالجبل في العظمة^(١).

وقد فرّق أبو هلال العسكري بين (الجيلة) والناس إذ قال: ((الجيلة اسم يقع على الجماعات المجتمعة من الناس حتى يكون لهم معظم وسواد؛ وذلك أنّ أصل الكلمة الغلظ والعظم ومنه قيل: الجبل لغلظته وعظمته ورجل جبّ وامرأة جبّلة غليظة الخلق))^(٢). فـ(الجيلة) جماعة عظيمة مجبولة على فعل أمر ما وعازمة على عدم تركه كعبادة الأصنام على سبيل المثال، وهذه الصفة هي التي تميزها عن سائر الألفاظ التي تدلُّ على الجمع أو الجماعة كـ (قوم، ورهط، ونفر...) ولم يذكر اللغويون أنّ لفظة (جيلة) لها واحد من لفظها، ولم يحددها بعدد معين.

١- لفظة جيلة:

البنية الصوتية والصرفية للفظ (جيلة) :

تتكون لفظة (جيلة) من أربعة مقاطع صوتية، الأول: مقطع قصير مفتوح، والثاني: مقطع طويل مغلق، والثالث: مقطع قصير مفتوح، والمقطع الرابع قصير مفتوح أيضاً وذلك على الوجه الآتي:

ج - / ب - ل / ل - / ة - ' .

فالجيم كما ذكر الدكتور إبراهيم أنيس تطورت تطوراً كبيراً في اللهجات العربية الحديثة، فهي عند قوم خالية من التعطيش، وعند آخرين قد بولغ في تعطيشها، ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أنّ الجيم التي ينطقها مجيدي القراءة القرآنية هي أقرب الجميع إلى الجيم الأصلية، إنّ لم تكن هي نفسها^(٣)، وهي صوت مجهور^(٤) يتكون عند التقاء وسط اللسان بوسط الحنك التقاء يكاد ينحبس معه الهواء، فإذا انفصل العضوان انفصلاً بطيئاً سمع صوت يكاد يكون انفجارياً؛ لهذا عدّها الدكتور إبراهيم أنيس صوتاً قليل الشدة، وعلل هذا بأنّ انفصال العضوين هنا أبطأ قليلاً منه في باقي الأصوات الشديدة الأخرى^(٥).

(١) ينظر: بصائر ذوي التمييز: ٣٦٥/٢.

(٢) الفروق اللغوية: ١٥٦.

(٣) ينظر: الأصوات اللغوية: ٦٩، ٦٨.

(٤) كتاب سيبويه: ٤/٤٣٤، و: سر صناعة الإعراب: ١/٦٩، و: المدخل إلى علم أصوات العربية ١٠٣.

(٥) الأصوات اللغوية: ٦٩.

أما (الباء) فهو صوت شديد مجهور انفجاري^(١)، وهو من حيث المخرج يعدُّ من الأصوات الشفوية^(٢)؛ لأن مخرجه ما بين الشفتين^(٣)؛ لذا عدّها الخليل من حروف الذلاقة^(٤). وحرصاً من القدماء على إظهار كل ما في هذا الصوت من جهر، ولئلا يختلط بنظيره المهموس الذي يرمز إليه في الكتابة الأوربية بالرمز (p) أضافوا إليه صوت لين قصير جداً يشبه الكسرة وسمّوا تلك الظاهرة بـ (القلقلة)^(٥).

أما صوت اللام والتاء فقد تناولتهما في بحث سابق.

ولمّا كان المقطع الأخير ليس من النوع الرابع أو الخامس، والمقطع الذي قبل الأخير ليس من النوع الثاني أو الثالث إذن موضع النبر وقع على المقطع الذي يسبق ما قبل الأخير وهو المقطع الطويل المغلق (بل).

ولفظة (جبلّة) مشتقة وليست جامدة، وهي مشتقة أما من قولهم: رجل جبلّ بشرة الوجه أي: غليظها، وامرأة جبلّة أي: غليظة، أو من (الجبل) الذي يتصور فيه معنى العظمة والضخامة أو من قولهم: جبلّ فلانٌ على كذا فهو مجبول عليه، فلفظة (جبلّة) على المعنى الأول والمعنى الثاني تشير إلى الأمة من الخلق أو الجماعة من الناس التي تتصف بغلظة الخلق وعظمتها. وعلى المعنى الثالث فإنها تشير إلى الجماعة من الناس الذين جبلّوا على فعل أمر ما. والذي يبدو أنّ جميع هذه المعاني اشتركت في اشتقاق لفظة (جبلّة) فهي تشير إلى مجموعة غليظة من الناس عظيمة في حجمها مجبولة على فعل أمر ما كعبادة غير الله على سبيل المثال.

وقد وردت لفظة (جبلّة) في القرآن الكريم في موضع واحد وهو قوله تعالى:

﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأُولَى﴾ (الشعراء: ١٨٤).

وقد اختلف القراء في قراءة لفظة (جبلّة) إذ قرأها عاصم (الجبلّة) بكسر الجيم وتشديد اللام^(٦)، وقرأها الحسن والأعمش (الجبلّة) بالضم وتشديد اللام^(٧)، وقرأها السلمي (الجبلّة)، و(الجبلّة)^(٨).

(١) كتاب سيبويه: ٤/٤٣٤، و: سر صناعة الإعراب: ١/٦٩، و: المدخل إلى علم أصوات العربية: ١٠٣.

(٢) العين: ١/٥٧.

(٣) اللغة العربية معناها ومبناها: ٥٨.

(٤) العين: ١/٥١.

(٥) ينظر: الأصوات اللغوية: ٤٤.

(٦) معاني القرآن (الفراء): ٢/٢٨٣.

(٧) المحتسب: ٢/١٧٦.

(٨) معجم القراءات القرآنية (احمد مختار عمر): ٥/٢١٧.

قال النحاس: ((يقال: (جُبُّلة) والجمع فيها (جَبَال)، وتحذف الضمة والكسرة من الباء، وكذلك التشديد من اللام فيقال: جُبُّلة، وجُبُّلٌ، وجِبُّلة وجِبُّل ويقال: جِبُّلة، وجبال وتحذف الهاء من هذا كله))^(١).

نستشف من هذا النص أمرين:

الأمر الأول: إنَّ (الهاء) في (جِبُّلة) زائدة وليست أصلية والدليل على زيادتها حذفها عند الجمع^(٢)، وإنها مبدلة من (التاء) إذ إنَّها في الوصل تقرأ (جِبُّلة) وسبب هذا الإبدال علة صوتية^(٣).

الأمر الثاني: إنَّ جميع هذه القراءات تدل على معنى واحد، قال الواحدي: ((الجِبُّلة: الخليفة يعني الأمم المتقدمين من قبلكم))^(٤). وقال ابن عطية: ((الجِبُّلة القرون والخليفة الماضية))^(٥).

نخلص من هذا أنَّ القرآن الكريم وظَّف لفظة (جِبُّلة) للدلالة على الأمة من الخلق أو الجماعة من الناس، ولكن ليس أي جماعة وإنما الجماعة التي تتسم بغلظة الطبع وعظمة العدد وكثرتهم، وكونهم مجبولين على عبادة غير الله، وقد دلَّ على هذا الخطاب الموجه إلى أصحاب الإيكة – قوم شعيب (عليه السلام)^(٦) – فضلا عن هذا أنه تعالى وصفهم بلفظة (الأولين) التي جاءت بصيغة الجمع إذ قال تعالى: ﴿وَالْجِبُّلَةَ الْأُولِينَ﴾ فناسب هذا

أنَّ تدلَّ (الجِبُّلة) على الجمع وما يؤيد هذا قول أمير المؤمنين (عليه السلام): ((اختار آدم عليه السلام، خيرة من خلقه، جعله أول جِبُّلة))^(٧). ومثل هذا قول الشاعر:^(٨)

والموت أعظم حادث مما يمرُّ على الجِبُّلة

فهو يصوِّر جماعة من الناس بلغوا درجة من القوة والغلظة والمنعة وكثرة العدد وضخامته فحدث أن مرَّ عليهم الموت فلم يبق لهم أحداً.

٢- لفظة جِبُّلا:

أما لفظة (جِبُّلا) فقد وردت في القرآن الكريم مرَّة واحدة أيضاً وذلك في قوله تعالى:

(١) إعراب القرآن (النحاس): ١٥٣ / ٣.

(٢) ينظر: المنصف: ٤٥، و: الصرف الوافي: ٣٥.

^٦ ينظر: لفظة (أمة) في الحقل السابع.

(٤) الوسيط في تفسير القرآن المجيد: ٣ / ٣٦٢.

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٤ / ٢٤٢.

(٦) ينظر: الآيات: ١٧٦ – ١٩٠.

(٧) نهج البلاغة: ١٣٣.

(٨) البيت غير منسوب في غريب القرآن (ابن قتيبة): ٢٧٤، و: الكشف والبيان في تفسير القرآن ٤ / ٤٦٢، و:

المحرر الوجيز: ٤ / ٢٤٢، و: مجمع البيان: ١٩ / ١٧٨، و: الجامع لأحكام القرآن: ١٣ / ١٢٦، و: زاد

المسير: ٥٢ / ٦.

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ (يس: ٦٢). كما اختلف القراء في لفظة (جِبِلَّة) فقد اختلفوا في قراءة (جِبِلًا)، قال ابن خالويه: ((قوله تعالى: ﴿جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ يقرأ بضم الجيم والباء، وبإسكانها مع التخفيف، وبكسر الجيم والباء وتشديد اللام))^(١).

وقال أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ): ((اختلفوا في التخفيف والنتقيل من قوله عز وجل ﴿جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ فقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي (جِبِلًا) بضم الجيم والياء وتخفيف اللام، وقرأ أبو عمرو وابن عامر: (جِبِلًا) بضم الجيم وتسكين الباء، وقرأ نافع وعاصم: (جِبِلًا) بكسر الجيم والياء وتشديد اللام))^(٢)، وقال الأزهري: ((قال أبو منصور: من قرأ (جِبِلًا) و(جِبِلًا) فالمعنى واحد... والجِبِلُّ: الناس الكثيرة، والجِبِلُّ قريب في المعنى من الجِبِلِّ))^(٣)، وقال ابن شامة الدمشقي (ت ٦٥٦هـ): ((جميع هذه القراءات لغات، وهو الجماعة من الناس))^(٤). وقد تابعه على هذا الرأي شهاب الدين الدمياطي (ت ١١١٧هـ).^(٥)

وقد اختلف المفسرون في لفظة (جِبِلًا) فذهب النحاس والثعالبي والزمخشري إلى أن (جِبِلًا) جمع (جِبِلَّة)^(٦) في حين ذهب ابن عطية إلى أن (الجِبِلِّ) الأمة العظيمة التي

أقلها عشرة آلاف ولا حَدَّ لأكثرها))^(٧)، وتابعه على هذا الرأي الرازي الذي قال: ((الجِبِلِّ: الجمع العظيم حتى قيل: إنَّ دون العشرة آلاف لا يكون جِبِلًّا))^(٨)، والألوسي الذي قال: ((الجِبِلِّ: الجماعة العظيمة، أطلق عليهم تشبيهًا بالجبل في العظم، وعن الضحاك: أقل الجِبِلِّ وهي الأمة العظيمة عشرة آلاف))^(٩). وقال مكارم الشيرازي: ((ذكر بعضهم أنَّ (الجِبِلِّ) بحدود العشرة آلاف نفر أو أكثر، وما دون ذلك لا يكون (جِبِلًا) ولكن البعض الآخر لم يلتزم بتلك الأرقام))^(١٠).

(١) الحجة في القراءات السبعة (ابن خالويه): ١٩٢، و: الامتاع في القراءات السبع (ابن خلف الأنصاري): ٤٤٩.

(٢) الحجة للقراء السبعة (أبو علي الفارسي): ٣١٠/٢.

(٣) معاني القراءات (الأزهري): ٤٠٤.

(٤) إبراز المعاني من حرز الأمان في القراءات السبع (ابن شامة الدمشقي): ٦١٦.

(٥) ينظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (شهاب الدين الدمياطي): ٤٦٩.

(٦) ينظر: إعراب القرآن (النحاس): ١٥٣/٣، و: الكشف والبيان في تفسير القرآن: ٤/٤١٢، و: الكشاف: ٢٤/٤.

(٧) المحرر الوجيز: ٤٦٠/٤.

(٨) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: ١٠٠/١٣.

(١٠) الأمتل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٦٢/١٤.

ودلالة (جيلا) على الجمع في هذه الآية واضحة من خلال ما ذكرت من أقوال اللغويين والمفسرين من جانب ومن جانب آخر انه تعالى وصفها بلفظة (كثيراً) فقال: «**جيلاً كثيراً**»، قال مكارم الشيرازي: ((وأضاف (كثيراً) للتأكيد على كثرة من أتبع الشيطان من كافة المستويات الاجتماعية في كل مجتمع))^(١).

وفي ضوء ما تقدم يتبين لنا أنّ اللغويين والمفسرين اختلفوا في اشتقاق لفظة (جيلاً)، فمنهم من يرى أنّ (جيلاً) جمع (جيّة) ومن ثمّ فإنّ (جيلاً) تدلّ على الأمم والجماعات من الناس. ومنهم من يرى أنّ (جيلاً) ليست جمع (جيّة) وإنما هي الأمة العظيمة الكثيرة العدد وسميت (جيلاً) تشبيهاً بالجبل بعظمته. والذين قالوا: إنها مشتقة من الجبل اختلفوا في عددها، فقالوا: إنّ أقلها عشرة آلاف ولا حدّاً لأكثرها، ولا يقال لِمَا دون العشرة آلاف (جيلاً).

ومنهم من لم يلتزم بتلك الأرقام، وعدّ كل امة عظيمة (جيلاً). وأما ما يخص مفرد لفظة (جيلا) فقد اختلف فيه اللغويون فمنهم من يرى أنّ مفردها (جيّة) ومنهم من يرى أنها ليس لها مفرد من لفظها وهو ما يميل إليه الباحث. وعلى هذا فإنّ لفظة (جيلاً) تعدّ من أفاظ الجموع التي ليس لها واحد من لفظها.

لفظة حِزْب

الدلالة المعجمية:

الحزب في اللغة مأخوذ من التحزّب، وهو التجمع ومنه قولهم: ((تَحَزَّبَ القوم إذا اجتمعوا، وحزّب قومه فتحزّبوا أي: صاروا طوائف))^(٢). ((وحزّب الرجل الذين يميلون إليه))^(٣). وكل قوم تشاكنت قلوبهم وأعمالهم فهم (حزب) وإن لم يلق بعضهم

(١) ينظر: المصدر نفسه: ١٤ / ١٦٢.

(٢) العين (حزب): ١٦٤/٣، وتهذيب اللغة (حزب): ٢١٧/٤.

(٣) الجمهرة (حزب): ٢٧٣/١.

بعضاً^(١). ((فالحاء والزاي والباء أصل واحد وهو تجمع الشيء فمن ذلك الحزب الجماعة من الناس، والطائفة من كل شيء))^(٢).

و((الحزب تأتي بمعنى الورد))^(٣)، قال الزمخشري: ((الحزب في الأصل الطائفة من الناس، ومنه سُمي الورد؛ لأنه طائفة من القرآن))^(٤)؛ وتأتي بمعنى الشدة؛ ومنه حَزَبَ الأمر فلاناً: نابه واشتدَّ عليه، وأمر حازب وحزيب إذا كان شديد^(٥)، ومنه قول العجاج:^(٦)

لقد وجدنا مصعباً مستصعباً حتى رمى الأحزاب والمحزباً

وسنثبت في البنية الصرفية والاستعمال القرآني لهذه اللفظة أن جميع هذه المعاني ترجع إلى أصل واحد.

البنية الصرفية للفظه حزب:

(حزب) اسم ثلاثي مجرد خال من حروف الزيادة صحيح الآخر وهو على وزن (فعل).
ولفظه (حزب) تعامل معاملة الاسم المفرد من حيث الإفراد والتنثنية، تقول في تنثية (حزب): (حزبان) ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا لَهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِئُوا أَمَدًا﴾ (الكهف: ١٢)، وتجمع على (أحزاب) ومنه قوله تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابَ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ (مريم من الآية ٣٧)، ومن حيث النسب والتصغير فهي تنسب إلى لفظها تقول في النسب إلى (حزب): (حزبي)، وتصغر على لفظها أيضاً، فتصغير (حزب): (حزيب)، فضلاً عن هذا فهي تدل على الجمع وليس لها مفرد من لفظها^(٧)؛ لذا عُدَّت لفظه (حزب) اسم جمع لا جمعاً حقيقاً، قال ابن عطية: ((الحزب اسم جمع ليس له مفرد من لفظه))^(٨). وقد ذكرت لفظه (حزب) في القرآن الكريم بصيغة المفرد ثماني مرات، ومثناة مرة واحدة وجمعاً إحدى عشرة مرة، وقد وظفت في جميعها للدلالة على الجمع، ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (المائدة: ٥٦).

في هذه الآية أكثر من قرينة تثبت أن لفظه (حزب) دلت على الجمع، منها قرينة الإسناد إذ أسند لفظه (غالبون) التي جاءت بصيغة الجمع — وهي قرينة معنوية — إلى (حزب) ثم أعاد

(١) ينظر: تهذيب اللغة (حزب): ٢١٧/٤.

(٢) معجم مقاييس اللغة (حزب): ٥٥/٢.

(٣) الورد: هو ما يجعله الإنسان على نفسه من قراءة أو صلاة أو دعاء (...)) ينظر: إكمال الأعلام بتبليث الكلام: ١٤٧/١.

(٤) الفائق في غريب الحديث: ٣/ ٢٢٤، و: المعجم الوجيز: ١٤٧.

(٥) ينظر: لسان العرب (حزب): ٢٩٤/١، و: القاموس المحيط (حزب): ٥٤/١.

(٦) ديوانه: ٩٤: ٣/ ١٦٤.

(٧) ينظر: الفيصل في ألوان الجموع: ٢٥٩.

(٨) المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز: ١/ ١٦٨، و: تفسير القرطبي: ٣/ ٢.

الضمير على لفظه (حزب) بصيغة الجمع أيضاً إذ قال: (هم) فضلاً عما ذكره المفسرون في دلالة لفظه (حزب) إذ قال الواحدي: ((الحزب في اللغة: الجماعة، وحزب الرجل: أصحابه الذين معه على رأيه))^(١). وقال الزمخشري: ((أصل الحزب: القوم يجتمعون لأمر حَزَبَهُمْ، ويحتمل أن يريد بحزب الله الرسول والمؤمنين))^(٢). وقال القرطبي: ((الحزب الصنف من الناس وأصله من النائبة من قولهم: حَزَبَهُ كذا أي: نابه؛ فكأن المتحزبين مجتمعون كاجتماع أهل النائبة عليها))^(٣). وقد اختلف المفسرون في المقصودين من قوله تعالى: ﴿حِزْبَ اللَّهِ﴾ فقال الواحدي: ((حزب الله أي جند الله))^(٤)، وقال ابن الجوزي: ((حزب الله أنصار الله وفيهم قولان: أحدهما: أنهم المهاجرون والأنصار، والثاني: أنهم الأنصار))^(٥)، وقال أبو عبد الله الرازي: ((حزب الله: عبيده المتقون، وأنصار دينه ونبيه - صلى الله عليه وآله -))^(٦).

أقول: إن إضافة لفظ الجلالة (الله) إلى (حزب) في قوله تعالى: ﴿حِزْبَ اللَّهِ﴾ تحتاج إلى وقفة تحليلية، ونظرة تأملية إذ إن السياق الذي وردت فيه كلمة ﴿حِزْبَ اللَّهِ﴾ في هذه الآية والآيات التي قبلها^(٧)، وَوَصَّفَهُمْ بقوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ (المائدة من الآية: ٥٤)، واقتران ولايتهم بولاية الله^(٨)، وتأكيد أنهم الغالبون بأداة التأكيد (إن) وضمير الفصل (هم) واستعمال لفظه (غالبون) وإيثارها على غيرها من الألفاظ يوحي بأن المقصود من (حزب الله) أناس بلغوا الذروة من الإيمان والتقوى والكمال الروحي والاستعداد النفسي لأن يكونوا سادات الأمم وقادة البشر وأولياء الله. ومما يعزز هذا الرأي أنه تعالى أعاد ذكرهم في سورة المجادلة وأضفى عليهم صفات تفوق ما وصفهم به في هذه الآية إذ قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُقْلِحُونَ﴾ (المجادلة: ٢٢).

فلاحظ في هذه الآية ما يؤكد عظمة هؤلاء الأشخاص وقداستهم إذ إن الله تعالى كتب في قلوبهم الإيمان، وفي لفظه ﴿كَتَبَ﴾ إشارة إلى استحالة زوال الإيمان من قلوبهم؛ لأن ما كتبه

(١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد: ٢/٢٠٢.

(٢) الكشاف: ١/٦٤٩.

(٣) تفسير القرطبي: ٦/١٤٥، وينظر: لباب التأويل: ٢/٥٧.

(٤) الوسيط في تفسير القرآن المجيد: ٢/٢٠٢.

(٥) زاد المسير: ٢/٢٢٨.

(٦) تفسير غريب القرآن العظيم (الرازي): ١٠٠.

(٧) ينظر: الأيتان: ٥٤، ٥٥ من سورة المائدة.

(٨) ينظر: الآية ٥٥ من سورة المائدة.

الله لا يستطيع أحد أن يمحوه^(١)، ثم إنه تعالى أخبر أنه أيدهم بروح منه، وأدخلهم فسيح جناته ورضي عنهم فضلاً عن هذا أنه تعالى وصفهم بأنهم «حزب الله» وأكد أنهم هم المفلحون باستعمال أداة التوكيد (إن) وضمير الفصل (هم) واستعمال لفظة «مفلحون» التي تقتزن دائماً مع النصر والغلبة؛ فإن معنى الآيتين واحد مع وجود قيد هو أن للفلاح مفهوم أعمق من مفهوم الغلبة؛ لأنه يُشخّص مسألة الوصول إلى الهدف أيضاً^(٢).

ومما يبدو أن هذه الصفات لا تتوافر إلا في ثلثة من خلق الله أعطوا الله كل ما عندهم ونذروا أنفسهم لتبليغ رسالة السماء ونصرة دين الحق فهم بذلك أهل لأن يكونوا أولياء الله وحزبه، وهم الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله) والأمام علي ابن ابي طالب والأئمة (عليهم السلام)، ومن هذا حذوهم والدليل على هذا ما ذكره البحراني بعد ذكر سلسلة الرواية عن أهل السنة ((أن الصحابي الجليل سلمان الفارسي قال لأمير المؤمنين - عليه السلام - يا أبا الحسن ما أطلعت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلا ضرب على كتفي، وقال: ((يا سلمان هذا - وأشار إلى الأمام علي(عليه السلام) - وحزبه هم المفلحون))^(٣). وقال البحراني أيضاً: ((«أولئك حزب الله» يعني الأئمة عليهم السلام))^(٤).

ومما يلفت النظر أن القرآن الكريم جعل في قبَل «حزب الله»: «حزب الشيطان»^(٥) إذ قال تعالى: «استحوذ عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان إلا إن حزب الشيطان هم الخاسرون» (المجادلة: ١٩).

وفي معنى استحوذ قال الزمخشري: ((«استحوذ عليهم الشيطان» أي: ملكهم الشيطان لطاعتهم له في كل ما يريده منهم حتى جعلهم رعيته وحزبه «فأنسأهم» أن يذكروا الله أصلاً لا بقلوبهم ولا بألسنتهم))^(٦). وقال ابن عطية: ((استحوذ عليهم الشيطان معناه تملكهم من كل جهة وغلب على نفوسهم))^(٧). وشتان بين الحزبين.

ودلالة لفظة حزب في هذه الآية على الجمع واضحة، يدلُّ على هذا السياق الذي وردت فيه لفظة (حزب) إذ قال تعالى: «استحوذ عليهم الشيطان» وقال: «فأنسأهم» بصيغة الجمع، ثم أشار إليهم باسم الإشارة «أولئك» الذي يستعمل للإشارة إلى الجمع فضلاً عن هذا أنه أعاد

(١) ينظر: البرهان في تفسير القرآن (البحراني): ٣١٢ / ٤ .

(٢) ينظر: الميزان: ٢٠٤/١٩، و: الأمل: ١١٤/١٨، الجوهر الثمين في تفسير القرآن المبين: ١٨١/٦ .

(٣) البرهان في التفسير القرآن (البحراني): ٣١٢/٤ .

(٤) المصدر نفسه: ٣١٢ / ٤، وينظر: تفسير القمي: ٣٣٨ / ٢ .

(٥) ينظر: حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: الشيخ عبد الله العلوي: ٨٧ / ١٩ .

(٦) الكشاف: ٩٦ / ٤ .

(٧) المحرر الوجيز: ٢٨١ / ٥ .

الضمير عليهم بصيغة الجمع بقوله: (هم) وجاء بالمسند بصيغة الجمع أيضاً إذ قال: (الخاسرون) فدلّ كل هذا على أنّ لفظة (حزب) في هذه الآية دلت على الجمع وليس على المفرد. ومثّل هذا في قوله تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (المؤمنون: ٥٣).

وكرر الصيغة نفسها في سورة الروم إذ قال تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (الروم من الآية: ٣٢).

فأعاد الضمير على لفظة (حزب) بصيغة الجمع في كلتا الآيتين إذ قال تعالى: ﴿لَدَيْهِمْ﴾ وجاء بالمسند وهو قوله تعالى: ﴿فَرِحُونَ﴾ بصيغة الجمع فدلّ هذا على أنّ لفظة (حزب) وظفت في القرآن الكريم للدلالة على الجمع، ولم تستعمل للدلالة على المفرد.

وفي ضوء ما تقدم يتبين لنا أنّ الأصل الواحد في لفظة (حزب) هو التجمع إذا كان على رأي وهدف واحد؛ فيقال: هؤلاء حزب الله، وحزب الدين، وحزب الكفر، وحزب الشيطان، ولا يقال: حزب الله، ولا حزب الدين إذا لم يكن بينهم أمر جامع يميزهم ويختص بهم. وأما الورد والنصيب فباعتبار كونهما مجتمعين على نظر وغرض واحد. وأما الضغط والشدة والغلظة فإنها من لوازم التحزب^(١). وعلى هذا الأساس اعتمد أبو هلال العسكري في التفريق بين لفظة (حزب) وبين (الفوج والجماعة والثلة والزمرة) إذ قال: ((الحزب: الجماعة تتحزب على الأمر أي تتعاون، وحزب الرجل الجماعة التي تعينه فيقوى أمره بهم، وهو من قولك حزني الأمر إذا اشتد عليّ))^(٢). ويظهر لنا بهذا الفرق بين لفظة (حزب) وغيرها من ألفاظ المجموعات البشرية.

وأما مفرد لفظة (حزب) فلم يذكر أحد من اللغويين أنّ (حزب) لها مفرد من لفظها وقد أكدّ بعض المفسرين والصرفيين أنها من الألفاظ التي ليس لها مفرد من لفظها^(٣). وقد بينت أنها لم تستعمل في القرآن الكريم وفي كلام العرب إلا للدلالة على الجمع وبما أنها تدل على الجمع ولا تنطبق عليها أحكام الجمع بل أحكام المفرد؛ لذا عدّت اسم جمع من حيث المنظور الصرفي لها.

لفظة زمرة

(١) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ٢/ ٢٤٤.

(٢) الفروق اللغوية: ٢٢٩.

(٣) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ١/ ٣١٣، و: المحرر الوجيز: ١/ ٦٨، و: الفيصل في ألوان الجموع: ٢٥٩.

الدلالة المعجمية :

((الزاي والميم والراء أصلان: أحدهما يدلُّ على قلة الشيء، والآخر جنس من الأصوات، فالأول: الزمر: قليل الشعر، يقال: رجل زمر المروءة أي قليلها، والأصل الآخر الزمّر والزمار: صوت النعامة))^(١). يقال: زمّر يزمرُ زمراً وزميراً وزمّراً تزميراً غنىً في القصب، وامرأة زامرة ولا يقال: زمّارة، ولا يقال: رجل زامر إنما هو زمّار^(٢)، ومنه اشتق المزمّار واحد المزامير^(٣). ويبدو أن من هذا المعنى اشتقت لفظة (زُمرة) التي قيل فيها: إنها فوج من الناس، أو جماعة من الناس في تفرقة بعضهم على إثر بعض^(٤)؛ لأنها إذا اجتمعت كان لها جلبة وزمار^(٥). وقد عدّها كراع النمل من الألفاظ التي تدلُّ على جماعات الناس^(٦). وقد فرّق أبو هلال العسكري بينها وبين الألفاظ الأخرى التي تدلُّ على الجماعات البشرية إذ قال: ((الفوج يدلُّ على الجماعة الكثيرة التي تدخل في وقت واحد. و(الثلة) الجماعة التي تندفع في الأمر جملة من قولك ثللت الحائط إذا انقضت أسفله فاندفع ساقطاً كله ثم كثر فسمي كل بشر ثلاً. والحزب يدلُّ على الجماعة التي تتحزب على الأمر أي: تتعاون عليه، أما (الزمرة) فلفظ يدل على جماعة لها صوت لا يفهم وأصله من المزمّار وهو صوت الأنثى من النعام ومنه قيل الزمرة))^(٧).

ويبدو أنّ كلا المعنيين اجتمع في لفظة (زُمرة) فهي تدلُّ على جماعة قليلة في تفرقة بعضهم إثر بعض ولها صوت وزمار وجلبة، وقد استعملت في القرآن الكريم للدلالة على المجموعة الحسنة والمجموعة السيئة، وقد دخل عليها تطور دلالي ضيق من مدلولها بحيث إذا أطلقت انصرف الذهن إلى الجماعة السيئة فقط.

البنية الصرفية للفظ (زُمرة).

لفظة (زُمرة) على وزن (فُعلة)^(٨)، وهي اسم مشتق وليس جامدًا، إذ إنّها مشتقة أما من قولنا: ((زمّر يزمرُ زمراً وزميراً إذا غنى في القصب، أو من الزمّار وهو صوت النعامة، أو

(١) معجم مقاييس اللغة (زمر): ٣ / ٢٤، وينظر: ما اتفق لفظه واختلف معناه (ابن الشجري): ١٣٢.

(٢) ينظر: الصحاح (زمر): ٢ / ٦٧١، و: القاموس المحيط ٢ / ٤٠.

(٣) المزمّار: آلة من خشب أو معدن تنتهي قصبته ببوق صغير، المعجم الوسيط: ٣٩٩.

(٤) أساس البلاغة: ١ / ٤٢١، وينظر: معترك الأقران (السيوطي): ٢ / ٢١١.

(٥) بصائر ذوي التمييز في لطائف كتاب سيبويه العزيز: ٣ / ١٣٨.

(٦) المنتخب من غريب كلام العرب: ١٥١، و: فقه اللغة وسر العربية: ٢٤٦.

(٧) الفروق اللغوية: ٢٢٩.

(٨) ليس في كلام العرب: ٣٢٦.

من الزَّمْر الذي يعني القلة كما تقول: شعر زمر أي قليل^(١)، ويمكن أن تكون مشتقة من هذه المعاني جميعها فهي تدلُّ على مجموعة قليلة ولها صوت وزمار.

والتاء في لفظة (زمرة) تلفظ عند الوصل أما في حالة الوقف فتقلب هاءً. وقد بيّنت علة ذلك في بحث سابق. ولفظة (زمرة) تجمع على زَمْر^(٢)، ولم يذكر اللغويون لها واحداً من لفظها وبذا تكون لفظة (زمرة) من الألفاظ التي تدل على الجمع وليس لها مفرد من لفظها.

وقد ذكرت لفظة (زمرة) في القرآن الكريم في موضعين فقط في سورة واحدة وقد سميت هذه السورة باسمها وهي سورة (الزمر). الآية الأولى هي قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِن حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ﴾ (الزمر: ٧١).

وقد أجمع المفسرون على أن (زمرًا) جمع (زمرة) ويقصد بها جماعات متفرقة بعضهم اثر بعض^(٣). قال الطبرسي: ((«زمرًا» جمع (زمرة) وهي الجماعة لها صوت كصوت (المزمارة))^(٤)، وقال الفيض الكاشاني: ((«وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا» أفواجًا متفرقة بعضهم في اثر بعض على تفاوت أقدامهم في الضلالة))^(٥).

وأما دلالة «زمرًا» على الجمع فإنها واضحة وذلك من خلال القرائن اللفظية التي توافرت في هذه الآية، إذ أخبر عنهم بصيغة الجمع وهذا في قوله تعالى: ﴿الذين كفروا﴾ فدلّ هذا على أنهم مجموعة، ثم انه أعاد الضمير عليهم بصيغة الجمع وهذا في قوله تعالى: ﴿جاءوها﴾، وقوله ﴿الم يأتكم﴾ و﴿منكم﴾، و﴿عليكم﴾، و﴿ربكم﴾، و﴿ينذرونكم﴾، و﴿يومكم﴾، و﴿قالوا﴾ فجاءت الألفاظ جميعها بصيغة الجمع فدلّ هذا على أن «زمرًا» وظفت للدلالة على الجمع في هذه الآية، ويمكن القول إن الأمر نفسه ينطبق على قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طَابْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (الزمر ٧٣).

فأخبر عنهم بصيغة الجمع، وأعاد الضمير عليهم بصيغة الجمع أيضًا فناسب هذا أن تدل (زمرًا) في هذه الآية على الجمع أيضًا. ونلاحظ في كلا الآيتين الجوانب الآتية :

(١) ما اتفق لفظة واختلف معناه (ابن الشجري) : ١٣٢ .

(٢) ليس في كلام العرب: ٣٢٦ .

(٣) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد: ٥٩٤/٣، و: تفسير القرطبي: ٨٥/١٥، و: البحر المحيط ٤٢٧/٧

(٤) مجمع البيان : ٤١٨ / ٨ .

(٥) تفسير الصافي: ٣٣٢ / ٤، وينظر : البرهان في تفسير القرآن (البحراني): ٥٦٩ / ٦ .

١- الجانب الأول: إن (زمرا) في كلا الموضعين جاءت منصوبة على الحال^(١).
 ٢- أما الجانب الثاني: فهو إنه تعالى استعمل لفظة (سيق) المشتقة من (السوق) التي تعني الحث على السير وتنفيذ العمل دون اشتياق ورغبة في تنفيذه. وقد أثار هذا الاستعمال التساؤل، ولفت أنظار الكثير من المفسرين وكان لهم فيه أكثر من رأي سأعرض عن ذكرها رغبة في الاختصار ومن أراد الاستزادة يراجع المصادر المذكورة في الهامش^(٢).
 ٣- الجانب الثالث: إنه استعمل لفظة (زمرا) في الآية الأولى مع جماعة الكافرين، وفي الآية الثانية مع جماعة المتقين فدلّ هذا على أنّ (الزمرة) تستعمل مع الجماعة الحسنة والجماعة السيئة.

٤- الجانب الرابع: إنه تعالى قال في الآية الأولى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحْتِ أَبْوَابَهَا ۗ ﴾، وقال في الآية الثانية: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ۗ ﴾، فذكر الواو في الآية الثانية ولم يذكرها في الآية الأولى. وقد اختلف الكوفيون والبصريون في هذه المسألة، فالكوفيون يرون أنّ هذه (الواو) زائدة واحتجوا بهذه الآية وبآيات أخرى واستشهدوا بكلام العرب، أما البصريون فيرون أنّ هذا لا يجوز، واحتجوا بأنّ (الواو) في الأصل حرف وضع لمعنى، فلا يجوز أن يحكم بزيادته مهما أمكن أن يجري على أصله^(٣).

قال النحاس: ((أما الحكمة في إثبات الواو في الثانية وحذفها في الأولى ... انه لمّا قال الله عز وجل في أهل النار: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ۗ ﴾، دلّ هذا على أنّها كانت مغلقة - ولعلّ ذلك ابلغ في تفريع الكفار بما تدخله المفاجأة في قلوبهم من الرعب والرهبة^(٤) - ولمّا قال في أهل الجنة: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحْتِ أَبْوَابُهَا ۗ ﴾ دلّ بهذا على أنّها كانت مفتوحة قبل أن يجيئوها^(٥)). ولعل ذلك ابلغ في إكرام المتقين لما يدخله الاستعداد لاستقبالهم بفتح أبواب الجنة وخطاب خزنتها الكرام بألطف خطاب وأطيب لقاء، وفي هذا إشارة إلى الاحترام والتبجيل الذي يُستقبلون به من ملائكة الرحمة كالمستضيف الذي يفتح أبواب بيته للضيوف قبل وصولهم ويقف عند الباب بانتظارهم^(٦).

وبهذا تظهر أهمية (الواو) وتوضح فائدتها ويثبت أنّها ليست زائدة.

(١) ينظر: إعراب القرآن (النحاس): ٤/٦٧، و: الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢/٤٥٨.
 (٢) ينظر: الكشاف: ٤/١٤٦، و: البحر المحيط: ٧/٤٢٧، و: الدر المصون: ٦/٢٥، و: روح المعاني: ١٢/٢٨٦، و: أسرار التشابه الاسلوبي: ٦٧.
 (٣) ينظر: إعراب القرآن (النحاس): ٤/٦٧، و: الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢/٤٥٨ - ٤٥٩.
 (٤) ينظر: روح المعاني: ١٢: ٢٨٦، و: الأمل: ١٥/١٢٢.
 (٥) إعراب القرآن (النحاس): ٤/٦٧.
 (٦) ينظر: روح المعاني: ١٢/٢٨٦، و: الأمل: ١٥/١٢٢.

ومن موارد استعمال لفظة (زمرة) للدلالة على الجمع في كلام العرب قول الشاعر:^(١)

إنَّ العفَاةَ بالسيوب قد غمر
حتى احزألت زمراً بعد زمر^(٢)

يصورُّ الشاعر دخول أفواج الفقراء وطلاب الرزق على شكل مجموعات مجموعات على ممدوحه الذي أغدق عليهم بالعطايا وغمرهم بالأموال.

وفي ضوء ما تقدم يتبين أنَّ لفظة (زمرة) بحد ذاتها تدلُّ على الجمع، وإن جمعها على (زمر) يكون بمثابة جمع الجمع، وبهذا فإنَّ ورودها في القرآن الكريم بصيغة الجمع يصورُّ لنا دخول المتقين أو الكافرين على هيئة جماعات جماعات إلى الجنة أو الجحيم. وهي تدلُّ على مجموعة قليلة متفرقة من الناس تمتاز بكونها ذات صوت وجلبة وهذه الصفة هي التي ميّزت لفظة (زمرة) عن سائر الألفاظ التي تدل على المجموعات البشرية. فضلاً عن هذا فإن لفظة (زمرة) استعملت في القرآن الكريم للدلالة على

المجموعة الحسنة والمجموعة السيئة. أما في استعمال العرب فإن لفظة (زمرة) دخل عليها تطور دلالي ضيق من مدلولها بحيث إذا أطلقت انصرف الذهن إلى مجموعة قليلة سيئة الخلق. ما ما يخصُّ مفرد (زمرة) فلم أجد أحداً من اللغويين يقول إنَّ لفظة (زمرة) لها واحد من لفظها، وهذا يدلُّ على أنَّ لفظة (زمرة) تعدُّ من الألفاظ التي تدلُّ على الجمع وليس لها واحد من لفظها.

لفظة صرّة

الدلالة المعجمية :

الصرّة في اللغة قد تكون مشتقة من صرّ الجندب يصر صريراً إذ صاح، وصرّ الباب يصرُّ، وكلّ شيء شُبّه بذلك فهو صرير^(٣). وقد تكون مشتقة من الصرّ: التي تعني الجمع والشد، وكل شيء جمعه فقد صررته، ومنه قيل للأسير مصرور؛ لأن يديه جمعتا إلى عنقه^(٤). وقد تكون مشتقة من الصرّة: وهي ما يعقد فيه الدراهم، فالصرّة على هذا الجماعة

(١) البيت بلا نسبة وهو من شواهد الكشف: ٤/١٤٦، و: البحر المحيط ٧/٤٢٧، و: الدر المصون ٦/٢٥.

(٢) السيوب في الأصل السيوف، استعيرت للعطايا الكثيرة عن طريق الاستعارة التصريحية، والغمر: الترشيح، واحزألت: ارتفعت سائرة من عنده.

(٣) ينظر: العين (صر) ٧/٨١، و: نشوء اللغة ونموها واكتمالها: ١٠.

(٤) ينظر: لسان العرب (صر): ٣/٤٢١.

الْمُنْتَمُّ بِعَضْمٍ إِلَى بَعْضٍ، كَأَنَّهُمْ صُرُّوا أَيْ جُمُعُوا فِي وَعَاءٍ^(١)، وَهِيَ بِهَذَا تَشِيرُ إِلَى جَمَاعَةِ مِتْرَابِطَةٍ مِتْرَابِطَةٍ غَيْرِ مِتْفَرِّقَةٍ^(٢).

وَيُمْكِنُ الْقَوْلُ إِنَّ لَفْظَةَ (صِرَّةً) تَعَدُّ مِنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي اتَّفَقَ لَفْظُهَا وَاخْتَلَفَ مَعْنَاهَا^(٣)، فَالصِّرَّةُ: الضَّجَّةُ وَالصَّيْحَةُ وَالصَّوْتُ عِنْدَ الْفَرْعِ^(٤)، وَالصِّرَّةُ: الْجَمَاعَةُ الْمِتْرَابِطَةُ الْمِتْرَابِطَةُ^(٥)، وَالصِّرَّةُ الشَّدَّةُ فِي الْكَرْبِ وَالْحَرْبِ^(٦) وَغَيْرِهَا. وَسَيَتَبَيَّنُ لَنَا فِي الْبُنْيَةِ الصَّرْفِيَّةِ وَالِاسْتِعْمَالِ الْقُرْآنِيِّ لَهَا أَنَّ جَمِيعَ هَذِهِ الْمَعْنَى قَدْ اشْتَرَكَتْ فِي اشْتِقَاقِ لَفْظَةِ (صِرَّةً) .

البنية الصوتية والصرفية للفظ صِرَّة:

تتكون لفظة (صِرَّةً) من ثلاثة مقاطع صوتية، الأول: مقطع طويل مغلق والمقطع الثاني: قصير مفتوح والمقطع الثالث: قصير مفتوح أيضاً وذلك على الوجه الآتي:

ص - ر / ر - ة / ة - ة .

وفي لفظة (صِرَّةً) من الحشد الفني والدلالي ما لا تنهض به لفظة بديلة؛ فإنها بتشكيلها الصوتي حيث الصاد المطبقة بما فيها من رخاوة وهمس^(٧)، والرَّاء المكررة التي تصوِّر حالة الانقباض والشد النفسي وحالة من التضائل^(٨) والصَّغَرُ بِإِزَاءِ الْمَوْقِفِ الْعَجِيبِ أَمَامَ الْخَجْلِ الْمَشُوبِ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالتَّعَجُّبِ مِمَّا يَحْشُدُ إِلَى دَلَالَةِ هَذَا اللَّفْظِ^(٩) الَّذِي سَنَتَّضِحُ مَعَالِمَهُ فِي السِّيَاقِ الْقُرْآنِيِّ الَّذِي وَرَدَتْ فِيهِ الْفِظَةُ.

ولفظة (صِرَّةً) على وزن (فُعْلَةٌ) وهذا الوزن لم يذكر ضمن أوزان جموع التكسير القياسية. وقد ذكرت في الدلالة المعجمية أنَّ لفظة (صِرَّةً) تأتي بمعنى الجماعة المترابطة المتعاضدة، ولم يذكر اللغويون مفرداً للفظة (صِرَّةً) وهذا يعني إنها تعدُّ من الألفاظ التي تدل على الجمع وليس لها واحد من لفظها.

(١) ينظر: بصائر ذوي التمييز: ٤٠٩/٣.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة(صر): ٧٦/١٢.

(٣) ينظر: الوجوه والنظائر الكريم (هارون بن موسى): ١٣١، و: ما اتفق لفظه واختلف معناه: ١٦٩.

(٤) ينظر: الجمهرة (صر): ١/١٠٩، و: الصحاح(صر) ٢/٧١٠، و: المعجم الوسيط ٢/٥١٢.

(٥) ينظر: ما اتفق لفظه واختلف معناه (ابن الشجري): ١٦٩، و: بصائر ذوي التمييز: ٤٠٩/٣.

(٦) ينظر: لسان العرب(صر): ٤٢١/٣.

(٧) كتاب سيبويه: ٤/٤٣٤، و: سر صناعة الإعراب: ١/٦٩، و: الأصوات اللغوية: ٦٨.

(٨) ينظر: الأثر الدلالي لحذف الاسم في القرآن الكريم (محمد جعفر)، رسالة ماجستير - جامعة الكوفة، كلية الآداب: ١٧٩.

(٩) ينظر: الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم: ٢١٤.

وقد استعملت لفظة (صِرَّة) في القرآن الكريم مرتين وذلك في قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صِرَّةٍ فَصَكَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ (الذريات: ٢٩).

وقد اختلف المفسرون في بيان المراد من قوله تعالى (في صِرَّة) ، فالفراء يرى أن قوله تعالى (في صِرَّة) أي في صيحة^(١). وقال النحاس: ((في «صِرَّة» جماعة من النسوة يتبادرن ينظرن إلى الملائكة))^(٢). وتابعه على هذا الرأي ابن عطية^(٣)، والطبرسي الذي قال: ((في «صِرَّة» في جماعة عن الصادق (عليه السلام)، وقيل: في رقيقة عن سفيان))^(٤)، وقال السمين الحلبي: ((بجوز أن تكون حالاً من الفاعل، أي: كائنة في صِرَّة، والصِرَّة الصيحة، ويجوز أن يكون متعلقاً بأقبلت في جماعة نسوة كن معها، والصِرَّة الجماعة من النساء))^(٥)، فمن قال إن قوله تعالى «في صِرَّة» أي: (في صيحة) أو (في ضجة) فسّر «أقبلت» بأنها لا تعني الإقبال من موضع إلى موضع وإنما كقولك: أقبل يشتمني أي: أخذ يشتمني^(٦). ومن فسرها بمعنى الجماعة أبقى لفظة (أقبلت) على معناها الذي وضعت له وهو الانتقال من موضع إلى موضع. ولما كان ترك التقدير أولى من التقدير فإن إبقاء لفظة (أقبلت) على معناها الأصلي أولى من تقديرها بمعنى (أخذ). فضلاً عن هذا إن لفظة (أقبل) ذكرت في القرآن الكريم تسع مرات وقد دلت في جميعها على الانتقال من مكان إلى آخر ولم تستعمل للدلالة على غير هذا المعنى ومنها قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (الصافات: ٢٧)، وكذا قوله تعالى: ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (يوسف: ٨٢).

ومما تجدر الإشارة إليه أن لفظة (أقبل) استعملت في القرآن الكريم استعمالاً مخصوصاً؛ ذلك أنه اطرّد في سياق حركي مضطرب، إذ إنّ الملحظ المهيمن على استعماله هو مجيؤه عندما يكون هنالك اختلاج واضطراب، كقوله تعالى في الجنة التي دمرها الله تعالى وهم نائمون: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ﴾ (القلم: ٣٠)، وقوله تعالى: ﴿يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ (القصص من الآية ٣١). وقوله تعالى في سياق بشرى إبراهيم (عليه السلام) ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صِرَّةٍ فَصَكَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ (الذريات: ٢٩)، فمما

(١) معاني القرآن (الفراء): ٣ / ٧٨ .

(٢) معاني القرآن (النحاس): ٤ / ٢٢٥ .

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ٥ / ١٧٨ .

(٤) مجمع البيان: ٩ / ٢٦٣ .

(٥) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ١ / ١٨٩ .

(٦) ينظر: معاني القرآن (الفراء): ٣ / ٨٧، و: الكشف: ٤ / ٤٠٣، و: غاية القاضي وكفاية الرازي على شرح

البيضاوي: ٨ / ٥٩٦ .

يلاحظ في هذه السياقات وجود حالة من الاضطراب والتوتر النفسي والهم الذي يهيمن على الذات المقبلة مما يجعل (أقبل) بؤرة نفسية للحدث، فيشير إلى خصوصية دلالية قد تتمثل بأنّ المقبلين يتكلمون بكلام ظاهر أو انهم ينشغلون بتكليم أنفسهم، أي: انه لا يخلو مقبل من اختلاج وفورة في الخلد^(١). وما في (صكت) من دلالة إيحائية صوتية تتمثل بالشدة والثقل ما يتناسب مع ذلك ويقويه. فكل هذا يصور لنا تلقي زوجة نبي الله إبراهيم (عليه السلام) نبأ حملها مع كونها عاقرا وقد بلغت من العمر عتياً، وتأتي لفظة (صرة) لتصور لنا إقبال زوجة نبي الله إبراهيم (عليه السلام) مع لمة من النساء والجواري وهن مترصات مجتمعات إلى حد التصاق بعضهن ببعض وهن يحدثن أنفسهن مع استغراب شديد نتيجة تلقي الخبر العجيب الذي جاء به ضيوف إبراهيم (عليه السلام)، وثبّين لنا قدرة الله تعالى على فعل كل شيء وإن كان خارقاً للعادة أو مخالفاً لنواميس الطبيعة؛ إذ إنّ تلقي زوجة إبراهيم (عليه السلام) هذا الخبر أهلها وأهل كل من كان معها في الدار من نساء وجواري فاقبلن في تجمع وتراص وهن مدهولات من سماع هذا الخبر ويمكن القول إنّ الأمر نفسه ينطبق على قوله تعالى: ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ (البقرة من الآية ٢٦٠).

إذ قال أبو عبيدة: ((«فَصُرْهُنَّ» معناه بالضم: اجمعهن، وبالكسر- فصرهن - قطعهن))^(٢). وقال ابن الجوزي: ((قرأ الجمهور بضم الصاد والمعنى اجمعهن إليك))^(٣). وأكد هذا السمين الحلبي بقوله: ((«فَصُرْهُنَّ» بتشديد الراء مع ضم الصاد وكسرهما من صرة يصره إذا جمعه))^(٤). ويكفي لإثبات أنّ (صرهن) بمعنى اجمعهن قوله تعالى: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ بمعنى اجمعهن إليك؛ ولو كانت بمعنى (قطعهن) لما استقام المعنى واحتجنا إلى تقدير آخر. وعلى هذا فقوله تعالى: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ تعني اجمعهن إليك. وبذلك فهي تصور لنا قدرة الله تعالى على إعادة تركيب أربعة أنواع من الطيور المختلفة في الشكل والنوع بعدما اجتمعت أشلاؤها وتراصت وانضم بعضها إلى بعض وجمعت كما تجمع الدراهم في وعاء. هذا المشهد الحسي الدقيق صورته لفظة (صرهن).

ومن استعمال لفظة (صرة) في كلام العرب للدلالة على الجماعة المتراصة المجتمعة قول أمرئ القيس:^(٥)

(١) ينظر: الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم : ٢٢٩.

(٢) مجاز القرآن: ٨٠/١.

(٣) زاد المسير: ٢٦٠/١.

(٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٦٣٢/١، و: اللباب في علوم الكتاب: ٣٧١/٤، و: الجوهر الثمين في تفسير القرآن المبين: ٢٦٨/١.

(٥) ديوان أمرئ القيس: ٢٢.

فألحقنا بالهاديات ودونه جوارها في صرّة لم تزيّل^(١)

وقد اختلف اللغويون في تحديد المراد من لفظة (صرّة) إذ إنهم فسروها بمعنى الصيحة أو الضجة، وبمعنى الجماعة المترابطة المتراسة، وبمعنى شدة الكرب في الحرب بيد أن السياق يقتضي أن المراد من (صرّة) في هذا البيت هو الجماعة المترابطة المتراسة؛ وذلك انه قال: (في صرّة لم تزيّل)؛ ومعنى (لم تزيّل) أي: لم تتفرّق، ولمّا كان سياق عدم التفرّق يقتضي وجود جماعة متراسة مترابطة مجتمعة ففي هذا دليل على أن المراد من (صرّة) هنا الجماعة لا غيرها.

يظهر من هذا أن لفظة (صرّة) استعملت في القرآن الكريم للدلالة على الجماعة التي لها صوت ولكن ليس على أي جماعة وإنما على الجماعة التي ترابطت وتراصت وانضمّ بعضها إلى بعض لأمر غريب قد يكون خارقاً للعادة أو ما شابه ذلك وهذه الصفة هي التي تُبيّن الفرق بين لفظة (صرّة) وغيرها من الألفاظ التي تدل على الجماعة البشرية. وهي لا تدل على عدد محدود فقد تكون قليلة وقد تكون كثيرة. ولمّا لم يذكر اللغويون لها مفرداً من لفظها فهذا يعني أن لفظة (صرّة) تعدّ من الألفاظ التي تدلّ على الجمع وليس لها مفرد من لفظها.

لفظة فئة

الدلالة المعجمية :

الفئة قد تكون من الفأو: وهو قولك: فأوت رأسه بالسف فأوًّا، وفأيته فأياً إذا ضربت قحفه حتى ينفرج عن الدماغ^(٢). ومنه قيل: ضربه ففأى رأسه يفأه فأوًّا إذا شقه^(٣). والفأو: قطعة من الأرض تطيف بها الجبال ومنه قول الشاعر نمر بن تولب: ^(٤)
لم يرعها أحد واكنم روضتها فأو من الأرض محفوف بأعلام
والإنفيا: الانفراج والانفتاح والانصداع^(٥). ومن هذا اشتقت (الفئة) التي تعني مجموعة من الناس^(١). وقيل: إنها اشتقت من فاء الرجل يفيء فيئاً، إذا رجع، ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَفِيءَ

(١) الهاديات : المتقدمات، الجوارح : المتخلفات، لم تزيّل : لم تتفرّق .

(٢) ينظر: العين(فأى): ٤٠٧/٨، و: لسان العرب (فأى): ٥٨٤ / ٨.

(٣) ينظر: الجمهرة (فأى): ٢٣٠/١.

(٤) ديوانه: ١١١.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة مادة(فأى): ٤١٦/١٥.

إلى أمر الله ﴿ (الحجرات من الآية ٩) أي: ترجع إلى الحق. وفاء المولى فيئة رجع عن يمينه إلى زوجته. وله على امرأته فيئة أي: رجعة^(٢). والفيء: ما نسخه الظل؛ سمي فيئاً لرجوعه من جانب إلى جانب^(٣)، وتفيئاً الرجل إذا صار في ظل شجرة أو غيرها^(٤). فالفيئة على هذا الجماعة من الناس يفيئون إلى الرئيس أي: يرجعون إليه^(٥). قال ابن منظور: ((الفئة: الفرقة والجماعة من الناس وفي الأصل هي الطائفة التي تقيم وراء الجيش فإن كان عليهم خوف أو هزيمة التجؤوا إليهم))^(٦). لذا قال الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) في تعريفها: ((الفئة: هي الطائفة المقيمة وراء الجيش للالتجاء إليهم عند الهزيمة))^(٧). وقال الاستاذ محمود شيت خطاب: ((الفئة: جماعة المدفع))^(٨).

البنية الصرفية للفظه فئة :

لفظة (فئة) مشتقة وليست جامدة ؛ غير أنّ اللغويين اختلفوا في الأصل الذي اشتقت منه، فذهب بعضهم إلى أنّها مشتقة من الفأو^(٩) نحو قولك: فأوت رأسه فأواً وفأياً بالواو والياء أي: فرقته وشققته، وعلى هذا فكل ما قيل في معنى (الفأو) من أنّها تعني — قطعة أرض بين جبلين أو الفرق والشق والانصداع والانفتاح — تدخل في اشتقاق لفظه (فئة) إذ إنّها تشير بهذا المعنى إلى مجموعة من الناس انقسموا وانشقوا عن المجموعة الكبرى. في حين ذهب القسم الآخر إلى أنّ (الفئة) مشتقة من فاء الرجل يفيء فيئة إذا رجع^(١٠). ومن هذا قولهم: ((فاء المولى فيئة رجع عن يمينه إلى زوجته، وله على امرأته فيئة أي: رجعة))^(١١).

و((الفيء هو ما نسخه الظل، والفيء الذي يعني الخراج والغنيمة))^(١٢). فالفيئة على هذا تعني: ((مجموعة من الناس يفيئون إلى الرئيس))^(١٣)، أو انها: ((الجماعة المتظاهرة التي يرجع بعضهم إلى بعض في التعاضد))^(١٤).

(١) ينظر: الألفاظ الكتابية: ٢٦٠، و: أساس البلاغة: ٣/٢.

(٢) ينظر: الجمهرة (فأى): ٢٣٠/١، ٥٣٦/٢.

(٣) ينظر: مختار الصحاح: ٥١٦.

(٤) ينظر: الجمهرة (فأى): ٢٣٠/١، ٥٣٦/٢.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٢٣٠/١، و: اقرب الموارد: ٤/ ١١٢.

(٦) لسان العرب (فأى): ٥٨٤/٨.

(٧) التعريفات (الجرجاني): ١٦٦.

(٨) معجم المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم: ٥٦١/٢.

(٩) ينظر: أمالي الشجري: ٢٧٨/٢، و: لسان العرب (فأى): ٥٨٤/٨.

(١٠) ينظر: الجمهرة (فأى): ٢٣٠/١، و: التبيان في إعراب القرآن: ١٠٥/١.

(١١) المصباح المنير: ٤٨٦/٢.

(١٢) المصباح المنير: ٤٨٦/٢.

(١٣) الجمهرة (فأى): ٢٣٠/١.

والذي يبدو أنّ كلا المعنيين يشترك في اشتقاق لفظة (فئة) فهي تدلُّ على مجموعة من الناس ينقسمون عن المجموعة الكبرى ليكونوا سندًا وعونًا لهم؛ ليرجعوا إليهم كلما حسُّوا بخطر يحدق بهم أو هزيمة تتوعدهم. وتطلق لفظة (فئة) على المجموعة الصالحة والمجموعة الطالحة.

وقد اختلف اللغويون في المحذوف من لفظة (فئة) فذهب بعضهم إلى أنّ المحذوف لام الكلمة، قال ابن جني: ((وأما حذف اللام فنحو ... فئة))^(٢). وقال ابن الشجري: ((المحذوف من (فئة) الواو... وهي من قولهم: فأوت إذا شققت ومزقت ... وقالوا: فأوت رأسه بالسيف إذا فلقته))^(٣).

وذهب بعضهم إلى أنّ لام لفظة (فئة) قد تكون (واوًا) وقد تكون (ياءً)؛ لأنها من فأوت فأوًا وفأيا (فعلى هذا يصح أن تكون (فئة) من الياء))^(٤). بيد أنّ ابن الشجري يُرجِّح أنّ المحذوف من (فئة) الواو من دون الياء وحجته في ذلك أنّ ((ما لامه واو أكثر مما لامه ياء، فإذا جهلت جنس لام الكلمة فاحكم بأنها واو))^(٥). وعلى هذا فإنّ وزن (فئة) يكون (فاعة)^(٦). في حين ذهب أبو البقاء العكبري إلى أنّ المحذوف من (فئة) عينها؛ لأنها من فاء يفيء فيئة إذا رجع^(٧)، وعلى هذا فإنّ وزنها (فلة) وأما الهاء فإنها زائدة وليست أصلية، وقد عدها ابن جني عوضًا من اللام المحذوفة، إذ قال: ((وأما ما حذف لأمه وصار الزائد عوضًا منها فكثير منه: باب سنة ومائة ورئة وفئة... فهذا ونحوه مما حذف لأمه وعوض منها تاء التأنيث))^(٨). وقال أيضًا: ((وتاء مائة وعضة وسنة وفئة وشفة عوض؛ لأنها ثابتة في الوصل ومبدلة هاء في الوقف))^(٩). والفئة: ((الجماعة، ولا واحد لها من لفظها، مفردتها من معناها إنسان))^(١٠). ولفظة (فئة) تعامل معاملة المفرد من حيث التثنية والجمع، إذ تقول في تثنية (فئة): (فئتان) ومنه قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا﴾ (آل عمران من الآية ١٣). وتجمع على

(١) أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد: ١١٢/٤.

(٢) الخصائص: ١٥٥/٢.

(٣) أمالي الشجري: ٢٧٨/٢.

(٤) لسان العرب (فأي): ٥٨٤/٨.

(٥) أمالي الشجري: ٢٧٨ / ٢.

(٦) ينظر: تهذيب اللغة (فأي): ٤١٦/١٥، و: لسان العرب (فأي): ٥٨٤ / ٨.

(٧) الخصائص: ١٥٥ / ٢.

(٨) الخصائص: ٢٩٦/٢.

(٩) المصدر نفسه: ٢٩٦/٢.

(١٠) المصباح المنير: ٤٨٦/٢، و: الفيصل في ألوان الجموع: ٢٦١.

(فئات) و(فئين)، قال ابن السراج : (أما ما كان من بنات الحرفين وفيه الهاء للتأنيث فإنهم يجمعونها بالتاء والواو والنون كأنه عوض فإذا جمعت بالتاء لم تغير وذلك فئة: فئات))^(١).

وقد وردت لفظة (فئة) في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة منها قوله تعالى : ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (البقرة من الآية ٢٤٩).

ذكر المفسرون أنّ هذه الآية تبين مقوله الثلثة الباقية من جيش طالوت الذين التزموا أمره ولم يشربوا من الماء إلا غرفة^(٢). وفي معنى لفظة (فئة) قال البغوي: ((الفئة: جماعة، وهي جمع لا واحد له من لفظه))^(٣)، وقال الطبرسي: ((الفئة من فأوت رأسه بالسيف إذا قطعت وأنفاء الشيء انفياءً إذا انقطع وأصل الباب القطع ومنه الفئة؛ لأنها قطعة من الناس))^(٤). فالطبرسي يرى أنّ أصل الفئة الفأو والذي يعني القطع في حين يرى العكبري أنّ ((أصل فئة): (فئنة)؛ لأنه من فاء يفيء إذا رجع فالمحذوف عينها))^(٥). وقد جمع السمين الحلبي بين القولين إذ قال: ((وفي فئة) قولان أحدهما: إنها من فاء يفيء إذا رجع فتحذف عينها ووزنها (فئة). والثاني: إنها من فأوت رأسه أي: كسرتة فحذفت لامها وأصلها فعة.... ومعناها على كل من الإشتقاقين صحيح، فإنّ الجماعة من الناس يرجع بعضهم إلى بعض؛ وهم أيضاً قطعة من الناس كقطع الرأس المكسرة))^(٦)، وقد ذكرت أنّها أنّ هذه الآية نزلت في الثلثة الباقية من جيش (طالوت) وقد اختلف المفسرون في عددهم، فقيل: إنّ عددهم كان أربعة آلاف، وقيل: ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً. وسواء كان الأول أم الثاني فإنّ لفظة (فئة) دلت على الجمع في هذه الآية. وأما الآية الثانية فهي قوله تعالى:

﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِراً﴾ (الكهف: ٤٣).

في هذه الآية أكثر من قرينة تثبت أنّ لفظة (فئة) دلت على الجمع، منها قرينة التبعية التي تعد إحدى القرائن المعنوية^(٧)؛ إذ إنّ تعالى وصف لفظة (فئة) بالصفة (ينصرونه) التي جاءت بصيغة الجمع؛ وقرينة الصيغة تعدّ من القرائن اللفظية قال العكبري: ((«ينصرونه» محمول على المعنى؛ لأنّ الفئة ناس))^(٨). ولو كانت لفظة (فئة) لا تدل على الجمع لم يسغ فيها

(١) الأصول في النحو: ٤٤٦/٢.

(٢) ينظر: معالم التنزيل: ٢٣١/١، و: المحرر الوجيز: ٣٣٦/١، و: مدارك التنزيل: ١٤١/١.

(٣) معالم التنزيل: ٢٣١/١.

(٤) مجمع البيان: ١٤٧/١، وينظر: روح المعاني: ٥٦٢/١.

(٥) التبيان في إعراب القرآن: ١٠٥/١.

(٦) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٦٧/١.

(٧) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٠٤.

(٨) التبيان في إعراب القرآن: ١٠٣/٢.

هذا الاستعمال ويجري الأمر نفسه على قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ (القصص من الآية ٨١).

ولو تأملنا في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (الكهف: ٤٣)، وفي قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ نجد أن لفظة (فئة) في كلتا الآيتين دلت على الجمع؛ وإن هناك تشابهاً بين الآيتين بيد أنه ليس تشابهاً تاماً من ناحية الصياغة والأسلوب، والملاحظ أن مظاهر الاختلاف تكمن في أنه تعالى قال: (ولم) بالواو في الأولى، و(فما) بالفاء في الثانية، واستعمل أداة النفي (لم) في الأولى و(ما) في الثانية، وقال: (فئة) من دون (من) في الأولى وقال (من فئة) في الثانية، وقال: ﴿منتصراً﴾ في الأولى و﴿منتصرين﴾ بصيغة الجمع في الثانية. وقد فصل الدكتور شلتاغ عبود القول في دواعي هذا التشابه الأسلوبي وأثره في توجيه دلالة كل من الآيتين في كتابه الموسوم بـ (أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن الكريم) (١).

ومن استعمال لفظة (فئة) للدلالة على الجمع في كلام العرب قول قطري بن الفجاءة: (٢)

رأت فئة باعوا الإله نفوسهم
بجنات عدن عنده ونعيم

فأعاد الضمير على (فئة) بصيغة الجمع وذلك في قوله (باعوا) و(نفوسهم) وفي هذا دلالة واضحة على تضمن (فئة) معنى الجمع، ومثل هذا قول الشاعر: (٣)

أعوذ برب العرش من فئة بغت
عليّ فما لي عوض الإله ناصر

بعد هذا العرض يتبين أن لفظة (فئة) استعملت في القرآن الكريم وفي كلام العرب للدلالة على مجموعة من الناس يفترون عن المجموعة الكبرى ليكونوا ردةً لهم يلجئون إليهم كلما حسوا بخطر ما يهددهم. وأما (الفئة) في الحرب فهم مجموعة يقيمون وراء الجيش ليكونوا سنداً لهم فإن كان عليهم خوف أو هزيمة فاعوا التجاؤوا إليهم. وعلى هذا الأساس فرق أبو هلال العسكري بين لفظة (فئة) وبين غيرها من ألفاظ المجموعات البشرية (٤).

وأما مفرد لفظة (فئة) فلم يذكر أحد من اللغويين أن لفظة (فئة) لها مفرد من لفظها، وبذا تكون لفظة (فئة) من الألفاظ التي تدل على الجمع وليس لها مفرد من لفظها.

(١) ينظر: أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن الكريم: ٢٦ - ٢٧.

(٢) ديوان شعر الخوارج في شعر قطري بن الفجاءة: ١٢١.

(٣) البيت من الشواهد التي لا يعرف لها قائل، استشهد به النحويون على وقوع الضمير المتصل (هـ) بعد (إلا)

وهذا شاذ لا يجوز إلا في الضرورة الشعرية: شرح ابن عقيل: ٨٩/١.

(٤) ينظر: الفروق اللغوية: ٢٣١.

الفرقة والفريق

الدلالة المعجمية :

الفرق: تفريق بين شيئين فرقا حتى يفترقا ويفترقا^(١)، والفرقة: مصدر الافتراق؛ تقول: فرقت بين الشيء فرقا فصلت أبعاضه، وفارق الشيء مفارقة وفراقا باینه، وتفارق القوم فارق بعضهم بعضاً^(٢).

و(الفرقة) و(الفرق) و(الفريق): الطائفة من الشيء^(٣). ومنه سمي القطيع من الإبل ما دون المائة: فرقة^(٤)، وسمي القطيع العظيم من الغنم: فرق^(٥). والفريقة من الغنم: القطعة من الغنم التي تفترق عن مجموعتها في الليل^(٦)، ومن هذا سميت مجموعة الناس التي تفترق عن المجموعة الكبرى (فرقة)^(٧)، وقيل: الفرقة أقلها ثلاثة، والفريق أكثر منها^(٨). ((والفرقة من الجيش: عدد من الألوية))^(٩).

١ - لفظة فرقة

البنية الصرفية للفظ فرقة :

لفظة (فرقة) على وزن (فعللة) وقد ذكرت سالقا أن وزن (فعللة) يعد من أوزان جموع التكسير القياسية التي تفيد القلة مثل: صبي: صبيبة، وفتى: فتية. وإن مجيء لفظة (فرقة) على هذا الوزن فضلا عن دلالتها على الجمع كان مسوغا لعددها جمعا وإن لم يكن لها مفرد من لفظها. و(الفرقة) بالضم اسم من فارقت مفارقة وفراقا، قال الأزهرى: ((الفرقة: اسم يوضع موضع المصدر الحقيقي من الافتراق))^(١٠)، في حين أن (الفرقة) بالكسر الجماعة من الناس وغيرهم^(١١).

(١) ينظر: العين (فرق): ١٤٧/٥.

(٢) ينظر: الصحاح (فرق): ١٥٤٢/٤، و: المصباح: ٤٧٠/٢.

(٣) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ٣٨٦/٦.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٣٨٦/٦، و: لسان العرب (فرق): ١٣٤/٥.

(٥) ينظر: ما اتفق لفظه واختلف معناه (ابن السجري): ٢٣٦، و: نزهة الأعين والنواظر في علم الوجوه والنظائر: ٢١٤.

(٦) ينظر: لسان العرب (فرق): ١٣٤/٥.

(٧) ينظر: الألفاظ الكتابية: ٢٦٠، و: فقه اللغة وسر العربية: ٢٤٦.

(٨) ينظر: اللب اللباب في فصيح اللغة والحديث والكتاب: ٣٢.

(٩) معجم المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم: ٥٧٧/٢.

(١٠) تهذيب اللغة (فرق): ٩٧/٩، و: مجمع البحرين: ٢٢٦/٥.

(١١) ينظر: الصحاح (فرق): ١٥٤٢/٤.

وقد ذكرت لفظة (فرقة) في القرآن الكريم في مورد واحد، وهو قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة من الآية: ١٢٢).

وقد استعملت فيها لفظة (فرقة) للدلالة على مجموعة من الناس، وقد اختلف المفسرون فيهم وانقسموا على أوجه:

الوجه الأول: يرى أصحابه أنّ المقصود من (الفرقة): القاعدون عن الحرب يتعلمون القرآن والسنن والفرائض والأحكام فإذا رجعت السرايا وقد نزل بعدهم القرآن قالوا لهم: إنّ الله قد انزل بعدكم قرآنا وقد تعلمناه فتعلمه السرايا))^(١).

الوجه الثاني: يرى أصحابه أنّ التفقه والإنذار يرجعان إلى (الفرقة) النافرة التي حثها الله تعالى على التفقه وطلب العلم ليرجعوا إلى قومهم فينذرونهم ويفقهونهم^(٢).

الوجه الثالث: يرى أصحابه أنّ الأعراب لماً اسلموا توجهوا جميعاً نحو المدينة لتعلم الأحكام الإسلامية وابقوا ديارهم خالية، وكان هذا سبباً في حدوث بعض المشاكل، فنزلت الآية تبين انه لا يجب عليهم أن يتوجهوا جميعاً نحو المدينة ويتركوا ديارهم خالية بل يكفي أن يقوم بهذا العمل طائفة منهم^(٣).

نخلص من هذا أنّ (الفرقة) في هذه الآية سواء دلت على الوجه الأول أم الثاني أم الثالث فإنها تدل على مجموعة من المسلمين اختلفوا عن مجموعة الكبرى لأداء مهمة طلب العلم والتفقه في الدين وإنذار قومهم إذا رجعوا إليهم، فالفرقة تفرق عن المجموعة الكبرى لترجع إليها بعد حين .

من هذا يتبين أنّ هناك فرقاً بين (الفرقة) و(الطائفة) إذ إنّ (الفرقة) أكبر من الطائفة ويدلّ على هذا السياق القرآني في هذه الآية فضلاً عن القرائن اللغوية المتوافرة فيها إذ قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ فقوله تعالى (كل فرقة) وعود الضمير عليهم بصيغة الجمع في قوله: (منهم) يدل على أنّ (الفرقة) أكبر من (الطائفة).

٢ - لفظة فريق

البنية الصرفية للفظه فريق :

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٤ / ٥٦٧ ، و: الوسيط في تفسير القرآن المجيد : ٢ / ٥٣٤ ، و: معالم التنزيل :

٢ / ٣٣٩ ، و: البحر المحيط : ٥ / ١١٣ .

(٢) ينظر: مجمع البيان : ٥ / ١٤٤ .

(٣) ينظر: التبيان : ٥ / ٣٧١ ، و: الأمل : ٦ / ١٨٤ .

ذكر اللغويون أن دلالة (فريق) لا تختلف عن دلالة لفظة (فرقة) إلا في العدد إذ إن (الفريق) أكثر من الفرقة من حيث العدد^(١). و(فريق) اسم يدل على مجموعة من الناس وليس له مفرد من لفظه^(٢).

وقد وردت لفظة (فريق) في القرآن الكريم ثلاثاً وثلاثين مرة منها قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٧٥). وفي معنى الفريق قال الشيخ الطوسي: ((الفريق جمع كالطائفة لا واحد له من لفظه وهو فعيل من الفرق سمي به الجمع كما سميت الجماعة بالحزب من التحزب))^(٣)، وقال ابن عطية: ((الفريق اسم جمع لا واحد له من لفظه كالحزب))^(٤) وتابعه على هذا الرأي القرطبي، والسمين الحلبي^(٥).

وقد توافرت في هذه الآية مجموعة من القرائن المعنوية واللفظية أثبتت أن لفظة (فريق) دلت على الجمع في هذه الآية منها: قرينة الإسناد إذ اسند ﴿يسمعون﴾ التي جاءت في محل نصب خبر كان^(٦) إلى (فريق) ثم انه أعاد الضمير على (فريق) بصيغة الجمع أيضاً إذ قال: (يحرفونه) و(عقلوه) و(هم يعلمون) فضلاً عما ذكره المفسرون من أن المقصود من (فريق): ((بنو إسرائيل))^(٧) أو (الأخبار) أو ((السبعون الذين اختارهم نبي الله موسى — عليه السلام —))^(٨).

ولا يخفى أن الغالب على استعمال لفظة (فريق) في القرآن الكريم هو الدلالة على التفريق والاختلاف والانقسام والخصام؛ ومن ذلك قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظَلِّمُونَ فَتِيلًا﴾ (النساء: ٧٧).

(١) ينظر: الصحاح(فرق) : ٤ / ١٥٤٢ ، ولسان العرب(فرق) : ٥ / ١٣٦ .

(٢) ينظر: الفيصل في ألوان الجموع : ٢٥٨ .

(٣) التبيان: ١ / ٣١٣ .

(٤) المحرر الوجيز: ١ / ١٦٨ .

(٥) ينظر: تفسير القرطبي: ٣ / ٢ ، و: الدر المصون: ١ / ٢٦٥ .

(٦) ينظر: تفسير القرطبي: ٣ / ٢ .

(٧) ينظر: التبيان: ١ / ٣١٣ .

(٨) ينظر: تفسير القرطبي: ٣ / ٢ .

((فوحيتها بالتخلي والانحراف عن جادة الحق مما لا يخفى))^(١). ومثل هذا نجده في اغلب الآيات التي ذكرت فيها لفظة (فريق)^(٢).

ومن استعمال لفظة (فريق) للدلالة على الجمع في كلام العرب قول الشاعر:^(٣)

فقال فريق القوم لما نشدتهم نعم وفريق قال ليمن الله ما ندري

ودلالة (فريق) على الجمع في هذا الشاهد واضحة من خلال السياق الذي وردت فيه هذه اللفظة، فضلاً عن إعادة الضمير عليها بصيغة الجمع في قوله: (لما نشدتهم)، ويروى البيت بصيغة أخرى هي:^(٤)

فقال فريق القوم لا وفريقهم نعم وفريق قال ويحك ما ندري

وما ذكرته من القرائن التي تثبت دلالة (فريق) على الجمع في الشاهد السابق تنطبق على هذا الشاهد أيضاً.

ومن التطورات الدلالية التي رافقت لفظة (فريق) ما ذكره محمود شيت خطاب من أن

((فريق) رتبة من رتب الجيش العليا فوق اللواء ودون المشير))^(٥).

نخلص من هذا أن (فريق) وظفت في القرآن الكريم للدلالة على مجموعة بشرية تفترق عن المجموعة الكبرى لسبب ما وتستمر بالافتراق وما دلَّ على هذا هو استعمال حرف المد الياء في لفظة (فريق)؛ وفيها دلالة على الاختلاف والانقسام والخصام. ويكون عددها أكثر من عدد الفرقة.

وقد دلت القرائن المعنوية واللفظية المتوافرة في النصوص التي ذكرت فيها لفظة (فريق) أنها استعملت للدلالة على الجمع ولم تستعمل للدلالة على المفرد وأما مفرد لفظة (فريق) فلم يذكر أحد من اللغويين أن لفظة (فريق) لها مفرد من لفظها. وبذا تكون لفظة (فريق) من الألفاظ التي تدل على الجمع وليس لها مفرد من لفظها.

لفظة فَوْج

الدلالة المعجمية :

الفوج: ((الفاء والواو والجيم: كلمة واحدة تدل على تجمع من ذلك: الفوج: الجماعة من الناس... وأما أفاج الرجل إذا أسرع فهو من ذوات الياء))^(١). تقول: أفاج الرجل إفاجه:

(١) الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم: ١٣٣.

(٢) ينظر: الآيات: البقرة: ٧٥، ١٠٠، ١٠١، و: آل عمران: ٢٣، و: التوبة: ١٧، و: النحل: ٥٤، و: النور:

٤٧، ٤٨، و: الروم: ٣٣، و: الأحزاب: ٢٦، ١٣، و: الأعراف: ٣٠.

(٣) الشاعر: نصيب بن رباح الأكبر، وينظر: ديوانه: ٩٤.

(٤) ينظر: شرح أبيات كتاب سيبويه (السيرافي): ٢/٢٩١، و: شرح جمل الزجاجي (ابن عصفور): ٢/٥١٥.

(٥) معجم المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم: ٥٧٧/٢.

أسرع، أفاج القوم في الأرض: ذهبوا منتشرين، أفاج الفرس: عدا، أفاج الراعي: أرسل الإبل على الحوض قطعة قطعة^(٢). وقد اختلف اللغويون في معنى لفظة (فَوْج) فقيل: إنها الجماعة من الناس^(٣)،

وقيل: القطيع من الناس^(٤)، وقيل: ((الجماعة المارة المسرعة))^(٥)، قال الفيروز آبادي: ((الفوج: الجماعة يمرون مسرعين))^(٦)، وقيل: ((الفوج

: أتباع الرؤساء))^(٧). وقد دخل على لفظة (فَوْج) تطور دلالي ضيق من مدلولها بحيث اختصت بمجاميع الجيش والشرطة؛ فإذا قلت: هذا فوج انصرف الذهن إلى الجيش والشرطة من دون سواهم.

البيئة الصرفية للفظه فوج:

(فَوْج) اسم ثلاثي مجرد معتل العين (أجوف). وهو في الأصل مصدر ثم أطلق على الأشخاص وقد وظف للدلالة على الجمع كما ذكرت في الدلالة المعجمية.

و(فَوْج) على وزن (فَعْل) وقد فصلت القول في اللفظ الذي يدل على الجمع وعلى وزن (فَعْل) إن كان يعدُّ جمعاً أو اسم جمع وقد خلصت بنتيجة مفادها أنه يعدُّ جمعاً من حيث الدلالة والميدان التطبيقي واسم جمع من حيث الاستعمال النظري والميدان الصرفي^(٨). ويجمع (فَوْج) على (فؤوج) قال سيبويه: ((وقد كسر الفَعْل على فعول مثل: فوج : فؤوج))^(٩). وقال السيوطي: ((فعول بالفتح والضم ويطرد في جمع الاسم على (فَعْل) بالفتح والسكون غير واوي العين كـ (كعب وكعوب)، و(بيت وبيوت)... وشذ (فوج وفؤوج)^(١٠). وتجمع (فَوْج) على أفواج أيضاً قال ابن جني: ((افواج جمع فوج وهم الجماعة من الناس))^(١١). ومنه قوله تعالى:

﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ (النصر: ٢). وقول الراجز: ^(١٢)

(١) معجم مقاييس اللغة (فوج): ٤/٤٥٤. وينظر: فقه اللغة وسر العربية: ٢٤٦.
(٢) ينظر: الجمهرة: ١/٥٥٩، و: الصحاح (فوج): ١/٣٣٦، و: المصباح: ٢/٤٨٤.
(٣) ينظر: الجمهرة (فوج): ١/٥٥٩، و: المصباح: ١/٣٣٦.
(٤) ينظر: تهذيب اللغة (فوج): ١١/١٤٤، و: لسان العرب (فوج): ٢/١٣٨.
(٥) المفردات في غريب القرآن: ٤٠٢.
(٦) بصائر ذوي التمييز في كتاب الله العزيز: ٤/٢١٧.
(٧) تاج العروس (فوج): ٣/٤٦٤.
(٨) ينظر: أهل في الحقل الأول، و: خيل وضأن وطير في الحقل الثاني. و: خلق وركب في الحقل الرابع، و: رهط في الحقل الخامس ووفد في هذا الحقل.
(٩) كتاب سيبويه: ٣/٥٨٨، وينظر: الممتع في التصريف: ٢/٦١٦.
(١٠) همع الهوامع: ٣/٣٥٧.
(١١) المنصف: ٥٩٨.
(١٢) الرجز بلا نسبة في الجمهرة (فوج): ١/٥٥٩، و: مقاييس اللغة (فوج): ٤/٤٥٨.

فهم رجاج على رجاج^(١)

يمشون أفواجا على أفواج

وجمع الجمع : أفواج وأفواج^(٢).

وقد ذكرت لفظة (فَوْج) في القرآن الكريم خمس مرات منها قوله تعالى:

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (النمل: ٨٣).

وفي معنى لفظة (فَوْج) عند المفسرين قال الواحدي: ((الفوج: الجماعة كالزمرة وإنما يريد الرؤساء والمتبوعين في الكفر))^(٣). وقال السمين الحلبي: ((الفوج: الجماعة كالقوم، وقيدهم الراغب فقال: الجماعة المارة المسرعة وكان هذا هو الأصل ثم أطلق وإن لم يكن مرور ولا إسراع))^(٤). وفي هذه الآية أكثر من قرينة تثبت أن (الفَوْج) وظفت للدلالة على الجمع وليس على المفرد منها أنه تعالى أعاد الضمير عليهم بصيغة الجمع إذ قال تعالى: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ فاستعمل ضمير الجمع (هم)، و(يوزعون) التي جاءت بصيغة الجمع يدل على أن (الفَوْج) جمعٌ وليس مفردًا. والقرينة الثانية: استعمال الألفاظ التي تدل على الجمع إذ قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ﴾ وفي معنى الحشر قال ابن عطية: ((الحشر: الجمع))^(٥). وقال أبو حيان الأندلسي: ((الحشر فيه جمع من أماكن متفرقة وأقطار شاسعة))^(٦). فضلا عن هذا انه تعالى استعمل لفظة (يوزعون) التي تعني: ((إيقاف القوم وحبسهم بحيث يرد أولهم على آخرهم))^(٧)، (وهذا التعبير يطلق عادة على الجماعات الكثيرة))^(٨).

يستفاد من هذا أن يوماً ما سوف يأتي يحشر الله فيه من كل أمة جماعة ويهيئهم للحساب والجزاء على أعمالهم. بيد أن المفسرين اختلفوا في هذا اليوم فذهب بعضهم إلى أنه يوم القيامة^(٩). وهذا لا يتناسب مع السياق الذي وردت فيه هذه الآية. إذ إن هذه الآية والآيات التي قبلها^(١٠) تتحدث عما يقع قبل يوم القيامة والآيات التي تلي هذه الآية^(١١) تتحدث عن الحوادث التي تقع قبل يوم القيامة أيضاً. فمن البعيد أن تتحدث الآيات السابقة واللاحقة عن ما

(١) رجاج : المهازيل من كل ما رعى من المال : ينظر : الجمهرة : ١ / ٥٥٩ .

(٢) ينظر: الصحاح(فوج) : ١ / ٣٣٦، و: لسان العرب(فوج): ٢ / ١٣٨ .

(٣) الوسيط في تفسير القرآن المجيد : ٣ / ٣٨٦ .

(٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٥ / ٣٢٨، و: للباب في علوم الكتاب : ١٥ / ٢٠٤ .

(٥) المحرر الوجيز: ٤ / ٣٢٢ .

(٦) البحر المحيط : ٦ / ٢٠٣ .

(٧) الميزان: ١٥ / ٤٠١، وينظر: الأمتل: ١٢ / ١٠٢ .

(٨) الأمتل: ١٢ / ١٠٢ .

(٩) ينظر: المحرر: ٤ / ٢٧١، و: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٥ / ٣٢٨ .

(١٠) ينظر: الآيات: ٦٩ — ٨٢ .

(١١) ينظر: الآيات: ٨٤ — ٨٦ .

يقع قبل القيامة وتتحدث هذه الآية — محل البحث — عن ما يقع في يوم القيامة^(١). فضلا عن هذا أنّ التعبير لو كان عن يوم القيامة لم يكن قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ صحيحًا إذ إنّ الحشر في يوم القيامة عامًا للجميع كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاَهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (الكهف : ٤٧).

قال الطبرسي: ((واستدل بهذه الآية على صحة الرجعة من ذهب إلى ذلك من الأمامية بان قالوا: إن دخول (من) في الكلام يوجب التبويض، فدلّ ذلك على أنّ اليوم المشار إليه في الآية، يحشر فيه قوم دون قوم وليس ذلك صفة يوم القيامة))^(٢)، واستشهد بالآية (٤٧) من سورة الكهف التي ذكرتها آنفا. وقال أيضًا: ((وقد تظافت الأخبار عن أئمة الهدى (عليهم السلام) من آل محمد (صلى الله عليه وآله) في أنّ الله تعالى سيعيد عند قيام المهدي (عجل الله فرجه) قومًا ممن تقدم موتهم من أوليائه وشيعته ... ويعيد أيضًا قومًا من أعدائه لينتقم منهم))^(٣). وفي صحة هذا الخبر قال البحراني بعد ذكر سلسلة الرواة: ((ليس أحد من المؤمنين قُتِلَ إلا سيرجع حتى يموت، ولا أحد من المؤمنين مات إلا سيرجع حتى يقتل))^(٤)، وهذا يؤكد لنا ان هذه الآية تتحدث عن الرجعة وليس عن يوم القيامة — والله اعلم — . وأما الآية الثانية فهي قوله تعالى:

﴿هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ (ص: ٥٩).

ودلالة (فَوْج) على الجمع في هذه الآية واضحة، إذ قال تعالى: ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾، قال النحاس: ((«مرحبا» منصوب على المصدر))^(٥) وقال العكبري: ((لا مرحبا) يجوز أن يكون مستأنفا وان يكون حالا أي هذا الفوج مقولا له لا مرحبا))^(٦)، وعلى كلا الرأيين فإنه تعالى أعاد عليهم الضمير بصيغة الجمع فقال تعالى: ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾، وقال أيضًا: ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ فاثبت هذا دلالة ﴿فَوْج﴾ على الجمع فضلا عما ذكره المفسرون في تفسير هذه الآية إذ قالوا: ﴿هذا فوج﴾: هذا من قول الملائكة: يقولونه لأهل النار^(٧). و﴿هذا فوج﴾ يقصد به: ((هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار أي: دخل النار بصحبتكم))^(٨). وقد فصل الطبرسي القول في تفسير هذه الآية وفي المقصود من (الفوج) أهم قادة الضلالة أم

(١) ينظر: الميزان: ١٥ / ٤٠١، و: الجواهر الثمين : ٤ / ٤٤٣، و: الأمل: ١٢ / ١٠٢.

(٢) مجمع البيان: ٧ / ٤٠٥.

(٣) المصدر نفسه: ٧ / ٤٠٥.

(٤) البرهان في تفسير القرآن (البحراني) : ٦ / ١٩.

(٥) إعراب القرآن (النحاس): ٣ / ٤٧، وينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٢ / ١٠٥.

(٦) املاء ما من به الرحمن: ٢ / ٢١٢.

(٧) ينظر: الوسيط: ٣ / ٥٦٤، وينظر: الدر المصون: ٥ / ٥٤١.

(٨) الكشاف: ٤ / ١٠٢.

أولاد إبليس؟ في تفسيره مجمع البيان وقد أعرضت عنها^(١). ويجري الأمر نفسه على قوله تعالى: ﴿كَلَّمَا أَلْفِي فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾ (الملك من الآيتين: ٨، ٩).

فأعد الضمير على لفظة (فوج) بصيغة الجمع أيضاً إذ قال تعالى: (سألهم) ، وهو سؤال توبيخ وتقريع^(٢). وقال أيضاً: (يأتكم)، و(قالوا)، و(جاءنا) فدل هذا على أن (فوج) في القرآن الكريم وظفت للدلالة على الجمع. ولم ترد دالة على المفرد قط.

نخلص من هذا أن (الفوج) تشير إلى جمع من شيء يتراءى فيه جريان ومن مصادقيه: جماعة من الناس يسرعون إلى جانب ما. وقد وظفت لفظة (فوج) في القرآن الكريم للدلالة على مجموعة من الناس يجمعهم أمر واحد كالحركة إلى جانب الدين أو الحشر أو إلى العذاب. ويظهر من هذه الآيات الكريمة التي ذكرتها أنفاً أن الناس يوم الحشر يتشكلون على أصناف ومراتب وطبقات على حسب أعمالهم ثم يساقون إلى جنة ونعيم أو إلى عذاب وجحيم كل فوج في مرتبة خاصة به.

ويبدو أن هذا هو الذي يميز (فوج) عن غيرها من الألفاظ التي تدل على المجموعات البشرية وأما مفرد لفظة (فوج) فلم يذكر أحد من اللغويين أن لفظة (فوج) لها مفرد من لفظها بل مفردها من معناها وهو إنسان أو رجل ومن ثم فإن (فوج) التي جاءت على وزن (فعل) تعدُّ جمعاً من حيث الدلالة والاستعمال والميدان التطبيقي واسم جمع من حيث الميدان الصرفي والاستعمال النظري.

لفظة قرن

الدلالة المعجمية :

ذكر اللغويون للفظ (قرن) أكثر من معنى، فقالوا: إنها تعني أمة من الناس، وتعني الضفيرة من الشعر، وتعني قرن الشاة أو البقرة، وتعني الجبل الصغير، والقرن تعني سيد القوم، وتعني الوقت من الزمن^(٣). بيد أن الذهن لا ينصرف إلى معنى من هذه المعاني إلا بقرينة مقامية أو مقالية أو سياقية. ويبدو أن لفظة (قرن) تدل في الأصل على مجموعة من الناس غير أن اللغويين اختلفوا في تحديد هذه المجموعة فقال الخليل: ((القرن: الأمة من

(١) ينظر: مجمع البيان : ٨ / ٣٧٤.

(٢) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ٩ / ١٦٨.

(٣) ينظر: العين (قرن): ٥ / ١٤٠، و: اصلاح المنطق: ٤٧، و: العشرات في غريب اللغة : ١٤٣.

الناس))^(١). قال الأزهري: ((قال الزجاج: الذي يقع عندي والله أعلم أن القرن أهل كل مدة كان فيها نبي أو طبقة من أهل العلم قلت السنون أو كثرت))^(٢)، وقال الجوهري: ((القرن من الناس أهل زمان واحد))^(٣)، واستشهد بقول الشاعر:^(٤)

إذا ذهب القرن الذي أنت فيهم وخلفت في قرن فأنت غريب

وقال ابن منظور: ((القرن: الجيل من الناس قيل: ثمانون سنة، وقيل: سبعون))^(٥). وقال أيضاً: ((القرن: الأمة تأتي بعد الأمة، قيل مدته عشرون سنة وقيل: ثلاثون وقيل: ستون، وقيل: سبعون وقيل: ثمانون وهو مقدار التوسط في أعمار أهل الزمان))^(٦). ومثلما اختلف اللغويون في تحديد معنى القرن فقد اختلفوا في تحديد مدته الزمنية فقيل: إنها عشرة أو عشرون أو ثلاثون أو أربعون أو خمسون أو ستون أو سبعون أو ثمانون أو مائة أو مائة وعشرون^(٧)، قال الفيروزآبادي: ((مال اللغويون إلى ترجيح رأي من يرى أن القرن مائة عام مستدلين بقوله (صلى الله عليه وآله) لغلام: عش قرناً فعاش مائة عام))^(٨).

البنية الصرفية للفظ (قرن):

(قرن) اسم ثلاثي مجرد خال من حروف الزيادة، وهو مصدر قرن يقرن قرناً. بيد أن اللغويين اختلفوا في الأصل الذي اشتقت منه لفظ (قرن) فقال بعضهم: إنها مشتقة من قرنت الشيء اقرنه قرناً أي شددته إلى شيء^(٩). وقيل: إنها مشتقة من الاقتران؛ لاقترانهم في عصر واحد، ((فتأويله أن القرن الذين كانوا مقترنين في ذلك الوقت والذين يأتون بعدهم ذوو اقتران آخر))^(١٠). وقيل: إنها مشتقة ((من اقتران أهل كل عصر بنبي أو طبقة عالية من أهل العلم فجعله من اقتران أهل العصر بأهل العلم فإذا كان في زمان فترة وغلبة جهل فليس بقرن))^(١١). وقيل: إنها من قولنا: فلان قرن فلان في الولادة أي على سنة وهو قرنه في

(١) العين (قرن): ٥ / ١٤٠، و: الجمهرة (قرن): ٢ / ١٢٢.

(٢) تهذيب اللغة (قرن): ٨٥ / ٩.

(٣) الصحاح (قرن): ٦ / ٢١٨٠.

(٤) البيت بلا نسبة في اللسان (قرن): ٧ / ٩١٧، و: تاج العروس (قرن): ١٨ / ٤٤٣.

(٥) لسان العرب (قرن): ٧ / ٩١٧.

(٦) المصدر نفسه: ٧ / ٩١٧، وينظر تاج العروس (قرن): ١٨ / ٤٤٣.

(٧) ينظر: بصائر ذوي التمييز: ٤ / ٢٦٠.

(٨) المصدر نفسه: ٤ / ٢٦٠.

(٩) ينظر: العين (قرن): ٥ / ١٤٥، و: الاشتقاق (د. عبد الله أمين): ١٠٤.

(١٠) تهذيب اللغة (قرن): ٨٥ / ٩.

(١١) الفروق اللغوية: ٢٣١.

الجلادة والقوة؛ لإقترانه معه في القوة والقتال))^(١). ومن ثم فإن لفظة (قرن) تعدُّ مصدرًا دل على الجمع، وهي على وزن فَعَلَ، وقد ذكرت سالفًا أن اللغويين اختلفوا في اللفظ الذي يدل على الجمع وعلى وزن (فَعَلَ) فمنهم من ذهب إلى أنه يعدُّ جمعًا، ومنهم من ذهب إلى أنه يعدُّ اسم جمع، وكان لكل منهم في ذلك حجته، وقد خلصت بنتيجة مفادها انه يُعدُّ جمعًا من الناحية التطبيقية والميدان العملي واسم جمع من حيث المنظور الصرفي والتطبيق النظري.

ولمَّا كان للفظه (قرن) أكثر من معنى في اللغة فلا بد من الرجوع إلى السياق لتحديد المعنى المراد، قال ستيفن أولمان: (إذا تصادف أن أتفتت كلمتان أو أكثر في أصواتها اتفاقًا تامًا فإن مثل هذه الكلمات لا يكون لها معنى البتة دون السياق الذي تقع فيه))^(٢).

ولو رجعنا إلى السياق القرآني نجد أن موارد ذكر لفظة (قرن) في القرآن الكريم عشرون موردًا، وقد وظفت في جميعها للدلالة على المجموعة البشرية منها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ (الأنعام: ٦).

ذكر المفسرون أن لفظة (قرن) في هذه الآية تعني الأمة من الناس^(٣)، وقيل: تعني ((الأمة من الناس يجمعها زمن واحد))^(٤). وفي هذه الآية أكثر من قرينة تثبت أن لفظة (قرن) يقصد بها مجموعة بشرية منها انه تعالى أخبر عنهم بقوله: (كم أهلكننا) و الإهلاك في هذا المورد خاص بالبشر، قال الواحدي: ((كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ)) أي: من امة وجماعة يعني: من أهلك من الأمم الماضية بتكذيبهم الرسل))^(٥). وقال السمين الحلبي: ((قوله تعالى: ﴿من قرن﴾ صفة لمفعول أهلكننا أي: أهلكننا قومًا أو فوجًا من القرون؛ لأن قرنًا يراد به الجمع، و(من) تبعيضية))^(٦). ثم انه تعالى وصفهم بقوله تعالى: ﴿مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: (وسعنا عليهم في كثرة العبيد والمال والأنعام)^(٧). قال السمين الحلبي: ((مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ في موضع جرّ صفة لـ (قرن) وأعاد الضمير عليهم جمعاً باعتبار معناه))^(٨). ومن هذه القرائن أيضًا قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي

(١) ينظر : المفردات: ٤١٧.

(٢) دور الكلمة في اللغة: (ستيفن أولمان) ،ترجمة :كمال بشر: ٧٢.

(٣) ينظر: مجاز القرآن: ١/ ٨٥، و: التبيان في تفسير القرآن: ٤/ ٨٥، و: تفسير القرطبي: ١/ ١٠٨.

(٤) المحرر الوجيز: ٤/ ٤٩٣.

(٥) الوسيط في تفسير القرآن المجيد: ٢/ ٢٥٣، وينظر: تفسير الطبري: ٧/ ٩٦، و: مجمع البيان: ٤/ ١٣.

(٦) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٣/ ١٠.

(٧) ينظر: تفسير الطبري: ٧/ ٩٦، و: مجمع البيان: ٤/ ١٣.

(٨) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٣/ ١٠.

مِنْ تَحْتِهِمْ» فقال في الأولى: «عليهم» وفي الثاني «تحتهم» فأعاد الضمير عليهم في كلا المردين بصيغة الجمع. وقال بعد هذا: «فَأَهْلَكْنَا هُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ»، فأهلكهم وإنشاء القرن ووصفهم بقوله: (آخرين) يثبت أن لفظة (قرن) في هذه الآية وظفت للدلالة على المجموعة البشرية لا على غيرها من معاني لفظة (قرن).

ومثل هذا نجده في قوله تعالى: «وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاً وَرَثَاً» (مريم: ٧٤). وقد وظفت لفظة (قرن) في هذه الآية للدلالة على المجموعة البشرية أيضاً إذ قال تعالى: (كم أهلكتنا) وقد بينت دلالتها أنفاً. ثم إنّه أعاد الضمير على (قرن) بصيغة الجمع إذ قال: (هم)، قال السمين الحلبي: ((«هم أحسن أثاثاً» في محل جرّ صفة لـ (قرن) ولا محذور في هذا وإنما جمع في قوله تعالى: (هم)؛ لأن (قرنا) وإن كان لفظه مفرداً فمعناه الجمع، فـ (قرن) كلفظة (جميع)، و(جميع) يجوز مراعاة لفظه فيفرد تارة كقوله تعالى: «نحن جميع منتصر» (القمر من الآية: ٤٤)، ومراعاة معناه أخرى فيجمع كقوله تعالى: «وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ» (يس الآية: ٣٢))^(١).

ومما يلفت النظر انه تعالى قال في سورة الأنعام: «كم أهلكتنا من قبلهم» بذكر حرف الجر (من) وفي سورة مريم: «كم أهلكتنا قبلهم» بحذف حرف الجر (من)، وقد فصل القول في سبب هذا التغاير الاسلوبي الدكتور شلتاغ عبود^(٢).

ومن الموارد التي وردت فيها لفظة (قرن) للدلالة على المجموعة البشرية قوله تعالى: «وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزَاً» (مريم: ٩٨). وقوله تعالى: «كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلا تَحِينْ مَنَاصٍ» (ص: ٣). وقوله تعالى: «وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشَاً فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ» (ق: ٣٦).

ودلالة لفظة (قرن) على المجموعة البشرية في الآيات المذكورة أنفاً واضحة وجلية وما يثبت ذلك القرائن اللغوية المتوافرة في هذه النصوص القرآنية.

ومن استعمال لفظة (قرن) لدلالة على المجموعة البشرية قول الشاعر:^(٣)

إذا مضى القرن الذي أنت فيهم وخلفت في قرن فأنت غريب

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٤ / ٥٢٢.

(٢) ينظر: أسرار التشابه الاسلوبي في القرآن الكريم: ٢٠٦.

(٣) ذكرت ترجمة هذا الشاهد في الدلالة المعجمية لهذه اللفظة.

فقال: ((قرن... فيهم)) فأعاد الضمير على لفظة (قرن) بصيغة الجمع فدلَّ هذا على أن لفظة (قرن) في هذا الشاهد وظفت للدلالة على المجموعات البشرية لا على غيرها من معاني لفظة (قرن).

نخلص من هذا أن لفظة (قرن) استعملت في القرآن الكريم للدلالة على الأمة ذات القوانين والعناصر الاجتماعية المختلفة عن غيرها والتي تنشأ نشوءاً بطيئاً. وهي مشتقة من الاقتران ولكن ليس اقتران زمان وحده ولا مكان وحده بل مع عنصر ثالث وهو السنن الكونية والاجتماعية؛ لأنه ارتبط بالنشوء كما ذكرت آفاً، قال تعالى: ﴿وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ (الأنعام من الآية ٦). ولا يشترط أن يكونوا مقترنين برسول أو نبي واحد بل قد لا ينتهي القرن إلا بعد سلسلة من الرسل حيثما تنتهي فترة الإمهال؛ فهو غير مقيد بزمن مخصوص ومحدود^(١).

ويبدو أن دلالة لفظة (قرن) على الزمن ناتجة من دلالة القرن على الأمة أو أهل الزمان الواحد أو الجيل من الناس الذين يتراوح متوسط أعمارهم بين الثمانين والمائة؛ وان هذه الصفة تحولت بمرور الزمن إلى اسم وأصبحت خاصة بالدلالة على وقت معين وهو مائة عام بحيث إذا قلت (قرن) انصرف الذهن إلى المدة الزمنية لا إلى الجيل أو الأمة من الناس. ولفظة (قرن) على وزن (فعل) ولم يذكر أحد من اللغويين أن لفظة (قرن) لها واحد من لفظها وبذا تكون (قرن) من الألفاظ التي تدل على الجمع وليس لها واحد من لفظها؛ وهي جمع من حيث الاستعمال والمنظور اللغوي واسم جمع من حيث المنظور الصرفي .

لفظة ملأ

الدلالة المعجمية:

الملاً: جماعة من الناس يجتمعون ليتشاوروا ويتحدثوا، وقيل: الملاً: أشراف القوم ووجوههم ورؤسائهم ومقدموهم الذين يُرجعُ إلى قولهم، وقيل: سموا بذلك؛ لأنهم يملؤون العيون أبهة والصدور هيبة^(٢). و(الملاً) تأتي بمعنى الخلق، تقول: ما أحسن ملأ بني فلان أي: أخلاقهم وعشرتهم^(٣)، قال الجهني: ^(١)

^(١) ينظر: المدخل إلى نظام المجموعات : ٤٦ .

^(٢) ينظر: العين (ملأ): ٣٤٦/٨ .

^(٣) ينظر: الصحاح (ملأ): ٧٣/١، و: الفائق: ١٥٤/٢ .

فقلنا أحسنى ملأ جهينا

تنادوا يالبيهة إذ رأونا

أي: أحسنى أخلاقاً يا جهينة. ويقال: أراد أحسنى ممالأة أي: معاونة من قولك: مالأت فلاناً أي: عاونته وظهرته^(٢)، إذ إن الممالئة تأتي بمعنى المساعدة، نقول: مالأته على الأمر ممالأة ساعدته عليه وشايعته، ومنه قول الأمام علي (عليه السلام) حين أتهم بقتل عثمان: ((والله ما قتلته ولا مالأت في قتله))^(٣)؛ ((أي: ولا عاونت في قتله قولاً ولا فعلاً))^(٤). وتمالؤوا عليه؛ أي: اجتمعوا عليه، قال الشاعر^(٥):

عذراء لا كهل ولا مولود

وتحدثوا ملأ لتصبح أمانا

أي تشاوروا وتحدثوا متمالئين على ذلك ليقتلونا أجمعين، فتصبح أمانا كالعذراء التي لا ولد لها^(٦). وسنثبت في البنية الصرفية لهذه المفردة أن جميع هذه المعاني تشترك في اشتقاق لفظة (ملأ).

البنية الصرفية للفظة ملأ :

(ملأ) اسم ثلاثي مهموز مشتق وليس جامداً بيد أن اللغويين اختلفوا في الأصل الذي اشتقت منه. فذهب بعضهم إلى مشتقة من مالأت فلاناً على الأمر: أي: كنت معه في مشورته، والممالأة: المعاونة، ومالأت على فلان؛ أي: عاونت عليه، نقول: ما كان هذا الأمر على ملأ منا أي: عن تشاور واجتماع^(٧). وعلى هذا فكل جماعة بينهم اتحاد واجتماع وتعاون وتشاور على كل نائبة أو قضية أو أمر ما يحل بهم فإنهم (ملأ).

في حين ذهب آخرون إلى أن (ملأ) مشتقة من (الامتلاء)، نقول: ((ملؤ ملاءةً، وهو مليء))^(٨). و((ملأت الإناء والوعاء والمكان))^(٩)، فامتلاءً، فهو مملؤ، و((ملأت الحب والإناء أملؤه فهو ملآن))^(١٠). ومن هذا قالوا: ((ملأت منه عيني وامتلت غيضاً))^(١١). ولهذا أطلقوا على

(٣) البيت للشاعر عبد الرزاق الجهني كما في إصلاح المنطق: ٤٢٣، و: المقاييس ٣٤٦/٥ .

(٤) ينظر: الصحاح (ملأ) : ٧٣/١، و: ما اتفق لفظه واختلف معناه: ٢٨٥ .

(٥) النهاية في غريب الحديث: ٣٣٥/٤، و: غريب الحديث (الخطابي) : ١٥١/٢ .

(٦) شرح الفصيح (الزمخشري): ٢٥٢/١ .

(٧) البيت لأبي هرثمة الغنوي في تهذيب أصلح المنطق: ٣٦٨، و: وبلا نسبة في الصحاح(ملأ): ٧٣/١ .

(٨) ينظر: لسان العرب(ملأ): ١٦٠/١ .

(٩) ينظر: العين (ملأ): ٨ / ٣٤٦ .

(١٠) كتاب سيبويه: ٢٢١/٤، وينظر: الإصول في النحو: ٣ / ١٠٠ .

(١١) جواهر الألفاظ: ٢٨٨ .

(١٢) الجمهرة (ملأ): ٢ / ٥٣٢ .

(١٣) الصحاح (ملأ): ١ / ٧٣ .

الجماعة الذين يملؤون العيون أبهة والصدور هيبة، أو على الذين يمثلون أخلاقاً وشجاعة وكرماً اسم (ملاً).

وقد جمع أبو هلال العسكري بين الرأيين في التفريق بين (الملاً) و(الجماعة) إذ قال: ((إنّ الملاً الأشراف الذين يملؤون العيون جمالاً والقلوب هيبة..... ويجوز أن يكون الملاً الجماعة الذين يقومون بالأمر من قولهم هو مليء بالأمر إذا كان قادراً عليه، والمعنيان يرجعان إلى أصل واحد وهو الملاء))^(١). وهو الرأي الذي يميل إليه الباحث.

وقد ذكر ابن عصفور: إنّ همزة (ملاً) قد تبدل من الألف على غير قياس، إذ قال: ((وأبدلت على غير قياس من الهمزة المفتوحة، المفتوح ما قبلها وإنما يحفظ حفظاً))^(٢)، فنقول في (ملاً): ملا.

و(ملاً) ليس لها واحد من لفظها قال الأستاذ عباس أبو السعود: أنّ (ملاً) ((اسم جمع لا واحد له من لفظه ومفرده إنسان))^(٣).

وقد ذكرت لفظة (ملاً) في القرآن الكريم ثلاثين مرة، منها قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَآئِكِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّ لَّهُمْ إِنَّا بُعِثْنَا لِنُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ٢٤٦).

وفي معنى (الملاً) قال الفراء: ((الملاً هم الرجال لا يكون فيهم امرأة))^(٤). وقال أبو عبيدة: ((الملاً: وجوههم وأشرفهم))^(٥). وأضاف الواحدي على قول أبي عبيدة بأن ((الملاً: الأشراف من الناس وهو اسم للجماعة كالقوم والرهط))^(٦). وعقّب السمين الحلبي على قول الواحدي بقوله: ((الملاً: اسم جمع لا واحد له من لفظه))^(٧).

وفي هذه الآية أكثر من قرينة تثبت أنّ لفظة (ملاً) وظفت للدلالة على الجمع، منها إنه تعالى عبّر عنهم بصيغة الجمع، ونلمس هذا في قوله تعالى: ((إذ قالوا) فضلاً عن هذا انه تعالى أعاد الضمير عليهم بصيغة الجمع إذ قال: ((لهم، ولنا، ونقاتل، وهل عسيتم، و مالنا الا

(٦) الفروق اللغوية: ٢٢٣.

(٧) الممتع في التصريف: ٤٠٥/١.

(٨) الفيصل في ألوان الجموع: ٢٦٠.

(١) معاني القرآن (الفراء): ٣٨٣/١.

(٢) مجاز القرآن: ٧٧/١.

(٣) الوسيط في تفسير القرآن الجيد: ٣٥٦/١.

(٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ١/٥٩٧، و: اللباب في علوم الكتاب: ٢٦١/٤.

نقاتل، وأخرجنا، ومن ديارنا وأبنائنا، وتولوا إلا قليلا منهم)). وهذا يثبت أن (ملاً) في هذه الآية دلت على الجمع وليس على المفرد. ومثل هذا قوله تعالى:

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ٧٥).

فقال: بعد ذكر (الملاً): (الذين) فدلَّ هذا على أن (الملاً) مجموعة وليس واحداً، ثم إنه تعالى أعاد الضمير عليهم بصيغة الجمع إذ قال: (استكبروا) فعزز هذا ما ذكرناه من دلالة (ملاً) على الجمع. ثم إنَّ في لفظة (استكبروا) قرينة دالة على أن (الملاً) في هذه الآية لا يقصد بهم عامة الناس من قوم صالح (عليه السلام)، وإنما هم طبقة خاصة وهم طبقة المستكبرين أو سادات القوم، وما يعزز هذا قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا﴾ (الأعراف من الآية ٨٨).

فقول الملاً: ﴿لِنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا﴾ فيه قرينة تثبت أن (الملاً) لهم السلطة والمكانة العالية؛ وهي القدرة على إخراج شعيب (عليه السلام) ومن معه من القرية، وهذا يدل على أن (الملاً) في هذه الآية تشير إلى سادات القوم وأشرافهم. ومثل هذا قوله تعالى على لسان بلقيس ملكة سبأ: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُون﴾ (النمل: ٣٢)

فقولها بعد ذكر (الملاً): (أفتوني) وإعادة الضمير عليهم بصيغة الجمع في قولها: (تشهدون) دليل يثبت أن (الملاً) في هذه الآية تدل على الجمع. ثم أن قولها: ﴿مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُون﴾ يؤكد أن (الملاً) في هذه الآية لا يقصد بهم عامة الناس، أو كل من كان في المملكة من خدم وحرس وجند؛ وإنما اختصت بمن لهم المكانة الرفيعة في المملكة والذين لهم الحق بإبداء الرأي والمشاورة. وقد تكون في لفظة (ملاً) إشارة إلى ضعف الرأي وانعدام الوعي الفكري؛ ونلمس هذا في قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ (يوسف من الآية: ٤٣).

قال الزمخشري: ((«يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ» كأنه أراد الأعيان من العلماء والحكماء))^(١). وقال ابن عطية: ((«يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ» يقصد بها: جماعته وحاضريه))^(٢). وأكد الألوسي أن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ﴾ ((خطاب للأشراف ممن يظن بهم العلم))^(٣).

(١) الكشاف: ٢ / ٤٧٣.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣ / ٢٤٧.

(٣) روح المعاني: ٦ / ٤٤٠.

يتضح من هذا أنّ القرآن الكريم وظفّ لفظة (ملاً) للدلالة على الجماعة المقربة من الملك والذين لهم المكانة العالية والكلمة المسموعة، وإنهم غالباً ما يكونوا قليلي الخبرة، ضعيفي الرأي، ولا يهتمهم سوى تحقيق غاياتهم، وضمان مصالحهم.

نخلص من هذا أنّ لفظة (ملاً) وظفت في القرآن الكريم وفي كلام العرب للدلالة على المجموعة المقربة من الملك أو السلطان، الذين يملؤون العيون أبهة والصدور هيبة، وبينهم اتحاد واجتماع وتعاون وتشاور على كل نائبة أو قضية أو أمر ما يحلُّ بهم، وهم غالباً ما يكونوا مقتدرين ولهم المكانة العالية والكلمة المسموعة عند الملك أو السلطان بيد أنّهم قليلو الخبرة وضعيفو الرأي ولا يهتمهم سوى تحقيق مصالحهم. وهذا يوضح الفرق بين لفظة (ملاً) وبين غيرها من الألفاظ التي تدل على المجموعات البشرية.

وأما مفرد لفظة (ملاً) فلم يذكر أحد من اللغويين أنّ لفظة (ملاً) لها مفرد من لفظها. و(ملاً) على وزن (فعل) وقد ذكرت سالفاً^(١) أنّ هذا الوزن لم يذكر ضمن أوزان جموع التكسير القياسية إلا أنّ توظيف القرآن الكريم هذا الوزن للدلالة على الجمع في أكثر من لفظ دفعني إلى عدّ الألفاظ التي تأتي على هذا الوزن جمعاً سماعياً أو جمع تكسير غير مطرد وفقاً لما ذكره النحويون في حكم اللفظ الذي يدل على الجمع ولم يأت على وزن من أوزان جموع التكسير القياسية.

لفظة وفد الدلالة المعجمية :

الوفد من وفد عليه يفد وفداً ووفوداً ووفادة وإفادة : قدم فهو وافد^(٢)، ومنه قول الشاعر:^(٣)

الإِإِفَادَةُ فَاسْتَوْلَتْ رِكَائِبَنَا عِنْدَ الْجَبَابِيرِ بِالْبِأْسَاءِ وَالنَّعْمِ

ووفد فلان على الأمير أي: ورد رسولاً، وأوفدته إلى الأمير أي: أرسلته، وتوافد القوم عليه: قدموا ووردوا^(٤). وقد ذكر اللغويون أكثر من وجه في معنى الوفد؛ منها الوفد وهم الركبان المكرّمون الذين يفدون عن القوم إلى ملكٍ أو أمير في فتح أو قضية أو أمر يرجون انجازه^(٥).

(٤) ينظر: لفظة (ناس) في الحقل الأول، و لفظة (غنم)، و: لفظة (نعم) في الحقل الثاني.

(١) ينظر: الجمهرة(وفد): ١ / ٨٠٢، و: المحكم والمحيط العظم(وفد): ٩ / ٤٤٠.

(٢) البيت لتميم بن مقبل في ديوانه: ٦٥ .

(٣) ينظر: الجمهرة(وفد): ١ / ٨٠١، و: المعجم الوجيز: ٦٧٦ .

(٤) ينظر: المصدر نفسه(وفد): ٢ / ٨٠٢.

ومنها: أنهم جماعة مختارة للتقدم في لقاء العظماء^(١). وقيل: إنّ الوفد القادمون ركبانا. وقيل: إنّ أصل الوفد القدوم على العظماء للعطايا والاسترفاد^(٢). ويرى الزبيدي: ((أنّ الوفد هم القادمون مطلقاً، مشاة وركبانا مختارين للقاء العظماء أولاً كما هو ظاهر))^(٣).

البنية الصرفية للفظَة وفد :

(وفد) اسم ثلاثي مجرد خالٍ من حروف الزيادة، معتل الفاء (مثال)، قال ابن جنّي: ((ومما يسأل عنه في هذا الباب كثرة الواو فاءً وقلّة الياء هناك؛ وذلك نحو: وعد، ووجه، ووسادة، ووفد.... وذلك بسبب كثرة الواو هناك وإنك قادر متى انضمت أو انكسرت أن تقلبها همزة وذلك نحو: أعد، وأجوه وأسادة، وأفادة.... والياء إذا وقعت وانضمت أو انكسرت لم تقلب همزة ولا غيرها))^(٤). و(وفد) مصدر وَقَدَ يَفِدُ. وقد وظف للدلالة على الجمع.

ولفظَة (وفد) ليس لها واحد من لفظها^(٥)، أما ما قيل من إنّ مفرد (وفد): (وافد)^(٦)، فإنه لا يعدُّ مفرداً لها من لفظها وإنما من تركيبها. وقد فصلت القول في هذه المسألة فيما مضى من هذا البحث^(٧). وقد ذكرت اختلاف الصرفيين في اللفظة التي تأتي على وزن (فَعَل) وواحدتها (فاعل) ك: (وقَد) و(وافد) و(ركب) و(راكب) أتعدُّ جمعاً أم اسم جمع؟ وذكرت أنّ سيبويه، وابن عصفور، وابن الحاجب، وابن مالك، و الرضي^(٨)، ومن المحدثين الدكتور عباس حسن، والدكتور عبد المنعم سيد عبد العال، والدكتور هاشم طه شلاش عدوها اسم جمع لا جمعاً^(٩)، وحثتهم في ذلك عدم جريان أحكام الجمع عليها. في حين ذهب الفراء

(٥) الرأي للنووي نقلاً عن الزبيدي في تاج العروس(وفد): ٣٢٣ / ٥ .

(٦) الرأي للخفاجي نقلاً عن الزبيدي في تاج العروس(وفد): ٣٢٣ / ٥ .

(٧) تاج العروس(وفد) ٣٢٣ / ٥ .

(٨) الخصائص: ١٨١ / ٣ .

(٩) الفيصل في ألوان الجموع: ٢٦٠ .

(٢) ينظر: العين(وفد): ٨٠/٨، و: تهذيب اللغة(وفد): ١٤٠ / ١٤ .

(٣) ينظر: أهل في الحقل الأول، وخيل، وضأن، وطير في الحقل الثاني، وخلق، وركب في الحقل الرابع، و رهط في الحقل الخامس.

(٤) ينظر: كتاب سيبويه: ١١٠/٢، و: شرح جمل الزجاجي: ٥٤٣ / ٢، و: تسهيل الفوائد: ٢٦٧ و: شرح شافية ابن الحاجب: ٢٠٣ / ٢، و: شرح الرضي على الكافية: ٣٦٧ / ٣ .

(٥) ينظر: النحو الوافي: ٦٤٦/٤، و: جموع التصحيح والتكسير: ٨٣، و: المهذب في علم التصريف: ٢٠٦ .

والأخفش^(١)، وابن السكيت، والنحاس، وابن خالويه، والقاسم بن سعيد المؤدب، و
الزمخشري^(٢) إلى أنها تعدُّ جمعاً وكانت لهم في ذلك حجتهم أيضاً^(٣).

أما الجرجاني فقد عدّها جمعاً في المعنى^(٤). ويرى براجشتراسر أنّ ((معناها بين معنى
الجمع ومعنى الأفراد، فهي شبه جمع في أنه يعبر بها عن غير واحد من الأفراد، وتشبه
المفرد في أنها وإن احتوت على عدد كثير من الناس فهو فرد يميز عن غيره لذلك يمكن
جمعها))^(٥).

وذكر الدكتور إبراهيم السامرائي أنّ اختلاف النحاة في لفظة (وفد) راجع إلى كثرة صيغ
الجموع، إذ قال: ((وفي هذه الكثرة من صيغ جموع التكسير اختلف علماء اللغة والنحو
الأقدمون فقد ذكروا أنّ جمع التكسير ما تغير بناء واحده كرجال وأفراس، ولكنهم جعلوا
(ركب) و(وفد) من اسماء الجموع ولو أنهما من (راكب) و(وافد))^(٦).

وعلى هذا فإنّ (وافد) لا يعدُّ مفرد (وفد) وإن اتفق اشتراكهما في الحروف الأصلية،
و(وفد) لو كانت جمع (وافد) لم تكن جمع قلة؛ لأنها لم تأت على وزن من أوزان القلة بل جمع
كثرة، وجمع الكثرة لا يصغر على لفظه بل يرد إلى واحده، وهذه لا ترد إلى واحدها إذ تقول
في تصغير (وقد): (وقُيد)، وأيضاً لو كانت جمعاً لردت في النسب إلى آحادها وهذه تنسب إلى
لفظها، فتقول في النسب إلى (وفد): (وفدي). ولو كانت (وفد) جمعاً لم يجز عود الضمير
المفرد عليها في حين أنك تقول في الإشارة إلى (وفد): هذا وفد؛ لذا عدّها الدكتور عباس أبو
السعود اسم جمع لا جمعاً^(٧).

وقد وردت لفظة (وفد) في القرآن الكريم مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَحْشُرُ
الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ (مريم: ٨٥).

وفي معنى (الوفد) قال الطبري: ((الوفد في هذا الموضع بمعنى الجمع ولكنه واحد؛ لأنه
مصدر))^(٨). وقال البغوي: ((وفداً أي: جماعات، وهي جمع وافد مثل راكب وركب،

(٦) اقتبست رأي الفراء والأخفش في هذه المسألة من كتاب شرح جمل الزجاجي: ٢ / ٥٤٣، و: شرح
الرضي على الكافية: ٣ / ٣٦٧.

(٧) ينظر: أصلح المنطق: ٣٧، و: إعراب القرآن (النحاس): ٢ / ١٦٧، و: ليس في كلام العرب: ٣٣١، و:
دقائق التصريف: ٧٠.

(٨) ينظر: لفظة (ركب) في الحقل الرابع من هذا البحث.

(٩) ينظر: المقتصد في شرح الإيضاح: ١ / ١٩٧.

(١٠) التطور النحوي: ١٠٦.

(١) فقه اللغة المقارن: ٩٦، و: دراسات في اللغة: ٧٨.

(١) ينظر: الفيصل في ألوان الجموع: ٢٦٣.

(٢) تفسير الطبري: ١٦ / ١٢٦.

وصاحب وصحب))^(١). وقال الزمخشري: ((ذكر المتقون بلفظ التبجيل وهو إنهم يجمعون إلى ربهم الذي غمرهم برحمته وخصهم برضوانه وكرامته كما يفد الوقاد إلى الملوك منتظرين للكرامة عندهم))^(٢). وقال ابن عطية: ((قال المفسرون: الوفد معناه ركبان وهي عادة الوفود؛ لأنهم سراة الناس وأحسنهم شكلاً فشبه أهل الجنة بأولئك؛ لأنهم في معنى الإفادة، وروي عن الأمام علي (عليه السلام): ((ما يحشرون والله على أرجلهم ولكنهم على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت))^(٣).

يستفاد من هذا أن لفظة (وفد) وظفت في هذه الآية للدلالة على الجمع وليس على المفرد بيد أنهم اختلفوا فيها، فذهب أبو البقاء العكبري إلى أنها جمع وافد إذ قال: ((الوفد جمع وافد مثل راكب وركب والوفد اسم لجمع وافد))^(٤). في حين ذهب السمين الحلبي إلى أنها تعدُّ اسم جمع لا جمعاً إذ قال ((الوفد: الجماعة..... وهو في الأصل مصدر ثم أطلق على الأشخاص، وقال أبو البقاء: وفد جمع وافد، وهذا الذي قاله ليس مذهب سيبويه؛ لأن فاعلاً لا يجمع على (فعل) عند سيبويه وأجازه الأخفش. فأما (ركب)، و(صحب) فأسماء جمع لا جمعاً بدليل تصغيرها على ألفاظها))^(٥). وقال أيضاً: ((فإن قلت: لعلَّ أبا البقاء أراد الجمع اللغوي فالجواب أنه قال بعد قوله هذا: ((والورد اسم لجمع وارد)) فدلَّ هذا على أنه قصد الجمع المقابل لاسم الجمع))^(٦).

وقد ذكرت سالفاً أنّ الصرفيين اختلفوا في اللفظ الذي يدلُّ على الجمع وعلى وزن (فعل) ومفرده (فاعل) فمنهم من ذهب إلى أنه يعدُّ جمعاً ومنهم من ذهب إلى أنه لا يعدُّ جمعاً بل اسم جمع. وقد خلصت بنتيجة مفادها أنّ اللفظ الذي يدلُّ على الجمع وعلى وزن (فعل) ومفرده (فاعل) كطير وطائر، وركب وراكب فإنه يعدُّ جمعاً من حيث الدلالة والميدان التطبيقي واسم جمع من حيث الاستعمال النظري والميدان الصرفي.

وعلى هذا فإن لفظة (وفد) تعدُّ جمعاً من حيث الدلالة والميدان التطبيقي واسم جمع من حيث الاستعمال والميدان الصرفي.

(٣) معالم التنزيل: ٢٠٩ / ٣

(٤) الكشف: ٤٤ / ٣ .

(٥) الكشف والبيان: ٢٠ / ٣، و: المحرر الوجيز: ٣٢ / ٤، و: تفسير النسفي: ٤٧ / ١ .

(٦) التبيان في إعراب القرآن: ٨٨٢ / ٢ .

(١) الدرالمصون في علوم الكتاب المكنون: ٥٢٦ / ٤، و: اللباب في علوم الكتاب: ١٣ / ١٤٤ .

(٢) المصدر نفسه: ٥٢٦ / ٤ .

فيما يأتي جدول في الألفاظ الشائعة في هذا الفصل ووزنها وحكمها وعدد مرات ورودها في القرآن الكريم، وذلك على الوجه الآتي :

اللفظة	وزنها	حكمها	ورودها
ثَلَّة	فُعْلَة	جمع سماعي أو جمع تكسير غير مطرد	٣
جِبَلًا	فِعْلًا	اسم جمع	١
جِبَلَةٌ	فِعْلَةٌ	اسم جمع	١
حِزْبٌ	فِعْلٌ	اسم جمع	١١
زُمْرَةٌ	فُعْلَةٌ	جمع سماعي أو جمع تكسير غير مطرد	٢
صِرَّةٌ	فُعْلَةٌ	اسم جمع	٢
فِتْنَةٌ	فِعَةٌ	اسم جمع	١١
فِرْقَةٌ	فِعْلَةٌ	جمع تكسير	١
فَرِيقٌ	فَعِيلٌ	اسم جمع	٣٣
فَوْجٌ	فَعْلٌ	جمع من حيث الدلالة واسم	٥

	جمع من حيث الاستعمال الصرفي		
٢٠	جمع من حيث الدلالة واسم جمع من حيث الاستعمال الصرفي	فَعَلَ	قَرْنٌ
٣٠	جمع سماعي أو جمع تكسير غير مطرد	فَعَلَ	مَلَأَ
١	جمع من حيث الدلالة واسم جمع من حيث الاستعمال الصرفي		وَقَدَّ

مما يلاحظ في هذا الجدول أنّ وزن (فَعْلَةٌ) قد تكرر في لفظتين هما (ثَلَّةٌ)، و(زَمْرَةٌ)، وكان قد دُكر في لفظة (عُصْبَةٌ) في الحقل الخامس، وإن توظيف القرآن الكريم هذا الوزن للدلالة على الجمع في أكثر من لفظ دفعني إلى عدها جمع تكسير سماعي أو جمع تكسير غير مطرد، ويجري الأمر نفسه على لفظة (مَلَأَ) التي جاءت على وزن (فَعَلَ) الذي لم يذكر ضمن أوزان جموع التفسير القياسية بيد أنّ القرآن الكريم وظف هذا اللفظ للدلالة على الجمع في أكثر من لفظ، فنذكر في لفظة (آل، وغنم، ونعم، وناس، وسبأ، ونفر) وكان هذا مسوغاً لدفع الباحث إلى عدّه جمع تكسير سماعي أو جمع تكسير غير مطرد قياساً على ما ذكره النحاة في حكم اللفظ الذي يدل على الجمع ولم يذكر ضمن أوزان الجموع.

الفصل السابع

ألفاظ الجموع التي تمثل القبائل وتوسعها الدلالي

- أمة.
- سبأ.
- سبط.
- عاد.
- قريش.
- قوم.

توطئة :

مما لا يخفى أنّ نظام توليد المفردات وتطورها الدلالي يتسم بكونه لا يستقرُّ على حال؛ وذلك لأنّ الحياة الاجتماعية تشجع على تغيير المفردات؛ لأنها تضاعف الأسباب التي تؤثر في الكلمات، فالعلاقات الاجتماعية، والصناعات، والعُدُد المتنوعة تعمل على تغيير المفردات، وتقضي على الكلمات القديمة، أو تحور معناها، وتتطلب خلق كلمات أو معان جديدة^(١).

وتزداد سرعة التطور اللغوي بازدياد انتشار اللغة بين غير أهلها، وبازدياد عدد الذين يتكلمونها وتنوعهم^(٢)؛ إذ إنّ ((انتشارها في أقاليم تحتك فيها لغات أخرى، يعرضها لأن تفقد خصائصها الموهلة في الذاتية))^(٣)، وهذا ما حصل في لفظة (سِبْط) التي كانت مختصة بالدلالة على أبناء إسحاق بن يعقوب (عليهما السلام)، وكانت دلالة (سِبْط) في اللغة العبرية تقابل دلالة (قبيلة) في اللغة العربية، فكما تدلُّ القبيلة على الجمع فإنّ (سِبْط) تدلُّ على الجمع أيضاً، وقد تطوّرت دلالة هذه اللفظة من الدلالة على العام إلى الدلالة على الخاص، وصار إذا قلت: (سِبْط) انصرف الذهن إلى المفرد لا إلى الجمع؛ إذ إنها اختصت بالدلالة على ابن البنت أو ابن الولد.

هذا من جانب ومن جانب آخر فإنّ التأثير الذي يقع عليها في الخارج يُؤدي إلى التغيير السريع في دلالتها؛ وذلك لأنّ التقاليد قد أبقت عليها في مهبط رأسها، ثم تلاشت بهجرتها بعيداً عن موطنها. كما يؤثر المسكن كذلك في تطور اللغات، فإذا كان السكان متخلخين متفرقين؛

(١) ينظر: اللغة (فندريس) : ٢٤٦، ٢٤٧.

(٢) ينظر: لحن العامة والتطور اللغوي (د. رمضان عبد التواب) : ٣٧٦.

(٣) اللغة: ٤٢٧.

فإنّ هذا التبدد يساعد على الانقسام إلى لهجات^(١). ونجد مصداق هذا في لفظة (عاد) التي كانت مختصة بالدلالة على عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح (عليه السلام)، وبمرور الزمن وتقدمه توسعت دلالة لفظة (عاد) من الدلالة على الخاص إلى الدلالة على العام، وصار إذا قلت: (عاد) انصرف الذهن إلى كل من يمتُّ إلى (عاد) بصلة أو قرابة، فتطورت لفظة (عاد) من الدلالة على المفرد إلى الدلالة على الجماعة، ويجري الأمر نفسه على لفظة (سَبَأ)، و(ثمود)، و(قريش).

وتفاصيل هذا الكلام ستبينها لنا سطور هذا الفصل.

لفظة امة

الدلالة المعجمية :

تذكر مصادر الوجوه والنظائر للفظه أمة أكثر من تسعة أوجه؛ إذ قالوا: إنها تأتي بمعنى الجماعة والقرن من الناس والعصبة، وتأتي بمعنى الملة، وتأتي بمعنى السنين، وبمعنى الإمام، وبمعنى الأمم الخالية، وبمعنى الصنف من الأشياء، وبمعنى القوم، وقيل: الأمة تعني المسلمين من أمة محمد -صلى الله عليه وآله وسلم-، وقيل تعني الكفار الخاصة من أمة محمد -صلى الله عليه وآله وسلم-^(٢).

ولو رجعنا إلى الأصل الذي تعود إليه جميع معاني لفظة (أمة) نجدها ترجع إلى أصل واحد وهو أن يضم إلى الشيء الواحد سائر ما يليه وهذا ما أكده الخليل بقوله: ((اعلم أنّ كل شيء يضم إليه سائر ما يليه فإنّ العرب تسمي ذلك الشيء أمّاً))^(٣). من ذلك أم الرأس وهي الجلدة التي تجمع الدماغ، وأم الكتاب الفاتحة؛ لأنها تشتمل على كل ما جاء في القرآن الكريم أو لأنها يبتدئ بها في كل صلاة، وأم القرى مكة سميت بذلك؛ لأنها توسطت الأرض أو لِمَا روي أن الدنيا دُحيت من تحتها. وأم النجوم المجرة؛ لأنها مجتمع النجوم^(٤). ونقل ابن دريد عن الأخفش قوله: ((كل شيء انضمت إليه سائر الأشياء فهو أم))^(٥). وذهب الراغب إلى أن ((الأمة كل جماعة يجمعهم أمرٌ ما إمّا دينٌ واحد أو زمان واحد أو مكان واحد سواء كان

(١) التطور اللغوي: ١٧ .

(٢) الوجوه والنظائر في القرآن في القرآن الكريم (هارون بن موسى): ٦٤، و: أصلاح المنطق: ٤٢، و: نزهة الأعين والنواظر في علم الوجوه والنواظر: ٤٤.

(٣) العين (أمة): ٤٢٨/٨ .

(٤) ينظر: الجمهرة (أمة): ٣٨ / ١ .

(٥) المصدر نفسه (أمة): ٣٨/١ .

ذلك الأمر الجامع تسخيراً أم اختياراً^(١)). ويرى الدكتور محمد المنجد أن ما ذكره الراغب حق؛ إذ إنَّ العصبية والقوم والأمم الخالية والصنف من الأشياء والمسلمين والكفار من أمة محمد -صلى الله عليه وآله- كل هذه الأوجه لا تتفك عن مفهوم الجماعة الذي ذكره وما اختلف التوجيه للمعنى إلا بسبب من تخصيص العام بما يوحي به سياق الآيات في النص القرآني^(٢). وأما قولهم: إن الأمة تعني الإمام في قوله تعالى: ﴿إِن إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾. (النحل من الآية: ١٢٠). فقد ذكر المفسرون الذين يعنون بالجانب اللغوي أن تسمية إبراهيم -عليه السلام- بـ (ألامه)؛ لأنه سبب الاجتماع أو لأنه اجتمع عنده من صفات الخير ما يكون مثله في أمة أي يقوم مقام أمة في العبادة^(٣). وعلى هذا فهي لا تختلف بشيء عن الأصل الذي ذكرناه. ويرى الباحث أن لفظة (أمة) لا تعدُّ مشتركاً لفظياً، وأن جميع معانيها ترجع إلى أصل واحد وهو أن يضم إلى الشيء الواحد سائر ما يليه من الأشياء - والله أعلم - .

البنية الصرفية للفظ أمة :

تتألف لفظة (أمة) من ثلاثة مقاطع صوتية، الأول: مقطع طويل مغلق والثاني: مقطع قصير مفتوح، والثالث مقطع طويل مغلق وهذا على الوجه الآتي:

ع - م / م - ء / ن .

هذا في حال الوصل والتنوين أما في حال الوقف فإنها تكون على مقطعين، الأول: مقطع طويل مغلق، والثاني: مقطع طويل مغلق أيضاً وهذا على الوجه الآتي:

ع - م / م - ه .

يتضح لنا من هذا أن التاء في لفظة (أمة) تثبت في حال الوصل والتنوين، وتقلب إلى هاء في حال الوقف والتسكين. وقد ذكر ابن جني أن التاء هي الأصل والهاء تبدل منها في حال الوقف إذ قال: ((فلما رأينا هاء التانيث في الوصل (تاء) علمنا أن أصلها (التاء) وأن الهاء في الوقف بدل من التاء في الوصل))^(٤)، وقد ردّ بقول مُقَصِّل على من يعترض ويقول: إنَّ الأصل هو الهاء، وإن التاء في الوصل هي بدل من الهاء في الوقف^(٥). ومن ثم علل سبب إبدال التاء إلى هاء في حال الوقف بقوله: ((وإنما أبدلت هاءً لانفتاح ما قبلها، وإنها من

(١) المفردات في غريب القرآن: ٢٧.

(٢) الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق: ١٠٣ .

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (الزجاج): ٢٨٢/١، و: تأويل مشكل القرآن (ابن قتيبة): ٤٤٥، و: البحر

المحيط: ٥/ ٥٤٧ .

(٤) المنصف: ١٦٢.

(٥) ينظر المصدر نفسه: ١٦١-١٦٢.

الحروف المهموسة، والهاء مهموسة وقريبة من الألف^(١))، وقال إنها لم تبدل ألفاً؛ ((لانفتاح ما قبلها لئلا يلتبس بالألف المقصورة في (حبل) و(بشرى) والهاء قريبة من الألف فأبدلت هاءً))^(٢).

وبذا نجد أنّ إبدال التاء هاءً في حال الوقف له أهمية كبيرة في تيسير النطق وتقليل الجهد الذي يبذله المتكلم في أثناء عملية النطق.

والتاء في لفظة (أمة) زائدة وليست أصلية وما يثبت هذا قول ابن جنّي: (وتزاد التاء للتأنيث.... إلا إنك إذا وقفت عليها أبدلت منها الهاء)^(٣).

ولفظة (أمة) من حيث المعنى تدل على الجمع بيد أنّها لا تعدّ جمعاً؛ لأن ليس لها مفرد من لفظها من جهة و لأنّ أحكام الجمع لا تجري عليها من جهة أخرى.

وقد ذهب النحاة إلى أنّ اللفظ الذي يدلّ على الجمع وليس له مفرد من لفظه ولم يأت على وزن خاص بالجمع أو غالب فيه لا يُعدّ جمعاً بل اسم جمع كما بيّنت سابقاً^(٤). وعلى هذا فإن لفظة (أمة) في نظر النحاة تعدّ اسم جمع لا جمعاً.

وقد ذكرت لفظة (أمة) في القرآن الكريم تسعاً وأربعين مرةً دالة على الجمع منها قوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٤).

ودلالة لفظة (أمة) على الجمع في هذه الآية واضحة إذ إنّ تعالى وصفهم بما يدل على الجمع في أكثر من لفظ إذ قال ﴿يَدْعُونَ﴾، و﴿يَأْمُرُونَ﴾ و﴿يَنْهَوْنَ﴾، ثم إنه تعالى أشار إليهم باستعمال اسم الإشارة الذي يفيد الجمع وهو قوله ﴿أُولَئِكَ﴾ فضلاً عن هذا انه تعالى أعاد الضمير عليهم بصيغة الجمع إذ قال ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ومن الآيات التي وردت فيها لفظة أمة دالة على الجمع أيضاً قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ((الأأنعام من الآية: ١٠٨)).

وقد توافرت في هذه الآية أكثر من قرينة تثبت أنّ لفظة أمة تدلّ على الجمع منها قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ﴾ فجاء بلفظة (عملهم) منصوبة على التعدية - مفعول به - وهي قرينة معنوية تفيد التخصيص. وإضافة الضمير (هم) إلى لفظة (عمل) يثبت أنّ لفظة أمة

(١) المصدر نفسه: ١٦٢.

(٢) المصدر نفسه: ١٦٢.

(٣) التصريف الملوكي: ٢٣.

(٤) ينظر: تسهيل ألفوائد: ٢٦٧، و: همع الهوامع: ٣ / ٣٣٧ و شذا العرف: ١٤٧، و: المهذب في علم

التصريف: ٢٠٥.

تدل على الجمع ولو كانت تدل على المفرد لقال عمله. والقرينة الثانية هي قوله تعالى (إلى ربهم) وهي قرينة نسبية بين الجار والمجرور، وقد أضاف الضمير (هم) إلى لفظة (رب) أيضاً فأكد هذا ما ذكرناه آنفاً، والقرينة الثالثة هي إسناد قوله تعالى (إلى ربهم) إلى (مرجعهم) التي أضيف إليها الضمير (هم) أيضاً، والقرينة الرابعة انه تعالى أعاد الضمير على لفظة (أمة) بصيغة الجمع أيضاً بقوله تعالى: ﴿فَيَنْبِئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فدلّ كل هذا على أن لفظة (أمة) قد دلت على الجمع ولم تدل على المفرد أو المثني.

ويجري الأمر نفسه على الآيات التي ذكرت فيها لفظة (أمة) دالة على الجمع وقد توافرت فيها القرائن اللغوية والسياقية التي تثبت دلالتها على الجمع^(١).

نخلص من هذا أن اللغويين ذكروا للفظ (أمة) أكثر من تسعة أوجه وقد ذكرت في الدلالة المعجمية أنّ جميعها ترجع إلى أصل واحد وهو إن يضم إلى الشيء الواحد سائر ما يليه من الأشياء. وهذا يدل على أن لفظة (أمة) لاتعدّ من المشترك اللفظي وان كل ما ذكره من وجوه ومعان مشتقة من الأصل الذي ذكرناه وعائدة إليه.

وإنّ لفظة أمة استعملت في القرآن الكريم للدلالة على الجمع وقد دل على هذا القرائن اللغوية التي توافرت في النصوص التي وردت فيها لفظة أمة. ولم يذكر احد من اللغويين أنّ لفظة أمة لها واحد من لفظها. وقد ذكرت آنفاً أنّها لم تأت على وزن خاص بالجمع أو غالب فيه ولم تجر عليها أحكام الجمع؛ لذا فهي جمع من حيث الدلالة والاستعمال واسم جمع من حيث القواعد والأحكام.

لفظة سبأ

الدلالة المعجمية :

سبأ: هي قبيلة عربية، سميت باسم أبيها الذي تناسلت منه^(٢). وينتهي نسبها إلى سام بن نوح -عليه السلام-. كانت تقيم في جنوب غربي الجزيرة العربية^(٣). وقد رجّح الدكتور أحمد سوسة أنّ (سبأ) في الأصل قبائل سكنت الجوف الشمالي من جزيرة العرب ثم ارتحلت في القرن الثامن قبل الميلاد إلى جنوب الجزيرة، واستقرت هناك، وأسست مملكة سُميَّت

(١) ينظر: البقرة: ١٤٣، و: آل عمران: ١١٣، و: المائدة: ٦٦، و: الأعراف: ١٥٩، ١٨١، و: يونس: ٤٩.

(٢) ينظر: العين (سبأ): ٣١٥/٧، و: الصحاح (سبأ): ٥٥/١.

(٣) ينظر: تاريخ حضارة وادي الرافدين: ٣٢٣/٢.

باسمها^(١). وجاء أقدم ذكر للسبئيين في المصادر السمارية في نص يرجع تاريخه إلى عام (٧٣٢ ق.م) وورد ذكرها أيضاً في الكتابات اليونانية والرومانية^(٢).

وقد ذكرت مصادر اللغة أنّ (سبأ) اسم رجل دُعي به بعد أن كان اسمه الأول (عبد شمس)^(٣)، أو (عامر)^(٤)، وفيما ذكره الدكتور جواد علي من الكشف عن لوح نحاسي مكتوب فيه (عبد شمس سبأ بن يشجب) إشارة إلى ما ذكرته تلك المصادر^(٥). فـ(سبأ) على هذا اسم رجل ولدَ عامة قبائل اليمن وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان فسميت القبيلة باسم أبيهم^(٦). وقيل: إنَّ(سبأ) مدينة تعرف بـ(مأرب) سكنتها ملكتهم بلقيس^(٧). وقيل: هي أرض باليمن مدينتها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ليالٍ^(٨).

ولم تقتصر دلالة لفظة (سبأ) على هذا فحسب، بل وردت دالة على معانٍ آخر منها قولهم: سبأ الخمر يسبّوها سباً وإستبأها إذا اشتراها^(٩). وسبأته السياط أي: لذعته، وسبأته النار أي: محشته فأحرقت شيئاً من أعاليه^(١٠). وسبأ على يمين كاذبة أي: مرّ عليها غير مكترث بها، وسبأته أي: صافحته^(١١).

البنية الصرفية للفظة سبأ :

(سبأ) اسم ثلاثي صحيح مهموز اللام. قال ابن عقيل: ((وأما مهموز اللام فيجاء على مثال فتح يفتح نحو: سبأ يسبأ))^(١٢). وذكر ابن عقيل أنّ حكم المهموز بجميع أنواعه كحكم السالم لا يحذف منه شيء عند الاتصال بالضمائر ونحوها ولا عند الاشتقاق إلا كلمات كثر دورانها في كلامهم فحذفوا همزتها قصداً إلى التخفيف^(١٣). ومنها المثل المشهور: ((ذهب القوم أيادي سبأ أو أيدي سبأ))^(١٤). وهو مثلٌ يقال للقوم إذا تفرقوا ((يشبهونهم بأهل سبأ لَمّا

(١) ينظر: تاريخ حضارة وادي الرافدين : ٣٢٣/٢ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٣٢٣/٢ .

(٣) ينظر: الاشتقاق(ابن دريد): ١٥٥ .

(٤) ينظر: المعارف (ابن قتيبة): ١٠١ .

(٥) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (د.جواد علي): ٢/ ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

(٦) ينظر: الجمهرة(سبأ): ٤١٦/٢، و: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : ٢٢٨/٢.

(٧) ينظر: تهذيب اللغة(سبأ): ٧٢/١٣ .

(٨) ينظر: معجم البلدان(سبأ): ٣/ ١٨١ .

(٩) ينظر: الصحاح(سبأ): ١/ ٥٥ .

(١٠) ينظر: العباب الزاخر في اللباب ألفاخر(حرف الهمزة): ٦٨ .

(١١) ينظر: المصدر نفسه(حرف الهمزة): ٦٨ .

(١٢) شرح ابن عقيل: ٢٧٧/٤ .

(١٣) المصدر نفسه: ٢٧٧/٤ .

(١٤) ينظر: مجمع الأمثال (الميداني)١/٢٧٥، و: المستقصى في أمثال العرب(الزمخشري) ٢/ ٨٩ .

مَزَقَهُمَ اللهُ فِي الأَرْضِ كُلِّ مَمَزَقٍ فَأَخَذَ كُلَّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ طَرِيقًا عَلَى حَدِّهِ))^(١). قال الأزهري: ((والعرب لا تهمز سبأ في هذا الموضع؛ لأنه كثر في كلامهم فاستنقلوا ضغطة الهمزة وإن كان سبأ في الأصل مهموز))^(٢).

و(سبأ) اسم مشتق وليس جامداً بيد أن اللغويين اختلفوا في الأصل الذي اشتقت منه، فقيل إنّه مشتق من(سَبَى يَسْبِي سَبِيًّا)؛ (لأنّه أول من سبا السبي من ولد قحطان وأدخله اليمن)^(٣). وقد اكتسب الرجل هذا الاسم من الفعل الذي قام به، في حين يرى ابن دريد أن (سبأ) مشتق من(سَبَأَ يَسْبَأُ) ولكن بداليتين مختلفتين يحتملها هذا الفعل فقال: ((واشتقاق سبأ من قولهم: سَبَأْتُ الخمر أَسْبَوُهَا سَبَأً إذ اشتريتها، أو من قولهم: سَبَأَتِ النار جلده إذا أثْرَتَ فيه))^(٤). و(سبأ) بداليتها على اشتراء الخمر لا يكون إلا مهموزاً^(٥). ونقل عن الكسائي انه قد يأتي بلا همز^(٦). ومادته قد لا تدعمها بعض اللغات الجزرية القديمة، فقد ذكر الأستاذ طه باقر في تعليقه على احد نصوص(ملحمة كلكامش) المكتوبة بالبابلية الذي جاء فيه بإحدى مواد شريعة حمورابي (المادة ١٠٩) ثم قال: ((وفي النص البابلي يستعمل(سَابِيئُم) لبائعة الخمر نفس المادة العربية (سبأ) و(سَبَاء) لبائع الخمر^(٧). ((وهذا يفيد أن اللفظ بهذه الدلالة من المشترك السامي القديم))^(٨). بيد أن ابن دريد لم يوضِّح وجهة العلاقة بين الاسم والمسمى به ولأي سبب أطلق عليه، ولم يوضح أيضاً مناسبة كونه مشتقاً من الفعل (سَبَأَ يَسْبَأُ) بدالتيه المختلفتين، ولم يذكر العلاقة بينه وبين معاني لفظة(سبأ) التي ذكرتها في الدلالة المعجمية. ويبدو أن الجزم بحقيقة هذا الاسم ومناسبة إطلاقه بعيد المنال؛ لأنه من الأسماء التي عرفت في أزمان موعلة في القدم^(٩). وإذا أخذنا برأي جوزيف فنديس أن(الكلمات لا تستعمل في واقع اللغة تبعاً لقيمتها التاريخية، فالعقل ينسى خطوات التطور المعنوي التي مرت بها))^(١٠). فيمكن القول إن المعاني التي رافقت لفظة(سبأ) في سيرتها اللغوية نشأت للتعبير عن معانٍ أخرى قد لا تتصل بالمعنى الأول، إذ إنّه يقول: ((وللكلمات دائماً قيمة حضورية يعني انه محدود باللحظة التي

(١) تهذيب اللغة (سبأ) ١٣ / ٧٢.

(٢) المصدر نفسه (سبأ) ١٣ / ٧٢.

(٣) ينظر: السيرة النبوية: ١ / ١٠.

(٤) الاشتقاق (ابن دريد): ٣٦٢.

(٥) ينظر: الأمالي (القالبي) ٢ / ٣٢٥.

(٦) ينظر: تاج العروس(سبأ): ١ / ٢٦٢.

(٧) ملحمة كلكامش(طه باقر): ١٥٥.

(٨) العلم في القرآن: ٣٠٦.

(٩) الرسالة نفسها: ٣٠٧.

(١٠) اللغة: ٢٢٦.

تستعمل فيها، ومفرد، يعني إنه خاص بالاستعمال الوقتي الذي تستعمل أياه^(١). غير أن ما يمكن أن يطمأن إليه انه اسم الجد الأعلى لقبيلةٍ معروفةٍ. قال الخليل: ((سبأ اسم رجل يجمع عامة قبائل اليمن))^(٢). وقال ابن دريد: ((سبأ أبو حي من العرب عظيم))^(٣). وذلك ((أنّ القبيلة تسمى باسم الرجل المعروف))^(٤). وقيل: إنّ (سبأ) اسم مدينة^(٥). وربما كان ذلك لحلول القبيلة فيها فسميت المدينة (سبأ) باسم من سكنها، وهذا المعنى مروى عن الزجاج^(٦)، وبه صرح الزمخشري، وابن الأثير^(٧)، ويؤيده ما ورد في الحديث الشريف: أن رجلاً سأل النبي - صلى الله عليه وآله - قال: ((يا رسول الله ما سبأ؟ أرض أو امرأة؟ فقال - صلى الله عليه وآله -: ليس بأرض ولا امرأة ولكنه رجل وُلِدَ له عَشْرَةٌ من العرب...))^(٨). وقد استدلت النحاس بهذا الحديث على علة صرف هذا الاسم^(٩)، وبه أحتج القرطبي ليثبت أن (سبأ) اسم رجل سميت به القبيلة^(١٠). ولو رجعنا إلى القرآن الكريم نجد أنّ لفظة (سبأ) ذكرت في موردين الأول في قوله تعالى: ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَآ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾^(١١) وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ ﴿النمل من الآيتين: ٢٢، ٢٣﴾. وقد توافرت في هذه الآية أكثر من قرينة تثبت أن (سبأ) استعملت للدلالة على الجمع لا على المفرد، منها انه تعالى قال بعد ذكر (سبأ): ﴿تَمْلِكُهُمْ﴾ فأعاد الضمير على (سبأ) بصيغة الجمع^(١٢)، ولو أريد به مدينة أو قبيلة أو أرض لقال: (تملكها)، ويصح ذلك على تقدير: (جئتكَ من أهل سبأ)^(١٣)، أو (قبيلة سبأ)، أو (أرض سبأ). والقرينة الثانية إن (سبأ) في هذه الآية اسم منصرف على إرادة الحي أو الرجل الذي سمي به ذلك الحي وهو حينئذٍ اسم مذكر^(١٣)، دالٌّ على الجمع. إذ إن (سبأ) اسم ينصرف ولا ينصرف، فالصرف على إرادة الحي والرجل الذي سمي به ذلك الحي، وهو حينئذٍ مذكر وترك الصرف على قصد القبيلة فيمتنع صرفه للعلمية

(١) المصدر نفسه: ٢٢٦.

(٢) العين (سبأ): ٣١٥ / ٧.

(٣) الجمهرة (سبأ): ٤١٦ / ٢.

(٤) المذكر والمؤنث (الأنباري): ٥٤٣.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة (سبأ): ٥٥ / ١.

(٦) ينظر: تهذيب اللغة (سبأ): ٥٥ / ١.

(٧) ينظر: الكشاف: ١٤٤ / ٣، و: النهاية في غريب الحديث و الأثر (ابن الأثير): ٣٢٩ / ٢.

(٨) سنن الترمذي: ١٥٤ / ٢.

(٩) ينظر: إعراب القرآن (النحاس): ٢٠٥ / ٣.

(١٠) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٨١ / ١٣.

(١١) ينظر: البحر المحيط: ٦٧ / ٧.

(١٢) المصدر نفسه: ٦٧ / ٧.

(١٣) ينظر: المذكر والمؤنث (السجستاني): ٢٠٥.

والتأنيث^(١). قال سيبويه: ((فأما ثمود وسبأ فهما مرة للقبيلة ومرة للحى وكثرتهما سواء))^(٢)، واستشهد سيبويه على صرفه بقول الشاعر:^(٣)

أضحت ينقُرُها الولدان من سبأ
وعلى منع صرفه بقول الشاعر:^(٤)

من سبأ الحاضرين مأرب إذ
بينون من دون سيله العرما

ومذهب أبي عمرو بن العلاء عدم صرف (سبأ) على أنه اسم قبيلة^(٥)، إلا أن الفراء فيما حكاه عن الرؤاسي انه حين سأل أبا عمرو عن دلالة (سبأ) قال: (لا ادري ما هو)^(٦). ومن هنا حمل الفراء على أبي عمرو قائلًا: (وقد ذهب مذهباً لم يدرك ما هو)^(٧) ثم وجه عبارة أبي عمرو بما يستقيم معها ترك الصرف وذلك أن (العرب إذا سمت بالاسم المجهول تركوا إجراءه)^(٨). وما قاله الفراء بحق أبي عمرو وقوله ردُّه النحاس قائلًا: ((وأبو عمرو أجلّ من أن يقول مثل هذا وليس في حكاية الرؤاسي عنه دليل على أنه منعه من الصرف؛ لأنّه لم يعرفه وإنما قال لا أعرفه))^(٩)، ثم بيّن النحاس أن الواجب في مثل هذا الحال هو الصرف؛ (لأنّ أصل الأسماء الصرف وإنما يمنع الشيء من الصرف لعلة داخلية عليه فالأصل ثابت فلا يزول بما لا يُعرف))^(١٠). ويرى النحاس أنّ (سبأ) اسم منصرف وحقته في ذلك ((انه اسم للحى وإن كان أصله في الحقيقة اسم رجل))^(١١)، ثم عزز قوله هذا بالحديث الشريف الذي تقدم ذكره، وخلص إلى قوله: ((القول في سبأ ما جاء التوقيف فيه انه اسم رجل في الأصل فإن صرفته فلأنه قد صار اسماً للحى وإن لم تصرفه جعلته اسماً للقبيلة مثل ثمود))^(١٢)، ونقل ما اختاره سيبويه من أنّ (سبأ) اسم منصرف، واردفه بقوله ((وحقته في ذلك قاطعة؛ لأنّ هذا الاسم لما كان يقع لتذكير والتأنيث كان التذكير أولى؛ لأنه الأصل والأخف)^(١٣)، وأما ما كان من ترك صرف (سبأ) في قول الشاعر الذي تقدم استشهاده سيبويه به فقد وجّه بانه لضرورة الشعر، فإنه

(١) ينظر: إعراب القرآن (النحاس): ٥١٦ / ٢.

(٢) الكتاب: ٢٥٢ / ٣، وينظر: الحجة للقراء السبعة: ٢٣٣.

(٣) الشاعر هو النابغة الجعدي: ديوانه: ٢١٦.

(٤) البيت لنابغة الجعدي: ديوانه: ١٤٣، ونسب إلى أمية ابن أبي الصلت، ينظر: أمية ابن أبي الصلت حياته وشعره: ٣٦٤.

(٥) ينظر: الكتاب: ٢٥٢ / ٣، و: ما ينصرف وما لا ينصرف: ٥٩.

(٦) معاني القرآن (الفراء): ٢٨٩ / ٢.

(٧) المصدر نفسه: ٢٨٩ / ٢.

(٨) المصدر نفسه: ٢٨٩ / ٢.

(٩) إعراب القرآن (النحاس): ٢٠٣ / ٣، ٢٠٤.

(١٠) المصدر نفسه (النحاس): ٢٠٤ / ٣.

(١١) المصدر نفسه: ٢٠٤ / ٣.

(١٢) المصدر نفسه: ٢٠٤ / ٣.

(١٣) المصدر نفسه: ٢٠٦ / ٣.

قد يمنع المنصرف من الصرف في الشعر خاصة وهو مذهب الكوفيين وقوم من البصريين، وتابعهم فيه أبو البركات الانباري^(١). و يصرف (سبأ) أيضاً على قول من ذهب إلى أنه اسم بلد، وإن أريد به اسم المدينة أو البقعة فغير منصرف^(٢).

وقد اختلف القراء في هذه الآية، فقرأ البزّي وأبو عمرو بن العلاء: (من سبأ) بفتح الهمزة من غير تنوين ممنوعاً من الصرف للعلمية والتأنيث على أنها اسم قبيلة^(٣)، ووافقهما ابن محيصة واليزيدي^(٤). وقرأ قبل والنبال بسكون الهمزة. والباقون بالكسر والتنوين^(٥). قال ابن خالويه: ((فالحجة لمن أجراه - صرفه - انه جعله اسم جبل أو اسم أب للقبيلة. والحجة لمن لم يُجره أنه جعله اسم أرض أو اسم امرأة. والحجة لمن أسكن الهمزة: انه يقول: هذا مؤنث، وهو أثقل من المذكر ومعرفة، وهو أثقل من النكرة، ومهموز وهو أثقل من المرسل فلما اجتمع في الاسم ما ذكرناه خُفِّفَ بالإسكان))^(٦). ومنهم من ذهب إلى أنها قرأت بإسكان الهمزة بسبب من توالي الحركات أو انه أجراه مجرى الوقف^(٧)، وهو ما أبعده مكي ابن ابي طالب (ت ٤٣٧هـ)^(٨)، ويرى الشاطبي (ت ٥٩٠هـ) أن صرف (سبأ) هو الأولى وذلك ليناسب الكلمة التي بعده وهي (بنبأ)^(٩).

وقد ذكرت آنفاً أن القرائن التي توافرت في الآية، وما ذكره سيبويه والنحاس، وما قرأ به الجمهور يثبت أن صرف (سبأ) بالكسر والتنوين على أنه اسم بلد أو حي أو اسم رجل وقد سمي به الحي هي القراءة الراجحة من بين هذه القراءات. ويمكن القول إن الأمر نفسه يجري على قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسِبَّاءٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جِئْتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرْمِ ﴿١٦﴾﴾ (سبأ من الأيتين: ١٥، ١٦).

إذ قال تعالى بعد قوله (سبأ): (مسكنهم)، و (كلوا)، و (ربكم)، و (اشكروا)، و (اعرضوا فأرسلنا عليهم). فأعاد الضمير على (سبأ) بصيغة الجمع في جميع هذه الألفاظ، وقد اختلف القراء في قراءتها كما اختلفوا في قراءة الآية أعلاه. والتي أثبت فيها أن الراجح من هذه القراءات هو

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف : ٥٠٢/٢، ٥٠٣ .

(٢) ينظر: تأويل مشكل إعراب القرآن : ٥٣٣ / ٢ .

(٣) ينظر: الحجة للقراء السبعة: ٢٣٣، و: النشر في القراءات العشر : ٢٥٣/٢ .

(٤) ينظر: معاني القراءات : ٣٥٤ .

(٥) ينظر: الإقناع في القراءات السبع: ٢٣٧، و: غيث النفع في القراءات السبع: ٤٤٣ .

(٦) الحجة في القراءات السبع : ١٦٨، ١٦٩ .

(٧) ينظر البحر المحيط : ٦٧/٧ .

(٨) ينظر: تأويل مشكل إعراب القرآن: ٥٣٣/٢ .

(٩) ينظر: إبراز المعاني من حرز الأمان في القراءات السبع: ٦٢٥ .

صرفها على أنها اسم الحي أو اسم البلد أو اسم رجل سمي به الحي وان الأمر نفسه يجري على هذه الآية، فضلاً عن هذا انها جاءت منصرفة في القرآن الكريم. ولا يفوتني أن أذكر أن هذه الآية إشارة إلى ما حلَّ بهؤلاء القوم جرأً إعراضهم عن طاعة الله، فقد ((كانوا نعم قوم عيشاً)^(١). فلما انبتق السد عليهم غرقت أرضهم ودفن الرمل بيوتهم فمزقوا كل ممزق^(٢)، فكانوا مضرب المثل في التشتت والتفرق، فكان مما قالته العرب في أمثالها: ((تفرقوا أيادي سبا أو أيدي سبا))^(٣)، و(ذهبوا أيدي سبا)^(٤).

مما ذكر يتبين أن لفظة (سبأ)، إنَّ قصد بها اسم رجل أو حي أو بلد فهي اسم مهموز مذكر منصرف، وإنَّ أريد بها القبيلة أو الجماعة منع من الصرف للعلمية والتأنيث.

وأن لفظة(سبأ) ذكرت في القرآن الكريم مرتين وقد وظفت فيها للدلالة على أبناء سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان الذين يمثلون عامة قبائل اليمن الذين سكنوا مدينة مأرب وقد سمي هذا الحي أو البلد باسم أبيهم؛ لذا جاءت (سبأ) منصرفة في القرآن الكريم. ومن ثمَّ فإنَّ لفظة (سبأ) في القرآن الكريم وفي كلام العرب استعملت للدلالة على الجمع ولم تستعمل للدلالة على اسم أرض أو مدينة أو امرأة.

وهي من حيث التعامل تعامل معاملة الجمع إذ يُخبر عنهم بصيغة الجمع فتقول: هؤلاء سبأ، ويعود عليهم الضمير بصيغة الجمع كما في قوله تعالى: ﴿سبأ في مسكنهم﴾ وتوصف بصيغة الجمع أيضاً كما في قول الشاعر: (سبأ الحاضرين).

بيد أنَّها لا تعد جمعاً وعلّة ذلك أن لفظة (سبأ) ليس لها مفرد من لفظها إذ إنَّ (سبئي) لا يعدُّ مفرداً لها، وإنما هو منسوبٌ لها ودليل ذلك أنك لو عطفت عليه أمثاله وقلت: سبئي وسبئي وسبئي لكانت النتيجة جماعة منسوبة إلى سبأ وهو معنى يختلف اختلافاً واسعاً عن معنى (سبأ) فليس مدلول (سبأ) مساوياً لمدلول جماعة منسوبة إلى سبأ هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنَّ أحكام الجمع لا تجري على لفظة سبأ فهي تنسب إلى لفظها وتصعّر على لفظها أيضاً والجمع لا ينسب إلى لفظه ولا يصغر على لفظه وإنما يرّد إلى مفرده؛ لذا يمكن القول أن سبأ من حيث الدلالة والميدان التطبيقي تعد جمعاً ومن حيث الاستعمال النظري والميدان الصرفي تعد اسم جمع.

(١) معاني القرآن (الفراء): ٣٥٨/٢ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٣٥٨/٢ .

(٣) ينظر: المستقصى في أمثال العرب: ٨٩/٢ .

(٤) المنقوص والممدود(الفراء): ٣٠ .

لفظة سبب

الدلالة المعجمية :

السَّبُّبُ في اللغة تعني القبيلة، والسَّبُّبُ واحد الأسباط وهم أولاد إسحاق (عليه السلام) وهم اثنا عشر سبطاً، كل سبب قبيلة^(١).

ومنه قول الشاعر^(٢) في يهود المدينة، بني قريظة وبني النضير:

حنقاً على سبطين خلأ يثرباً أولى لهم بعقاب يوم سرمد

لذا فقد خطأ اللغويون العجاج أو رؤبة في قوله: ^(٣)

فبات وهو ثابت الرباط

كأنه سبط من الأسباط

إذ أراد بـ (سبط من الأسباط): رجلاً من الرجال^(٤). و(السَّبُّبُ): شجرة لها أغصان كثيرة وأصلها واحد، وكأنهم جعلوا إسحاق -عليه السلام- بمنزلة الشجرة وجعلوا إسماعيل -عليه السلام- بمنزلة شجرة، وكذلك يفعل النسَّابون في النسب يجعلون الوالد بمنزلة الشجرة والأولاد بمنزلة أغصانها^(٥). وقال ابن فارس: ((السين والباء والطاء أصل صحيح واحد يدل على امتداد الشيء))^(٦). ويبدو أنّ من هذا أطلق اللغويون على وُلْدِ الولد اسم (سبط) قال ابن سيده: ((السبط ولد الابن والابنة.... وقيل أولاد الأولاد، وقيل: أولاد البنات))^(٧). قال الزمخشري: ((هو سببته وهم أسباطه، والحسن والحسين -عليه السلام- سبطا رسول الله - صلى الله عليه وآله - أي: ((طائفتان وقطعتان منه))^(٨). في قول الرسول الأكرم - صلى الله عليه وآله -: ((حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسيناً حسين سبط من الأسباط))^(٩). قال الصغاني: ((قال أبو بكر: حسين سبط من الأسباط أي: أمة من الأمم))^(١٠)، وقال ابن منظور: ((قال الزجاج: السببُ القرن الذي يجيء بعد القرن، والصحيح ان الأسباط

(١) ينظر: العين (سبط): ٢١٩ / ٧.

(٢) البيت من شواهد الخليل في معجم العين، ولم يذكر اسم الشاعر ولا سنة وفاته: ينظر: العين: ٢١٩ / ٧.

(٣) الرجز في ديوان العجاج: ٢٥٢، ومنسوب لرؤبة في الاشتقاق (ابن دريد): ١٢٢.

(٤) ينظر: الجماهر (سبط): ١١١ / ٢، و: تهذيب اللغة (سبط): ٢٣٩ / ١٢.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة (سبط): ٢٣٨ / ١٢، و: الصحاح (سبط): ١١٢٩ / ٣.

(٦) معجم مقاييس اللغة (سبط): ١٢٨ / ٣.

(٧) المحكم والمحيط الأعظم (سبط): ٤٣٩ / ٨.

(٨) أساس البلاغة: ٤٣٤ / ١، و: مجمع البحرين (سبط): ٢٥١ / ٤، و: المعجم الوسيط: ٤١٣.

(٩) مسند احمد: ١٧٢ / ٤، و: سنن الترمذي: ٣٢٤ / ٥، و: سنن ابن ماجّة: ٥١ / ١، و: بحار

الأنوار (المجلسي): ٢٦١ / ٤٣.

(١٠) العباب الزاخر واللباب أفاخر (السين): ٧٧.

في ولد إسحاق-عليه السلام- بمنزلة القبائل في ولد إسماعيل-عليه السلام- وولد كلِّ ولدٍ من
ولد إسحاق-عليه السلام- سبط، وولد كلِّ ولدٍ من أولاد إسماعيل-عليه السلام- قبيلة وإنما
سُمِّي هؤلاء بالأسباط وهؤلاء بالقبائل ليفصل بين ولد إسماعيل-عليه السلام- وولد إسحاق-
عليه السلام-))^(١). والسَّبَط تأتي بمعنى الشعر الذي لا جعودة فيه. وأما السَّبَط فهو نبات كالثلث
ينبت في الرمل^(٢).

البنية الصرفية للفظَة سَبَط :

(سبط) اسم ثلاثي مجرد خالٍ من حروف الزيادة، مشتق وليس جامداً، وقد ذكر اللغويون
أنَّ (سَبَط) مشتق من (السَّبَط)، وهو ضرب من الأشجار ترعاه الإبل يتصف بكونه كثير
الأغصان وأصله واحد، قال الأزهرى: ((السَّبَط مشتق من السَّبَط وهو ضرب من الأشجار
ترعاه الإبل، يقال: الشجرة لها قبائل، وكذلك الأسباط من السَّبَط كأنه جعل إسحاق-عليه
السلام- بمنزلة شجرة وجعل إسماعيل بمنزلة شجرة أخرى، وكذلك يفعل النسابون في النسب،
يجعلون الوالد بمنزلة الشجرة والأولاد بمنزلة أغصانها فهذا - والله أعلم - معنى الأسباط
والسبط))^(٣).

ولفظَة (سَبَط) من حيث المعنى تدلُّ على الجمع بيد أنَّها من حيث الأحكام تعامل معاملة المفرد
فتصغرُ على لفظها إذ تقول في تصغير سَبَط: سَبَيْط وتتسبب إلى لفظها إذ إنَّ النسب إلى سبط:
سَبَيْط، وهو من حيث التذكير والتأنيث يُعدُّ اسماً مذكراً إذ تقول: هذا سَبَيْط، وهذان سَبَيْط،
وهؤلاء سَبَيْط^(٤). فـ(سَبَيْط) على رأي براجشتراسر تشبه الجمع في أنه يعبرُ بها عن غير واحد
من الأفراد، وتشبه المفرد في أنها وإنَّ احتوت على عدد كثير فهي فرد يميز من غيره؛ لذلك
يمكن جمعه على أسباط^(٥)، وتثنيها على سبطين. وترى الدكتورَة باكرة أنَّ ((قوم وسببط
ورهُط... هذه الكلمات وجدت في اللغة على صورة المفرد ولكن معناها يدل على أكثر من
واحد))^(٦).

وترى أيضاً أنَّ في هذا إشارة إلى تطور اللغة واتساعها إذ قالت: ((وهذا مما يدل على أن
صورتها الأولى في اللغة كانت بلفظ واحد دائماً في كل أحوال الأفراد والجمع إلا أن اللغة

(١) ينظر: تهذيب اللغة (سبط): ١٢ / ٢٣٩، و: الصحاح (سبط): ٣ / ١١٢٩.

(٢) ينظر: إكمال الأعلام بتثليث الكلام: ٢ / ٢٩٢.

(٣) تهذيب اللغة (سبط): ١٢ / ٢٣٩، و: لسان العرب (سبط): ٤ / ٧٢٩.

(٤) ينظر: المصدر نفسه (سبط): ١٢ / ٢٤٠.

(٥) ينظر: التطور النحوي للغة العربية: ١٠٦.

(٦) ينظر: صيغ الجموع في العربية: ٥.

وأهم ما يلاحظ في هذه الآيات أن لفظة (سبط) وظفت فيها للدلالة على قبائل بني إسرائيل، وما يثبت هذا هو السياق القرآني الذي وردت فيه هذه اللفظة إذ إنها جاءت في سياق ذكر ما أنزل الله على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وذكر الأسباط وذكر بعدهم موسى وعيسى ومن جاء بعدهم من النبيين -عليهم السلام-، ولمّا كان الأسباط مجموعة وليس واحداً كما ذكرت آنفاً جاءت لفظة (سبط) في جميع هذه الموارد بصيغة الجمع. وأما في قوله تعالى:

﴿وَقَطَعْنَا لَهُمْ آيَاتِي عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَّامًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمَهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ﴾ (الأعراف من الآية: ١٦٠).

فقد ذكر الزمخشري في تفسير هذه الآية ان (قَطَعْنَا لَهُمْ) بمعنى: ((صَيَّرْنَا لَهُمْ قِطْعًا أَي: فَرَقًا وَمَيَّزْنَا بَعْضَهُمْ عَنْ بَعْضٍ لِقَلَّةِ الْأَلْفَةِ بَيْنَهُمْ وَلئلاَّ يَتَحَاسَدُوا فَيَقَعُ فِيهِمُ الْهَرَجُ وَالْمَرْجُ فَصَيَّرَهُمْ أُمَّامًا؛ لِأَنَّ كُلَّ سَبْطٍ كَانَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَجَمَاعَةً كَثِيفَةً الْعَدَدِ، وَكُلُّ وَاحِدَةٍ كَانَتْ تَوْمًا خِلَافَ مَا تَوْمُهُ الْآخَرَى وَلَا تَكَادُ تَأْتَلُفُ))^(١). هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن تقطيعهم إلى أسباط يسهل رجوعهم إلى رئيسهم لِيَخْفَ أمرهم على موسى -عليه السلام-؛ ولهذا فَجَّرَ لَهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ عَيْنًا؛ لِئلاَّ يَتَنَازَعُوا وَيَقْتَتِلُوا عَلَى الْمَاءِ فَجَعَلَ لِكُلِّ سَبْطٍ نَقِيبًا لِيَرْجِعُوا فِي أَمْرِهِمْ إِلَيْهِ^(٢). بيد أن اللغويين والمفسرين اختلفوا في إعراب لفظة (أسباط) إذ إنَّ ((مُقَسَّرٌ مَا بَيْنَ عَشْرَةِ إِلَى مِائَةٍ وَاحِدٌ مَنْصُوبٌ عَلَى التَّمْيِيزِ، فَيَتَنَاوَلُ هَذَا الْقَوْلُ أَحَدَ عَشْرٍ وَإِحْدَى عَشْرَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ وَتِسْعًا وَتِسْعِينَ وَمَا بَيْنَهُمَا... وَدَلَّ قَوْلِي: (وَاحِدٌ) عَلَى أَنَّ جَمْعَهُ وَهُوَ تَمْيِيزٌ لَا يَجُوزُ مَطْلَقًا))^(٣).

يتضح من هذا النص ان مفسر - مميّز - العدد ما فوق العشرة يكون مفرداً ولا يجوز أن يكون جمعاً إلا في حالة واحدة قال فيها ابن مالك: ((أجاز بعض العلماء ان يقول القائل: عندي عشرون دراهم لعشرين رجلاً، قاصداً لكل منهم عشرين درهماً))^(٤). وقد ردّ عليه بقوله: ((هذا إذا دعت الحاجة إليه فاستعماله حسن، وإن لم تستعمله العرب؛ لأنّه استعمال لا يفهم معناه بغيره ولا يجمع مميّز عشرين وبابه في غير هذا النوع))^(٥)؛ لذا كثرت الآراء في سبب مجيء (أسباط) بصيغة الجمع، فذهب الزجاج إلى أن المعنى: وقطعناهم اثنتي عشرة فرقة

(١) الكشف: ٢ / ١٨٦، وينظر: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: ١٥ / ٣٥، ٣٦، و: البحر المحيط: ٤ / ٤٠٦ .

(٢) ينظر: البحر المحيط: ٤ / ٤٠٦، و: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٣ / ٣٥٧ .

(٣) شرح تسهيل ألفوائد وتكميل المقاصد: ٢ / ٣٠٦ .

(٤) المصدر نفسه: ٢ / ٣٠٧ .

(٥) المصدر نفسه: ٢ / ٣٠٧ .

أسباطاً، فـ (أسباطاً) نعت لموصوف محذوف وهو الفرقة^(١). وذهب الزمخشري إلى أن (أسباطاً) تمييزٌ، ثم قال: ((فإن قلت مميز ما عدى العشرة مفرد، فما وجه مجيئه مجموعاً؟ وهلاً قيل: أثنى عشر سبطاً؟ قلت: لو قيل ذلك لم يكن تحقيقاً؛ لأنّ المراد: وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة، وكل قبيلة أسباطاً لا سبط، فوضع (أسباطاً) موضع قبيلة))^(٢)، ونظيرة قول الشاعر:^(٣)

بين رماحي مالك ونهشل

وقد ردّ عليه ابن مالك بقوله: ((فمقتضى ما ذهب إليه ان يقال: رأيت احد عشر أنعاماً، إذا أريد: إحدى عشرة جماعة كل واحدة فيها أنعاماً، ولا بأس برأيه في هذا لو ساعده استعمال، لكن قوله: كل قبيلة (أسباط) لا سبط، مخالف لما يقوله أهل العربية إن (السبط) في بني إسرائيل بمنزلة القبيلة من العرب، فعلى هذا معنى ﴿وَقَطَعْنَا هُمْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا﴾: قطعناهم اثنتي عشرة قبائل فـ (أسباطاً) واقع موقع قبائل لا موقع قبيلة فلا يصح كونه تمييزاً))^(٤).

ويرى ابن مالك أن (أسباطاً) بدل من (اثنتي عشرة)، والتمييز محذوف تقديره: (فرقة)^(٥). وتابعه على هذا الرأي: ابن هشام الأنصاري والشيخ الأزهري والأشموني من النحويين^(٦). والعكبري وأبو حيان الأندلسي والسمن الحلبي من المفسرين^(٧). وهو الرأي الذي يميل إليه الباحث. أما سبب تأنيث (اثنتي عشرة)، و (السبط) مذكر، فقد قال الفراء: ((فقال: (اثنتي عشرة) والسبط مذكر؛ لأنّ بعده (أمم)^(٨)، فذهب التأنيث إلى الأمم، ولو كان (اثني عشر) لتذكير السبط كان جائزاً))^(٩). ويرى ابن مالك أن هذا ((جائز إذا اتصل بالكلام ما يزداد به المعنى ظهوراً ويكثر معه قصد معنى التذكير، وأستشهد بقول الشاعر:^(١٠)

وكان مجني دون من كنت أتقي ثلاث شخوص كاعبان ومعصر^(١١)

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (الزجاج): ٢/ ٣٨٣، و: معالم التنزيل: ٢/ ٢٠٧، و: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: ٣٥/٥.

(٢) ينظر: الكشاف: ٢/ ١٦٨، و حاشية الصبان: ٤/ ٩٩.

(٣) الرجز لأبي النجم وهو من شواهد: العين: ٥/ ١٧٠، و: الجمهرة: ١/ ٦٥، و: خزائن الأدب: ٢/ ٣٩٤.

(٤) شرح تسهيل ألفوائد وتكميل المقاصد: ٢/ ٣٠٦.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٣٠٧.

(٦) ينظر: أوضح المسالك: ٣/ ٢٢٢، و: شرح التصريح على التوضيح: ٢/ ٤٦٢، و حاشية الصبان: ٤/ ٩٩.

(٧) ينظر: إملاء ما من به الرحمن: ١/ ٢٨٧، و: البحر المحيط: ٤/ ٤٠٦، و: الدر المصون: ٣/ ٣٥٧.

(٨) ذكر الفراء (أمماً) في حالة الرفع في حين أنها في القرآن الكريم منصوبة.

(٩) معاني القرآن (الفراء): ١/ ٣٩٧.

(١٠) الشاعر عمر بن أبي ربيعة، ديوانه: ١٠٠.

(١١) يقول انه أستتر من الرقباء بثلاث نسوة: كاعبان، والكاعب: التي نهد ثديها، ومعصر: التي دخلت في عصر الشباب.

فبقوله: (كاعبان، ومعصر) ترجيح التأنيث ولولا ذلك لقال: (ثلاثة شخوص)؛ لأنّ الشخص مذكر^(١))). في حين ذهب الزجاج إلى أن المعنى: اثنتي عشرة فرقة أسباطاً فالأسباط من نعت الفرقة والتأنيث في العدد إنما وقع لتقدير الفرقة في الكلام^(٢). وقد تابعه على هذا الرأي العكبري بيد أنه يرى أنّ التقدير: اثنتي عشرة أمة^(٣). ويميل الباحث إلى ترجيح الرأي الذي ذهب إليه الفراء وحجته في ذلك أنه تعالى صرّح في الآية التي تلي هذه الآية - موضع البحث - بإثّهم قطعهم أمماً من دون ذكر (أسباطاً) إذ قال تعالى: ﴿وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا﴾ (الأعراف من الآية: ١٨٦).

وعلى هذا فإنّ تأنيث (اثنتي عشرة) راجع إلى (أمماً) لا إلى (أسباطاً)؛ لذا قال الزمخشري: ((أمماً) بدل من (اثنتي عشرة) بمعنى: وقطعناهم أمماً^(٤)). وقال العكبري: ((أمماً) نعت لأسباط أو بدل من بدل))^(٥)، وتابعه على هذا الرأي: أبو حيان الأندلسي والسمن الحلبلي^(٦). وهو الرأي الذي يميل إليه الباحث وعلى هذا تكون (أسباطاً) بدل من (اثنتي عشرة) و(أمماً) بدل من (أسباطاً) والتميز محذوفاً. وإن (اثنتي عشرة) جاءت بصيغة المؤنث لذكر (أمماً) بعد قوله تعالى: (أسباطاً) فالتأنيث راجع إلى (أمماً). وقد ذكرت آنفاً أنّ (أمماً) قد تكون نعتاً أو بدلاً من (أسباطاً) وإنّ (أمماً) جمع أمة و(أسباطاً) جمع سبط وهذا يعني أنّ كل سبط أمة.

ومن استعمالات العرب لفظة (سبط) للدلالة على الأمة أو الجماعة من الناس قول الرسول الأعظم - صلى الله عليه وآله -: ((حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط))^(٧).

وفي هذا الحديث أكثر من قرينة تثبت أنّ (السبط) هنا استعملت للدلالة على الأمة، القرينة الأولى وهي قرينة عقلية، إذ قال الرسول - صلى الله عليه وآله -: ((حسين مني وأنا من حسين)). وهذا يعني ان الحسين - عليه السلام - هو نفس الرسول - صلى الله عليه وآله -، ولمّا كان الرسول - صلى الله عليه وآله - أفضل الأنبياء والمرسلين، ويؤكد هذا قوله - صلى الله عليه وآله -: ((أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأدم تحت لوائي ولا فخر))^(٨). فهذا يعني ان ما

(١) شرح الكافية الشافية: ١٨٩/٢ .

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (الزجاج): ٣٨٣ / ٢، و: معالم التنزيل: ٣٩٧/١، و: زاد المسير: ٢١١/٣ .

(٣) ينظر: إملاء ما من به الرحمن: ٢٨٧/١، و: الدر المصون: ٣٥٧/٣ .

(٤) الكشاف: ١٦٨/٢، و: ينظر: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: ٣٥/١٥ .

(٥) إملاء ما من به الرحمن: ٢٨٧/١ .

(٦) ينظر: البحر المحيط: ٤٠٦/٤، و: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٣٥٧ / ٣ .

(٧) مسند الإمام أحمد: ٣٢ / ٤، وسنن ابن ماجه: ٥٥٤/١، و: سنن الترمذي: ٦٥٨/٥، و: بحار

الأنوار: ٢٦١/٤٣ .

(٨) شرح صحيح مسلم (أبو زكريا النووي): ١٢١/١٥ .

وصفت به الأنبياء والمرسلين-عليهم السلام- يمكن ان يوصف به النبي-صلى الله عليه وآله- ، وبما أن نبي الله إبراهيم -عليه السلام- وصف بأنه أمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (النحل: ١٢٠).

فهذا يعني ان الرسول- صلى الله عليه وآله- يمكن ان يكون أمة أيضاً، وبما أن الحسين- عليه السلام- هو نفس الرسول-صلى الله عليه وآله- فهذا يعني انه يمكن ان يكون أمة. وهذا ما دلَّ عليه ذيل الحديث الشريف:(حسين سبط من الأسباط) الذي قال فيه الصغاني:(قال أبو بكر: أي أمة من الأمم)^(١). وفي هذا دليل يثبت أن (السبط) في هذا الحديث استعملت للدلالة على الجمع فضلاً عن ما ذكرته من دلالة(سبُط) على الجمع في الدلالة المعجمية.

يظهر مما ذكر ان لفظه (سبُط) استعملت في القرآن الكريم وفي كلام العرب للدلالة على مجموعة كبيرة من البشر ينتمون إلى أبٍ واحدٍ، وهو اسم أختص بأبناء يعقوب بن إسحاق- عليه السلام-، وان الأسباط في ولد إسحاق-عليه السلام- بمنزلة القبائل في ولد إسماعيل- عليه السلام-، وإنّ ولد كل ابن من أبناء إسماعيل-عليه السلام- قبيلة وولد كل ابن من أبناء إسحاق-عليه السلام- سبط، وإنما سمي هؤلاء بالأسباط وهؤلاء بالقبائل ليفصل بين ولد إسحاق-عليه السلام- وولد إسماعيل-عليه السلام-. وأما دلالة (السبُط) على ابن الابن أو ابن البنت فيبدو أنه من التطورات الدلالية التي رافقت لفظه(سبُط).

لفظة عاد

الدلالة المعجمية:

العَوْدُ: تثنية الأمر عوداً بعد بدءٍ، والعود: الرجوع إلى الشيء بعد الانصراف عنه^(٢)، والعَوْدُ: البعير المسن، والعود الطريق القديم، والعُود من الخشب واحد العيدان، والعود ذو الأوتار: الذي يضرب به^(٣)، والعادة: اسم لتكرير الفعل والانفعال حتى يصير ذلك سهلاً تعاطيه كالطبع أو هي حالة تتكرر على نهج واحد كالعادة في المرأة مثلاً^(٤). والمعاود: لفظ يطلق على الرجل الشجاع، والعائد: كل نفع يرجع إلى الإنسان من شيء ما. والعيد: ما

(١) العباب الزاخر واللباب أفاخر(حرف الطاء):٧٧.

(٢) ينظر: العين (عود): ٢٢٠/٢.

(٣) ينظر:الجمهرة(عود):١/٧٩٥ .

(٤) ينظر:تهيب اللغة(عود):٧٠٦/٢، و:المفردات في غريب اللغة:٣٦٦.

يعاود مرة بعد أخرى، وكل يوم مجمع من عاد يعود كأنهم عادوا إليه، وقيل : بل سمي عيداً؛ لأنهم اعتادوه^(١).

ولو رجعنا إلى الأصل الذي ترجع إليه جميع هذه المعاني؛ نجد أنها ترجع إلى أصل واحد وهو الرجوع إلى الشيء بعد الانصراف عنه. ويجري هذا القول على (العَوْد) الذي هو البعير المسن ((اعتباراً بمعادته السير في العمل أو بمعاداة السنين إياه وعود سنة بعد سنة عليه)^(٢)، وعلى (العَوْد) الذي هو الطريق القديم باعتبار أن المسافر يعود إليه كلما انصرف عنه^(٣). وأما العود من الخشب فقيل: ((هو في الأصل الخشب الذي من شأنه أن يعود إذا أُنقِطع))^(٤)، وقد يكون سبب تسميته بالعود؛ لأنك تضرب به الشاة أو غيرها من الدواب وتُثني الضربة بأخرى، فأنت تضربها مرة وتعود لتضربها أخرى وهكذا حتى تجد في السير أو تسرع في الركض. ويجري الأمر نفسه على الألة الموسيقية الوترية التي تسمى بـ (العود)؛ لأنك تضرب الوتر الأول منها بريشة أو نحوها وتضرب الوتر الذي يليه ثم الذي يليه وما إن تضرب الوتر الأخير حتى تعود لتضرب الوتر الأول وتجري العملية نفسها حتى ينتج عنها الصوت الموسيقي. وأما (العادة) فهي كما ذكرت آنفاً حالة تتكرر على نهج واحد كالمرأة التي ترى الدم في بداية الشهر ثم ينقطع عنها ومن ثم يعود في بداية الشهر الثاني وهكذا على مدار السنة لذا سميت بـ(العادة). وأما (المعاود) فهو لفظ أطلق على الرجل الشجاع؛ لأنه عاود الحرب مرة بعد أخرى^(٥). ويجري الأمر نفسه على كل لفظة تشتق من العود فـ(العائد)؛ لأنه يعود عليه بالنفع، و(العيد)؛ لأنه أياماً مخصوصة تعود على الإنسان في كل سنة، و(العيادة)؛ لأن المريض يعود إليها كلما حسَّ بألم أو أصابه مرض، وكذا باقي اشتقاقات لفظة عود.

وأما(عاد) فإنه اسم ضم ثلاث عشرة قبيلة^(٦)، ثم سميت باسم (عاد) الذي ينتهي نسبه إلى سام بن نوح -عليه السلام-^(٧)، وهي من قبائل الطبقة الأولى بحسب تقسيم الإخباريين لقدم القبائل العربية، فهي من العرب البائدة^(٨). ويكاد يتفق المؤرخون على أن هذه الطبقات تشتمل على أقدم القبائل العربية وهي (عاد) و(ثمود)^(٩).

(١) ينظر: مختار الصحاح: ٤٦١، و: المعجم الوجيز: ٤٣٩ .

(٢) المفردات في غريب اللغة: ٣٦٦ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٣٦٦.

(٤) المصدر نفسه: ٣٦٦ .

(٥) ينظر: لسان العرب(عود): ٧٠٦/٢ .

(٦) ينظر: المعارف(ابن قتيبة): ١٤ .

(٧) ينظر: تاريخ حضارة وادي الرافدين: ٣٩١/٢ .

(٨) ينظر: المصدر نفسه: ٣٩١. /٢ .

(٩) ينظر: المصدر نفسه: ٣٩١/٢ .

البنية الصرفية للفظه عاد :

(عاد) اسم ثلاثي معتل العين (أجوف) وكان أصل الفه (واوا) إذ (ليس في اللغة ع، ي، د)^(١)،

وكان سيبويه سمع إمالة هذا الاسم فقال: ((وسمعناهم يقولون من أهل عاد))^(٢). وقد فهم ابن سيدة من هذا القول إن أصل الألف ياء مما حدا به لأنّ يعلق على هذا القول بأن قال: ((لا يدل ذلك على أن الفها ياء لما قدمنا وإنما أمالوا لكسر الدال))^(٣). ومما يدلُّ على أن أصل الألف (واو) قولهم في: (قوم عود كما يقال: قوم عاد)^(٤) فضلاً عن هذا ان المعجمات اللغوية أوردت اسم (عاد) تحت مادة (عود)^(٥). وأما (العيد) الذي ذكرت معناه آنفاً فإن أصل الياء فيه (واو) وقد قلبت لكسرة العين^(٦). وقد أطلق الصرفيون على هذه العملية مصطلح (الإبدال).

و(عاد) على وزن (فعل)، وهو في الأصل اسم رجل^(٧)، وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح-عليه السلام-، وهو اسم عربي كما أنّ القوم عرب في أنفسهم وهو ما ذكره ابن السراج^(٨). ثم صار يطلق هذا الاسم على قومه وهو أمر جائز كما ذكرت سالفاً^(٩). ويؤيده قول ابن عصفور: ((اعلم أنّ أسماء القبائل لا تخلو أنّ تكون منقولة من اسم أب أو أم أو غير منقولة))^(١٠). وقال أيضاً: ((فإن قصدت به الحي صرفته إلا ان يكون فيه ما يوجب منع (الصرف))^(١١)، ولمّا لم يوجد فيه ما يوجب منعه من الصرف إذ ليس مع العلمية ما يمنع من ذلك لذا جاء منصرفاً في الاستعمال القرآني، قال الفراء: ((وعاد مجرى في كل القرآن لم يختلف فيه))^(١٢). وهذا يعني انه اسم للحي الذي سمي باسم الأب الأكبر^(١٣). قال النحاس:

(١) المحكم والمحيط الأعظم (عود): ٢/ ٣٢١، و: لسان العرب (عود): ٢/ ٧٠٦

(٢) كتاب سيبويه : ٤/ ١٢٢ .

(٣) المحكم والمحيط الأعظم (عود): ٣/ ٣٢٢ .

(٤) المحيط في اللغة (عود) : ٢/ ١٩٨ .

(٥) المحيط في اللغة : ٢/ ١٩٨ .

(٦) ينظر: العين (عود): ٢/ ٢٢٨، و: الجمهرة (عود): ١/ ٧٩٥ .

(٧) ينظر: الجمهرة (عود): ١/ ٧٩٥ .

(٨) ينظر: الإصول في النحو: ٢/ ٩٥ .

(٩) ينظر: الجمهرة (عود): ٢/ ٤٧٠ .

(١٠) ينظر: الإصول في النحو: ٢/ ٩٥ .

(١١) ينظر: ثمود، و: سبأ، و: قریش في هذا الحقل.

(١٢) شرح جمل الزجاجي (ابن عصفور): ٢/ ٢٣٤ .

(١٣) المصدر نفسه: ٢/ ٢٣٤ .

((صرف عاد وجعله اسماً للحي))^(١)، و((الحي مذكر مثلما ان الأب الذي سمي به القبيل مذكر أيضاً))^(٢).

ومع ما ذكر من صرفه وكونه مذكراً فإن العلماء ذكروا جواز إطلاقه والمراد به القبيلة فيصير حينئذ مؤنثاً^(٣)، قال ابن الأنباري: ((عاد يُدَكَّر ويؤنَّث فمن ذكَّره قال هو اسم للحي ومن أنثه قال هو اسم للأمة))^(٤)، فمن أراد به القبيلة لا بدَّ من أن يمنع من الصرف على الرغم من انه على ثلاثة أحرف ساكن أوسطها لأنه اسم مذكر سُمِّيَ به مؤنث وهو مذهب سيبويه إذ قال: ((فإن سميت المؤنث بعمر أو زيد لم يجز الصرف))^(٥)، وأورد شاهدين شعريين يظهر فيهما منع (عاد) من الصرف ليدل بهما وبغيرهما من الشواهد الأخرى التي ذكرها على أن مثل (عاد) إن أريد به اسماً للقبيلة منع صرفه وإن أريد به الحي صرف^(٦)، والشاهدان هما: قول زهير:^(٧)

ثُمَّ عَلَيْهِم مِّن يَمِينٍ وَأَشْمَلٍ بُحورٌ لَهُ مِّنْ عَهْدِ عَادٍ وَتُبَعَا

وقول الآخر:^(٨)

لَوْ شَهِدَ عَادٌ فِي زَمَانِ عَادٍ لِأَبْتَرَزَهَا مَبَارِكُ الْجَلَادِ

وما ذهب إليه سيبويه من منع صرف (عاد) نقل الكسائي سماعه عن بعض العرب^(٩)، وذكره الفراء أيضاً بقوله: ((وقد يترك إجراؤه اسماً للأمة التي هو منه))^(١٠)، وهو ما يراه النحاس إذ قال: ((ولو جعل اسماً للقبيلة لم ينصرف وإن كان على ثلاثة أحرف))^(١١).

وجدير بالذكر ان الشاهدين الشعريين اللذين أوردهما سيبويه مستدلاً بهما على منع صرف (عاد) وجَّه أبو البركات الأنباري المنع فيهما بسبب الضرورة الشعرية، فإنه قد يمنع صرف ما ينصرف من أجل ذلك^(١٢)، وهو حين يذهب هذا المذهب يؤيد الكوفيين في جواز

(١) معاني القرآن (الفراء): ١٩/٢.

(٢) ينظر: العلم في القرآن: ٢٧٥.

(٣) إعراب القرآن (النحاس): ٣٩٥/٣.

(٤) المقتضب: ٣٦١/٣.

(٥) ينظر: العلم في القرآن: ٢٧٥.

(٦) المذكر والمؤنث (ابن الأنباري): ٥٣٩.

(٧) كتاب سيبويه: ٢٤٢/٣.

(٨) ينظر: المصدر نفسه: ٢٥٠/٣.

(٩) البيت في كتاب سيبويه: ٢٥١/٣، منسوب إلى زهير ولم يذكر في ديوانه.

(١٠) البيت في كتاب سيبويه: ٢٥١/٣، و: شرح جمل الزجاجي (ابن عصفور): ٢٣٦/٢ من دون نسبة.

(١١) ينظر: معاني القرآن (الفراء): ١٩/٢.

(١٢) معاني القرآن (الفراء): ١٩/٢.

منع صرف ما ينصرف لضرورة الشعر^(١)، وهو مذهب صار إليه أبو الحسن الأخفش وأبو علي الفارسي^(٢).

وقد جاء ذكر(عاد) في القرآن الكريم أربعاً وعشرين مرةً استعملت في جميعها للدلالة على المجموعة البشرية التي عاصرت نبي الله هود-عليه السلام- الذي ظهر لينذر قومه ويردعهم عن تماديهم في عبادة الأوثان من دون الله، فقابلوه بالسخرية والاستهزاء، فغضب عليهم وأرسل عليهم الريح العقيم سلطها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوماً فأهلكهم وأبادهم^(٣)، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلَكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ❀ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ (الحاقة من الآيتين ٦٠٧).

ودلالة(عاد) على الجمع في هذه الآية واضحة وقد دلَّ على هذا ما توافر في هذا النص من القرائن إذ قال تعالى: (عادٌ) بالضم والتثوين منصرفة على أنها اسم الحي أو اسم الأب الذي سمي به الحي. والقريظة الثانية انه تعالى أعاد الضمير على(عاد) بصيغة الجمع في أكثر من موضع، إذ قال: (فأهلكوا)، و(عليهم)، ولو أراد من(عاد) الدلالة على المفرد لأعاد الضمير عليه بصيغة المفرد فيقول: (فأهلكه، وعليه). ولو أراد من(عاد) الدلالة على القبيلة لأعاد الضمير على (عاد) بصيغة المؤنث، فيقول: (فأهلكها، وعليها). ومثل هذا قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَدُّوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا وَاتَّبَعُوا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ❀ وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ (هود من الآيتين: ٥٩، ٦٠).

فجاءت(عادٌ) منصرفة أيضاً، وأعاد الضمير عليها بصيغة الجمع وهذا في قوله: (جدوا، وربهم، وعصوا، واتبعوا، وان عاد كفروا ربهم) فدلَّ كل هذا على أن (عاد) في هذه الآية دلت على الجمع أيضاً. ومن الموارد التي ذُكرت فيها لفظة(عاد) أيضاً قوله تعالى:

﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ (العنكبوت: ٣٨).

ودلالة (عاداً) و(ثموداً) على الجمع في هذه الآية واضحة وجليّة ولا مجال لشك والتقدير فيها إذ أعاد الضمير عليهما بصيغة الجمع في أكثر من مورد إذ قال: (مسكنهم، لهم، أعمالهم، فصددهم، كانوا مستبصرين). ولو أراد من (عاداً و(ثموداً) أسماء الأشخاص لأقتضى ذلك أن يعيد عليهم الضمير بصيغة المثنى فيقول: (مسكنهما، ولهما، وأعمالهما، وكانا مستبصرين)، ويجري الأمر نفسه لو قلنا إنَّ هناك محذوفاً والتقدير: (قبيلتا عاد و(ثمود)، إذ يقتضي ذلك

(١) إعراب القرآن (النحاس): ١٥٥ / ٣.

(٢) ينظر: الإتصاف في مسائل الخلاف: ٥٠٤ / ٢.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٥٠٤ / ٢.

تغيير الضمائر في هذه الألفاظ أيضاً فيخرج النص عن الصورة والصيغة التي نزل بها، فضلاً عن هذا ان (عاداً وثمروداً) في هذه الآية منصرفان ولو قدرنا انهما مضافان إلى قبيلة لأقتضى ذلك ان نمنعهما من الصرف للعلمية والتأنيث، فدل هذا على أن لا تقدير في هذه الآية. وأما سبب تقديم (عاداً) على (ثمروداً) فقد ذكر الدكتور فاضل السامرائي أن علة ذلك راجعة إلى كون (عاداً) أسبق من (ثمروداً) زمنياً^(١).

وأما لو قال قائل إن هناك محذوفاً تقديره (قوم) وإنّ (عاد) مضاف إليه و التقدير: (قوم عاد)، قلنا له إنّ (عاد) ذكرت في القرآن الكريم أربعاً وعشرين مرة ولم تضاف فيها إلى (قوم) أو ما شابه ذلك، فضلاً عن هذا أنها وردت في أكثر من أية معطوفة على لفظة مضافة إلى (قوم) ومع هذا فلم تضاف إلى (قوم) كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾ (إبراهيم من الآية ٩). فأضاف (نوح) إلى (قوم)، وعطف عليهم (عادٍ وثمرود) من دون ان يضيفهما إلى (قوم) ومثل هذا نجده في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِيَهُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمَ إِبْرَاهِيمَ﴾ (التوبة من الآية: ٧٠).

فعطف (عادٍ وثمرود) على (قوم نوح) من دون ان يضيفهما إلى (قوم)، ومن ثمّ عطف عليهما (قوم إبراهيم)، فأضاف (إبراهيم) إلى (قوم) ولم يضاف (عاد وثمرود) إلى (قوم)، فدل هذا على أن (نوح) و(إبراهيم) لا يراد منهما الدلالة على الجمع بل الدلالة على المفرد لذا عطفهما على ما يدل على الجمع وهو لفظة (قوم) في حين أنّ (عادٍ وثمرود) دلّتا بلفظيهما على الجمع لذا لم يضيفهما إلى ما يدل على الجمع وهذا ما نجده في جميع الموارد التي ذكرت فيها لفظة (عاد) في القرآن الكريم^(٢).

وفي ضوء ما تقدم يتبين لنا ان أصل (عاد): (عَوْد) وان الواو قلبت ألفاً لتحرّكها وفتح ما قبلها. و(عاد) هو اسم عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح -عليه السلام- وهو الأب الأكبر الذي سميت به القبيلة أو القوم أو الجماعة الذين ينتسبون إليه، و(عاد) ينصرف على إرادة الحي أو الأب الأكبر الذي سُمي به القوم، ويمنع من الصرف على إرادة القبيلة للعلمية والتأنيث .

وقد استعملت (عاد) في القرآن الكريم أربعاً وعشرين مرةً موصوفةً بالكفر والجحد وتكذيب الرسل والاستكبار في الأرض، فكان مصيرهم الهلاك وحلول العذاب. و(عاد) كثيراً ما تقرن بالأمم والجماعات التي كان مصيرها مثل ذلك المصير، ليكون في ذلك من العظة

(١) ينظر: التعبير القرآني: ٥٢.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٦٥١.

والاعتبار لمن يأتي بعدهم؛ لذا استعملت (عاد) للدلالة على الجمع في جميع الموارد التي ذكرت فيها بيد أنها لا تعد جمعاً؛ لأنّ بعض أحكام الجمع لا تجري عليها وهي في الوقت نفسه لا تعد مفرداً لأنّ بعض أحكام المفرد لا تجري عليها؛ فهي توصف بالجمع، ويعود عليها الضمير بصيغة الجمع، ويخبر عنها بصيغة الجمع أيضاً، فهي من حيث الاستعمال والدلالة تُعدّ جمعاً، ومن حيث القواعد التعليمية والميدان الصرفي تُعدّ اسم جمع. وأما مفرد (عاد) فلم يذكر احد من اللغويين ان (عاداً) لها مفرد من لفظها، فهي من الألفاظ التي تدلّ على الجمع وليس لها مفرد من لفظها.

وما ذكرته في لفظة (عاد) من القول يجري على لفظة (ثمود) التي أفلعت عن دراستها رغبة في الاختصار.

لفظة قریش

الدلالة المعجمية:

القرش: الجمع والكسب والضم من هاهنا وهاهنا بضم بعضه إلى بعض^(١). ومنه قولهم: تقرّش القوم إذا تجمعوا، وقرش لعياله ويقترش: أي يكتسب من هاهنا وهاهنا. وتقرّشت الرماح إذا تشابكت فصك بعضها ببعض فسمعت لها صوتاً^(٢). والمقرّشة: السنة الشديدة؛ لاجتماع الناس وانضمام حواشيهم وقواصيهم^(٣). والقرش: سمك بالبحار تغلب دواب البحر وتأكّلها وتخافها جميع الدواب^(٤). والتقرّيش هو التفتيش، يقال: يقرش عني أي يفتش عني^(٥). وسيتبين لنا في البنية الصرفية أن جميع هذه المعاني قد اشتركت في اشتقاق لفظة (قریش).

البنية الصرفية للفظ قریش :

(قریش) اسم رباعي وهو مشتق وليس جامداً بيد أنّ اللغويين قد اختلفوا في الأصل الذي أشتقت منه لفظة (قریش) فذهب بعضهم إلى أنها مشتقة من الجمع، قال الخليل: ((القرش: الجمع من هاهنا وهاهنا، بضم بعضه إلى بعض، وسميت قریش لتجمعها إلى مكة حين غلب عليها قصي بن كلاب))^(٦). وقيل: سميت قریش باسم صاحب عيرهم وهو قریش بن مخلد بن غالب بن فهر، فكانوا يقولون: قدمت عير قریش وخرجت عير قریش^(٧). وقيل: إنّ (قریش)

(١) ينظر: العين (قرش): ٣٩/٥، و: الجمهرة (قرش): ٤٠/٢ .

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (قرش): ٢٥٤/٨، و: أساس البلاغة: ٦٨ / ٢ .

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة (قرش): ٧٠/٥ .

(٤) ينظر: الصحاح (قرش): ١٠١٦/٣ .

(٥) ينظر: لسان العرب (قرش): ٤٢٠/٤، و: تاج العروس (قرش): ١٧٠/٩ .

(٦) العين (قرش): ٣٩/٥، وينظر: الأمالي (القالبي): ١٩٢/٢ .

(٧) ينظر: الجمهرة (قرش): ٣٩/٢، و: الصحاح (قرش): ١٠١٦/٣ .

مشتق من القَرش وهو الكسب؛ لأنهم كانوا أهل كسب وتجارة ولم يكونوا أصحاب زرع أو
ضرع^(١). وقيل: إنَّ (قريش) مشتق من القَرش وهي دابة من دواب البحر تخافها دواب البحر
كلها، وقيل: إنها سيدة الدواب إذا دنت وفتت الدواب كلها وإذا مشت مشت الدواب، وكذلك
(قريش) سادات الناس جاهلية وإسلاماً^(٢): وفي هذا المعنى قال الشاعر: (٣)

وقريش التي تسكن البحـر — ر بها سميت قريش قريشاً

وقد جوز أبو عمر الزاهد (ت ٣٤٥هـ) ان تكون (قريش) مشتقة من هذا كله إذ قال: (القَرش:
الجمع والقَرش: التجارة، والقَرش: صوت وقع الأسننة بعضها ببعض، ويجوز أن يكون اسم
قريش مأخوذاً من هذا كله)^(٤). فإذا كان أبو عمر الزاهد يميل إلى رأي توفيقى يجمع فيه بين
الآراء المذكورة فإن الزمخشري يرى أن الصحيح من هذه الآراء إنها سميت (قريش) من
القَرش وهو الجمع إذ قال: ((الصحيح انها سميت لاجتماعها من قولهم: فلان يتقرش مال فلان
أي: يجمعه شيئاً إلى شيء، وبقيت لفلان بقية متفرقة فهو يتقرشها))^(٥). وأكد هذا الرأي بقوله:
(وذلك أن قصي بن كلاب - واسمه: زيد، إنما سُمي قُصياً لاغترابه في أخواله بني عذره -
أتى مكة فتزوج بنت حليل بن حبشية الخزاعية أم عبد مناف وأخوته، وحالف خزاعة ثم أتى
بإخوته لامه بني عذره ومن شايعهم، فغلب بني بكر وجمع قريشاً بمكة فلذلك يقال له
مُجمَع)^(٦). واستشهد بقول الشاعر: (٧)

أبوكم قصي كان يدعى مُجمَعاً به جمع الله القبائل من فهر

وهناك من يرى أن (قريش) مشتقة من التقريش بمعنى التفتيش ومنه قولهم: يقرش عني
أي يفتش عني؛ وذلك ((لأنهم كانوا يفتشون عن ذوي الخلات من الحجاج وغيرهم ليسدوا
فاقتهم))^(٨).

والذي يميل إليه الباحث هو ما ذهب إليه أبو عمر الزاهد من أن جميع معاني لفظة (قرش
وقريش) اشتراك في اشتقاق لفظة (قريش) فهي من القَرش بمعنى الجمع؛ لأن قصي بن
كلاب جمعهم في مكة بعد ما كانوا متفرقين، وهي من القَرش بمعنى الكسب؛ لأن قريشاً لم

(١) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (الانباري): ١٢٠/٢ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٢٠/٢، و: الحل في إصلاح الخلل في كتاب الجمل (البطليوسي): ٢٩٢ .

(٣) البيت للشاعر للمشمخ بن عمرو الحميري، وينظر: تهذيب اللغة: ٢٥٤/٨، و: مقاييس اللغة: ٧٠/٥ .

(٤) العشرات في غريب اللغة: ١٣٧ .

(٥) الفائق في غريب الحديث: ٣٣٦/٢ .

(٦) المصدر نفسه: ٣٣٦/٢ .

(٧) الشاعر: مطرود بن كعب الخزاعي، ينظر: الجمهرة: ٣٩/٢، ولسان العرب: ٤٢٠/٤، و: تاج

العروس: ١٦٩/٩ .

(٨) نهاية الأرب في فنون الأدب (شهاب الدين النويري): ٣٥٢/٢ .

يكونوا أصحاب صناعة أو زراعة بل أصحاب كسب وتجارة، وهي بمعنى التقريش؛ لأنهم كانوا يفتشون عن ذوي الخلات من الحجاج ليسدوا خلتهم؛ ولأنهم يرون في أنفسهم أنهم سادات العرب وأمراء الشعوب وان عندهم تحط الركاب و تؤمهم العرب وغيرهم من جميع البلدان في كل عام لأداء مراسيم الحج والاجتماع في سوق عكاظ لذا سموا (قريش) وهو تصغير (قرش) تشبيها لهم بدابة البحر التي ذكرتها آنفاً.

ووزن (قريش) (فعليل) وهي لا تختلف عن (سبأ)، و(سبط)، و(عاد)، و(ثمود)، و(قوم)، في شيء فهي من حيث المعنى تدل على الجمع بيد أن أحكام الجمع لا تجري عليها وهي ليس لها مفرد من لفظها. وأما (قرشي) أو (قريشي) فهو ليس مفرداً للفظة (قريش) بل منسوب لها، ولأن أحكام المفرد تجري عليها فقد عُدَّت اسم جمع. قال الدكتور عباس حسن: ((يدخل في اسم الجمع قريش فإن مفرده قرشي فإذا قيل: قرشي وقرشي وقرشي كان معنى المعطوفات هو جماعة منسوبة إلى قبيلة قريش وهو معنى يختلف اختلافاً واسعاً عن معنى قريش فليس مدلول قبيلة قريش مساوياً مدلول جماعة منسوبة إلى قريش))^(١). و(قريش) ينصرف على إرادة الحي، قال سيبويه: ((أما أسماء الأحياء فنحو: معد وقريش وتقيف وكل شيء لا يجوز لك أن تقول فيه: بني فلان ولا هؤلاء بنو فلان. وإذا قالوا هذه تقيف وإنما أرادوا جماعة تقيف))^(٢). وقال ابن السراج: ((فإن جعلت قريش وأخواتها أسماء للقبائل جاز أن تقول: هؤلاء تقيف بن قسي. فتجعله اسم الحي وابن صفته))^(٣). وتمنع (قريش) من الصرف إذا أردنا بها اسم قبيلة، قال سيبويه: ((وإن شئت جعلت هذه الأسماء اسماً للقبيلة فلم تصرفها كلها وقلت: فلان من قريش يا هذا أو من معد يا هذا))^(٤). فتمنع من الصرف للعملية والتأنيث، قال الزجاج: ((الوجه الذي لا ينصرف فيه أن تجعله اسماً للمؤنث، فلم ينصرف لأنه معرفة وانه مؤنث.... وذلك نحو: تقيف وقريش))^(٥).

وقد ذكرت لفظة (قريش) في القرآن الكريم في مورد واحد وهو قوله تعالى:

﴿لَا يَلْفَافُ قُرَيْشٌ إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۖ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۗ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ (قريش: ١-٤).

وفي معنى (قريش) ذكر المفسرون أن (قريش) علم وهم بنو النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر، فكل من ولده النضر هو قرشي ومن لم يلد له النضر فليس

(١) النحو الوافي: ٤/٦٢٦، و: المهذب في التصريف: ٢٠٦.

(٢) كتاب سيبويه: ٣/٢٥٠، و ينظر: المقتضب: ٣/٣٦١، و: الأصول في النحو: ٢/١٠١.

(٣) الأصول في النحو: ٢/١٠١.

(٤) كتاب سيبويه: ٢/٢٦، وما ينصرف وما لا ينصرف: ٥٨.

(٥) ما ينصرف وما لا ينصرف: ٥٨، ٥٩.

بقرشي^(١). وقيل: هم بنو فهر بن مالك بن النضر فمن لم يلبده فهر فليس بقرشي^(٢). وقيل: هم بنو مخلد بن النضر وقد ضَعَفَ هذا الرأي كل من الطبرسي والآلوسي^(٣). وذكر القرطبي أن أصح الأقوال أن (قريش) هم بنو النضر لإظهار ما روي أنه (صلى الله عليه وآله) سئل: مَنْ قريش؟ فقال: (ولد النضر)^(٤). في حين يرى الآلوسي أن (قريش) هم بنو فهر بن مالك إذ قال: ((وقيل: ولد فهر بن مالك بن النضر وحكي ذلك عن الأكثرين بل قال الزبير بن بكار أجمع النسابون من قريش وغيرهم على أن قريشاً إنما تفرقت عن فهر واسمه عند غير واحد: قريش، وفهر به، ويكنى بأبي غالب)^(٥).

وفي هذه الآية أكثر من قرينة تثبت أن (قريش) تدل على الجمع، منها قوله تعالى: ﴿لِإِيْلَافِ قُرَيْشٍ﴾ بصرف (قريش) على أنها اسم الحي أو اسم الأب الذي سمي به الحي أو القبيلة. والقرينة الثانية انه تعالى أعاد الضمير على (قريش) بصيغة الجمع في أكثر من موضع إذ قال: (إلأفهم) بعد قوله ﴿لِإِيْلَافِ قُرَيْشٍ﴾، فأعاد الضمير على (قريش) بصيغة الجمع، ومثل هذا قوله: ﴿فليعبدو﴾، و﴿أطعمهم﴾، و﴿آمنهم﴾. ولو كانت لفظة (قريش) لا تدل على الجمع لم يسغ فيها هذا الاستعمال.

ومن استعمال (قريش) في كلام العرب لدلالة على الجمع قول الشاعر:^(٦)

زعمتم أن إخوتكم قريشٌ لهم إلف وليس لكم إلاف

فأسند الشاعر (قريش) إلى (إخوتكم) - وهي قرينة معنوية بين المسند والمسند إليه - و (إخوتكم) جاءت بصيغة الجمع، وهذا يثبت أن (قريش) في هذا الشاهد وظفت لدلالة على الجمع ولو لم تدل على الجمع لقال: إخوتكم القرشيون. فضلاً عن هذا انه أعاد الضمير عليهم بصيغة الجمع إذ قال: (لهم إلف). ومثل هذا قول الشاعر:^(٧)

يعود الفضل منك على قريش وتفرج عنهم الكرب الشدادا

فقال الشاعر بعد ذكر (قريش): (تفرج عنهم) فأعاد الضمير على (قريش) بصيغة الجمع، وهذا يثبت أن الشاعر أراد من (قريش) الدلالة على الجمع، ولو أراد منها الدلالة على المفرد لقال:

(١) ينظر: معاني القرآن (الفراء): ٢٩٣/٣، و: الوسيط في تفسير القرآن المجيد: ٥٥٧/٥.

(٢) ينظر: البحر المحيط: ٥١٢/٨، و: الدر المصون: ٥٢٧/٦.

(٣) مجمع البيان: ٤٥١/١٠، و: روح البيان: ٤٧٣/١٥.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ١٣٨/٢٠، و: البحر المحيط: ٥١٢/٨.

(٥) روح المعاني: ٤٧٣/١٥، و ينظر: المعارف (ابن قتيبة): ٣١.

(٦) البيت لمساور بن هند، ينظر: الكشاف: ٨١/٤، و: الجامع لأحكام القرآن: ٨١/٢٠، و: البحر المحيط:

٥١٤/٨.

(٧) البيت لجريير في ديوانه: ١٥٣.

(تفرج عنه) فيعود الضمير على (قريش) بصيغة المفرد. ولو أراد منها الدلالة على القبيلة لقال: تفرج عنها، بتأنيث الضمير.

يظهر من هذا أنّ لفظة (قريش) تدل على الجمع وليس على المفرد. وإنها إذا أُريد بها اسم الحي أو الأب الذي سميت به الجماعة أو القبيلة جاز صرفها وان أُريد بها اسم القبيلة منعت من الصرف للعلمية والتأنيث .

وإنّ (قريش) استعملت في القرآن الكريم وفي كلام العرب للدلالة على الجمع ولم تستعمل للدلالة على المفرد، ولأنّ أحكام الجمع لا تجري عليها لم تعد جمعاً. وان انطباق أحكام المفرد من تصغير ونسب وغيرها من أحكام المفرد عليها دفع النحويون إلى عدها اسم جمع .

و(قريش) ليس لها مفرد من لفظها، وأما(قرشي) فهو كما ذكرت أنفا لا يعد مفرد (قريش) وإنما هو واحد منسوب إلى قبيلة (قريش) وذكرت الدليل على ذلك في البنية الصرفية. ومن ثمّ فان (قريش) من حيث المعنى والدلالة والاستعمال تعد جمعاً ومن حيث وجهة النظر الصرفية تعد اسم جمع .

لفظة قوم

الدلالة المعجمية :

ذكر اللغويون أن لفظة (قوم) تطلق في اللغة على الرجال من دون النساء^(١)، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾ (الحجرات من الآية: ١١)، ويقول الشاعر زهير ابن ابي سلمى:^(٢)

وما ادري وسوف أخال ادري أقوم آل حصن أم نساء

وقيل: إنّه اسم يجمع الرجال والنساء؛ لأنّ قوم كل رجل شيعته وعشيرته^(٣)، واستدلوا بما ذكر في القرآن الكريم من (قوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم لوط...) ، فقد خُوطب الرجال والنساء^(٤). وقيل: إنّ (قوم) يشمل الرجال من دون النساء وربما دخل النساء فيه لأنّ قوم كل نبي رجال ونساء^(٥). وقيل: إنّ القوم في عامة القرآن أُريد بها الرجال والنساء جميعاً وحقيقته

(١) ينظر: العين(قوم): ٢٣١/٥، و: ما اتفق لفظه واختلف معناه: ٢٤٦.

(٢) ديوان زهير: ٧٣.

(٣) ينظر: الجمهرة(قوم): ٣٦٣/٢، و: الاشتقاق(ابن دريد): ٤٦، و: تاج العروس(قوم): ٥٩٣/١٧.

(٤) ينظر: الاشتقاق(ابن دريد): ٤٦ .

(٥) ينظر: الصحاح(قوم): ٢٠١٧/٥، و: لسان العرب(قوم): ٤٦٣/٧.

للرجال ؛ لما نبه عليه بقوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ (النساء من الآية ٣٤)^(١). قال ابن فارس: ((القاف والواو والميم أصلان صحيحان، يدل أحدهما على جماعة الناس وربما استعير في غيرهم، والآخر على انتصاب وعزم، فالأول: القوم، يقولون: جمع امرئ ولا يكون ذلك إلا للرجال... وأما الآخر فقولهم: قام قياماً، والقومة المرة الواحدة إذا انتصب... ومن الباب: قومت الشيء تقويماً... وأصله أنك تقيم هذا مقام ذلك))^(٢). و(القوم) ((سموا بذلك لأنهم قوامون على النساء بالأمور التي ليس للنساء أن يقمن بها))^(٣). وقيل: ((إنهم سموا (قوماً) لقيامهم بالعظائم والمهمات))^(٤). و((قوم الرجل أقرباؤه الذين يجتمعون معه في جد واحد، وقد يقيم الرجل بين الأجنبي فيسميهم قومه للمجاورة))^(٥). وقيل: ((قوم الرجل أقاربه عصبية ومن يكونوا بمنزلتهم تبعاً لهم))^(٦). و(القوم) كما ذكر السيوطي معناها الجمع ولا واحد لها من لفظها وواحد رجل أو امرؤ من غير لفظها^(٧).

البنية الصرفية للفظة قوم :

تتكون لفظة (قوم) من مقطعين صوتيين، الأول: مقطع طويل مغلق، والثاني: مقطع قصير مفتوح وذلك على الوجه الآتي :

ق — و / م — ة .

و(قوم) في الأصل مصدر قام يقوم قوماً وقياماً وقومة، قال ابن السراج: ((الأصل في قام: قَوْمَ ثم قلبت الواو الفاء ساكنة))^(٨). وقد علل ابن جني سبب إبدال الواو الفاء بقوله: ((كان الأصل في قام قَوْمَ وخاف خَوْفَ وباع بِيَعَ فلما اجتمعت ثلاثة أشياء متجانسة وهي الفتحة والواو أو الياء وحركة الواو والياء كره اجتماع ثلاثة أشياء متقاربة فهربوا من الواو والياء إلى لفظٍ تؤمن فيه الحركة وهو الألف وسوغها أيضاً انفتاح ما قبلها فهذا هو العلة في قلب

(١) ينظر: المفردات في ألفاظ القرآن: ٤٣٤ .

(٢) معجم مقاييس اللغة (قوم): ٤٣/٥ .

(٣) لسان العرب (قوم): ٤٦٣/٧ .

(٤) المصباح المنير: ٥٢٠/٢، و: اقرب الموارد: ٤٤٤/٤ .

(٥) المصباح المنير: ٥٢٠/٢ .

(٦) المعجم الوسيط: ٧٦٨ .

(٧) ينظر: المزهرة: ١٧٨/٢ .

(٨) الإصول في النحو: ٢٥٤/٣، وينظر: الخصائص: ٤٧١/٢ .

الواو والياء في نحو: قام وباع))^(١). وبذا فـ (قوم) اسم ثلاثي مجرد معتل العين (أجوف)، مشتقٌ وليس جامداً بيد أن اللغويين اختلفوا في الأصل الذي أشتق منه كما بيّنت في الدلالة المعجمية. وقد أجمع اللغويون على أن (قوم) ليس له مفرد من لفظه^(٢)، قال الرضي: ((أما ما لا يجيء من تركيبه لفظٌ يقع على المفرد كـ... نفر والرهط والقوم فلا خلاف في انها اسم جمع وليست بجمع))^(٣). وقال الشيخ خالد الأزهرى: ((اسم الجمع هو ما دل على الجمع وليس له مفرد من لفظه غالباً كـ قوم))^(٤).

ويرى براجشتراسر أن لفظة (قوم) معناها بين معنى الجمع ومعنى الإفراد، فهي تشبه الجمع في أنه يعبر بها عن غير واحد من الأفراد، وتشبه المفرد في أن (قوم) مثلاً وإن احتوى على عدد كثير من الناس، فهو فرد يميز عن غيره؛ لذا يمكن جمعه على أقوام^(٥). وقد أطلق براجشتراسر على اللفظ الذي يدل على الجمع وليس له مفرد من لفظه مصطلح اسم الجملة ويرى أن أصل جمع التكسير اسم الجملة^(٦).

وترى الدكتورة باكزة أن الألفاظ التي تدل على الجمع من دون أن يضاف إليها شيء من زيادة أو علامة ولم يغير بناء لفظها إلا في مراحل تالية لتوسع اللغة كـ (قوم، ورهط، وسيبط....) هذه الكلمات وجدت على صورة المفرد ولكن معناها يدل على أكثر من واحد؛ مما يدل على أن صورتها الأولى في اللغة كانت بلفظ واحد دائماً إلا أن اللغة وهي تتطور وتتسع أجازة إخضاع هذه الألفاظ للإفراد والجمع على الأقيسة التي عرفتها فكان منها المفرد والمثنى والمجموع^(٧). وهكذا نرى إن الدكتورة باكزة توافق براجشتراسر فيما ذهب إليه وهو أن أصل جموع التكسير أسماء الجموع، ويتضح هذا من قولها: ((وتقودنا هذه الحقيقة إلى تلك المرحلة في تاريخ اللغة التي لم تكن فيها صيغ الجموع وأوزانه قد وجدت أو استقرت بعد وان المعنى كان وحده هو الفارق بين اللفظ الواحد الذي يصح أن يكون مفرداً مرةً وجمعاً أخرى))^(٨).

ولفظة (قوم) من حيث الدلالة تدل على الجمع بيد أن أحكام الجمع لا تجري عليها لذا لم يعدها الصرفيون جمعاً، ولأن أحكام المفرد من تصغير ونسب وتذكير وتأنيث تنطبق على لفظة (قوم) فقد عدّها الصرفيون اسم جمع. إذ إن (قوم) تصغر على لفظها، قال سيبويه:

(١) سر صناعة الإعراب: ٢٢/١، وينظر: الخصائص: ٤٧٢/٢، و: دقائق اللغة: ٢٨٥.
(٢) ينظر: كتاب سيبويه: ٤٩٤/٣، و: شرح التصريح على التوضيح: ٤٩٤/٢، و: حاشية الصبان: ٩٠/٤.
(٣) شرح شافية ابن الحاجب: ٢٠٤/٢.
(٤) شرح التصريح على التوضيح: ٤٩٤/٢.
(٥) ينظر: التطور النحوي للغة العربية: ١٠٦ - ١٠٧.
(٦) ينظر: التطور النحوي للغة العربية: ١٠٦.
(٧) ينظر: صيغ الجموع في العربية: ٥ - ٨.
(٨) المصدر نفسه: ٨.

((تقول في تحقير قوم: قَوْمٌ؛ لأنه لم يكسر عليه واحد للجمع ولكنه شيء واحد يقع على الجميع فتحقيره كتحقير الاسم الذي يقع على الواحد))^(١). ولو كانت (قوم) جمعاً لوجب أن ترد إلى مفرداها كي تصغَّر. وهي تنسب إلى لفظها أيضاً، قال السيوطي: ((إذا نسب إلى اسم الجمع... نُسِبَ إليه على لفظه كما تنسب إلى الواحد فيقال في قوم: قومي))^(٢).

وأما من حيث التذكير والتأنيث فإنَّ لفظة (قوم) يجوز فيها التذكير والتأنيث إذ إنَّها تذكر على الجمع وتؤنث على الجماعة. ففي قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الشعراء: ١٠٥). ذكر المبرد ((انه أنت الفعل لأتَّهم جماعة فتقديره كذبت جماعة قوم نوح أو جماعة نوح وكل ذلك جيد))^(٣). وقد ذكر أبو عبيدة انه يقال: ((هذه قومك، وجاء قومك))^(٤). ويرى الدكتور عبد الكاظم الياسري أن ((مسألة تأنيث الفعل تتصل بنوع الفاعل فالجمع المكسَّر مثل (قوم، ورجال، ونسوة) يستعمل معها مذكر ومؤنث، وهو جائز لإرادة الجماعة والجمع))^(٥). وعلى هذا فإنَّ لفظة (قوم) كما ذكر الغلابيني تعامل معاملة المفرد باعتبار لفظه ومعاملة الجمع باعتبار معناه، فنقول: القوم سار أو ساروا، ويأبئها القوم كف عنا أو كفوا عنا. فباعتبار انه مفرد يجوز جمعه كما تجمع المفرد، فيجمع قوم على أقوام^(٦).

وقد ذكرت لفظة (قوم) في القرآن الكريم في ثلاثمائة وخمسة وثلاثين مورداً استعملت في جميعها للدلالة على الجمع ولم تستعمل دالة على المفرد قط، منها قوله تعالى في قصة شعيب: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ (الأعراف: ٩٣).

في هذه أكثر من قرينة تثبت أنَّ لفظة (قوم) تدل على الجمع منها: سياق الخطاب الذي وردت فيه هذه الآية، إذا قال تعالى: (فتولى عنه)، فدل هذا على أنَّ المخاطبين مجموعة وليس مفرداً، ثم انه تعالى أعاد الضمير عليهم بصيغة الجمع إذ قال: (أبلغتكم)، و(لكم)، فضلاً عن هذا انه تعالى وصفهم بلفظة (كافرين) فقال: (قوم كافرين) التي جاءت بصيغة المجمع فكل هذا يثبت أنَّ لفظة (قوم) في هذه الآية دلت على الجمع. ومثل هذا قوله تعالى في قصة صالح- عليه السلام-: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ (الأعراف: ٧٩).

(١) كتاب سيبويه: ٤٩٤/٣، و ينظر: الإصول في النحو: ٥٣/٣.

(٢) همع الهوامع: ٤٠٥/٣.

(٣) المذكر والمؤنث (المبرد): ٨٧، و ينظر: المذكر والمؤنث (السجستاني): ٢٠٨.

(٤) مجاز القرآن: ١٥/١.

(٥) البحث اللغوي في كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١٣٠.

(٦) ينظر: جامع الدروس العربية: ٢١٠.

فما ذكرته أنفاً يجري على هذه الآية. ومما يلفت النظر في هذه الآية انه تعالى افرد الرسالة مع نبي الله صالح -عليه السلام- وجمعها مع نبي الله شعيب -عليه السلام- فقال: (رسالات) ، وقد علل الدكتور فاضل السامرائي سبب ذلك بقوله: (وذلك إن شعيباً -عليه السلام- بُعثَ إلى أمتين؛ مدين وأصحاب الأيكة، وصالحاً -عليه السلام- بُعثَ إلى أمة واحدة^(١)). ومثل هذا قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَانِبِينَ﴾ (الأعراف: ٦٦)، فقوله تعالى: (الملا) ووصفها بـ (الذين كفروا)، وقوله بعد ذلك (من قومه) دليل على أن (القوم) في هذه الآية جمعاً وليس مفرداً فضلاً عن ذلك انه تعالى أعاد الضمير عليهم بصيغة الجمع إذ قال: (انا) و(النراك). ويتكرر القول نفسه في قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الأعراف: ٦٠). بيد أنه تعالى زاد (الذين كفروا) على ملا قوم هود دون ملا قوم نوح، وقد علل سبب ذلك الزمخشري بقوله: ((فإن قلت: لم وصف الملا بـ(الذين كفروا) دون الملا من قوم نوح؟ قلت: كان في أشرف قوم هود من آمن به؛ منهم: مرثد بن سعد الذي اسلم وكان يكتنم إسلامه... ولم يكن في أشرف قوم نوح مؤمن^(٢))).

ومن استعمال (قوم) لدلالة على الجمع أيضاً قوله تعالى: ﴿فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (المؤمنون من الآية: ٤١) بتعريف (القوم) ووصفهم بـ (الظالمين) التي جاءت بصيغة الجمع ، وقوله تعالى ﴿فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (المؤمنون من الآية ٤٤)، بتكثير (قوم) ،وقد علل المفسرون سبب ذلك بأن الأولى في قوم معينين وهم قوم صالح -عليه السلام- ودل على ذلك السياق الذي وردت فيه هذه الآية فعرفهم وأما الثانية فلم تكن في قوم معينين بدليل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرُونًا آخَرِينَ﴾ (المؤمنون: ٤٢) فخصهم بالكرة^(٣) . وفي قوله تعالى : ﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٩)، ندرك أن(القوم) يشكلون أكثر من امة. وفي قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾ (الحجرات من الآية ١١).

قال النحاس: ((لا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ)) جزم بالنهي. وروي عن الضحاك عن ابن عباس أن بعضهم كان يقول لبعض انك لغير رشيد وما أشبه ذلك يستهزئ به فنزلت هذه الآية^(٤). وقال الفراء: ((نزلت هذه الآية في قيس بن ثابت الأتصاري الذي سخر من رجل كان جالساً

(١) التعبير القرآني: ٤٤.

(٢) الكشاف: ٤٥٤/١، وينظر: التعبير القرآني: ١٠٧.

(٣) ينظر: البرهان (الكرماني): ٣٣٨، و: درة التنزيل: ٣١٦، و: التعبير القرآني: ١٧٤.

(٤) إعراب القرآن (النحاس): ٢٠٥/٣.

بقرب النبي -صلى الله عليه وآله- فعيره بذكر أم له كان يعير بها في الجاهلية^(١). وفي قوله تعالى: ﴿ولا نساء من نساء﴾ قال الطبرسي: ((نزلت هذه الآية في بعض نساء النبي -صلى الله عليه وآله- لأنهن سخرن من أم سلمة))^(٢). وقد استدلت اللغويون من هذه الآية أن (القوم) يشمل الرجال من دون النساء؛ لأنه تعالى قال: ﴿ولا نساء من نساء﴾ بعد قوله: ﴿لا يسخر قوم من قوم﴾ إذ قال الخليل: ((القوم: الرجال دون النساء))^(٣). وذكر الآية. وتابعهم على هذا الرأي بعض المفسرين، إذ قال ابن عطية: ((هذه الآية تقتضي اختصاص القوم بالذكران))^(٤). أقول: لو سلمنا بهذا الرأي لاستلزم ذلك أن نقول إن جبرائيل وميكائيل -عليهما السلام- ليسا من الملائكة؛ وذلك لقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٩٨). إذ إنه تعالى ذكر جبرائيل وميكائيل -عليهما السلام- بعد ذكر الملائكة. وإن نعدَّ الرمان ليس من الفاكهة؛ وذلك لقوله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ (الرحمن: ٦٨)، إذ إنه تعالى ذكر الرمان بعد ذكر الفاكهة. في حين أنا لو رجعنا إلى المفسرين نجدهم يقولون: إنَّ جبرائيل وميكائيل -عليهما السلام- من الملائكة، وإن الله تعالى أخرجهما من جملة الملائكة بالذكر تخصيصاً لهما وبياناً لفضلهما^(٥)، قال السمين الحلبي: ((ذكر جبرائيل وميكائيل -عليهما السلام- بعد ذكر الملائكة تنبيهاً على فضلها على غيرهما من الملائكة، وهكذا كل ذكر خاص بعد ذكر عام، وهذا الحكم - أعني ذكر الخاص بعد ذكر العام - مختص بالواو ولا يجوز في غيرها من حروف العطف))^(٦). ومثل هذا نجده في قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾؛ إذ قال الأزهري: ((الرمان: معروف من الفواكه، ويقول القائل لا يعرف بالعربية وحدودها إنَّ الله غز وجل قال: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ﴾، ثم قال: ﴿وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ دلَّ بالواو أن (النخل والرمان) غير الفاكهة لأنَّ الواو تعطف جملة على جملة، قلت: هذا جهل بكلام العرب، والواو دخلت للاختصاص وإن عطف بها، والعرب تذكر الشيء جملة ثم تختص من الجملة شيئاً تفضيلاً له وتنبيهاً له على ما فيه من الأفضلية))^(٧).

(١) معاني القرآن (الفراء): ٧٢/٣، و ينظر: مجمع البيان: ٢٢٤/٩.

(٢) مجمع البيان: ٢٢٤/٩.

(٣) العين (قوم): ٥/٢٣١، و ينظر: تهذيب اللغة (قوم): ٢٦٨/٩، و: الصحاح (قوم): ٥/٢٠١٧.

(٤) المحرر الوجيز: ١٥٠/٥، و: وزاد المسير: ٢٢٦/٧، و: روح المعاني: ٣٠٤/١٣.

(٥) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد: ١٨٠/١، و: المحرر الوجيز: ١٨٤/١، و: الجامع لأحكام القرآن: ٢٧/٢.

(٦) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٣١٥/١.

(٧) تهذيب اللغة (رمن): ١٨٦/١٥.

وقال الألوسي: ((عطف الأخيرين على الفاكهة عطف جبريل وميكال -عليه السلام- على الملائكة بياناً لفضلهما))^(١).

نستدل من هذا أنّ ذِكْرَ الخاص بعد ذكر العام والفصل بينهما بحرف العطف (الواو) لا يعني إخراج الثاني من جنس الأول؛ وإنما لبيان ميزة امتياز بها الثاني على الأول . ولمّا كانت النساء تمتاز بكونها أكثر حساسية وتأثر من الرجال إذا ما سخر منها شخص أو أراد أحد ما أن يذكر عيباً من عيوبها لذا خصها الله بالذكر تنبيهاً على هذه الصفة فقال: ﴿وَلَا نِسَاءَ مِنْ نِسَاءٍ﴾ بعد قوله: ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾ وهذا ما أكده الألوسي في قوله: ((وَلَا نِسَاءَ مِنْ نِسَاءٍ﴾ أي لا يسخر نساء من المؤمنات من نساء))^(٢).

وبذا يتضح لنا أن (النساء) من جنس (القوم) وان تخصيصها بالذكر بعد قوله تعالى: ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾ هو للتنبيه على ماتمّاز به (النساء) في كونها أكثر حساسية وتأثر من الرجال إذا ما سخر منها أحد.

وما يؤكد هذا السياق الذي وردت فيه لفظة (قوم) إذ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (الرعد من الآية: ١٧)، وقوله تعالى: ﴿قَرَأْنَا عَرَبِيًّا وَقَوْمًا يَعْلَمُونَ﴾ (فصلت من الآية: ٢)، وقوله تعالى: ﴿وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ﴾ (النحل من الآية: ٢٤). ((فالإنذار والقرآن والسجدة غير مختص بالرجال بل تعم الرجال والنساء))^(٣). فضلاً عن هذا أن (القوم) أضيفت إلى الأنبياء فقال تعالى: (قوم نوح، وقوم صالح، و قوم لوط.....) والأنبياء لم يبعثوا إلى الرجال فقط بل إلى جميع أصناف البشر، فدل هذا على أن (النساء) من جنس القوم. ومن استعمال (قوم) للدلالة على الجمع في كلام العرب ؛ قول زهير بن أبي سلمى^(٤).

متى يشتجر قومٌ يفلُّ سرواتهم هم بيننا فهمُ رضىً وهمُ عدلٌ

ودلالة (قوم) على الجمع في هذا الشاهد واضحة إذا أعاد الضمير عليهم بصيغة الجمع في قوله: (سرواتهم)، و(هم).

وفي ضوء ما تقدم يتبين لنا أنّ لفظة (قوم) استعملت في القرآن الكريم للدلالة على الجمع ولم تستعمل للدلالة على المفرد. وانها تشمل الرجال والنساء جميعاً، وهذا ما دلّ عليه السياق القرآني والقرائن اللفظية والمعنوية التي توافرت في النصوص التي ذكرت فيها لفظة (قوم) . وأما تخصيص النساء بالذكر بعد ذكر القوم في قوله تعالى: ﴿وَلَا نِسَاءَ مِنْ نِسَاءٍ﴾ فإنها كما

(١) روح المعاني: ١٤ / ١٢١.

(٢) روح المعاني: ١٣ / ٣٠٤.

(٣) التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ٩ / ٣٨٣.

(٤) ديوان زهير بن أبي سلمى: ١٠٧.

ذكرت آنفاً لبيان صفة تمتاز بها النساء على الرجال وهي كونها أكثر حساسية وتأثر من الرجال إذا ما سخر منها أحد أو ذكر عيباً من عيوبها. ولفظة (قوم) ليس لها مفرد من لفظها، وهي على وزن (فَعْل)، و(قوم) مصدر استعمل للدلالة على الجمع بيد أن أحكام الجمع لا تجري عليه؛ ولأن أحكام المفرد من تصغير ونسب وتذكير وتأنيث وغيرها من الأحكام تجري على لفظة (قوم) لذا عُدَّت جمعاً من حيث الدلالة واسم جمع من حيث الجانب الصرفي

وفيما يأتي جدول في الألفاظ الشائعة في هذا الفصل، ووزنها، وحكمها، وعدد مرات ورودها في الذكر العطر:

اللفظة	وزنها	حكمها	ورودها
أمة	فُعْلَة	اسم جمع	٤٩
سباً	فَعْل	جمع سماعي أو جمع تكسير غير مطرد	٢
سبِط	فِعْل	اسم جمع	٥
عاد	فَعْل	جمع سماعي أو تكسير غير مطرد	٢٤
قريش	فَعِيل	اسم جمع	١
قوم	فَعْل	جمع من حيث الدلالة	٣٣٥

	واسم جمع من حيث التطبيق		
--	----------------------------	--	--

ملحق

في الألفاظ التي تدل على الجمع وليس لها مفرد من لفظها

حقب.

شعب .

شيعة .

فصيحة .

قبيلة .

عزير .

عشيرة .

لبدة .

فيما يأتي ملحق في ألفاظ تدلُّ على الجمع، ولم يذكر اللغويون إن كان لها مفرد من لفظها أم لم يكن، وثبت للباحث من خلال الاستقراء والتطبيق على السياق القرآني أنها من الألفاظ التي تدلُّ على الجمع وليس لها مفرد من لفظها وهي مرتبة هجائياً كما يأتي:

أولاً : لفظة (الحقبة)

ذكر اللغويون أنَّ الحقبة من الدهر: مُدَّة لا وقت محدد لها، والحقبة بالكسر السنة والجمع حُقب وحقوب. و(الْحِقْبَةُ) ثمانون سنة، وقيل أكثر من ذلك^(١).

وقد ذكرت لفظة (حُقب) في القرآن الكريم مرتين، الأولى في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ (الكهف: ٦٠)، والثانية في قوله تعالى: ﴿لَا بَيْتِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ (النبا: ٢٣).

ثانياً : لفظة (شعب)

^(١) ينظر: العين (حقب): ٥٣ / ٣ ، ولسان العرب (حقب): ٣٠٦ / ١.

الشَّعْبُ: الصدع، وشعبت بينهم أي: فرقتهم، و(الشَّعْبُ) ما تشعب من قبائل العرب، وجمعه شعوب، يقال: العرب شعب، والترك شعب. و(الشَّعْبُ) أكبر من القبيلة^(١).
و(الشَّعْبُ) اسم جمع لا جمعاً؛ لأنه تضمن معنى الجمع غير أنه لا واحد له من لفظه وإنما واحده من معناه وهو رجل أو امرأة^(٢).

وقد ذكرت لفظة (شعب) في القرآن الكريم مرّةً واحدة بصيغة الجمع في قوله تعالى:
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

ثالثاً: لفظة (شيعة)

شيعة الرجل: ((هم الجماعة المائلة إليه من محبتهم له، وأصلها من الشيع؛ وهي الحطب الدقاق التي تجعل مع الجزل في النار لتشتعل كأنه يجعلها تابعاً للحطب الجزل لتشرق))^(٣).
والشيع أيضاً ((الانتشار والتقوية، يقال: شاع الخبر؛ أي: كثر وقوي، وشاع القوم انتشروا

وكتروا، وشيعت النار بالحطب قويتها))^(٤).

ويبدو أنّ الدلالة المادية للفظ (شيعة) على صلة وشيعة بالدلالة المعنوية، إذ إن (الشيعة) هم ((من يتقوى بهم الإنسان وينتشرون عنه))^(٥).

وقد استعملت هذه اللفظة في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة للدلالة على الجماعة التي يشدها فكر واحد، و((كانت من الألفاظ عالية الإيحاء، إذ تحمل هذه اللفظة - كمدلولها - حركة من المدّ الروحي))^(٦).

ومن هذا قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ ﴿٤﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٥﴾﴾ (الصفافات: ٧٩-٨٤).

أي: إنّ إبراهيم (عليه السلام) على هداه وفكره وطريقته، و((تنماز هذه اللفظة بحفزها الدلالي إلى الوعي الفكري المعرفي بإصول الاعتقاد الديني ولوازم الإيمان، وقد أكدت الآية على أهمها وهو القلب السليم))^(١).

(١) ينظر: العين (شعب): ٢٦٤/١، و: أصلاح المنطق: ١٩٢، و: أدب الكاتب: ١٤٩.

(٢) ينظر: جامع الدروس العربية: ٢١٠.

(٣) الفروق اللغوية: ٢٣١.

(٤) المفردات: ٢٨٠.

(٥) المصدر نفسه: ٢٨٠.

(٦) الدلالة النفسية للألفاظ: ١٣٨.

وتشير اللفظة إلى حالة من فناء الذات في المجموع، كما في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ (القصص: ١٥).

فإنَّ موسى (عليه السلام) عندما أستغيث أغاث راغباً متفانياً، وهذا يؤكد قوة الصلة المادية لأصل لفظه (شيعة) والدلالة المعنوية لها التي تنتهي إلى دلالة التفاني والتضحية دون أفراد هذه الشيعة أو تلك فضلاً عن ((دخول في القداسة عن طريق بيع النفس لله والمبايعة على الموت، والخروج إلى قضية الله))^(٢).

وهذا ما يميز لفظه (شيعة) من غيرها من ألفاظ الفرق والجماعات الأخر. وقد دخل على لفظه (شيعة) تطور دلالي ضيق من مدلولها بحيث إذا أطلقت انصرف الذهن إلى أتباع الإمام علي ابن أبي طالب (عليه السلام) من دون غيره .

رابعاً : لفظه (فصيلة)

(الفصيلة): القطعة من أعضاء الجسد، وفصيطة الرجل: عشيرته ورهطه الأذنون، وقيل: أقرب آبائه إليه. و(الفصيطة) أقل عدداً من القبيلة^(٣). وقد ذكرت لفظه (فصيطة) في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾ (المعارج: ١٣).

خامساً : لفظه (قبيلة)

(القبيلة): من الناس بنو أب واحد، و(القبيلة) من العرب بمنزلة (السَّبَط) من بني إسرائيل.

وإنما سمي وُلد إسماعيل (عليه السلام) قبيلة، وسمي وُلد إسحاق (عليه السلام) (سببط)؛ ليفصل بين وُلد إسماعيل (عليه السلام) ووُلد إسحاق (عليه السلام) وقد بيَّنت سبب ذلك في لفظه (سببط)^(٤).

(١) الرسالة نفسها : ١٣٨.

(٢) التفسير الصوفي للقرآن الكريم عند الإمام الصادق (ع): (د. علي زيعور) : ٢٣.

(٣) ينظر: أدب الكاتب: ١٤٩.

(٤) ينظر: لفظه (سببط) في القل السابع من هذه الرسالة.

و((القبيلة) أصغر من (الشَّعْب) وأكبر من (الفصيلة، والعمارة، والبطن، والفخذ))^(١).
وقد ذكرت لفظة (قبيلة) في القرآن الكريم مرة واحدة بصيغة الجمع في قوله تعالى:
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

سادساً: لفظة (عزير)

العِزَّةُ : الجماعة والفرقة من الناس، والجمع: عِزَى وعزون. والهاء عوضاً من الياء.
وقد ذكرت لفظة (عزة) في القرآن الكريم بصيغة الجمع مرة واحدة، في قوله تعالى:
﴿عَنْ الِّيمِينِ وَعَنْ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ (المعارج: ٣٧).
أي: ((جماعات جماعات عن يمينه وشماله))^(٢).

سابعاً : لفظة (عشيرة)

ذكر الخليل أنّ (العشيرة) سُمِّيت بهذا الاسم؛ لمعاشرة الناس بعضهم بعضاً، وعشيرة الرجل بنو أبيه الأذنون^(٣).
وقيل: إنّ (العشيرة) هم القبيلة، وقيل: (العشيرة) تكون للقبيلة ولمن دونهم^(٤).
وقد ذكرت لفظة (عشيرة) في القرآن الكريم ثلاث مرات منها قوله تعالى:
﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء: ١٤).

ثامناً : لفظة (ليدّة)

(الليدّة) : لفظة تدل على تكرس الشيء بعضه فوق بعض، وكل شعر أو صوف تلبد بعضه على بعض فهو (ليدّة)، وليدّة الأسد: ما تلبد على وبرته من الشعر، والتلبيد: أن يجعل المحرم في رأسه شيئاً من الصمغ أو العسل؛ ليتلبد شعره؛ بقاءً عليه لئلا يشعث في الإحرام^(٥).

(١) ينظر: العين (قبل): ١٦٨/٥، و: المنتخب من غريب كلام العرب: ١٥١، و: أدب الكاتب: ١٤٩، و: اللباب: ١٣٠.

(٢) ينظر: العين (عزو): ٢/ ٢٠٥، و: معاني القرآن (الفراء): ٣/ ١٨٦.

(٣) ينظر: أدب الكاتب: ١٤٩، و: معجم مقاييس اللغة (عشر): ٤/ ٣٢٦، و: لسان العرب (عشر): ٣/ ٥٣٤.

(٤) أدب الكاتب: ١٤٩.

(٥) ينظر: الصحاح (لبد): ٢/ ٥٣٤.

وليدَ الشيء بالشيء إذا ركب بعضه على بعض. و(مألاً لبداً): كثيرٌ لا يخاف فناؤه، كأنه التبدُّ بعضه على بعض. ومنه أُطلقَ على الجماعة الذين يشتدُّ التزامهم بينهم اسم: (لبدَّة)^(١). و(اللَّبْدَة)، و(اللَّبْدَة) الجماعة من الناس يقيمون وسائر الناس يطعنون، كأنهم بتجمعهم تلبدوا بعضهم فوق بعض^(٢).

وقد ذكرت لفظة (لبدَّة) في القرآن الكريم مرتين بصيغة الجمع الأولى في قوله تعالى:

﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ (الجن: ١٩).

وقد ذكر المفسرون في تفسيرها أنه لمَّا قام عبد الله؛ أي: النبي محمد (صلى الله عليه وآله) في قول الجميع، وذلك حين كان يصلي ببطن نخلة، ويقرأ القرآن اجتمع عليه الجنُّ، وكاد يركب بعضهم بعضاً لكثرتهم؛ للإصغاء إليه والاستماع لما يقوله النبي (صلى الله عليه وآله)^(٣). وعلى هذا فـ (لبداً) جمع (لبدَّة)، أي: كانوا جماعات جماعات متراحمين ومتراكبين إلى حدِّ التصاق بعضهم ببعض. وكل هذا تصوره لنا لفظة (لبدَّة). والآية الثانية هي قوله تعالى:

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا﴾ (البلد: ٦).

الخاتمة وأهم النتائج

قد تطلب البحث جهداً من العمل الدؤوب والتصفح المستمر في المدونات التخصصية على تباين أجناسها المعرفية ومنهجياتها المختلفة سعياً وراء المعلومة المبتغاة ورغبة في الحصول على ما يدعو إلى القطع تارة والترجيح بالرأي تارة أخرى حتى وصل الباحث بفضل الله تعالى وحمده إلى مجموعة من الثمرات في دراسته لألفاظ الجموع التي ليس لها مفرد من لفظها في القرآن الكريم ذكرت أغلبها في عقب دراستي لكل لفظة من الألفاظ، ويمكن تلخيص بعضها الآخر بما يأتي :

- ١- بيّن البحث أنّ في العربية ألفاظاً وجدت بصيغة المفرد وقد دلت على الجمع من دون أن تضاف إلى شيء من زيادة أو نقص أو علامة أو يغير بناء مفردتها.
- ٢- أوضح البحث أنّ كثيراً من الألفاظ التي تدلُّ على الجمع وليس لها مفرد من لفظها تجري عليها أحكام الاسم المفرد من حيث التصغير والنسب والتثنية والجمع، فلفظة (قوم) مثلاً تنثني

(١) ينظر: المنتخب من غريب كلام العرب: ١٥٣، و: أصلاح المنطق: ١٩٩.

(٢) ينظر: لسان العرب (لبد): ٢ / ٧٨٦، و: اللب الباب: ١٣٠.

(٣) ينظر: جامع البيان: ٢٩ / ٧٤، و: الوسيط في تفسير القرآن المجيد: ٣٦٢ / ٤، و: البحر المحيط: ٨ /

على (قومين) وتجمع على (أقوام) وتصغر على (قويم) والنسب إليها (قومي) ويجري الأمر نفسه على (رهط، وفوج، وحزب)، وغيرها من الألفاظ. وقد بيّنت أنّ هذا هو السبب الذي دفع النحويين إلى عدها اسم جمع لا جمعاً حقيقياً؛ لأن الجمع لا ينسب إلى لفظه ولا يصغر على لفظه بل يردّ إلى مفردّه.

٣- بيّن البحث أنّ بعض ألفاظ الجموع يمكن أن تذكر وتؤنث كلفظة (قوم) فإنها وردت مؤنثة في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْم نوح المرسلين﴾ (الشعراء: ١٠٥). ومن ورودها بصيغة المذكر قوله تعالى: ﴿فبعداً للقوم الظالمين﴾ (المؤمنون من الآية ٤١)، وقد ذكرت أنها تذكر على إرادة الجمع وتؤنث على إرادة الجماعة.

٤- أوضح البحث أنّ بعض ألفاظ الجموع التي ليس لها مفرد من لفظها يمكن أن تتصرف ويمكن أن لا تتصرف؛ إذ إنّها إذا قصد بها اسم الأب الذي سميت به القبيلة أو قصد بها اسم الحي أو البلد فهو مذكر منصرف وإنّ أريد بها القبيلة أو الجماعة منعت من الصرف للعلمية والتأنيث كـ(عاد وسبأ وقريش).

٥- ناقش البحث مسألة الخلاف بين النحويين في اللفظ الذي يدل على الجمع وعلى وزن (فعل) وليس له مفرد من لفظه، وقد بيّنت أنّ منهم من ذهب إلى أنه لا يعدّ جمعاً وحجته في ذلك أنّه ليس له واحد من لفظه بل واحده من تركيبه كلفظة (ركب) إذ إنّ (ركب) ليس لها واحد من لفظها، وأما (راكب) فإنه لا يعدّ مفرد (ركب) من لفظها بل من تركيبها؛ فهي في نظرهم لا تعدّ جمعاً بل اسم جمع، في حين ذهب الطرف الآخر إلى أنها تعدّ جمعاً، وحجّتهم في ذلك أنّ هذه الألفاظ لها واحد من تركيبها وهو (راكب) فضلاً عن دلالتها على الجمع.

وقد توصل البحث إلى رأي توفيقى جمع فيه بين الرأيين؛ وهو أنّ هذه الألفاظ تعدّ جمعاً من حيث الدلالة والاستعمال واسم جمع من حيث وجهة النظر الصرفية والاستعمال النظري.

٦- كشف البحث عن مجموعة من الألفاظ عدّت جمعاً على الرغم من عدم وجود مفرد لها من لفظها والذي سوّغ ذلك ما ذكره النحويون من أن مجيء اللفظ على وزن خاص بالجمع أو غالب فيه يكون سبباً في عدّ ذلك اللفظ جمعاً وإنّ لم يكن له مفرد من لفظه فضلاً عن استعمال القرآن الكريم هذه الألفاظ في أكثر من مورد للدلالة على الجمع، ومن هذه الألفاظ لفظة (أشد) التي جاءت على وزن (أفعل)، و(أعراب)، و(أنعام) على وزن (أفعال)، و(نساء) على وزن (فِعال)، و(نسوة) على وزن (فِعلة)، و(أبايل، وأساطير، ومقاليد) فكل هذه الألفاظ جاءت على أوزان جموع التكسير القياسية وقد دلت على الجمع.

٧- أوضح البحث أنّ الألفاظ التي تأتي على وزن (فَعَال) لا تعدّ جمع تكسير قياساً؛ لأنّ وزن (فَعَال) لم يذكر ضمن أوزان جموع التكسير القياسية ولا تعدّ اسم جمع؛ لأنّ أحكام الجمع تجري عليها من جهة؛ ولأنّها ذكرت في أكثر من لفظ في القرآن الكريم دالة على الجمع من جهة أخرى، ومنها لفظة (أناس) التي ذكرت في القرآن الكريم خمس مرات، ولفظة (أولاء) التي تكرر ذكرها في القرآن الكريم مائتين وخمسين مرّة. وتأسيساً لما ذكره النحاة من أنّ الجمع إذا كان مخالفاً في صيغته لصيغته الجمع القياسي فهو (جمع تكسير سماعي) أو (جمع تكسير غير مطّرد) لا يجوز القياس عليه لقلته وندرته وعلى هذا فإنّ (أناس) تعدّ جمع تكسير سماعي أو جمع تكسير غير مطّرد ويجري الأمر نفسه على الألفاظ التي تأتي على وزن (فَعَل) كـ (غَنَمَ)، و(النَّعَمَ)، و(عاد)، و(سبأ)، و(ناس)، والألفاظ التي تأتي على وزن (فَعَال) كـ (متاع)، و(أثاث)، والألفاظ التي جاءت على وزن فُعَلَة كـ (زمرّة)، و(ثلاثة) و(عصبة)، و(أمة)، فهذه الألفاظ استعملت في القرآن الكريم في أكثر من مورد وقد وظفت فيها للدلالة على الجمع ولم تستعمل للدلالة على المفرد بيد أنّ عدم اطراد هذه الأوزان في جموع التكسير القياسية؛ لقلتها كان سبباً في عدم عدّها جمع تكسير قياسياً بل جمع تكسير سماعي أو جمع تكسير غير مطّرد.

٨- أوضح البحث أنّ ما ذكره اللغويون من أنّ بعض الألفاظ التي تدل على الجمع قد يكون لها واحد من لفظها كلفظة (أساطير) التي قيل: إنّ واحدها (أسطير) أو (أسطورة) أو (اسطورة) أو (أسطورة)، ولفظة (مقاليد) التي قيل: إنّ مفردتها (إقليد) أو (مقليد)، وكذا لفظة (أباييل) التي قيل: إنّ مفردتها (إيبيل) أو (إبول) أو (إيبال)، كل هذا جائز من حيث القياس ولكن بما أنه لم يسمع عن العرب أنهم استعملوا واحداً لهذه الألفاظ؛ لذا عدّت من الألفاظ التي ليس لها مفرد من لفظها وإنّ ما ذكره لا يمكن الأخذ به.

٩- بيّن البحث أنّ ألفاظ الجموع منها ما يكون مختصاً بالدلالة على العاقل كـ (أعراب)، (ناس)، ومنها ما يكون مختصاً بالدلالة على غير العاقل من الحيوان كـ (ابل) أو غير العاقل من الجماد كـ (أثاث) ومنها ما يكون مختصاً بالعاقل وغير العاقل كـ (ركب) و(خلق) .

١٠- أظهر البحث أهمية التناسب الصوتي لأصوات الحروف في بعض الألفاظ عن طريق التشديد والإدغام والتفخيم والمد وإنّ أصوات الكلمة بمخارجها وصفاتها تدل على المعنى الذي تحمله اللفظة، كلفظة (أشد) ولفظة (زبانية) ولفظة (شردمة).

١١- أوضح البحث أنّ النبر الذي يقع على مقطع من مقاطع اللفظة يؤدي إلى زيادة في المعنى ويضفي معنى إيحائياً جديداً على معنى اللفظة الأصلي كالنبر الذي يقع على

المقطع الطويل المفتوح (با) في لفظة (زبانية)، والنبر الذي يقع على المقطع الطويل المغلق (شر) في لفظة (شرذمة)، والنبر الذي يقع على المقطع المديد (بيل) في لفظة (أبائيل).

١٢- أكد البحث مسألة عدم وجود المشترك اللفظي في كثير من الألفاظ التي ذكر اللغويون أنها تعدُّ من المشترك اللفظي كلفظة (آل)، و(عود)، و(أمة)، و(خلق)، و(ناس)، و(جبله)، فما ذكره اللغويون من أن اللفظ الواحد من هذه الألفاظ له أكثر من معنى وكل معنى من هذه المعاني يختلف عن المعنى الآخر أكد البحث أن جميعها ترجع إلى أصل واحد يمثل الدلالة الأولية أو المركزية للفظ وما تفرع منه من معان يمثل الدلالة الثانوية للفظ نفسه.

١٣- بيّن البحث دقة القرآن الكريم في انتقاء الألفاظ والتعبير بها عن المعاني، وأكد أن لكل لفظٍ دلالة مقصودة ومعنى يشير إليه ولا يمكن للفظ آخر أن يدل على ما يدل عليه ذلك اللفظ، وهذا يؤكد قصديه الألفاظ وعدم وجود الترادف بينها كالفرق بين (الرهط والعشيرة)، والفرق بين (القبيلة والفصيلة)، والفرق بين (الشرذمة والفئة)، والفرق بين (الزمرة والعصبة)، والفرق بين (الناس والأناس)، والفرق بين (السيط والقبيلة)، والفرق بين (الآل والأهل)، والفرق بين (الضأن والغنم) والفرق بين (الأنعام والنعم).

١٤- ناقش البحث مسألة دلالة بعض ألفاظ المجموعات البشرية على العدد كلفظة (عصبة) التي ذكر اللغويون أنهم العشرة من الرجال ولا يقال لما دون العشرة (عصبة)، ولفظة (رهط) التي قيل: إنها من الثلاثة إلى العشرة أو من السبعة إلى العشرة أو ما دون السبعة إلى الثلاثة أو الثلاثة إلى الأربعين وكذا لفظة (نفر)، و(شرذمة) التي حددوا لكل لفظ منها عدداً معيناً، فقد توصل البحث إلى أن هذه الألفاظ لا يشترط فيها الدلالة على العدد فلفظة (رهط) مثلاً تدلُّ على تجمع أفراد القوم حول شخص معين ينتسبون إليه وهذا التجمع قد يتكون من ثلاثة أو تسعة أشخاص أو أكثر من ذلك، ومثل ذلك لفظة (عصبة) التي تدل على الاجتماع والوحدة والإعتضاد والارتباط وتوحيد الكلمة وفيها إشارة إلى محاولة الفتك والإطاحة بالأفراد، ولا اعتبار بعدد مخصوص لها، فقد تكون قليلة جداً وقد تكون كبيرة جداً، ويجري الأمر نفسه على لفظة (شرذمة)، و(نفر).

١٥- بيّن البحث مسألة التطور الدلالي الذي يرافق بعض الألفاظ كلفظة (زمرة) التي كانت تدل على المجموعة الصالحة والطالحة وباتت تدل على المجموعة الطالحة فقط، وكذا لفظة (أثاث) التي كانت تدل على متاع البيت أجمع بما فيه من أموال وعبيد وإبل وغنم، وصارت

تدلُّ على متاع البيت فقط، وكذا لفظة (ثلة) التي كانت تدلُّ على المجموعة المستخرجة المنتقاة من المجموعات الكبرى وهي تمثل مركز النقل فيهم، وصارت تدلُّ على المجموعة القليلة، ولفظة (سبط) التي كانت تدلُّ على مجموعة كبيرة من البشر ينتمون إلى أبٍ واحد، وكانت مختصةً بأبناء يعقوب بن إسحاق (عليهما السلام)، وإنها كانت بمنزلة القبيلة عند العرب، وصارت مختصة بالدلالة على ابن البنت أو ابن الولد، ويجري الأمر نفسه على لفظة (شردمة)، و(نفر)، وغيرها من الألفاظ.

ثبت مصادر البحث و مراجعه

الكتب :

- القرآن الكريم.

- إبراز المعاني من حرز الأمانى في القراءات السبع، لعبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة الدمشقي (ت ٦٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم عطوة خلف، دار الكتب العلمية بيروت.
- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، لشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي الشهير (بالبناء) (ت ١١١٧هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، ط: الثالثة: ٢٠٠٦م.
- الإتيان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم ، منشورات الشريف الرضي.

- أدب الكاتب، لأبي محمد بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مط: دار السعادة- مصر، ط: الثالثة / ١٩٥٨ م.
- الآراء الراقية الحديثة في تيسير قواعد اللغة العربية وبيان أسرارها، لمحمد كاظم الملكي، مط: الآداب - النجف، ط: الأولى / ١٣٧٨ هـ .
- ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: الدكتور رجب عثمان - مكتبة الخانجي - القاهرة، ط: الأولى / ١٩٩٨ م.
- إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، للشيخ إبراهيم بن محمد بن قيم الجوزية (ت ٧٦٧هـ)، تحقيق: الدكتور محمد نصار، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى / ٢٠٠٤ م.
- أساس البلاغة، لأبي القاسم جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى / ١٩٩٨ م.
- أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن الكريم، لدكتور شلتاغ عبود، دار المحجة البيضاء، ط: الأولى: ٢٠٠٣ م.
- أسرار العربية، لعبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الانباري (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق: محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى / ١٩٩٧ م.
- أسرار اللغة، لدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، ط: الثامنة، ٢٠٠٣ م.
- الإسلوبية - مدخل نظري ودراسة تطبيقية - للدكتور فتح الله سليمان، المطبعة الفنية، ١٩٩٠ م.
- الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، لدكتور محمد نور الدين المنجد بتقديم - الدكتور مسعود بوبو، د.ط.
- الاشتقاق، لعبد الملك بن قريب الأصمعي (ت ٢١٦هـ)، تحقيق: الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي - القاهرة، ١٩٥٨ م.
- الاشتقاق، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١هـ)، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة، ١٩٥٨ م.
- الاشتقاق، لدكتور عبد الله أمين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط: الأولى / ١٩٥٦ م.
- إصلاح المنطق، لابن السكيت (ت ٢٤٤هـ)، تحقيق: محمد مرعب، مط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى / ٢٠٠٢ م.

- إصلاح الوجوه والنظائر، لأبي عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني (ت ٤٧٨هـ)، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، مط: دار العلم للملايين - بيروت، ط: الأولى / ١٩٧٠ م.
- أصوات اللغة، لدكتور عبد الرحمن أيوب، مط: دار التأليف، ط: الأولى ١٩٦٣ م.
- الأصول في النحو، لأبي بكر بن سهل بن السراج (ت ٣١٦هـ)، تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي، مط: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الثلاثة / ١٩٨٨ م.
- الأضداد، لابن الانباري (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لشيخ محمد أمين الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ). تحقيق: الشيخ محمد عبد العزيز الخالدي، مط: دار الكتب العلمية، بيروت. ط: الثالثة - ٢٠٠٦ م.
- الإعجاز البياني في القرآن الكريم ومسائل ابن الأزرق، لدكتورة عائشة عبد الرحمن - (بنت الشاطي) - مط: دار المعارف / المغرب / ١٩٨٤ م.
- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، للحسين بن احمد بن خالوية (ت ٣٧٠هـ)، مط: دار التربية للطباعة والنشر.
- إعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ)، تحقيق: الدكتور زهير غازي زاهد، مط: العاني - بغداد / ١٩٧٧ م.
- الاقتضاب في شرح أدب الكُتَّاب، لأبي محمد عبدا لله بن السيد البطليوسي (ت ٥٢١هـ)، تحقيق محمد باسل عيون السود، مط: دار الكتب العلمية بيروت، ط: الأول / ١٩٩٩ م.
- أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد، للعلامة سعيد الخوري الشرتوتي، مط: دار الأسوة - إيران - ط: الأولى / ١٤١٦ هـ.
- الإقناع في القراءات السبع، لأبي جعفر بن علي بن احمد الأنصاري (ت ٥٤٠هـ)، تحقيق: احمد فريد المزيدي، مط: دار الكتب العلمية - بيروت / ١٩٩٩ م.
- إكمال الأعلام بتتليث الكلام، لمحمد بن عبد الله بن مالك (ت ٦٧٢هـ)، تحقيق: سعد بن احمد الغامدي، مط: المدني - جدة / السعودية، ط: الأولى / ١٩٨٤ م.
- الألفاظ الكتابية، لعبد الرحمن بن عيسى بن حماد الهمذاني (ت ٣٢٠هـ)، تحقيق: أميل بديع يعقوب، مط: دار الكتب العلمية / بيروت / ط: الأولى / ١٩٩١ م.
- الأمالي، لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (ت ٣٥٦ هـ) ، مط: دار الكتب العلمية / بيروت. ط: الأولى / ٢٠٠٢ م.

- أمالي ابن الشجري، لهبة الله علي بن محمد بن حمزة المعروف بابن الشجري(ت ٥٤٢هـ-)، تحقيق محمود محمد الطنطاوي ، مط: الخانجي - القاهرة ، (د. ط) .
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، للإمام كمال الدين عبد الرحمن ابن محمد الانباري (ت ٥٧٧هـ-)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مط: دار إحياء التراث الإسلامي.
- الإنصاف في مسائل دام فيها الخلاف للفقير جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق(عليه السلام).
- أوضح المسالك إلى الفية ابن مالك، للإمام جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ-)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مط: دار إحياء التراث العربي - بيروت ط : ١٩٦٦/٥م.
- بحار الأنوار للدرر الأخيار للائمة الاطهار، للشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ-)، مط: مؤسسة الوفاء - بيروت، ط: الثانية/ ١٩٨٣م.
- البحث اللغوي في كتاب مجاز القرآن لأبي عبيده (ت ٢١٠هـ-)، للدكتور، عبد الكاظم محسن الياسري، (د. ط) .
- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي(ت ٧٩٤هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مط : دار إحياء الكتب العربية ، ط: الأولى / ١٩٥٧ م.
- البهجة المرضية على الفيه ابن مالك، لجلال الدين السيوطي، بتعليق السيد علي الحسيني، مط: دار الفكر - قم.
- التاج الجامع للاصول في أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله)، لشيخ منصور علي ناصف، مؤسسة الطباعة والنشر لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ط: الأولى / ١٤١٦ هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس، لأبي الفضل محمد مرتضى الزبيدي (١٢٠٥ هـ-)، تحقيق: الدكتور علي مشيري ، مط: دار الفكر - بيروت / ١٩٩٤ م .
- تاريخ العرب قبل الإسلام، لدكتور جواد علي، مطبوعات المجمع العلمي العراقي - بغداد . ١٩٥٢م/
- تاريخ اللغات السامية، لإسرائيل ولفنسون، مطبعة الاعتماد - القاهرة/ ١٩٢٩ م .
- تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ-)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، مط : دار الكتب العلمية - بيروت، ط : الأولى / ٢٠٠٢ م .

- التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت ٦١٦هـ)، تحقيق إبراهيم عطوه معوض، مط : مصطفى الحلبي وأولاده- مصر، ط : الثانية / ١٩٦٩ م .
- التبيان في تفسير القرآن، للشيخ محمد بن الحسن الطبرسي (ت ٤٦٠هـ)، المطبعة العلمية - النجف / ١٩٥٧ م.
- تنقيف اللسان وتلقيح الجنان، لخلف بن مكي الصقلي (ت ٥٠١هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، مط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط : الأولى / ١٩٩٩ م .
- التراكيب اللسانية في الخطاب الشعري القديم - تطبيقات على النظرية التحويلية لـ(نشومسكي) للدكتور رابح بوحوش، مكتبة الآداب - القاهرة ، ط : الأولى / ٢٠٠٦ م .
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، لابن مالك (ت ٦٧٢هـ)، تحقيق: محمد كامل بركات، مط : دار الكتاب العربي - بيروت، ط: الأولى / ١٩٦٨ م.
- التصريف الملوكي لابن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق محمد سعيد النعسان، مط : دار المعارف، ط : الثانية / ١٩٦٨ م .
- التصوير الفني في القرآن الكريم، لسيد قطب، مكتبة السيد قطب - مصر .
- التطور الدلالي الإشكال والأشكال والأمثال للدكتور مهدي اسعد عرار، دار الكتب العلمية ، بيروت - ط : الأولى، ٢٠٠٣ م .
- التطور اللغوي التاريخي - محاضرات ألقاها الدكتور إبراهيم السامرائي، معهد البحوث والدراسات الإسلامية، عام ١٩٦٦ م.
- التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، لدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط : الثالثة / ١٩٩٧ م .
- التطور النحوي للغة العربية - محاضرات ألقاها المستشرق الألماني براجشتراسر في الجامعة المصرية، عام ١٩٢٩ م، أخرجه وصححه وعلق عليه الدكتور فاضل السامرائي ، مكتبة الخانجي - القاهرة / ٢٠٠٣ م.
- التعبير القرآني، للدكتور فاضل السامرائي ، جامعة بغداد ، بيت الحكمة / ١٩٨٧ م .
- التعريفات، لسيد الشريف علي الجرجاني (ت ٨١٦ هـ)، وضع حواشيه: محمد باسل عيون السود، مط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الثانية / ٢٠٠٣ م.
- تفسير البرهان المسمى بـ (مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار) لأبي الحسن بن محمد الطاهر العاملي من أعلام القرن الثاني عشر الهجري، تحقيق لجنة من العلماء الأخصائيين ، مط: مؤسسة الأعلمي - بيروت، ط: الأولى / ١٩٩٩ م.

- تفسير البغوي المسمى بـ (معالم التنزيل)، للحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ)، إعداد وتحقيق خالد عبد الرحمن العك مط: دار الكتب العلمية -بيروت، ط: الثالثة/١٩٨٩ م .
- تفسير البيضاوي المسمى بـ (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، للقاضي عبد الله بن ناصر بن عمر بن محمد البيضاوي (ت ٧٩١ هـ)، مط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى /٢٠٠٣ م .
- تفسير غريب القرآن، لأبي محمد عبد بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: إبراهيم محمد رمضان، مط: دار مكتبة الهلال، ط: الأولى /١٩٩١ م .
- تفسير غريب القرآن، لفخر الدين الطريحي (ت ١٠٥٨هـ)، تحقيق: علي محمد كاظم الطريحي، (د.ط).
- تفسير غريب القرآن العظيم، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي (ت ٦٦٦ هـ) ، تحقيق: حسين المالي، مط : النشر والطباعة / أنقرة.
- تفسير غريب القرآن وورغائب الفرقان، للعلامة الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري (ت ٧٢٨هـ)، مط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى /١٩٩٦ م .
- تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، صححته لجنة من الأساتذة التخصصيين، مط: دار الخير، ط : الثانية /١٩٩٣ م .
- التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، للأمام محمد فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) ، مط: دار الفكر، ط: الأولى /١٩٨١ م .
- تفسير المراغي، لأحمد مصطفى المراغي، مط: مصطفى البابلي الحلبي - مصر، ط: الثانية /١٩٥٣ م .
- تفسير النسفي المسمى بـ(مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، للإمام عبد الله بن احمد بن حمود النسفي (ت ٧١٠هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عمران، مط: دار الكتب العلمية - بيروت ، ط: الأولى /٢٠٠١ م .
- التكملة وهي جزء من الإيضاح العضدي، لأبي علي الحسين بن أحمد الفارسي (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق الدكتور حسين شادلي فرهود، عمارة شؤون المكتبات، جامعة الرياض /١٩٨٠ م .
- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، للفيروز آبادي،(ت ٧١٨هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، ط : الثانية/ ٢٠٠٤ م .

- تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن احمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب و خزان، مط: دار إحياء التراث العربي -بيروت، ط: الأولى /١٩٩٠ م .
- ثلاثة كتب في الأضداد، للأصمعي، والسجستاني، وابن السكيت، إعداد اوغست هفتر، مط: الكاثوليكيه للآباء اليسوعيين - بيروت، ط : الأولى /١٩٦٢ م .
- جامع البيان في تفسير القرآن، لأبي جعفر جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، مط: الأميرية الكبرى، بولاق -مصر -/١٣٢٣هـ .
- جامع الدروس العربية، لشيخ مصطفى الغلاييني(ت ١٩٤٤م)، مط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى/٢٠٠٤ م .
- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله بن احمد القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: سالم مصطفى البري، مط: دار الكتب العلمية -بيروت، ط: الثانية /٢٠٠٤ م .
- الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، لمحمود صافي، مطبعة النهضة /قم .
- جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن دريد (ت٣٢١هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين عطا ، مط: دار الكتب العلمية -بيروت، ط: الأولى /٢٠٠٥ م .
- جموع التصحيح والتكسير في اللغة العربية، لدكتور عبد المنعم سيد عبد العال، مط: مكتبة الخانجي - القاهرة .
- جواهر الألفاظ، لأبي الفرج قدامه بن جعفر (ت٣٧٧هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العلمية .
- جواهر القاموس في الجموع والمصادر، لمحمد بن شفيح القزويني من علماء القرن الثاني عشر الهجري، تحقيق: الشيخ محمد جعفر الكرباسي، جمعية منتدى النشر /النجف الأشرف .
- الجواهر الثمين في تفسير القرآن المبين، للعلامة السيد عبد الله شبر، قدم له سماحة السيد محمد بحر العلوم، مكتبة الألفين، الكويت، ط: الأولى /١٩٨٦ م .
- حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، للخضري، شرحها وعلق عليها: تركي فرحان المصطفى، مط: دار الكتب العلمية-بيروت، ط: الثانية /٢٠٠٥ م .
- حاشية الشهاب المسماة(غاية القاضي وكفاية الراضي)، للقاضي شهاب الدين احمد بن محمد بن عمر الخفاجي (ت١٠٢٩هـ)، على تفسير البيضاوي، ضبطها وخرّج آياتها وأحاديثها: شيخ عبد الرزاق المهدي، مط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى /١٩٩٧ م .
- حاشية الصبان على شرح الأشموني، للشيخ محمد بن علي الصبان (ت١٢٠٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، مط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى /١٩٩٧ م .

- حاشية القونوي على تفسير البيضاوي، لعصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي (ت ١١٩٥ هـ)، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، مط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى / ٢٠٠١ م.
- الحجة في القراءات السبعة، لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ)، وضع حواشيه: كامل مصطفى الهنداوي، مط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى / ٢٠٠١ م.
- الحجة للقراء السبعة، للحسن بن أحمد بن خالويه (ت ٣٧٠ هـ)، تحقيق: أحمد فريد المزدني، مط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى / ١٩٩٩ م.
- حدائق الروح والريحان في روابي القرآن، للعلامة محمد الأمين بن عبد الله الشافعي، إشراف: الدكتور محمد علي مهدي، مط: دار طوق النجاة - بيروت.
- الحل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل، لأبي محمد بن عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي، تحقيق: سعيد عبد الكريم سعودي، مط: دار الرشيد، الجمهورية العراقية / ١٩٨٠ م.
- الحيوان، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مط: دار إحياء التراث العربي - بيروت، (د. ط.).
- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، مط: دار الهدى - بيروت، ط: الثانية.
- خصائص الإسلوب في الشوقيات، لدكتور محمد الهادي الطرابلسي، المطبعة الرسمية - تونس / ١٩٨١ م.
- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، لدكتور غانم قدوري حمد، مط: الخلود - بغداد / ١٩٨٦ م.
- دراسات في اللغة، لدكتور إبراهيم السامرائي، مط: العاني - بغداد / ١٩٦١ م.
- دراسات في اللغة والنحو، لدكتور عبد الكاظم محسن الياسري، (د. ط.).
- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، لدكتور حسام سعيد النعيمي، مط: دار الرشيد - الجمهورية العراقية / ١٩٨٠ م.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للإمام شهاب الدين بن العباس المعروف بـ (السمين الحلبي) (ت ٧٥٦ هـ)، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض وآخرون، مط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى / ١٩٩٤ م.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي، مط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الثانية / ٢٠٠٤ م.

- دقائق التصريف، للقاسم بن سعيد المؤدب من علماء القرن الرابع الهجري، تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن وآخرون، مط: المجمع العلمي العراقي / ١٩٨٧ م.
- دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، لدكتور محمد ياس خضر الدوري، مط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى / ٢٠٠٦ م.
- دور الكلمة في اللغة، ستيفن اولمان، ترجمه وقدم له وعلق عليه الدكتور كمال بشر، مط: دار غريب - القاهرة ط: الثانية عشر.
- ديوان الأعشى، لميمون بن قيس، مط: المكتبة الثقافية - بيروت (د٠ت).
- ديوان امرئ القيس، تحقيق: فخر الدين قباوة، مط: دار المعارف - مصر / ١٩٦٩ م.
- ديوان جرير، تحقيق: نعمان أمين طه، مط: دار المعارف - مصر، ط/ الثالثة .
- ديوان رؤبة بن العجاج (مجموع أشعار العرب)، نشره: وليم بن الورد، مط : لا يبيزك / ١٩٠٣ م .
- ديوان زهير بن أبي سلمى، مط: دار الكتب المصرية / ١٣٦٣ هـ).
- ديوان الفرزدق، تحقيق: الأستاذ علي خريس، منشورات مؤسسة الأعلمي - بيروت ، ط: الأولى / ١٩٩٦ م.
- ديوان كثير عزة، تحقيق الدكتور إحسان عباس بيروت / ١٩٧١ م.
- ديوان العجاج برواية عبد الملك بن قريب الأصمعي، تحقيق: الدكتور عزة حسن، مط: دار الشروق، ط: الأولى / ١٩٧١ م.
- ديوان ليبد بن ربيعة، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، الكويت / ١٩٦٢ م.
- ديوان الهذليين، مصورة عن طبعة دار الكتب - القاهرة / ١٩٦٥ م.
- روح البيان في تفسير القرآن، لإمام إسماعيل حقي بن مصطفى البروسوي (ت ١٢٧ هـ)، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، مط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى / ٢٠٠٣ م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للعلامة شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت ١٢٧٠ هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، مط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الثانية / ٢٠٠٥ م.
- زاد المسير في علم التفسير، لجمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، تحقيق: احمد شمس الدين، مط: دار الكتب العلمية - بيروت ، ط: الثانية / ٢٠٠٢ م.

- الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الأنباري (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق: الدكتور حاتم صالح الضامن، مط: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: الأولى / ١٩٩٢ م .
- السبعة في القراءات، لابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ)، تحقيق: الدكتور شوقي ضيف، مط: دار المعارف - القاهرة، ط: الثالثة.
- سر صناعة الإعراب، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد حسين هندراوي، مط: دار القلم - دمشق، ط: الأولى / ١٩٨٥ م .
- سنن ابن ماجه، لأبي محمد عبد الله محمد بن يزيد المعروف بـ(ابن ماجه) (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مط: دار إحياء الكتب العربية.
- الشافية في التصريف، لجمال الدين عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ)، تحقيق: حسن محمد نعمان، مط: المكتبة العلمية - مكة المكرمة، ط: الأولى / ١٩٩٥ م .
- شذا العرف في فن الصرف، لشيخ أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي (ت ١٣١٥هـ)، تحقيق الدكتور عبد الحميد هندراوي، مط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الرابعة / ٢٠٠١ م .
- شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك لعبد الله بن عقيل الهمداني (٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مط: المكتبة العصرية - بيروت / ٢٠٠٢ م .
- شرح أبيات سيبويه، ليوسف بن أبي سعيد المعروف بابن السيرافي (ت ٣٨٥هـ)، تحقيق: الدكتور محمد علي سلطاني، دمشق / ١٩٧٧ م .
- شرح الفية ابن مالك، لابن الناظم بدر الدين بن جمال الدين بن محمد بن مالك (ت ٦٨٦هـ)، مط: إحياء التراث العربي - بيروت، ط: الأولى / ٢٠٠٣ م .
- شرح التسهيل، لجمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك (ت ٦٧٢ هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا وطارق فتحي السيد، مط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى / ٢٠٠١ م .
- شرح التصريح على التوضيح، لشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى (ت ٩٠٥هـ)، تحقيق: باسل عيون السود، مط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الثانية / ٢٠٠١ م .
- شرح جمل الزجاجي لابن عصفور الأشبيلي (ت ٦٦٩هـ)، تحقيق الدكتور صاحب أبو جناح، مط: إحياء التراث الإسلامي - الجمهورية العراقية / ١٩٨٢ م .
- شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، لشيخ رضي الدين الإسترابادي (ت ٦٨٦هـ)، تحقيق: يوسف حسن عمر، مط: مؤسسة الصادق (ع).

- شرح شافية ابن الحاجب، لرضي الدين الإسترابادي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد وآخرون، مط: دار الكتب العلمية - بيروت.
- شرح صحيح مسلم، لمحيي الدين بن يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ)، راجعه الشيخ خليل الميس، مط: دار القلم - بيروت / ط: الأولى.
- شرح الفصيح، لأبي القاسم جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، تحقيق: إبراهيم عبد الله، مط: إحياء التراث الإسلامي - مكة المكرمة.
- شرح قطر الندى وبل الصدى، لابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ)، تأليف: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط: الثالثة / ١٤٢٦ هـ).
- شرح الكافية الشافية، لإمام جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك (ت ٦٧٢ هـ)، تحقيق: علي محمد معوض وعادل عبد الموجود، مط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى / ٢٠٠٠ م.
- شرح المفصل لزمخشري، لأبي البقاء يعيـش بن علي بن يعيـش الموصلـي (ت ٦٤٣ هـ)، المطبعة المنبرية - مصر .
- شرح الهاشميات، لشاعر الكميـت بن زيد الأسدي (ت ١٢٦ هـ)، تأليف: محمد محمود الرافعي، (د. ط).
- شعر ابن احمر، لعمر بن أحمر الباهلي، جمعه وحققه الدكتور حسين عطوان، مطبعة الحياة - مجمع اللغة العربية - دمشق .
- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، لشهاب الدين احمد بن محمد الخفاجي (ت ١٠٦٩ هـ)، تحقيق: محمد كشاش، مطبعة الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى / ١٩٩٨ م .
- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٤٠٠ هـ)، تحقيق: احمد عبد الغفار عطا، مط: دار العلم لملايين، ط: الأولى / ١٩٥٦ م.
- الصرف الوافي - دراسة وصفية تطبيقية في الصرف وبعض المسائل الصوتية، لدكتور هادي نهر، مطبعة التعليم العالي في الموصل / ١٩٨٩ م .
- صيغ الجموع في اللغة العربية مع بعض المقارنات السامية، لدكتورة باكرة رفيق حلمي ، المطبعة الأدبية البغدادية .
- العباب الزاخر واللباب الفاخر، لإمام رضي الدين الصغاني (ت ٦٥٠ هـ)، تحقيق: الدكتور بشير محمد حسن، مط: المجمع العلمي العراقي، ط: الأولى / ١٩٧٨ م .
- العرب واليهود في التاريخ، لجعفر الخليلي، مط: دار الرشيد للنشر، ط: الثانية / ١٩٧٩ م .

- العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد، لهنري فليش اليسوعي، تعريب وتحقيق: الدكتور عبد الصبور شاهين، المطبعة الكاثوليكية / ١٩٦٦ م.
- العشرات في غريب اللغة، لأبي عمر محمد بن الواحد الزاهد (ت ٣٤٥ هـ)، برواية ابن خالويه، تحقيق: الدكتور يحيى عبد الرؤوف جبر، المطبعة الوطنية، ط: الأولى / ١٩٨٤ م.
- علم الدلالة، لدكتور احمد مختار عمر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط: الأولى / ١٩٨٢ م.
- علم اللغة، لدكتور محمود السعران، مط: دار المعارف - مصر / ١٩٦٢ م.
- علم اللغة العام، لدكتور كمال محمد بشر، مط: دار المعارف - مصر، ط: الرابعة / ١٩٧٥ م.
- العين (معجم لغوي)، لأبي عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ)، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، مط: مؤسسة دار الهجرة ، ط: الثانية / ٢٠٠١ م.
- غرائب اللغة، للأب رفائيل نخلة اليسوعي، مط: دار المشرق - بيروت، ط: الخامسة / ١٩٩٦ م.
- غريب الحديث لإمام أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطّابي (ت ٣٨٨ هـ)، تحقيق: عبد الكريم محمد العزباوي (د. ط).
- غيث النفع في القراءات السبع، للشيخ علي لنوري بن محمد (ت ١١١٨ هـ)، تحقيق: احمد محمد عبد السميع، مط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى / ٢٠٠٤ م.
- الفائق في غريب الحديث، للعلامة جار الله الزمخشري، تحقيق: محمد علي أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد، مط: دار الكتب العربية، ط: الأولى / ١٩٤٥ م.
- فتح التقدير في فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ)، تحقيق: احمد عبد السلام، مط: دار الكتب العلمية - بيروت.
- الفرق، ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ)، تحقيق: الدكتور رمضان عبد التواب، مط: الخانجي - القاهرة، ط: الأولى / ١٩٨٢ م.
- فروق اللغات في التمييز بين معاني الكلمات، لنور الدين بن نعمة الله الجزائري (ت ١١٥٨ هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رضوان، مط: مكتبة نشر الثقافة الإسلامية.
- الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري (ت بعد ٤٠٠ هـ)، مكتبة القدس / ١٣٥٣ هـ.
- فصول في فقه اللغة، لدكتور رمضان عبد التواب، مط: مكتبة الخانجي - القاهرة، ط: السادسة / ١٩٩٩ م.
- فقه اللغة السامية، للمستشرق الألماني كارل بروكلمان، ترجمه عن الألمانية: الدكتور رمضان عبد التواب، مطبعة جامعة الرياض / ١٩٧٧ م.

- فقه اللغة المقارن، لدكتور إبراهيم السامرائي، مط: دار العلم للملايين - بيروت، ط: الرابعة/ ١٩٨٧ م .
- فقه اللغة وخصائص العربية، لدكتور محمد المبارك، مط: دار الفكر - بيروت، ط: الثالثة / ١٩٦٨ م .
- فقه اللغة وسر العربية، لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، تحقيق: الدكتور جمال طلبة، مط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى .
- الفلسفة اللغوية والألفاظ المعربة، لجرسي زيدان، مراجعة وتعليق: الدكتور مراد كامل ، مط: دار الهلال - مصر، ط: الثانية/ ١٩٠٤ م .
- في ظلال القرآن، لسيد قطب مط: دار الشروق/ ١٩٨٠ م .
- القاموس المحيط، للفيروز آبادي، مط: دار الفكر - بيروت .
- القطع والانتشاف أو الوقف والابتداء، لأبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ)، تحقيق: احمد فريد المز يدي، مط: دار الكتب العلمية - بيروت ، ط: الأولى / ٢٠٠٢ م .
- الكافية في النحو، لإمام جمال الدين أبي عمرو عثمان بن محمد المعروف بابن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ)، شرحه الرضي الإسترابادي (ت ٦٨٦هـ)، مط: دار الكتب العلمية - بيروت/ ١٩٩٥ م .
- كتاب سيبويه، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بـ(سيبويه) (ت ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مط: دار الجيل - بيروت، مط: الأولى .
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لإمام جار الله محمود بن عمر الزمخشري، مط: دار الكتاب العربي - بيروت .
- كشف المشكل في النحو، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن اسعد المعروف بـ(حيدرة اليمني) (ت ٥٥٩هـ)، تحقيق: الدكتور يحيى مراد، مط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى / ٢٠٠٤ م .
- الكشف والبيان في تفسير القرآن المعروف بـ(تفسير الثعلبي)، لاحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت ٤٢٧هـ)، تحقيق: السيد كسروي حسن، مط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى / ٢٠٠٤ م .
- الكافية في النحو، لمحمد بن عبد الله بن محمود (ت ٨٦٩هـ)، تحقيق: إسحاق محمد يحيى الجعبري، مط: دار ابن حزم، ط: الأولى / ٢٠٠٥ م .
- الكلام المفيد للمدرس والمستفيد في شرح الصمدية، للعلامة الشيخ المدرس الأفغاني، مؤسسة دار الهجرة، ط: الأولى / ١٤١٨ هـ .

- لباب التأويل في معالم التنزيل المعروف بـ(تفسير الخازن)، لعلي بن محمد بن إبراهيم الشهير بالخازن (ت ٧٢٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، مط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى / ٢٠٠٤ م.
- اللباب في علل البناء والإعراب، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت ٦١٦ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الإله النبهان، مط: دار الفكر - دمشق، ط: الأولى / ١٩٩٥ م.
- اللباب في علوم الكتاب، لإمام محمد بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي (ت ٨٨٠ هـ)، تحقيق: علي محمد معوض وآخرون، مط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى / ١٩٩٨ م.
- اللب اللباب في غريب اللغة والحديث والكتاب، للعلامة الشيخ محمد رضا الغراوي (ت ١٣٨٥ هـ)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، مطبعة الآداب - النجف الشرف / ١٩٦٨ م.
- لباب النقول في أسباب النزول، لأبي الفضل جلال الدين السيوطي، مط: دار الكتب العلمية - بيروت.
- لطائف قرآنية، لدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، مطبعة الدار الشامية - بيروت.
- لسان العرب، للعلامة محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١ هـ)، تحقيق: عامر احمد، مط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى / ٢٠٠٥ م.
- اللغة، لـ: ج فندريس، ترجمه: الدكتور عبد الحميد الدواخلي والدكتور محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠ م.
- اللغة العربية معناها ومبناها، لدكتور تمام حسّان، مطبعة عالم الكتب - القاهرة، ط: الرابعة / ٢٠٠٤ م.
- اللمع في العربية، لأبن جني، تحقيق: فائز فارس، مط: دار الكتب الثقافية - الكويت .
- لهجة قبيلة أسد، لدكتور علي ناصر غالب، مط: دار الشؤون الثقافية العامة - الكويت ، ط: الأولى / ١٩٨٩ م.
- ليس في كلام العرب، للحسين بن أحمد بن خالويه، تحقيق: احمد عبد الغفور عطا، مط: دار العلم للملايين - بيروت، ط: الثانية / ١٩٧٩ م.
- ما أتفق لفظه وأختلف معناه، لأبي السعادات هبة الله بن علي المعروف بـ(ابن الشجري) (ت ٥٤٢ هـ)، تحقيق: أحمد حسن، مط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى / ١٩٩٦ م.
- ما ينصرف وما لا ينصرف، لأبي إسحاق الزجاج (ت ٣١١ هـ)، تحقيق: الدكتور هدى محمود قراعه، مط: لجنة إحياء التراث الإسلامي، ط: الأولى / ١٩٧١ م.

- متخير الألفاظ، لأحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ)، تحقيق: هلال ناجي، مطبعة الفضالة - المغرب، ط: الأولى.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لنصر الله بن أبي الكرم بن الأثير (ت ٦٣٧ هـ)، تحقيق: الشيخ كامل محمد معوض، مط: دار الكتب العلمية- بيروت، ط: الأولى / ١٩٩٨ م .
- مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن مثنى التيمي (٢١٠ هـ)، تحقيق الدكتور محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط: الأولى/ ١٩٥٤ م.
- مجمع البحرين، للشيخ فخر الدين الطريحي، تحقيق: أحمد حسين، مط: دار الثقافة - النجف، ط: الأولى / ١٩٦١ م.
- مجمع البيان في تفسير القرآن، لأبي الفضل بن الحسين الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ أو ٥٥٢ هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الأعلمي - بيروت، ط: الأولى / ١٩٩٥ م.
- مجمع الأمثال، لأحمد بن محمد الميداني (٥١٨ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة - مصر / ١٩٥٩ م.
- محاضرات في فقه اللغة، لدكتور عصام نور الدين، مط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى / ٢٠٠٣ م.
- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح عثمان بن جني تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى / ١٩٩٨ م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦ هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، مط: دار الكتب العلمية-بيروت ، ط: الأولى / ٢٠٠١ م.
- المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (ت ٤٥٨ هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، مط: دار الكتب العلمية-بيروت، ط: الأولى.
- المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، لدكتور محمد الأنطاكي، مط: دار الشرق ، ط: الأولى / ١٩٧٨ م.
- مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مط: دار الكتب العربية.
- المخصص، لأبي الحسن علي بن إسماعيل المعروف بـ(ابن سيده)، مط: دار الكتب العلمية - بيروت.

- المدخل إلى علم أصوات العربية، لدكتور غانم قدوري حمد، منشورات المجمع العلمي - بغداد / ٢٠٠٢ م.
- المدخل إلى نظام المجموعات، دراسة في تفصيل المجموعات في القرآن الكريم وبيان خصائصها واستكناه مآلها الأخرى على ضوء مفاهيم النظام القرآني، لعالم سبيط النيلي، د.ط.
- المذكر والمؤنث، لأبي حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق: الدكتور حاتم صالح الضامن، مط: دار الفكر - دمشق، ط: الأولى / ١٩٩٧ م.
- المذكر والمؤنث للمبرد (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: الدكتور رمضان عبد التواب، مط: دار الكتب / ١٩٩٧ م.
- المذكر والمؤنث، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق: (الدكتور طارق عبد العون الجنابي، مط: العاني - بغداد، ط: الأولى / ١٩٧٨ م.
- المذكر والمؤنث، لابن التستري (ت ٣٦١هـ)، تحقيق: أحمد عبد المجيد هريري، مطبعة الخانجي - القاهرة، ط: الأولى / ١٩٨٣ م.
- المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: فؤاد علي منصور، مط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى / ١٩٩٨ م.
- المستدرك على الصحيحين، لإمام محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، مط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الثانية / ٢٠٠٢ م.
- المستصفي من أمثال العرب، لجار الله الزمخشري، مطبعة حيدر آباد / ١٩٦٢ م.
- مسند أحمد، لأحمد بن محمد بن حنبل (ت ٣٤١هـ)، مط: دار صادر - بيروت، (د.ت).
- مشكل إعراب القرآن، لأبي محمد مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ)، تحقيق: الدكتور حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: الثانية / ١٩٨٤ م.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لرافعي، لمحمد بن علي الفيومي (ت ٧٧٠هـ)، مط: دار الهجرة، ط: الأولى / ١٤٠٥ هـ.
- المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم، لمحمود شيت خطاب، مط: دار الفتح - بيروت، ط: الأولى / ١٩٦٦ م.
- المعارف، لابن قتيبة الدينوري، تحقيق: محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، مط: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: الثانية / ١٩٧٠ م.
- معاني الأبنية في العربية، لدكتور فاضل السامرائي، ط: الأولى / ١٩٨٠ م.

- معاني القراءات، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، مط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى / ١٩٩٩ م.
- معاني القرآن، لعلي بن حمزة الكسائي (ت ١٨٩هـ)، إعداد: الدكتور عيسى شحاتة عيسى، مط: دار قباء - القاهرة.
- معاني القرآن، لأبي زكريا بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، والدكتور محمد علي النجار، مط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: الثانية / ١٩٨٠ م.
- معاني القرآن، لأبي سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط (ت ٢١٥هـ)، تحقيق: الدكتورة هدى محمد قراعة، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط: الأولى / ١٩٩٠ م.
- معاني النحو، لدكتور فاضل صالح السامرائي، مط: دار الفكر، ط: الثانية / ٢٠٠٣ م.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، لسيوطي، تحقيق: أحمد شمس الدين، مط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى / ١٩٨٨ م.
- معجم البلدان، لياقوت عبد الله الحموي، مط: دار الفكر - بيروت.
- معجم الجموع في اللغة العربية، لدكتور أدما طربية، مكتبة لبنان الناشر.
- معجم القراءات القرآنية مع مقدمة لأشهر القراء، لدكتور أحمد مختار عمر والدكتور عبد العال سالم مكرم، مط: دار الأسوة، ط: الثامنة.
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، لأبي عبيد الله بن عزيز الأندلسي (ت ٤٨٧هـ)، تحقيق: الدكتور جمال طلبة، مط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى / ١٩٩٨ م.
- معجم المعربات الفارسية، لدكتور محمد التونجي، راجعه: الدكتور سباعي محمد سباعي، مكتبة لبنان ناشرون، ط: الأولى / ١٩٨٨ م.
- المعجم المفصل في الأضداد، لدكتور أنطونيوس بطرس، مط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى / ٢٠٠٣ م.
- المعجم المفصل في الجموع، إعداد الدكتور أميل بديع يعقوب، مط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى / ٢٠٠٢ م.
- معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة الدار الإسلامية، ط: الأولى / ١٩٩٠ م.
- المعجم الوجيز، وضعه مجمع اللغة العربية في جمهورية مصر / ٢٠٠٥ م.
- المعجم الوسيط، إعداد الدكتور إبراهيم مصطفى والدكتور محمد علي النجار وآخران، ط: الرابعة.

- مغني اللبيب عن كتب الأعراب، لجمال الدين بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ)، تحقيق: الدكتور مازن المبارك، حمد علي عبد الله.
- المفردات في غريب اللغة، لراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ)، ضبطه: هيثم ، مط: دار إحياء التراث العربي، ط: العاشرة / ٢٠٠٢ م.
- المفصل في تاريخ حضارة وادي الرافدين، لدكتور أحمد سوسة، مط: دار الحرية- بغداد / ١٩٨٣ م .
- المفصل في علم العربية، لأبي القاسم جار الله الزمخشري، مط: دار الجيل - بيروت ، ط: الثانية .
- المقتصد في شرح الإيضاح، لعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)، تحقيق: كاظم بحر المرُجان، مط: المرجان - الجمهورية العراقية / ١٩٨٢ م.
- المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، مط: عالم الكتب - بيروت.
- مقدمة لدراسة لغة العرب، لعبد الله العلايلي، المطبع العصرية بالفجالة- مصر.
- المقرب، لعلي بن مؤمن المعروف بابن عصفور، تحقيق: الدكتور عبد الستار الجواري والدكتور عبد الله الجبوري، مط: العاني - بغداد ، ط: الأولى / ١٩٧٩ م.
- ملحمة كلكامش، لدكتور طه باقر، مط: دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد، ط: الخامسة / ١٩٨٦ م .
- الممتع في التصريف، لابن عصفور الأشبيلي، تحقيق: فخر الدين قباوة، مط: دار الأفاق الجديدة - بيروت ط: الثالثة.
- من أساليب التعبير القرآني- دراسة لغوية وأسلوبية في ضوء النص القرآني - لدكتور طالب محمد إسماعيل الزوبعي، مط: دار النهضة العربية - بيروت، ط: الأولى / ١٩٩٦ م.
- مناهج البحث في اللغة، لدكتور تمام حسان، مط: دار الثقافة، ودار المحجة البيضاء، ط: الثانية / ١٩٧٤ م.
- المنتخب من غريب كلام العرب، لأبي الحسن علي بن الحسن بن الحسين الهُنائي المعروف بـ(كراع النمل) (ت ٣١٠ هـ)، تحقيق: الدكتور يحيى مراد، مط: دار الحديث - القاهرة ، ط: الأولى / ٢٠٠٥ م.
- المنصف، لابن جني، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مط: دار الكتب العلمية - بيروت ، ط: الأولى / ١٩٩٩ م.

- المنهج الصوتي للبنية العربية، لدكتور عبد الصبور شاهين، مط: مؤسسة الرسالة/ ١٩٨٠ م .
- المهذب في علم التصريف، إعداد الدكتور هاشم طه شلاش والدكتور صلاح الفرطوسي والدكتور عبد الجليل، مطبعة كلية التربية الأولى - ابن رشد .
- الميزان في تفسير القرآن، للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، صححه وأشرف على طباعته الشيخ الأعلمي، مؤسسة الأعلمي - بيروت، ط: الأولى / ١٩٩٧ م .
- النجم الثاقب شرح شافية ابن الحاجب، لإمام صلاح بن علي بن محمد المهدي (ت ٨٤٩ هـ)، تحقيق: محمد جمعة، مؤسسة الإمام زيد بن علي (عليه السلام)، ط: الأولى / ٢٠٠٣ م .
- النحو الأساسي، لدكتور أحمد مختار عمر والدكتور مصطفى النحاس والدكتور محمد حماسة، مط: دار السلاسل - الكويت، ط: الأولى / ١٩٨٤ م .
- النحو الوافي، لدكتور عباس حسن، مط: دار المعارف - مصر، ط: الثالثة / ١٩٦٦ م .
- نزهة الأعين والنواظر في علم الوجوه والنظائر، لشيخ جمال الدين أبي الفرج المعروف بابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، تحقيق: خليل منصور، مط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى / ٢٠٠٠ م .
- النشر في القراءات العشر، لإمام أحمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، مط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الثالثة / ٢٠٠٦ م .
- نشوء اللغة ونموها واكتهاها، للاب انستاس ماري الكرمل، مط: المطبعة العصرية بالفجالة - القاهرة / ١٩٣٨ م .
- نهايات الآيات القرآنية بين الإعجاز اللغوي وروعة الموسيقى، لدكتور أحمد عبد المجيد محمد خليفة، مكتبة الآداب - القاهرة، ط: الأولى / ٢٠٠٦ م .
- نهاية الأرب في فنون الأدب، لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت ٧٣٣ هـ)، تحقيق: الدكتور مفيد قمحية، مط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى / ٢٠٠٤ م .
- النهاية في غريب الحديث والأثر، لشيخ ابن محمد بن حمد الجزري المعروف بابن الأثير (ت ٦٠٦ هـ)، (د. ط) .
- نهج البلاغة - وهو مجموع ما أختاره الشريف الرضي (ق.س) من كلام أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، ضبطه وأبتكر فهارسه العلمية: الدكتور صبحي الصالح، مط: نور الهدى - إيران - قم، ط: الحادية عشر / ١٤٢٦ هـ .
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: احمد شمس الدين، مط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الثانية / ٢٠٠٦ م .

- الواضح في تفسير القرآن العظيم، للإمام عبد الله بن محمد بن وهب الدينوري (ت ٣٠٧ هـ)، تحقيق: أحمد فريد، مط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى / ٢٠٠٣ م.
- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، لهارون بن موسى (ت ١٧٠ هـ)، تحقيق: الدكتور حاتم صالح الضامن، مط: دار الآثار والتراث / ١٤٠٩ هـ.
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لعلي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨ هـ)، تحقيق: أحمد محمد عطا وآخرون، مط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى / ١٩٩٤ م.

الرسائل الجامعية

- أسماء الإشارة في القرآن الكريم، دراسة لغوية ونحوية، لحسام عدنان رحيم الياسري، رسالة ماجستير، جامعة القادسية/ كلية الآداب / ٢٠٠٠ م.
- الدلالة النفسية في القرآن الكريم، دراسة دلالية، لدكتور محمد جعفر، اطروحة دكتوراه، جامعة القادسية/ كلية الآداب / ٢٠٠٢ م.
- العدد في القرآن الكريم، دراسة دلالية، لعابد محمد عبد الله الفتلي، رسالة ماجستير، جامعة القادسية/ كلية الآداب / ٢٠٠٣ م.
- العلم في القرآن الكريم، لحسين عيدان، رسالة ماجستير، جامعة القادسية/ كلية الآداب.

المجلات والدوريات :

- مصطلح الجمع، لسيد علي حسين مطر، مجلة تراثنا، العدد الرابع / ١٩٩٩ م، قم المقدسة، الجمهورية الإيرانية - إيران -.
- مصطلح اسم الجمع، لسيد علي حسين مطر، مجلة تراثنا، العددان الثالث والرابع / ٢٠٠٠ م، قم، الجمهورية الإسلامية - إيران -.

University of kufa – college of Arts
Department of Arabic language

Pronunciation of the colletions which have no singular
form from its pronunciation in the holy Quran
Linguistic study

Dissertation that you advance with to the board of Collge of
Arts University of kufa

By
Mujeeb Saad Abu gtaifa

It is apart of masters degree obtaining requirements of Arabic
language and its arts

Under Superuision of Doctor
Abdul kadhim Muhsin Al- Yasiry

A .D 2008

A .H1429

The Summary

This Study is aiming to search an aspect of sial Ficant Conjugation Study aspects in Arabic Language, It looks for Collections which have no Singular forms From its Pronunciation Under title : ((Pronunciations of the Collections which have no Singular form its Pronunciation Linguistic Study))

The research has been based on a Public origin its Summary is that if the Pronunciation was on a rhyme of regular irregular Collections rhyme it is Plural and if it has no Singular form of its pronunciation and if it is not it is a plural noun 0

The research includes seven Significant Fields begin with Preface and end with an epilogue 0

As to the Preface, There are three requirements 0The First requirement deals with definition of plural in language and terminology 0

The second requirement came to show (Plural noun) and the third show the difference between Plural and plural noun .

The First Field is concerned with the Study of Collections Pronunciations which represent animate and the second concerned with an inanimate of animal 0

The third field concerned with the Collections Pronunciations which represent inanimate of Solid.

The Fourth Field came to include Collections Pronunciations the animate and inanimate 0 Then, the research moved to include the human Collections 0

The Fifth Field deals with the human Collections as concerns with the Psychological significance and numeral 0

The Sixth Field concerned with the human collections as to ideological and intellectual Significance 0 as to human collections

Pronunciations which Signify the tribes it was the seven field share 0

I have written an introduction at the beginning of each field and I end it with a table shows the common Pronunciation in this Field 0 And I have put an appendix at the end of the dissertation including some Pronunciations 0 and then I have put a dictionary including all the pronunciations 0 the conclusion of results and the most important results is I have mentioned most of them at the end of the dissertation and the most important results is that the research reached to reconciling opinion in the Pronunciation which refer to plural and to rhyme (fal) it is plural when use and plural noun 0

Granted by god